الجواهر والدرر الكبرى

تصنيف

العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني الأنصاري

المتوفى سنة ٩٧٣ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon
بيروت - لبنان
كتاب - ناشرون

AL-JAWĀHIR WAD-DURAR AL-KUBRĀ

الجواهر والدرر الكبرى

Author : *Al-Shaykh Abdulwahab Al-Shaarani Al-Ansary (D. 973 H.)*

المؤلف : الشيخ عبدالوهاب الشعراني الأنصاري (ت ٩٧٣ هـ)

Editor : *Al-Shaykh Ahmad Farid Al-Mazidy*

المحقق : الشيخ أحمد فريد المزيدي

Classification : *Sufism*

التصنيف : تصوّف

Year : *1440 H. - 2019 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

Pages: *360*

عدد الصفحات : ٣٦٠

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنـــان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى

ISBN : *978-2-7451-8027-8*

BOOKS - PUBLISHER

Beirut-Lebanon | بيروت - لبنان | كتـاب - نـاشرون

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

ISBN-13: 978-2-7451-8027-8
ISBN-10: 2-7451-8027-4

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيِّدنا محمدًا عبده ورسوله سيِّد الأولين والآخرين، اللهم فصلِّ وسلِّم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبتهم أجمعين صلاةً وسلامًا دائمين أبد الآبدين، ودهر الدَّاهرين... آمين.

وبعد... فهذا الكتاب موضوعه فتاوى وأسئلة سأل عنها الشيخ المصنف شيخه العارف بالله تعالى سيدي علي الخواص من عرف عنه أنه من كبار ذوي الفتح والاختصاص، وكذا العلامة أفضل الدين، من منحه الله التوفيق والفتح المبين.

فجاء الكتاب باكورة زاهرة، وكوكبة نادرة، محققًا في حُلة فاخرة، لما لا يخفى عليه أن به نفائس للعقول باهرة، وللقلوب آسرة.

فيعتبر هذا الكتاب من أمهات مؤلفات الشيخ الشعراني وخلاصة علومه في التربية والسلوك وخفايا أسرار المعارف والعارفين.

ونسأل كل من وقف على عملنا هذا الدعاء أولاً، وثانيًا أن يلتمس لنا العذر إن وجد أخطاء، ويعلمنا بها إن استطاع وجزاه الله عنا خيرًا.

ولله تعالى نسأل متوسلين إليه بسيدنا محمد ﷺ وبصاحب الكتاب أن يجعله عملاً خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفعنا وكل واقف على هذا المؤلف العظيم، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد ﷺ عبدك ورسولك وخليلك وحبيبك صلاة

أرقى بها مراقي الإخلاص وأنال بها غاية الاختصاص، وعلى آله وسلم تسليمًا عدد ما أحاط به علمك، وأحصاه كتابك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون.

❊ ❊ ❊

ترجمة الشيخ الشعراني

*** نسبه:**

هو سيدنا ومولانا الشيخ أبو المواهب، وأبو الفتوحات عبد الوهاب الشافعي الشعراني الأشعري الشناوي الأحمدي الوفائي العلوي الأنصاري الصوفي القرشي ابن الشيخ أحمد بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد ابن الشيخ موسى بن السلطان فاشين بن السلطان محيي بن السلطان ذوفا بن السلطان ريان بن السلطان محمد بن السيد موسى بن السيد محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب جدّ النبي ﷺ.

*** ولادته:**

كان مولده رضي الله عنه في سنة تسع وتسعين وثمانمائة بعد الهجرة النبوية. قال ولده سيدي عبد الرحمن: ولد والدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني في دار جدّه لأمه بقرية من إقليم القليوبية تسمى: «قلقشنده»؛ لأن والدته رضي الله عنها كانت إذ ذاك عند أهله بالناحية المذكورة بسب أمر مقتض لذلك، انتهى.

*** لقبه:**

ثم جيء به إلى بلد أبيه وهي: «ساقية أبي شعرة» بإقليم المنوفية على نهر نيل مصر تجاه بلد يقال لها: «البراشيم» بإقليم القليوبية إلى أن هاجر منها إلى مصر المحروسة رضي الله عنه؛ ولذلك انتسب إليها، فيقال له: الشعراوي بالواو، والشعراني بالنون، كما وجدته بخطه بالواو والنون.

قال سيدي عبد الوهاب رضي الله عنه في أول كتاب من مؤلفاته يقول: مؤلفه العبد الفقير إلى عفو الله ومغفرته عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني نسبة إلى قرية مدينة «منف» المعروفة بـ«ساقية أبي شعرة» عفا الله عنه. انتهى. نقلت ذلك من خطه حرفًا بحرف. قلت: يشير سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله تعالى ببركاته إلى قول العلماء رضي الله عنهم بصحة النسبة في كل منهما، أما النسبة بالواو فعلى القياس من إبدال الهمزة واوًا في النسب كما تقول في: النسبة إلى الصفر أو السود الصفراوي أو السوداوي، وأما النسبة بالنون فبزيادة النون في النسب، كما

قالوا: الراوي نسبة إلى الري، والنواوي بزيادة الواو.

وهذا كما قرئ إن كانت النسبة إلى: «ساقية أبي شعرا» بالهمزة، أما إذا كانت النسبة إلى «ساقية أبي شعره» بالهاء كما هو بخطه أيضًا، فالنسبة على خلاف القياس في كل من الشعراني والشعراوي، وكل من النون والواو زائدة، والنسبة على كل حال صحيحة، فإن الزيادة كثيرًا ما تدخل النسب، ويحال القياس الشعري بحذف الهاء، كما قالوا: التمري نسبة إلى التمرة، والسدري نسبة إلى السدرة، والله أعلم.

وكانت مهاجرة سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه من بلده المذكورة إلى مصر المحروسة في افتتاح سنة إحدى عشرة وتسعمائة، وكان عمره إذ ذاك اثنتي عشرة سنة.

*** نشأته:**

نشأ رضي الله عنه يتيم الأبوين تولى الله تربيته وتوفيقه وتأديبه من صغره إلى انتهاء عمره، ثم مات والده العبد الصالح الشيخ شهاب الدين أحمد حين بلغ من العمر نحو ست سنين، وقيل نحو تسع سنين. والصحيح الأول على القول الآتي في حفظ القرآن على أخيه، فليتأمل.

وكان لسيدي عبد الوهاب عمَّان هما: محمد، وعبد الرحمن، وكان له رضي الله عنه عشرة أخوة لوالده، وشقيقه سيدي عبد القادر المتقدم ذكره آخر المقدمة. قال ولده سيدي عبد الرحمن: ومن خطه نقلت، وأبقى الله تعالى لوالدي في علمه السابق الأزلي والدته التي هي أشفق أقاربه عليه حين ذاك إلى سن تمييزه الذي هو غاية شدة الحاجة إليها بالنسبة إلى ما بعد ذلك، ثم أبقى له والده إلى سن مراهقته الذي هو مظنة غاية شدة الحاجة إلى الوالد السالمة من شوب التنقيص بحقوق التكليف، فحسم الله عنه كثيرًا من حقوق الوالدين، فقبضهما عند انتهاء الغاية التي يلزم فيها غالبًا حصول التعب والمشقة التي قد لا تتيسر من غيرهما في حق الولد عادة؛ ليحصل للولد كمال اللطف في زمن شدة الحاجة.

ثم إن الله تبارك وتعالى إذا أذاقه حرّ اليتم، فترتب على ذلك مقتضاه السابق في علمه، لكن من لطفه به فيه أنه بعد موت والده صار في كفالة أخيه وشقيقه الشيخ عبد القادر المذكور فيما تقدم، وحفظ سيدي عبد الوهاب القرآن كله على أخيه المذكور، وهو ابن سبع سنين، وكان رضي الله عنه مواظبًا على قيام الليل بالقرآن كله.

وكان ﵁ يصلي به كثيرًا في ركعة واحدة في الجامع الأزهر بجانب المنبر، وهو دون البلوغ، وكان ﵁ مواظبًا على الصلوات الخمس في مواقيتها من ذلك السن إلى أن توفاه الله تعالى. كان ﵁ محفوظًا في الظاهر والباطن من جميع المخالفات، لا تخطر بباله من قبل تكليفه ولا من بعده.

*** مشايخه:**

وتفقه ﵁ على أخيه وشقيقه الشيخ عبد القادر المذكور قبل مهاجرته إلى مصر المحروسة ثم من بعد مهاجرته إلى مصر تفقه على شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي، والشيخ الحافظ الجلال السيوطي، والشيخ شهاب الدين أحمد بن حمزة الرملي، والشيخ عبد القادر الشاذلي تلميذ الحافظ الجلال السيوطي الشافعي، والشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري الشافعي والشيخ شمس الدين الدواخلي والشيخ شمس الدين السمنودي، والشيخ أحمد المسيري، والشيخ نور الدين المحلي، والشيخ الملا علي العجمي، والشيخ جمال الدين الحنفي، والشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي، والشيخ شمس الدين اللقاني المالكي أخيه، والشيخ شهاب الدين أحمد الفتوحي الحنبلي، وغيرهم نحو: سبعين شيخًا، وهؤلاء بعضهم.

وأما مشايخه الذين تفقه عليهم في الأربعة مذاهب وغيرها ومشايخه في الطريق، فهم نحو المائتين من الأشياخ فأكثر، وماتوا كلهم وهم عنه راضون، وذلك من أكبر نعم الله عليه.

قلت: ولم أذكر من أشياخه إلا من كان جامعًا بين العلم والعمل، والحمد لله رب العالمين.

واطلع ﵁ على سائر أدلة المذاهب كلها المستعملة والمندرسة، وعلم استنباطات كل مذهب منها؛ لكثرة محفوظاته من الكتب ومقروءاته على المشايخ في الأربع مذاهب ومطالعته فيها.

*** محفوظاته:**

وأما محفوظاته من كتب الشريعة وآلاتها، فهي كتاب أبي شجاع، وكتاب متن الأجرومية، وحلّ الثلاثة على أخيه الشيخ عبد القادر قبل مهاجرته إلى مصر، وبعد مهاجرته إلى مصر حفظ كتاب المنهاج للنووي، وكتاب ألفية ابن مالك، وكتاب التوضيح، وكتاب جمع الجوامع، وكتاب ألفية العراقي، وكتاب تلخيص

المفتاح، وكتاب الشاطبية، وكتاب قواعد ابن هشام، وغير ذلك من المختصرات حفظًا جيدًا حتى صار يعرف متشابهاتها كالقرآن من جودة حفظه، ثم ارتفعت همته، فحفظ كتاب الروضة إلى باب القضاء على الغائب، أو أواخر الكتاب، فلقيه رجل من أولياء مصر، وقال له: قف على باب القضاء على الغائب، فلم يقدر بعد قول ذلك الولي على حفظ لوح واحد منه بعد باب القضاء على الغائب، حتى أنه كتب لوحًا منه قول الولي، وقرأ فيه حتى بال الدم، فلم يحفظه، فتحقق بعد ذلك إشارة الولي إلا أنه طالع بقية الروضة نحو مائة مرة حتى رسخ في عقله.

*** الكتب التي قرأها:**

وأما ما قرأه من الكتب وشرحه على أشياخه، وهم نحو: خمس وسبعين شيخًا من كتب الشريعة وآلاتها، فكثير لا يحصى. قرأ على شيخه الإمام العالم العلامة الفقيه المحدث المقرئ الصوفي الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري شرح المنهاج للجلال المحلي، وكان أعلم أشياخه بنكت الشرح؛ لكونه قرأ بعضه على مؤلفه، وبقيته على أصحاب المؤلف كالشيخ فخر الدين المقسمي، والشيخ شمس الدين الجوجري، والشيخ شمس الدين بن قاسم.

وكان يُطالع عليه القوت للأذرعي، وشرح المنهاج للإسنوي، وللسبكي، ولابن الملقن، وشرحه لابن قاضي شهبة، وشرح الروض لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري قبل أن يشتهر الكتاب، وكان يلخص زوائد هذه الكتب على حواشي شرح الجلال المحلي، ويلصق فيه أوراقًا حتى ربما تصير الحواشي أكثر من الكتاب، ويقرؤها كلها عليه، وكان ذلك لضيق يده عن شيء يشتري به الكتب.

وكذلك قرأ على الشيخ أمين الدين أيضًا شرح جمع الجوامع للجلال المحلي، وحاشيته لابن أبي شريف، وكذلك قرأ عليه شرح ألفية العراقي للسخاوي، وشرح ابن عقيل على الألفية، وكان يطالع عليه شرح الأعمى والبصير، وشرح التوضيح، وشرح ابن قاسم، وشرح المكودي، وشرح الشواهد للعيني، ويكتب زوائدها على شرح ابن عقيل، ويقرؤها كلها عليه، وكذلك قرأ عليه الكتب الستة في الحديث، والغيلانيات، ومسند عبد بن حميد، وأجازه بجميع مروياته، وكان له السند العالي، أخذ عن الحافظ ابن حجر العسقلاني.

وقرأ على الشيخ الإمام العالم العلامة الشيخ شمس الدين الدواخلي هذه الشروح المذكورة بحواشيها بعد الشيخ أمين الدين، وكان فقيهًا محدثًا للأبحاث، وكذلك قرأ عليه شرح الإرشاد لابن أبي شريف، وكان يطالع عليه

شرح البهجة الكبير للشيخ زكريا، وشرح الإرشاد للجوجري، والقوت للأذرعي، والتوسط والفتح للأذرعي.

وكذلك قرأ عليه شرح الروض إلى أثناء باب الجزية، وحصل له رمي دمٍ، فمرض، فلم يتمه عليه، وكان يطالع على هذا الشرح الخادم والقوت، وجميع المواد التي استمد منها شارحه كان يتتبع نقوله بسوابق الكلام ولواحقه، وألحقها بشرح الروض حتى صارت الحواشي أكثر من الشرح.

وكان الشيخ يتعجب من سرعة مطالعته لهذه المواد، ويقول: لولا أنك تلخص زوائدها لقلت: إنك لم تنظر فيها فضلاً عن أن تطالعها كلها، وكذلك قرأ عليه شرح الألفية لابن المصنف، وللأعمى، والبصير، ولابن قاسم المرادي، وشرح التوضيح للشيخ خالد الأزهري وغير ذلك.

وكذلك قرأ عليه المطول بحواشيه كاملاً، وكذلك قرأ عليه شرح ألفية العراقي للسخاوي، وشرح جمع الجوامع للمحلي بحاشيته، وكذلك قرأ عليه شرح الشاطبية وغير ذلك، وكذلك قرأ على الشيخ العالم العلامة الشيخ شمس الدين السمنودي الخطيب بالجامع الأزهر نحو النصف من شرح المنهاج للجلال المحلي، وقطعة من شرح الطوالع، ثم سافر من مصر إلى المحلة الكبرى، فأقام بها إلى أن توفي، فأكملها على الشيخ شهاب الدين المسيري.

وكذلك قرأ على الشيخ الإمام المحقق الشيخ نور الدين المحلي شرح جمع الجوامع بحاشيته، وكان يقرأ عليه الشرح والحاشية في الغالب على ظهر قلب، وهو ممسك عليه الكتاب، فيتعجب من جودة حفظه وتوقيعه الحاشية على الشرح، وكذلك قرأ عليه شرح العقاد للتفتازاني، وحاشية أبي شريف عليه، وكذلك قرأ عليه شرح المقاصد، وكتاب سراج العقول للشيخ أبي طاهر القزويني، وهو كتاب مشتمل على أربعين بابًا في علم الكلام، كل باب يجمع فيه سائر مشكلاته، ويتكلم عليها، وما رأيت في علماء الكلام أطول باعًا منه.

وكذلك قرأ على الشيخ الإمام الزاهد العلامة نور الدين السنهوري الضرير الإمام بجامع الأقمر عدة كتب منها: شرح نظمه للأجرومية، ومنها شرح شذور الذهب، ومنها شرح الألفية للمكودي وغير ذلك.

وكذلك قرأ على الشيخ الإمام العالم الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة الشيخ ملا علي العجمي بباب القرافة قطعة من المطول والعضد، وقطعة من تفسير البيضاوي، ثم مات، وكذلك قرأ على الشيخ جمال الدين العناني، والشيخ

عيسى الإخنائي والشيخ شمس الدين الدمياطي الواعظ بالجامع الأزهر كل منهم قطعة من شرح المنهاج ثم مات.

وكذلك قرأ على الشيخ العالم العلامة الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة الشيخ شهاب الدين أحمد القسطلاني غالب شرحه على البخاري، وكتاب المواهب اللدنية كاملاً ثم مات.

وكذلك قرأ على الشيخ العالم العلامة الشيخ مجلي قطعة من شرح المنهاج للجلال المحلي إلى أثناء باب القضاء هو والشيخ أبو الحسن البكري الصديقي ثم مات، وكذلك قرأ على الشيخ نور الدين الأشموني قطعة من شرحه على المنهاج الذي نظمه، وكذلك قرأ عليه شرح نظمه لجمع الجوامع وغير ذلك.

وكذلك قرأ على الشيخ سعد الدين الذهبي شرح ألفية العراقي، وقطعة من شرح المنهاج للجلال المحلي، وأمره بمطالعة الخادم والقوت، فطالعهما كاملين، وكان يراجعه في مشكلاتهما، وكذلك قرأ على شيخ الإسلام الشيشيني الحنبلي قطعة من تفسير البغوي، ثم مات.

وكذلك قرأ على شيخ الإسلام برهان الدين القلقشندي دروسًا من شرح المنهاج، ثم مات، وأجازه بجميع مروياته، وكان عالي السند، وكذلك قرأ على شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري عدة كتب من مؤلفاته أولها: شرح رسالة القشيري في التصوف كتبه من خطه، وقرأه عليه كاملاً، وأجازه بإقرائه.

وكذلك قرأ عليه شرح مختصره لجمع الجوامع، وشرح التحرير، وشرح القطعة التي وضعها على مختصر المزني، ولما شرح البخاري كان يطالع له شرح البخاري للحافظ ابن حجر وشرحه للعيني وشرحه للكرماني وشرحه للبرماوي، وشرحه للقسطلاني، ويلخص منها ما يختاره حتى صارت هذه الشروح نصب عينيه من جودة الفهم ونباهة الخاطر.

وكذلك قرأ عليه الكشاف مع حواشيه، ولما قرأ عليه شرحه للروض كان يطالع عليه جميع المواد التي استمد منها، ونبهه على نحو أربعة عشر موضعًا ذكر أنها من أبحاث الزركشي، والحال أنها من كلام الأصحاب فأصلحها، وكذلك نبهه على عدة مواضع ذكر أنها من زوائد الروض على الروضة، والحال أنها مذكورة في الروضة في غير أبوابها فأصلحها، ومن جملة ما كان يطالعه على

شرح الروض من المواد: كتاب المهمات، وكتاب القوت، وكتاب الخادم، وكتاب شرح المهذب، والروضة، والرافعي الكبير، وكتاب المطلب لابن الرفعة، والكفاية له، والقطعة، والتكملة، وشرح ابن قاضي شهبة، وشروح التنبيه كابن يونس وابن الملقن.

وكذلك قرأ عليه القواعد الكبرى للشيخ عز الدين، وقواعد الزركشي، وقواعد العلائي، وغير ذلك مما كان متيسرًا في خزانة المدرسة المحمودية وغيرها، وكذلك قرأ على الشيخ الإمام العلامة محقق الزمان، وقدوة الأعيان الشيخ شهاب الدين الرملي كتاب الروضة من أولها إلى أثناء باب الخيار، والعفاف في النكاح، فحصل له رمي دمٍ، فلم يتمه عليه. وكان يطالع عليه كل درس قرأه عليه، وكتاب المهمات والخادم، وشرح المهذب، وشرح المنهاج، وشرح الإرشاد، وشرح البهجة وغير ذلك، ويكتب زوائد جميع هذه الكتب على الحواشي، وكان يقرؤها كلها عليه، وينبهه على الراجح وغيره، وكان يتعجب من مطالعته لهذه الكتب، ويقول له: بدايتك نهاية غيرك، لأنه ما رؤي أحد يتيسر له مطالعة هذه الكتب كلها في هذا الزمان أبدًا؛ لأنه كان يطالع الجزء الكبير في ليلة، ويكتب زوائده على الكتاب الذي يقرؤه.

فهذا ما استحضره الشيخ مما قرأه على الأشياخ من كتب الشريعة.

*** مشايخه بعد تبحره في العلم:**

* ولما تبحر في علوم الشريعة إلى هذا الحد والوصف؛ لقيه رجل من أكابر أولياء الله تعالى بعصره، وهو سيدي أحمد البهلول، الذي زوجه بطريق الكشف بأول زوجاته، وهي زينب بنت خليل القصبي، وقال له: يا عبد الوهاب يكفيك ما جمعت من معرفة علوم الشريعة، واطلب لك شيخًا يرشدك إلى طريق الله، ويوصلك لحضرة ربك.

«**سيدي علي الخواص**»: فشرع سيدي عبد الوهاب ﵁ في التماس شيخ له، واستشار غالب أصحابه، ومشايخه في علوم الشريعة، وغيرها في شيخ من مشايخ العصر، ومسلكي أهله يأخذ عنه طريق الصوفية، فأجمع رأي الغالب منهم على أن يأخذ العهد على سيدي علي الخواص ﵁؛ لأنه كان عارفًا بالله تعالى، وصاحب تصريف كامل في مصر وقراها، وكان ﵁ يجتمع برسول الله ﷺ يقظة، ومشافهة

على مصطلح الصوفية، ويراجعه في أموره كلها، وكان ﵁ إذا رأى أنف إنسان يعرف جميع ما انطوت عليه ذاته من الحسنات والسيئات، وكان ﵁ إذا رأى ليقة الدواة يعرف جميع ما يكتب منها من الكلمات والحروف، وأول حرف يوضع من الدواة، وآخر حرف يكتب منها إلى أن يفنى المداد.

وكان ﵁ إذا رأى الميضأة التي يتوضأ منها الناس؛ يعرف جميع ما سقط فيها من الخطايا على التعيين من كبائر وصغائر ومكروهات وخلاف الأولى، ويميز بين غسالة كل ذنب وبين غسالة ذنب آخر، وكان ﵁ مطمح بصره اللوح المحفوظ لا ينقل خبرًا إلا عنه، فكان ﵁ لا يخطئ في شيء مما أخبر به أبدًا، وكذلك علومه كلها، وكان ﵁ لا ينقلها إلا عن اللوح المحفوظ.

وكان شيخ سيدي إبراهيم المتبولي ﵁ له سماط في كل سنة يعمله على سد يأجوج ومأجوج، ويحضر فيه سائر الأولياء والأحياء والأموات، ويأكلون منه، فلما ورث سيدي علي الخواص مقام شيخه بعده، عمل السماط على السد كشيخه، فحضر سماطه سائر الأولياء والشهداء والأنبياء والمرسلين، فزاد سماطه على سماط شيخه حضور من ذكر فيه وهم الشهداء والأنبياء والمرسلون، وكان ﵁ من الأولياء العلماء الراسخين في العلم لما تقدم نفعنا الله ببركاته آمين.

ولما اجتمع به سيدي عبد الوهاب، قال له سيدي علي الخواص: ما تريد؟ قال: أريد السلوك إلى طريق الله ﷻ، فقال: ما صنعتك؟ قال أطلب العلم، فقال له: عندك كتب كثيرة؟ قال: نعم، فقال: لمن تنتسب؟ قال: للسلطان أحمد بتلمسان المغرب، فقال له: ما الأصل في نسبك الأعلى؟ قال: أنتسب لابن الحنفية ابن الإمام علي، فقال له: سلطنة وشرف وفقر، لا يجتمعن، فقال له: أفوت ما عدا الفقر، فقال له: ومرادك طريق الصوفية؟ فقال: نعم، قال له: اذهب وبع كتبك كلها وتصدق بأثمانها واحضر إلي، فقال: سمعًا وطاعة، ثم شرع في بيع كتبه، فباعها كلها ما عدا شرح الجلال المحلي على المنهاج عز عليه بيعه؛ لكثرة الكتابات عليه، وخدمته وقراءته على المشايخ، ثم حضر له العقلي الذكي، وقال لنفسه: كيف ما أفوت طريق الوصول إلى حضرة ربي بكتاب؟! ثم باعه، وتصدق بأثمانها كلها، وجاء إلى سيدي علي الخواص، فقال: بعته؟ فقال: نعم، فقال له: اذهب واترك طلب العلم سنة كاملة، ولا تحضر مجلس

علم ما، وتحضر إلي بعد العام، فامتثل لأمره وترك العلم وأهله سنة، ثم حضر له بعدها فقال له: بقيت فارغًا، والفارغ يملأ ولا يتغير ما فيه، ثم أجلسه بين يديه، ولقنه الذكر، وأخذ عليه العهد، وأعطاه الورد، وقال له: يا عبد الوهاب لا يفتح عليك إلا بروضة المقياس، فاذهب إليها في غد بالدواة والقرطاس، وانتظر الفتح الإلهي، فلما أصبح سيدي عبد الوهاب، أخذ الدواة والقرطاس، وتوجه إلى روضة المقياس وجلس فيها، فإذا بباب علم من علوم الله ﷻ فتح في قلبه، فكتب نحو سبعة كراريس من عين قلبه، وجاء بها وعنده فرح شديد، وعرضها على شيخه سيدي علي الخواص ﷺ فقال له سيدي علي الخواص شيخه: هذه كلها ناشئة عن فكر وتأمل، فامحها بالماء، فمحاها، ثم قال له شيخه: توجه في غد إلى روضة المقياس أيضًا، وانتظر الفتح الإلهي، ففعل مثل الأول، وعرضها على شيخه أيضًا، فقال مثل ما قال في الأول، ثم قال له: توجه أيضًا، فتوجه سيدي عبد الوهاب ثالث يوم إلى روضة المقياس، وانتظر الفتح الإلهي، ففتح الله ـ تعالى ـ عليه بعلم آداب العبودية. فلما عرضه على شيخه قال له: لقد تم أمرك وعلا قدرك وشاع ذكرك روى قلبك عن ربك، فاكتب ما شئت.

ثم إن سيدي عبد الوهاب سمى هذا الكتاب «الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية» وهو أول مؤلفاته، وهو موجود إلى وقتنا هذا، وعلوم هذا الكتاب جمعت سائر العلوم؛ لأن من علم آداب العبودية علم حقوق الربوبية، والكونان ما فيهما إلا ربّ واحد، ولكل منهما أدب واحد، فبهذه العلوم أوصله شيخه سيدي علي الخواص ﷺ لحضرة معرفة الله تعالى الخاصة، والأدب الكامل لم يحوجه إلى غيره.

قال سيدي عبد الوهاب في كتابه «الدر المكنون والجوهر المصون» ومن خطه نقلت: «فهذه دررٌ التقطتها، وجواهر استخرجتها حين غطست في بحر علوم سيدنا ومولانا الشيخ الإمام الكامل والراسخ المحقق من تحقق من رسول الله ﷺ بالوراثة التامة، والصديقية الكبرى، والعبودية الخالصة، التي لا يشوبها ربوبية ولا هوى، شيخنا وقدوتنا إلى الله ـ تعالى ـ مولانا، نور الدين علي الخواص، أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه في الدنيا والآخرة آمين، وغطست في بحر علومه ﷺ خمس مرات، فلما أردت أن أغطس فيه السادسة،

استحال البحر حجرًا، ولما غطست وجدت في كل مرة صيدًا من خزائن علومه ﷺ.

ففي المرة الأولى وجدت خزانة على بابها قفل، ففتحتها بقول: لا إلٰه إلا الله، فوجدت فيها جملة العلوم التي برزت من اللوح المحفوظ إلى جميع هذا العالم على اختلاف طبقاته من الصديقية الكبرى إلى آخر درجات الولاية، مشتملة على علوم لا تحصى إلا بتعريف من الله ﷻ مكتوب على كل علم اسمه، فأخرجت جميع العلوم وجعلتها عندي في ذخيرتي، فلما غطست الثانية وجدت خزانة أخرى على بابها قفلان، ففتحتهما بـ«بسم الله»، فوجدت في الخزانة جملة من آيات القرآن العظيم من أول سورة «الحمد» إلى آخر القرآن، ووجدت تفسير كل آية من تلك الآيات مكتوبًا تحتها، فأخرجتها، ووضعتها في الذخيرة بجانب علوم الخزنة الأولى.

فلما غطست الثالثة وجدت خزانة أخرى عليها ثلاثة أقفال، ففتحتها بـ«الرحمن الرحيم»، فوجدت فيها جملة من الأحاديث النبوية، ووجدت شرح كل حديث بجانبه، فأخرجتها، ووضعتها في الذخيرة بجانب آيات الخزانة الثانية، فلما غطست الرابعة، وجدت خزانة أخرى عليها أربعة أقفال، ففتحتها بـ«حسبنا الله ونعم الوكيل» فوجدت فيها علم التأويل، فأخرجت منه جملة صالحة خاصة بتأويل كلمات أخذت عن الكُمَّل من أهل الله ـ تعالى ـ ووضعتها قريبًا من أحاديث الخزانة الثالثة، فلما غطست الخامسة، وجدت الخزانة الخامسة، وليس على بابها قفل، ففتحتها بـ«سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» فوجدت فيها جملة صالحة من حقائق متفرقة تقبلها العقول ولا تنكر منها شيئًا، فأخرجتها، ووضعتها بجانب علم التأويل، ثم أغلقت باب ذخيرتي، ووضعت عليه عشرة أقفال، ولم يقع بصر أحد على ما أخرجته ولا ما ادخرته، ولم أُعلم بذلك أحدًا، ولا أطلعته؛ لعدم الأمن عليه من منكر، حتى جاءني وارد الحق ثانيًا على لسان هاتف ثانيًا وثالثًا، وقال: أما تعلم أن الجنة حرام على كل بخيل؟! فحينئذ انشرح صدري، وقوي عزمي على إفشائها، ورقمها في السطور، وسطرتها على ترتيب ما وجدتها حرفًا بحرف، ورأيت مكتوبًا على ظهر باب كل خزانة باب كذا، باب كذا، إلا الخزانة الخامسة، فإني وجدت على بابها خاتمة، فترجمتها كما رأيتها».

قال ﷺ: «إن بحر علوم شيخنا ﷺ لا يدرك له القرار؛ ولذلك قصدت حين غطست فيه المواضع القريبة من الساحل؛ رفقًا بالسامعين، إذ الغور في ذلك لا مرقى لغالب الأولياء فضلًا عن غيرهم».

واعلم أن مبنى جميع علومه ﷺ يعنى سيدي علي الخواص ـ على الكشف الصحيح والتعريف الإلهي، لا مدخل للفكر والنظر فيها بوجه من الوجوه، وبعضها من الوجه الخاص، الذي بين كل عبد وبين ربه ﷻ يخاطب منه ربه بارتفاع الوسائط، ويقول: «إياك نعبد وإياك نستعين» ومن هذا الوجه أخذ الخضر ﷵ علمه الذي وقع فيه من موسى ﷵ الإنكار عليه، ولو كان علم الخضر المذكور مما جاء بواسطة الملك لم يقع فيه إنكار.

واعلم أن جملة المنازل التي ينزلها الأولياء، وتخلع عليهم علومها، مائة ألف منزل، وأربعون ألف منزل، ما عدا منزل الخضر ﷵ فإنه دون منزل الرسالة، وفوق منزل الصديقية الكبرى، فلابد لكل من حق له قدم الولاية الكبرى، أن ينزل جميع هذه المنازل، ويخلع عليه في كل منزل منها من العلوم والمعارف والآداب ما لا يحصى لأحد من الخلق.

قال سيدي عبد الوهاب: «قال شيخنا سيدي علي الخواص ﷺ: ولما أدخلت المنزل الأول، خلع علي فيه مائتا ألف علم، وسبعة وأربعون ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعون علمًا»، قال سيدي عبد الوهاب ﷺ: «فإذا كان هذا في منزل واحد، فكيف بجميع ما ذكرناه من المنازل؟!»، قال سيدي عبد الوهاب وكان شيخنا سيدي علي الخواص ﷺ يقول: «من الأولياء - ويعني نفسه - من يعطيه الله ـ تعالى ـ علم حكمة كل حرف تكرر في القرآن العظيم، ومنهم من يعطيه الله ـ تعالى ـ من العلم والقوة ما يقدر به على تخريج جميع أحكام القرآن، وجميع الكتب المنزلة من أي حرف شاء منه ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ (21)﴾ [الحديد: 21] قال سيدنا الشعراني: «وقد كنت ألفت فيما مضى من الزمان كتابًا سميته «تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء» ذكرت فيه نحو أحد وسبعين ألف علم، ثم رأيت غالب العقول تحيرت منه، ولم تحصل منه فهم شيء من العلوم المذكورة فيه، فغسلته في البحر، واكتفيت عنه بما سأذكره في هذا الكتاب من العلوم، فإن القصد بذلك تنبيه إخواننا على غزارة

علم أهل الله ـ تعالى ـ؛ ليقل منهم الإنكار عليهم». انتهى.

فانظر هذه الفضيلة لسيدي علي الخواص ﵁، نفعنا الله ببركاته والمسلمين آمين.

مات سيدي علي الخواص ﵁ في سنة خمس وأربعين وتسعمائة، ودُفن بضريح شيخه سيدي محمد أبي البركات الخياط ـ بالحسينية ـ خارج باب الفتوح من مصر المحروسة، وكان شيخه ﵁ يقول له: يا علي، لا يشتهر هذا الضريح والمزار إلا بك.

فكان الأمر كما قال له شيخه، والمزار الآن لا يُعرف إلا ـ بسيدي علي الخواص ـ من حين دفن فيه، مع أنه لم يبن هذا الضريح إلا لسيدي محمد أبي البركات، ولم يُدفن فيه سيدي علي الخواص إلا بعد شيخه المذكور رحمة الله عليهما آمين.

«**سيدي علي المرصفي**»: ومن مشايخه مولانا الشيخ علي المصرفي العُمري، كانوا يشبهونه بالجنيد في زمانه، وكان ﵁ من الأئمة الراسخين في العلم، وله المصنفات النافعة في طريق الصوفية، واختصر رسالة القشيري ﵁ وتكلم على مشكلاتها.

قال سيدي عبد الوهاب: وقرأتها عليه بعد قراءتها على شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، فكنت أعرض عليه ما سمعته من شرح شيخ الإسلام زكريا لها، فيقره ويمدحه، ويقول لي: الذي أراه أن الشيخ زكريا من العارفين؛ ولكنه تستر بالفقه. انتهى.

كان المرصفي ﵁ في بداية أمره أميًا، واجتمع بسيدي مدين ﵁ وهو ابن ثماني سنين، ولم يأخذ عنه الطريق، فلما كَبُرَ، اجتمع بسيدي محمد ابن أخت سيدي مدين المذكور، وأخذ عنه الطريق، واجتمعت عليه الفقراء في مصر، وقرأها حتى صار هو المشار إليه فيها، وسموه ـ جنيد عصره ـ، وكان من شأنه ﵁ إذا كان يتكلم في دقائق الطريق، حضر أحد من غير أهل الطريق؛ ينقل الكلام إلى مسائل الفقه إلى أن ينصرف الغريب من أهل الطريق، ويقول: ذكر بين غير أهله عورة.

قال سيدي عبد الوهاب: لقنني سيدي علي المرصفي الذكر ثلاث مرات:

«الأولى» جئت إليه وقلت له: لقني الذكر بحال قوي، فقال: بسم الله يا ولدي، وأطرق رأسه ساعة، ثم قال: قل لا إلٰه إلا الله، فما استتمها الشيخ علي المرصفي، حتى غبت عن إحساسي، فما استفقت إلا في وقت المغرب، ولم أجد عندي أحدًا، فمكثت خمس عشرة سنة لا أستطيع الاجتماع عليه؛ لسوء أدبي معه من قولي له ـ لقني الذكر ـ بحال قوي.

«**الثانية**»: أني جئته، فلقنني الذكر، فسمعت منه ـ لا إلٰه إلا الله ـ ثلاث مرات، ثم غبت كذلك، ثم رأيت في تلك الليلة، كأن الشيخ بيده ثلاث مآبر، فغرزها في خدي إلى آخرها، فلما أصبحت ذكرت ذلك له، قال: الحمد لله الذي أظهر فيك أثرها.

«**الثالثة**»: لقنني الذكر حين لقن الشيخ أبا العباس الحريثي رضي الله عنه؛ لكونه كان أصفى قلبًا مني، وأكبر سنًّا، وأعرف بمقام الرجال، ثم لا زلت أتردد عليه مدة حياته.

وذكر سيدي أبو العباس الحريثي ـ عن نفسه ـ لسيدي عبد الوهاب، أنه قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات، فذكر ذلك سيدي عبد الوهاب لشيخه سيدي علي المرصفي، فقال سيدي علي المرصفي: الفقير وقع له أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة، في كل درجة ألف ختمة، فقال له سيدي عبد الوهاب: بالحرف والصوت؟ فقال: نعم، مد الله ـ تعالى ـ لي في الزمان؛ إكرامًا لرسول الله ﷺ لكوني من أتباعه.

وكان سيدي علي المرصفي رضي الله عنه يقول: ما جلست لتربية المريدين إلا بإذن من الله عز وجل على لسان رسول الله ﷺ في بعض الوقائع.

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني: وكنت إذا وقع بصري عليه أمثله بالشمس في الدنيا، وبالجبل الراسي في مصر لا تزلزله الرياح. مات رضي الله عنه في سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، ودُفن بزاويته ـ بقنطرة الأمير حسين ـ بمصر المحروسة، وقبره بها ظاهر يزار. قُلْتُ وزرته كثيرًا، فالحمد لله رب العالمين والله أعلم.

قال سيدي عبد الوهاب: لما رجعنا من جنازته، صارت مصر وقراها مظلمة قليلة النور كوقت الغيم، فرأينا أن ذلك النور كان نور سيدي علي المرصفي رحمة الله عليه. وكذلك الشيخ محمد الشناوي الأحمدي رضي الله عنه، الآتي ذكره في آخر المشايخ ـ إن شاء الله تعالى ـ لم يحوجوه إلى غيرهم – رضي الله عنهم أجمعين–.

*** طائفة أخرى من شيوخ الإمام الشعراني - رضي الله تعالى عنهم-:**

الشيخ محمد بن عنان، والشيخ عبد الحليم بن مصلح، والشيخ نور الدين الشوني المدفون بباب زاوية الشيخ، والشيخ شهاب الدين النشيلي، والشيخ عبد القادر الدشطوطي، والشيخ محمد المغربي الشاذلي، والشيخ أبو العباس الغمري، والشيخ أبو الحسن الغمري ولده، والشيخ نور الدين الحسني، والشيخ علي النبتيتي، الشيخ علي بن الجمال، والشيخ عبد القادر بن عنان، والشيخ محمد العدل، والشيخ محمد بن داود، والشيخ محمد أبو البركات، والشيخ محمد بن أبي الحمائل السروي، والشيخ تاج الدين الذاكر، والشيخ أبو السعود الجارحي، والشيخ محمد بن المنير، والشيخ أبو بكر محمد الشربيني، والشيخ أحمد السطيحة، والشيخ علي الذويب، والشيخ محمد دمرداش المحمدي، والشيخ شاهين بالجبل المقطم، والشيخ أحمد الرومي، والشيخ أحمد الزواوي، والشيخ علي الشرنوبي، والشيخ أحمد البهلول، والشيخ أفضل الدين محمد أبو الفضل الأحمدي، والشيخ كمال الدين الطويل، والشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري، والشيخ يوسف الكردي، والشيخ خضر، والشيخ عمر البجائي، والشيخ محمد الدلجي، كان سيدي محمد بن عنان يجلس بين يديه كالطفل الصغير، والشيخ حسن المطراوي، والشيخ حسن الريحاني، والشيخ ناصر الدين النحاس، والشيخ شهاب الدين الجعفري، والشيخ أبو القاسم الفاسي، والشيخ إبراهيم المواهبي، والشيخ أبو الفضل الوفائي، والشيخ شرف الدين الصعيدي الذي زلزل قطعة الجبل بعكازه أيام السلطان الغوري، والشيخ شمس الدين الدواخلي، والشيخ علي البحيري، والشيخ أبو النجا الفُوي، والشيخ عبد القادر النبتيتي، والشيخ حسن العراقي، والشيخ علي أبو خوذة، والشيخ بهاء الدين المجذوب، والشيخ إبراهيم عصفور، ويقال عصيفير بالتصغير، والشيخ محيسن البرلسي، الشيخ أبو الخير الكليباتي، والشيخ علي الشونوري، والشيخ عبيد البلقيني، والشيخ عبد الرزاق التربي، والشيخ مخلص، والشيخ صدر الدين البكري، والشيخ إبراهيم العجمي، والشيخ ناصر الدين أبو العمايم، والشيخ علي البليلي، والشيخ إبراهيم أبو لحاف، والشيخ محمد بن زرعة، والشيخ وحيش، والشيخ علي الدميري، والشيخ علي الكازواني، والشيخ أحمد الرومي،

والشيخ عبد القادر السبكي، والشيخ أحمد الكعكي، والشيخ علي الهندي، والشيخ محمد الصوفي، والشيخ سليمان الحانوتي، والشيخ إبراهيم الرجبي، والشيخ إبراهيم القيرواني، والشيخ عبد الرحمن المناوي، والشيخ حسن الجركسي، والشيخ سويدان، والشيخ خال القلعي، والشيخ علي الدميري، والشيخ شعبان، والشيخ عبد المتعال، والشيخ حسن بن إبريق، والشيخ عبد الودود، والشيخ علي الأتميدي، والشيخ عبد القادر الشاذلي، والشيخ قاسم المغربي القصري، والشيخ أبو الحسن البكري الصديق، والشيخ علي النجار المقيم بباب سعادة، والشيخ محمد الشناوي الأحمدي العباسي الشافعي الأشعري ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

قلت أخذ عن هؤلاء كلهم الأدب، والطريق، وعلمي الشريعة والحقيقة، كان تمام تربيته، وفطامه على يد ثلاثة أشياخ من هؤلاء كلهم، ولم يحوجوه إلى غيرهم، وهم سيدي علي الخواص، وسيدي علي المرصفي، وسيدي محمد الشناوي الأحمدي.

سند الإمام الشعراني في الطريق، وترجمة سيدي محمد الشناوي: قال سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه: تلقنت الذكر، وأخذت العهد، ولبست الخرقة، وأجزت بتلقين الذكر، وأخذ العهد، وتربية المريدين، والمشي تحت السيارة في شهر ربيع الأول من شهور سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة على يد سيدي محمد الشناوي، ولما لقنني الذكر، وأخذ علي العهد، وأدبني، تمثل بهذا البيت وأنشد يقول:

أَهِيْمُ بِلَيْلَى مَا حييتُ وَإِنْ أَمُتْ   أُوَكِّلْ بِلَيْلَى مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي

وكان ذلك كله بحضور جمع عظيم في مولد شيخه سيدي محمد بن أبي الحمائل السروي بمصر المحروسة، وكان من جملة الحاضرين الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي الشافعي المدفون الآن بمكة المشرفة، والشيخ أحمد السواح، وأخوه الشيخ علي أولاد الشيخ عبد الرازاق بكوم النجار بالغربية.

فقال بصريح لفظه: اشهدوا عليّ كلكم أني أذنت لولدي هذا عبد الوهاب أن يلقن الذكر، ويربي المريدين، ويلبسهم الخرقة على سبيل التشبه بالقوم.

قال: ثم سافر صباح تلك الليلة وهو مريض.

فقلنا: خاطرك علينا فلعل ذلك آخر العهد، فقال: لابد من الاجتماع، فدخلت عليه، وهو يحتضر في محلة روح، ففتح عينيه لي، وقال: أسأل الله ـ تعالى ـ أن يسترك بين يديه، فمات تلك الليلة ﷺ في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة من الهجرة النبوية في مدة السلطان سليمان ابن السلطان سليم.

ثم فشا مع الناس بأن الشيخ الشناوي أذن لي، فجاءوا إلي من مصر أفواجًا أفواجًا؛ يطلبون مني التلقين، فشاورت شيخي وأستاذي الشيخ الكامل في سائر العلوم والمعارف سيدي عليًا الخواص، فقال لي: لا تفعل، فإن هذا زمان قد قل فيه الصدق، وطلب الطرق، ثم أنه غلب عليّ جماعة، وسألوني ـ لله تعالى التوفيق ـ أن ألقنهم، فلقنتها الذكر، فلم يفلح منهم غير واحد. قلت وهو سيدي محمد بن الترجمان، والله أعلم.

وقوله «فلم يفلح غير واحد» ـ يعني ـ الذين تلقنوا بعد نهي سيدي علي الخواص، وأما قبل نهيه فتلقن عليه جماعة، وأفلحوا فالحمد لله رب العالمين. قال: وكانوا ثلاثين نفسًا ـ يعني ـ الذين سألوه في تلقينهم الذكر تصديقًا لكلام سيدي علي الخواص ﷺ.

وقد كان سيدي محمد بن أبي الحمايل السروي ﷺ يقول: لقنت نحو عشرة آلاف نفس، فلم يفلح منهم أحد غير سيدي محمد الشناوي. قال: مع أني قلت لسيدي محمد الشناوي، لما أذن لي: يا سيدي لست بأهل لمثل ذلك، فقال: لا يا ولدي، بل أنت أهل له، وقد أذنا لك، فإن انشرح صدرك للجلوس للطريق، فقد صار معك الإذن، وإن لم ينشرح صدرك لذلك؛ لفقد الشروط، فأنت أعلم بالحال إذ ذاك.

وقال الشناوي له: أنا فعلت ذلك معك خوفًا عليك من أن تجلس بلا إذن، فتكون لقيطًا في الطريق ولو بالاسم فقط، وقد يزرع الشيخ في قلب المريد زرعًا، فلا يثمر إلا بعد موته، وقد يرضع الشيخ طفلاً، ويكون فطامه على يد غيره. انتهى.

وقال سيدي عبد الوهاب: وهذه النعمة من أكبر نعم الله ـ تعالى ـ عليّ؛ إذ سترني بين العباد بهذا الإذن من هذا الشيخ، فإن الجالس للطريق بغير إذن، لا يصلح للطريق، ولا للأدب.

قال: وقد كثر هذا النوع من أهل هذا الزمان، فقلَّ فيهم مَنْ أذن له

شيخه، فضلوا وأضلوا، بل إنهم لم يصلوا إلى مقام المريدين، فضلًا عن العارفين.

وكان سيدي علي الخواص رضي الله عنه يقول: مثال من يفتح باب المشيخة في هذا الزمان، مثال من يفتح المكتب لقراءة الأطفال عصر يوم الخميس، وينتظر مجيئهم للقراءة، أو مثال من يريد تقطير جمال الحجاج في جملة إذا رجعوا، ورأوا نخيلها فلا يجيبه أحد منهم، لذلك بخلافه في ابتداء السفر، فإنهم يسألونه في ذلك، ويبذلون له الدراهم والهدايا؛ حتى يقبلهم يقطرون معه، ويشكرون فضله وإحسانه على ذلك، وهذا مثال الزمن الأول في المريدين والمشايخ رحمة الله عليهم أجمعين.

قال سيدي عبد الوهاب رضي الله عنه: وكان سيدي محمد الشناوي رضي الله عنه من أولياء الله ـ تعالى ـ الراسخين في العلم من أهل الإنصاف والأدب في أولاد الفقراء، وكان رضي الله عنه قد أقامه الله ـ تعالى ـ في حوائج الناس ليلًا ونهارًا، وربما يمكث نحو الشهر؛ ينظر إلى بلده، ولا يمكنه الطلوع إليها وهو في حوائج الناس.

وكان أهل الغربية لا يعملون مُهمًّا حتى يحضروه فيه تبركًا، وكان رضي الله عنه يقول: أشعلنا نار التوحيد في هذه الأقطار، فما تنطفئ إلى يوم القيامة.

وكان رضي الله عنه قد جعل بهائمه وحبوبه على اسم المحاويج، لا يختص منهم بشيء، وكان رضي الله عنه لا يقبل هدايا العمال، ولا المباشرين، ولا أرباب الدولة، وأهدى له نائب مصر قاسم كزل باشا أصوافًا، وشاشات، ومالًا، فردّه عليه، وقال للقاصد: الفقراء أغنياء الله غير محتاجين لغيره، وعزة الله ـ تعالى ـ عندي جُلَّة البهائم، خير من هديتك هذه، ولا تعد تأتيني بشيء أبدًا.

وكان رضي الله عنه لم يزل في مقاعده جبائر القطن ملصقة من كثرة الركوب في حوائج الناس. قال: وما رأيت أوسع خلقا منه!

*** سند سيدي محمد الشناوي في الطريق:**

تلقن سيدي محمد الشناوي على والده سيدي علي، وسيدي علي تلقّن على والده سيدي أحمد، وسيدي أحمد تلقّن على والده سيدي نور الدين علي، وسيدي نور الدين علي تلقّن على والده سيدي أحمد، وسيدي أحمد تلقّن على

والده سيدي نور الدين علي، وسيدي نور الدين علي تلقّن على سيدي عبد الله، وسيدي عبد الله، تلقّن على جده سيدي عمر الأشعث السطوحي، وسيدي عمر الأشعث السطوحي تلقّن على شيخه الحبيب النسيب القطب العلوي سيدي أحمد البدوي، وتلقّن سيدي أحمد البدوي على سيدي بري، وسيدي بري تلقن على الشيخ أبي نعيم، والشيخ أبي نعيم تلقّن على شيخ الشيوخ سيدي أحمد بن الرفاعي، وسيدي أحمد بن الرفاعي تلقّن على الشيخ أحمد الواسطي، والشيخ أحمد الواسطي تلقّن على الشيخ أبي الفضل كامخ، والشيخ أبو الفضل كامخ تلقّن على الشيخ ابن علام، والشيخ ابن علام تلقّن على الشيخ علي بن بارباي، والشيخ علي بن بارباي تلقّن على الشيخ علي العجمي، والشيخ علي العجمي تلقّن على أبي بكر الشبلي، وأبو بكر الشبلي تلقّن على شيخ الطائفة الصوفية الإمام أبي القاسم الجنيد، والإمام أبو القاسم الجنيد تلقّن على خاله الإمام سَري السقطي، والإمام سَري السقطي تلقّن على الإمام معروف الكرخي، والإمام معروف الكرخي تلقّن على الإمام الحسن البصري، والإمام الحسن البصري تلقّن على الإمام علي بن أبى طالب، والإمام علي بن أبي طالب تلقّن على سيد المرسلين، وسيد المرسلين تلقّن على أخيه جبريل عليه السلام، وأخوه جبريل تلقّن كلمة التوحيد من الله عز وجل في بعض التجليات الإلهية.

*** سند الإمام الشعراني في الخِرقة الصوفية:**

أما سند لبس الخرقة، فقال سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه: اعلم يا أخي أني لبست الخرقة، وهى طاقية من قطن من سيدنا ومولانا شيخ الإسلام أبى زكريا الأنصاري، وهو لبسها من يد سيدي محمد الغمري الواسطي، وهو لبسها من الشيخ أحمد الزاهد، وهو لبسها من يد سيدي حسن التستري، وهو لبسها من يد سيدي يوسف العجمي، وهو لبسها من يد الشيخ محمود الأصفهاني، وهو لبسها من يد سيدي عبد الصمد التطري، وهو لبسها من يد الشيخ نجيب الدين علي بن برغوش الشيرازي، وهو لبسها من يد الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي، وهو لبسها من يد عمه أبي النجيب السهروردي الشهير بعمويه، وهو لبسها من يد الشيخ أحمد الدينوري، وهو لبسها من يد الشيخ ممشاد الدينوري، وهو لبسها من يد الإمام أبى القاسم الجنيد البغدادي، وهو لبسها من يد أبي

جعفر الحداد، وهو لبسها من يد أبي عمر الإصطخري، وهو لبسها من يد شقيق البلخي، وهو لبسها من يد إبراهيم بن أدهم، وهو لبسها من يد موسى بن يزيد الراعي، وهو لبسها من يد الإمام أويس القرني، وهو لبسها من يد سيدنا عمر بن الخطاب، وسيدنا علي بن أبي طالب بأمر النبي ﷺ لهما بذلك قبل وفاته ﷺ وعمر وعلي رضي الله عنهما لبساها من يد رسول الله ﷺ لبسها من يد جبريل عليه السلام في بعض الإسراءات السماوية، انتهى.

قلت: إن الخرقة لا تختص بالطاقية أو عمامة أو صوفة، وفي إلباسها للمريد أو خلعها عليه إشارة إلى خلع العلوم والمعارف مع الأثر على المريد وإمداده بهما ظاهرًا وباطنًا، والله تعالى أعلم.

*** الطرق التي تلقاها الإمام الشعراني:**

أخذ سيدي عبد الوهاب الطرق كلها من مشايخه المتقدمين رضي الله عنهم أجمعين، وهى طريقة الرفاعية، وطريقة القادرية، وطريقة الأحمدية، وطريقة البرهانية، وطريقة الشاذلية، وطريقة السهروردية، وطريقة النقشبندية، وطريقة الجشتية، وطريقة الوفائية، وطريقة القشيرية، وطريقة المدينية، وطريقة الفردوسية، وطريقة الخلوتية، وطريقة الأويسية، وطريقة الهمذانية، وطريقة الطيفورية، وطريقة الشطارية، وطريقة الخضرية، وطريقة الأدهمية، وطريقة العزيزية، وطريقة السعودية، وطريقة المصافحة، وطريقة الطيلسان، وطريقة الرداء، وطريقة المئزر، وطريقة إرخاء العذبة.

وكل طريقة من هذه الطرق لها سند متصل من الشيخ عبد الوهاب الشعراني إلى شيخ تلك الطريقة إلى رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل بواسطة جبريل عليه السلام وإنما لم أذكر هنا سند كل طريقة من هذه الطرق خوف الإطالة، ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتابي المسمى بـ«سرور القلب وقرة العيون في بيان نسب الأدب لا نسب الظهور والبطون» فإن فيه ما يشفي الصدور، ويقر العيون، فالحمد لله ربِّ العالمين.

قصة حفر البئر التي كانت بمسجد سيدي عبد الوهاب حتى عهد ووقت قريب:

فلما اجتمع بسيدي نور الدين قال له ذلك الكلام، فلما اجتمع سيدي نور الدين برسول الله ﷺ قال له عبد الوهاب: يستشيرك يا رسول الله في محل يحفر فيه بئر

مطهرة زاويته، فقال له النبي ﷺ: قل لعبد الوهاب يدخل من باب حوش بيته، ويمشي ثلاث خطوات من الباب ثم يحفر، ففعل ذلك وحفر البئر فطلع ماؤها عذبًا طيبًا، ثم إن بعض أتباع سيدي عبد الوهاب سافر إلى مكة، ووقع منه طاسة من نحاس في بئر زمزم، فقال سيدي عبد الوهاب لأحد أتباعه: انزل في بئري وأخرج منها طاسته التي وقعت منه فيها، فنزل وطلع بها بعينها. ورأيت بعيني رأسي أنهم لما نزحوا البئر في سنة ثلاث وسبعين وألف خرج من طينها من أباريق مكة أباريق كثيرة مكسرة ووجدت فيها إبريقًا صحيحًا واستعملته مدة طويلة إلى أن انكسر. انتهى. فعلم من ذلك فضلها على غيرها من الآبار التي بمصر لإشارة النبي ﷺ بها على يد سيدي نور الدين وسيدي عبد الوهاب الشعراني واتصالها بزمزم لما حكي في هاتين الواقعتين، وصارت بذلك من الآبار التي يتبرك بها، ويستشفى بمائها لسائر الأمراض والعلل الدينية والطبية. وكان والدي إذا جاء له أحد يشكو له مرضًا به يقول له: اشرب من ماء مطهرة الزاوية يشفيك الله من مرضك. فيفعل، فيشفيه الله تعالى من مرضه أو رمده أو عدم حفظه أو فهمه أو غير ذلك رحمهم الله تعالى أجمعين ونفعنا بصحة العقيدة منا بذلك والحمد لله رب العالمين.

*** مصنفاته:**

كان الشيخ آية من آيات الله تعالى في العلم، والتَّصوف والتأليف وكتبه كلها نافعة، وقد دَلَّت على أنه اجتمع بكثير من العلماء والأولياء والصالحين(1) وتآليفه كثيرة أوصلَها بعضُ العلماء إلى ثلاثمائة كتاب في علوم الشريعة وآلاتها(2)، وحسبي في هذا المبحث أن أذكر أهمَّ هذه الكتب، مرتِّباً لها على حسب ورودها في المعجم وهي كالتالي:

- الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية(3). طبع سنة 1422هـ بمكتبة أم القرى في القاهرة، بتحقيق الدكتور عبد الباري محمد داود.
- الأخلاق الزكية والعلوم اللدنية(4).

(1) الكواكب السائرة للغزي: 3/ 177
(2) تذكرة أولي الألباب: ص79، فهرس الفهارس: 2/ 1079.
(3) هدية العارفين: ج1/ 641. (4) المصدر السابق.

- الأخلاق الْمَتبوليَّة الْمُفاضَة من الْحَضرة الْمُحمَّدية[1]. يُعَدُّ هذا الكتاب من أكبر الموسوعات الأخلاقية للإمام الشعراني؛ لتناوله لِمعظم الجوانب الأخلاقية التي ينبغي أن يتخلق بها المسلم على وجه العموم، وسالك طريق الصوفية على وجه الخصوص، وقد طبعته مكتبة الإيمان بالقاهرة عام 2003م بمجلدين، بتحقيق فضيلة الدكتور منيع ابن شيخ الأزهر الراحل عبد الحليم محمود. وهي طبعة مكدسة بالتصحيف والتحريف، وقد حققه الفقير وطبع في دار الكتب العلمية.
- أدب القضاة[2].
- أدب المريد الصادق مع من يريد الخالق[3]. وهو مخطوط في مكتبة الأزهر في القاهرة بعنوان (المريد الصادق مع مريد الخالق) (تصوف رقم: 329147) وله نسخة ثانية في المكتبة البديرية في القدس (149- تصوف - 3/ 241).
- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العالمين[4]. وهو مخطوط بمكتبة الأسد بدمشق برقم: (17325) طبع عام 2006م بدار الكرز في القاهرة، بتحقيقنا، ثم طبع في دار الكتب العلمية بتحقيق: د. مهدي عرار.
- إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد، وقد اختصر فيه كتابَي الإمام ابن حجر الهيتمي (الزواجر ومرشد الطلاب) وهو مخطوط في المكتبة الملكية في برلين، ألمانية، تحت رقم (1838- 1839).
- إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء[5]. موجود أيضًا في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (15410) وعدد أوراقه (132).
- أسرار أركان الإسلام أو (الفتح المبين في ذكر جملة من أسرار الدين)[6]. نشر سنة 1400هـ/ 1980م بتحقيق: الشيخ عبد القادر أحمد عطا الذي نص في مقدمته ص19 أنه غيَّر اسْمه؛ ليتطابق مع موضوعه تمامًا؛ لأن

---

(1) المصدر السابق.
(2) الأعلام: 4/ 180.
(3) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 12/ 264.
(4) المصدر السابق.
(5) هدية العارفين: 1/ 641.
(6) هدية العارفين: 1/ 641.

العناوين الطويلة لا تناسب العصر، وأن اسمه الأصلي هو: «الفتح المبين في جملة من أسرار الدين».

- الإشارة في شرح حديث الاستخارة.
- اعتراضات ابن الجوزي على حجة الإسلام الغزالي، وقد ردَّ فيه ما اعترض به الإمام ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس على الإمام الغزالي، وغيره من الصوفية، وهو مخطوط في مكتبة ولي الدين أفندي بتركيا، تحت رقم (1684).
- الاقتباس في علم القياس[1].
- الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية[2]. وقد طبع عدة طبعات بمصر، وغيرها، منها طبعة بولاق وطبعة صبيح بِهامش الطبقات الكبرى[3].
- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية[4] قد طبع بدار الكتب العلمية، بتحقيق: طه سرور ومحمد الشافعي.
- البحر المورود في المواثيق والعهود[5]. وهو مطبوع عدة طبعات، لا يخلو أكثرها من الدس والتحريف، وإن أصحَّها، وأفضلها طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق: محمد أديب الجادر.
- البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير[6]. طبع بمكتبة الفكر - القاهرة، ثم طبع بدار الكتب العلمية - بيروت.
- البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف[7].
- بَهجة النُّفوس والأسْماع والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق[8]. قيد الطبع - بتحقيقنا.

---

(1) لطائف المنن والأخلاق: ص93.
(2) لطائف المنن والأخلاق: ص92، طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71.
(3) ينظر: معجم المطبوعات العربية: ليوسف إليان سركيس: 1/ 1130.
(4) لطائف المنن: ص92، هدية العارفين: 1/ 641.
(5) لطائف المنن: ص92، طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71.
(6) لطائف المنن: ص92، طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71.
(7) المصدرين السابقين.
(8) ينظر: الأعلام: 4/ 180.

- التَّتبُّع والفحص على حكم الإلْهام إذا خالف النَّص[1].
- تطهير الزوايا من خُبث الطوايا[2]. طبع - بتحقيقنا - دارة الكرز.
- تنبيه الأغبياء على قطرة من بَحر علوم الأولياء[3]. قيد الطبع بتحقيقنا- قطعة منه.
- تنبيه المغترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر[4]. من أجل كتبه.
- الجواهر والدرر الكبرى والوسطى والصغرى[5]. بتحقيقنا.
- الجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون، قال عنه الإمام الشعراني: «إنه مشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منثورة على سور القرآن»[6]. له نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية الأولى رقمها الخاص (3677 تصوف عربي) وأوراقها (120) ورقة، به نقص، والثانية (84 تصوف حليم عربي) وأوراقها (32).
- الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم[7]، وقد ألَّفَه فرقاً بين علامات المحققين والمتشبهين، وفرغ منه في جمادى الآخرة سنة: 932هـ[8] له نسخة مخطوطة في المكتبة الخالدية في القدس الشريف، كما ذكر الدكتور مهدي عرَّار[9]. طبع بمكتبة جوامع الكلم - القاهرة.
- حد الحسام على من أوجب العمل بالإلهام[10].
- حقوق أخوة الإسلام[11]. وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

---

(1) لطائف المنن والأخلاق: ص92، طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71.
(2) تذكرة أولي الألباب: ص81. (3) هدية العارفين: 1/ 641.
(4) لطائف المنن والأخلاق: ص93، كشف الظنون: 1/ 488.
(5) لطائف المنن: ص92.
(6) لطائف المنن والأخلاق: ص92.
(7) هدية العارفين: 1/ 641، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: 6/ 218.
(8) ينظر: كشف الظنون: 1/ 619.
(9) مقدمة تحقيق كتاب القواعد الكشفية: ص19.
(10) لطائف المنن والأخلاق: ص92، طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71.
(11) الأعلام: 4/ 181.

- درر الغواص من فتاوى الشيخ علي الخواص[1]. جمع فيها نبذة من فتاوى شيخه المذكور مترجمًا عن معنى بعضها- طبع عدة طبعات - وهو الدرر والجواهر الصغرى.
- الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة[2]. وهو موسوعة متنوعة في علوم القرآن، والفقه وأصوله، والدين، والنحو، والبلاغة والتصوف، منها نسخة في دار الكتب المصرية، وفي برلين، قد طبع بدار ابن زيدون، بيروت، بتحقيق عبد الحميد صالح حمدان، دار التراث العربي مع كتاب أسرار أركان الإسلام، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.
- الدرر واللمع في «بيان» الصدق والورع[3]. تحدث فيه عن الأخلاق الغريبة في الزهد والورع لدى العارف والمريد، وقد طبع بتحقيقنا.
- الدر المنظوم في زبد العلوم[4]. وله نسخة مخطوطة في المكتبة الخالدية في القدس الشريف كما ذكر الدكتور مهدي عرار حفظه الله[5]، وله نسخة بهذا الاسم أيضًا في مكتبة الحرم المكي في مكة المكرمة، وهذا الكتاب هو نفس كتاب الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المنثورة.
- ردع الفقراء عن دعوى الولاية الكبرى[6]. طبع في جوامع الكلم بالقاهرة بتحقيق الدكتور عبد الباري محمد داود.
- سر المسير والتزويد ليوم المصير[7].
- شرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه[8].
- الطبقات الصغرى[9]. نشر سنة 1390هـ 1970م، تحقيق: عبد القادر أحمد

---

(1) هدية العارفين: 1/ 641، الأعلام: 4/ 181، معجم المطبوعات العربية: 1/ 1131.
(2) تذكرة أولي الألباب: ص81، هدية العارفين: 1/ 641، الأعلام: 4/ 181.
(3) تذكرة أولي الألباب: ص82، هدية العارفين: 1/ 642.
(4) ينظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 12/ 264.
(5) مقدمة تحقيق كتاب القواعد الكشفية: ص19.
(6) هدية العارفين: 1/ 642.
(7) المصدر السابق.
(8) المصدر السابق، معجم المؤلفين: 6/ 218.
(9) تذكرة أولي الألباب: ص82.

عطا، وبدار الكتب العلمية سنة: 1999م بتحقيق: محمد شاهين، وقد مر الكلام عنه عند الكلام عن صلة الشعراني بعلم التاريخ والطبقات.

- الطبقات الكبرى المسماة بـ «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار»[1]. فيه تراجم مشاهير الأولياء من سيدنا أبي بكر إلى أيامه، في مجلدين كبيرين. طبع بمصر وبيروت كثيرًا، لكن أغلب هذه الطبعات فيها من الدَّسِّ والتَّحريف ما فيها، وقد طبع أخيرًا في القاهرة بمكتبة الآداب، بتحقيق عبد الرحمن حسن محمود وقال عنها محققها: «إنَّها خالية من التَّحريف والتَّخريف»، ومن خلال مقارنتي لهذه النسخة مع عدة نسخ أخرى مطبوعة وجدتها خالية من كثير من تلك النقولات المشوّهة والمخزية.
- الطبقات الوسطى، له نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية، الأولى بهذا الاسم، رقم (300 تاريخ تيمور عربي) (178) ورقة، والأخرى باسم: لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، رقم (25061 حليم عربي) (174) ورقة.
- طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد[2]. وهو مخطوط بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، ضمن مكتبة الملك عبد العزيز، بعنوان: (المنهج المطهِّر للجسم والفؤاد من سوء الظَّنِّ بأحد من العباد) ورقمه (217,162 وعظ وإرشاد) وهو من روائع الإمام الشعراني الأخلاقية، لكنه وللأسف ممنوع من التداول من تصويره بقرار من إدارة المكتبة المذكورة.
- العقيدة الشعرانية أو (كتاب العقائد)[3] وهو مخطوط بمكتبة الأسد بدمشق، برقم (16758) في (3) ورقات. طبع بتحقيقنا.
- فتاوى الشعراني[4].

(1) لطائف المنن: ص92، الأعلام: 4/ 181، معجم المؤلفين: 6/ 218.
(2) تذكرة أولي الألباب: ص79، هدية العارفين: 1/ 642.
(3) تذكرة أولي الألباب: ص82.
(4) لطائف المنن: ص88، كشف الظنون: 2/ 1224.

- الفتح في تأويل ما صدر عن الكُمَّل من الشَّطح[1]. وقد طبع بدار أزمنة في عمَّان، ط: 1/ 2003م، بتحقيق الأستاذ قاسم محمد عباس.
- فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب[2]. وهذا الكتاب أثبت فيه الخلافة للخلفاء الأربعة على الترتيب الواقع وذكر في أوله مقدمةً جامعة لبيان الطريقة النافعة، وختم بذكر بعض فضائل أهل البيت تاركًا في الكل التعصب الباطل، أوله الحمد لله الذي منحنا معشر أهل السنة بالسنة إلخ، وذكرهم في أربعة أبواب[3].
- فرائد القلائد في علم العقائد[4]. وهو مخطوط في المكتبة الملكية في برلين، ألمانيا، برقم (2039) وتوجد منه نسخة في مكتبة الأسد بدمشق. طبع مختصره بتحقيقنا.
- الفصول في علم الأصول[5].
- الفُلْك المشحون في بيان أن علم التصوف هو ما تخلق به العلماء العاملون[6]. قال الإمام الشعراني في أوَّله: «هذا كتاب نفيس لم يسبقني أحد إلى تأليف مثله فيما أظن، جمعتُ فيه جملة صالحة من أخلاق العلماء الذين أدركناهم أوائل القرن العاشر في مصر وقراها، وهم نَحو مائة وخمسيْن شيخًا، ذكرنا أسْماءهم في كتاب الطبقات»[7]. وهو مخطوط بدار الكتب المصرية في القاهرة، ورقمه الخاص (74 تصوف حليم عربي) ورقمه العام (443711) وأوراقه (644) ورقة، مع نقص كبير في أوله.
- القواعد الكشفية الْمُوضِّحة لمعاني الصِّفات الإلَهية[8]، قال الإمام الشعراني

---

(1) كشف الظنون 2/ 1233.

(2) ينظر: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع للدكتور محمد صالحية: 3/ 387. طبع معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة) عام 1993م.

(3) ينظر: كشف الظنون 2/ 1236.

(4) لطائف المنن والأخلاق: ص92، هدية العارفين: 1/ 642.

(5) تذكرة أولي الألباب: ص80.

(6) المصدر السابق: ص82، فهرس الفهارس: 2/ 1079.

(7) نقل ذلك عنه صاحب فهرس الفهارس: 2/ 1079.

(8) كشف الظنون: 2/ 1360، هدية العارفين: 1/ 642، الأعلام: 4/ 181.

في مقدمة هذا الكتاب: «هذا كتاب ذكرتُ الأجوبة عن صفات الحق جل وعلا، وردّ ما يتوهمه الملحدون وضعفاءُ الحال في العلم بحسب مقامي غيرةً على جناب الحق جل وعلا أن يتوهم أحدٌ فيه ما لا يليق بجنابه تعالى»[1]، قد طبع هذا الكتاب طبعة علمية بتحقيق الدكتور مهدي عرار حفظه الله، بدار الكتب العلمية، ببيروت، عام 2006م.

- القول المبين في بيان آداب الطالبين[2].
- القول المبين في الرد عن الشيخ محيي الدين[3]. وقد طبع حديثًا بدار الكرز بالقاهرة بتحقيق محمد عبد القادر نصار.
- الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر[4]، طبع مصورًا بدار إحياء التراث العربي، في بيروت، بأسفل كتاب اليواقيت والجواهر. وطبع حديثًا بدار الآفاق العربية - بتحقيقنا.
- كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان. قال الإمام الشعراني عنه: «وهي نيِّف وسبعون سؤالاً في التوحيد سألني عنها علماء الجانّ»[5]، طُبع عدة طبعات بمصر وبيروت.
- كشف الغمة عن جميع الأمة[6]. طبعات كثيرة، أفضلها طبعة دار التقوى بدمشق في مجلدين، بتحقيق أحمد عزو عناية، وتمتاز هذه الطبعة عن غيرها بتخريج معظم الأحاديث الواردة في الكتاب مع قلة الأخطاء الطباعية.
- الكوكب الشاهق - أو النور الفارق- في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق[7]. طبع دار الكتب العلمية - بيروت- بتحقيقنا.
- لُباب الإعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب، أو المقدمة النحوية في

---

(1) القواعد الكشفية: ص63.
(2) هدية العارفين: 1/ 642.
(3) المصدر السابق.
(4) لطائف المنن والأخلاق: ص93، طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71، هدية العارفين: 1/ 642، الأعلام: 4/ 181.
(5) لطائف المنن والأخلاق: ص92.
(6) لطائف المنن والأخلاق: ص92، طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71.
(7) تذكرة أولي الألباب: ص79.

علم العربية[1]. طبع دار الكتب العلمية، بيروت- بتحقيقنا.

- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق (المنن الكبرى)[2]. له نسخة خطية في المكتبة البديرية في القدس (74/ 195)، طبع عدة طبعات منها بدار التقوى، دمشق، تحقيق أحمد عزو عناية، وبدار الكتب العلمية ببيروت ط: 1/ 1999م، بعناية سالم مصطفى البدري.
- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق (المنن الوسطى)، طبع دار الكتب العلمية - بتحقيقنا.
- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق (المنن الصغرى)، قيد التحقيق.
- لوائح الخذلان على من لم يعمل بالقرآن[3].
- لواقح الأنوار القدسية المنتخب من الفتوحات المكية[4]. بتحقيقنا.
- المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر[5].
- المختار من الأنوار في صحبة الأخيار، طبع في القاهرة سنة: 1973م بإشراف الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، بتحقيق الدكتور: عبد الرحمن عميرة، طلعت غنام.
- مختصر الألفية لابن مالك في النحو[6].
- مختصر تذكرة السويدي في الطب[7]، ذكر فيه بعض الأمراض ووصف لها الدواء والعلاج. طبع دار الكتب العلمية - بتحقيقنا.
- مختصر تذكرة القرطبي[8]. طبع عدة طبعات.

---

(1) تذكرة أولي الألباب: ص79.
(2) طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71، هدية العارفين: 1/ 642.
(3) المصدرين السابقين.
(4) لطائف المنن والأخلاق: ص92، هدية العارفين: 1/ 642.
(5) تذكرة أولي الألباب: ص79، هدية العارفين: 1/ 642.
(6) هدية العارفين: 1/ 642.
(7) الأعلام: 4/ 181، معجم المطبوعات العربية: 1/ 1132. طبع كثيرًا.
(8) تذكرة أولي الألباب: ص82، معجم المطبوعات العربية: 1/ 1133، طبع كثيرًا.

- مختصر الخصائص النبوية للإمام السيوطي[1].
- مختصر عقيدة البيهقي[2]، طبع دار الكتب العلمية - ضمن كتابنا - عقيدة الإمام الشعراني.
- مختصر قواعد الإمام الزركشي في الفروع[3]، بحوزتنا نُسخ منه، قيد التحقيق.
- مختصر المدونة في الفروع المالكية[4].
- مشارق الأنوار أو (لواقح الأنوار) القدسية في بيان العهود المحمدية[5]. وقد طبع الكتاب مرات عديدة، منها بدار الكتب العلمية في بيروت، بتحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم عام: 2005م.
- مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين[6]. قيد الطبع بتحقيقنا.
- مفحم الأكباد في مواد الاجتهاد[7].
- مقدمة في ذم الرأي وبيان تبري الأئمة المجتهدين منه[8]. توجد منه عدة نسخ خطية منها في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق في (18) ورقة، تحت رقم (7664ت).
- الملتقطات من حاشية ابن أبي شريف على شرح جمع الجوامع للسبكي في الأصول، وهو مخطوط بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، يقع في (25) ورقة تحت رقم (7664).
- الْمِنَح السنية على الوصية المتبولية[9]. شرح على وصية العارف بالله

---

(1) ذكره في كتابه: لطائف المنن والأخلاق: ص87، كشف الظنون: 1/ 705.
(2) كشف الظنون: 2/ 1007، تذكرة أولي الألباب: ص82.
(3) لطائف المنن: ص92، فهرس الفهارس: 2/ 1081.
(4) لطائف المنن والأخلاق: ص90.
(5) لطائف المنن والأخلاق: ص92، طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71، هدية العارفين: 1/ 642، فهرس الفهارس: 2/ 1081.
(6) تذكرة أولي الألباب: ص82.
(7) لطائف المنن والأخلاق: ص92، طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71، هدية العارفين: 1/ 642.
(8) تذكرة أولي الألباب: ص82.
(9) الأعلام: 4/ 181، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 12/ 264.

المتبولي الأحمدي، طبع في مصر طبعة حجرية، سنة: (1276هـ)[1]. كما طبع أيضًا في مكتبة الجندي في القاهرة بتعليق محمد مصطفى بن أبي العلا، دون تاريخ.

- مِنَح المِنَّة في التَّلَبُّسِ بالسُّنَّة[2]. وقد طبع عدة مرات، منها بدار الكتاب النفيس بحلب سوريا، ط: 1/ 1423هـ بتحقيق: الشيخ عبد الغني نكه مي.
- منع الموانع[3].
- منهاج الوصول إلى مقاصد علم الأصول. وقد جمع فيه بين شرح الجلال المحلي لجمع الجوامع وحاشية ابن أبي شريف[4]، وتحقيقه موضوع بحثي لنيل درجة الماجستير من جامعة بيروت الإسلامية.
- منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدعين للطريق[5]. مخطوط في مكتبة الأسد بدمشق، تحت رقم (17798) ويقع في (37) ورقة.
- المنهج المبين في أخلاق العارفين[6].
- المنهج المبين في بيان أدلة الأئمة المجتهدين أو (مختصر السنن الكبرى للبيهقي)[7].
- الميزان الخَضِريَّة[8]. في الفقه المقارن، له طبعات كثيرة منها بدار الكتب العلمية.
- الميزان الذَّرِّيَّة الْمبيِّنة لعقائد الفرق العَلِيَّة[9]. قد طبع عام 2007م في الدار الجودية في القاهرة، بتحقيقنا، و شيخنا أ.د. جودة المهدي- رَحِمَهُ اللهُ -.

---

(1) معجم المطبوعات العربية: 1/ 1133.
(2) تذكرة أولي الألباب: ص82، فهرس الفهارس: 2/ 1080، الأعلام: 4/ 181، معجم المطبوعات العربية: 1/ 1133.
(3) كشف الظنون: 2/ 1869، هدية العارفين: 1/ 642.
(4) لطائف المنن والأخلاق: ص92، فهرس الفهارس: 2/ 1081.
(5) هدية العارفين: 1/ 642.
(6) المصدر السابق.
(7) لطائف المنن والأخلاق: ص92، هدية العارفين: 1/ 642.
(8) تذكرة أولي الألباب: ص82، معجم المطبوعات العربية: 1/ 1133.
(9) المصادر السابقة.

- الميـزان الشعرانيـة المـدخلة لجميـع أقـول الأئمـة المجتهديـن ومقلديهم في الشريعة المحمدية، أو الميزان الكبرى[1]. في الفقه المقارن، طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة، في سوريا ومصر ولبنان، وأفضلها- والله أعلم- طبعة دار عالم الكتب بتحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة.
- تفسير الأحلام.
- تفسير القرآن على وجهي الشريعة والحقيقة، لم يسبق مثله.
- النصائح والوصايا، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت اسم وصايا الشيخ الشعراني في الآداب، رقمها الخاص (1018 تصوف طلعت عربي) في (118) ورقة.
- هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين[2].
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر[3]. حاول الشيخ في هذا الكتاب المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر على مثال لم يسبقه إليه أحد[4]. والكتاب مطبوع طبعات كثيرة، منها بدار إحياء التراث العربي، بيروت.

* **وفاته** رضي الله عنه:

أما بيان مرضه الذي مات به وبيان مدة مرضه:

مرض الشيخ رضي الله عنه بمرض الفالج أصابه وقت العصر من عاشر شهر ربيع الثاني من شهور سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة ومكث مريضًا به ثلاثًا وثلاثين يومًا تقريبًا إلى أن توفي في يوم الإثنين بعد العصر، ثاني عشر جمادى الأولى من شهور سنة 973 هـ.

ودفن رضي الله عنه بجوار زاويته في المشهد الذي أنشأه له الأمير حسن الصنجق

---

(1) طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71، هدية العارفين: 1/ 642، معجم المطبوعات العربية: 1/ 1133، الأعلام: 4/ 181.

(2) تذكرة أولي الألباب: ص82، هدية العارفين: 1/ 642.

(3) لطائف المنن: ص92، طبقات المناوي الكبرى: 3/ 71، هدية العارفين: 1/ 642، معجم المطبوعات العربية: 1/ 1131.

(4) كشف الظنون: 2/ 2054.

أمين الشؤون المتقدم ذكره الكائن مشهده المبارك بين زاويته وبين مدفن الخواجا خير الدين الخضري بخط بين السورين على يمنة السالك لقنطرة الموسكي.

وأما بيان جنازته ﵁ فقد قال بعض من حضر جنازته: لما غسلوا الشيخ عبد الوهاب الشعراني وكفنوه، حملوه على سرير المنايا على أعناق الرجال، وذهبوا به من سوق أمير الجيوش، ثم إنهم صلوا عليه بالجامع الأزهر المعمور بذكر الله ﷻ، ثم عادوا به من درب الخرنفش من حارة القاضي عبد الباسط.

قال الشيخ المليجي: قال ابن القصاص تلميذ حافظ العصر الشيخ نجم الدين الغيطي كما وجدته بخطه: ولعل والله أعلم أن المجتمعين في جنازته من النساء والرجال يزيدون على خمسين ألفًا، انتهى.

وأما قبر الشيخ فقد أنشأه له مولانا الأمير حسن بك الصنجق أمين الشؤون المتقدم ذكره. وسبب إنشائه: أنه أحب سيدي عبد الوهاب الشعراني ﵁ محبة عظيمة حتى صار لا يقدر على فراقه لحظة واحدة وضاعت مصالح رعيته بذلك، فقال له سيدي عبد الوهاب الشعراني يومًا: يا أمير حسن، اعلم أنه ورد في الحديث النبوي: «**كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته**» ورعتيك لها حقوق وأنت قد ضيعتها فانتبه لنفسك وخلص ذمتك من الحقوق التي عليك من حقوق الرعية والصحبة قبل ما تحاسب عليها في الآخرة وتوفيها لهم، فقال له: سمعًا وطاعة، ثم ذهب من عنده إلى داره وتصرف في بعض أمتعة داره وتصدق به وبعضه فرقه على جميع رعيته، وأعتق أرقاءه، وأوقف دوره وحوانيته وبساتينه وما تملكه يده على مصالح الخيرات ومصالح عتقائه، وأبقى من ذلك رخام بيت من بيوته وشيئًا من المال عند بعض أصدقائه ليبني به ضريحًا ومزارًا للشيخ الشعراني، وأضمر بذلك فيما بينه وبين الله تعالى، ولم يعلم به أحد من الناس ولا الشيخ عبد الوهاب الشعراني، ثم بعد ذلك جاء الصنجق إلى صحبة الشيخ وخدمته متجردًا عن المال والعيال والخدم والحشم والرعية والبيوت والخيول المسومة والثياب الفاخرة المثمنة، وترك ذلك كله ولبس عند الشيخ الجبب الخشنة والثياب الغليظة واللبد والكرابيس على رأسه، وحرس نعال الفقراء وحملها لهم في كل سيارة ساروا فيها، وسلك في طريق الله - ﷻ - حتى صار من أصحاب الشيخ رضي الله عنهم أجمعين.

ولما دنت وفاة الشيخ عبد الوهاب الشعراني قال للصنجق حسن مكاشفًا له: يا حسن، ابنِ لي الضريح الذي أضمرت عليه في سرك وأثبته في قصدك، فإن رحيلي دنا وشخصي على قبري انثنى، فقال له الصنجق حسن: سمعًا وطاعة، ثم أخذ الأمانة واشترى بها خرابة غربي الجامع المذكور، وشرع في بناء القبر.

وفي يوم تمام بناء المنامة له توفي الشيخ عبد الوهاب الشعراني - رحمة الله عليه وعلى أسلافه الكرام - وذلك قبل بناء القبة، وعدوا ذلك من جملة كرامات سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه.

عاش من العمر 74 سنة - رحمة الله عليه ورحم أسلافه الكرام ونفعنا بهم - على توالي الليالي والأيام، والحمد لله رب العالمين.

* * *

مقدمة الشيخ المصنف

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين.

وبعد... فهذه جواهر ودرر التقطها من كلام شيخي وقدوتي إلى الله تعالى، الشيخ الكامل الراسخ، الأمي المحمدي، صاحب الكشوفات والأسرار والتصريف في أرض مصر، سيدي علي الخواص البرلسي[1] تلميذ سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه[2] وأعاد عليَّ وعلى مشايخ العصر من بركاته وبركات علومه في الدنيا والآخرة، آمين.

وقد صحبته نحو ثلاثين سنة، منها عشر سنين ملازمة، فكنت كل كلمة سمعتها منه تتعلق بآية أو حديث أو غيرهما أحفظها وأرقِّمها عندي في قرطاس إلى أن صار ذلك عندي نحو مجلدات، وكان يقول لي: إذا سمعت مني الكلمة مرماها بعيد عن الأفهام فترجمها عني بالعبارة المألوفة بين الناس، فإني رجل أمي، لم آخذ العلوم من طريق الفكر والنظر.

فلمَّا توفي إلى رحمة الله عز وجل سألني بعض الإخوان من أصحابه أن أرتب لهم

---

(1) هو القطب الكبير والإمام المبجّل منارة الأولياء وعلم النبلاء شيخ المصنف، ترجم له في الطبقات بقوله: أستاذي وسيدي. وقد صنّف الشيخ كتابه: «الجواهر والدرر» ذكر فيه أنه التمس منه بعض الناس أن يذكر لهم ما تلقفه عن شيخه سيدي علي الخواص مما فاضه أو سمعه حال مجالسته له مدة عشر سنين، فأجاب ووسم كل قول منه باسم شيءٍ من الجواهر إشارةً إلى عزّة الجواب عنها، ثم اعتذر من الخطأ والتحريف؛ لأن الشيخ المذكور كان أُميًّا لا يعرف الخط، وإنما ترجمه عنه بالعبارة المألوفة بين العلماء، وفرغ منه في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة 943 هـ. وانظر: الطبقات الكبرى (2/ 153).

(2) كان من أصحاب الدوائر الكبرى في الولاية، ولم يكن له شيخ إلا النبي صلى الله عليه وسلم وانظر: أخباره ومناقبه العظيمة في الطبقات الكبرى: (2/ 77)، والأخلاق المتبولية- بتحقيقنا- ط. دار الكتب العلمية.

ذلك في كتاب ليتداولوه بينهم؛ لكونه لم يدوَّن له كلامًا، ولا اعتنى أحد من أصحابه بجمع شيء من كلامه، فأجبتهم إلى ذلك مستعينًا بالله تعالى في الحفظ من الزيغ في فهم كلامه ﷺ على الوجه الذي رامه، فإنه كله من دائرة الولاية الكبرى ومنشأه الكشف، وعلوم الكشف بعيدة المأخذ، صعبة المراقي؛ لأنها تبتدئ من بعد نهاية أفكار أهل النظر الصحيح، فكيف بغيرهم؟ فما كان من صحة وصواب فمن نفحاته، وما كان من خطأ وتحريف فمن سوء فهمي، والتبعة عليَّ في ذلك دنيا وأخرى.

وأقول: أستغفر الله العظيم، ثمَّ اعلم يا أخي، أنه لا يمكنني أن أستحضر حال كتابتي لهذا الكتاب كل ما فاوضني فيه الشيخ أو فاوضته فيه؛ لكثرة نسياني، وضعف جناني، وقصور فهمي عن إدراك حقائقه؛ إذ لا مردَّ لأمثالنا إلى التسلق والنطق بمثل كلامه، إلَّا إن رقينا لمثل حضرته من السُّلم الذي رقي منه، وأنَّى لنا بذلك؟ وقد كان يقول: لا يكمل الرجل عندنا في مقام العرفان حتى يعلم حكمة كل حرف تكرر في القرآن، ويُخرج من كل حرف سائر مذاهب المجتهدين، فرحم الله امرءًا رأى في كلامي هذا خللاً فأصلحه مساعدة لي على الخير؛ ليستفيده الناس، فإن فيه كل جواب لا يوجد في شيء من الكتب.

ونقلت منه أشياء كثيرة لشيخنا شيخ الإسلام زكريا(1) لمَّا كنت أُطالع له وهو

---

(1) هو شيخ الإسلام سيدي زكريا بن أحمد بن أحمد، شيخ الإسلام، زين الدين، الأنصاري، السنيكي، نسبة إلى سنيكة - قرية من أعمال الشرقية- ثم القاهري، الأزهري، الشافعي.

ولد سنة ست وعشرين وثمانمائة بسنيكة، ونشأ بها، فحفظ القرآن والعمدة، ومختصر التبريزي، ثم تحول للقاهرة سنة إحدى وأربعين، فقطن بالجامع الأزهر، وحفظ به المنهاج والألفية والشاطبية والرائية وبعض ألفية الحديث والتسهيل، ولم يعكف على أحد من الناس، فكان يجوع، فيخرج ليلاً، فيجمع قشور البطيخ فيأكله، فسخر الله له رجلاً يعمل في الطواحين، فصار يتعهده بالطعام والكسوة سنين، ثم أتاه ليلة فأوقفه على سلم الوقادة وقال: اصعد. فصعد ثم قال: انزل. فنزل ثم قال: تعيش حتى يموت جميع أقرانك، وتصير طلبتك مشايخ الإسلام في حياتك حتى يكف بصرك. قال: لابد من العمى؟ قال: لابد. ثم فارقه فلم يره بعد. ثم أخذ الفقه والأصول والمعاني والبيان عن القاياتي والشرف المناوي ولازم درسه، والعلم البلقيني والونائي والحجازي والبوتيجي=

يشرح في «صحيح البخاري» فكان يتعجب منها، ويضع بعضها في شرحه،

= وابن حجر والزين رضوان والكفايجي والشرواني والعز البغدادي وابن الهائم والعلاء البخاري وابن الهمام وابن المجدي. وأخذ التصوف عن الشيخ الغمري والإدكاوي والنبتيتي والبلقيني والخليلي، وتلقن عليهم، وجد واجتهد، وأكبَّ على الاشتغال على طريقة جميلة من التواضع وحسن العشرة والأدب والعفة، والانجماع عن أبناء الدنيا، مع التقلل وشرف النفس ومزيد العقل وسعة الباطن والتحمل، والمداراة، إلى أن أذن له غير واحد في الإفتاء والتدريس، فتصدى لذلك في حياة جمع من شيوخه، وانتفع به الفضلاء، طبقةً بعد طبقة. ثم تصدَّى للتصنيف، فشرح البهجة والروض وغيرهما مما هو معروف مشهور، حتى بلغت مؤلفاته نحو الستين. وكان يميل إلى الصوفية، ويذب عنهم، سيما ابن عربي وابن الفارض، وهو ممن كتب في نصرتهما، وجزم بولايتهما، وذلك لأنه لما استفتى السلطان في كائنة البقاعي العلماء أفتى أكثرهم بتصويبه في تكفيرهما، فتوقف صاحب الترجمة، ثم اجتمع بالشيخ محمد الاسطنبولي المجذوب فقال له: اكتب وانصر القوم، واذكر في الجواب أنه لا يجوز لمن لم يعرف مصطلحهم ذوقًا أن يتكلم فيهم؛ لأن دائرة الولاية تبتدئ من وراء طور العقل، لبنائها على الكشف الصحيح. وكان فيه بر وإيثار لأهل العلم والفقراء، ويخير مجالستهم على مجالسة الأمراء. وكان له تهجد وصبر واحتمال، وتعرك للقيل والقال، وأورد واعتقاد، وكتابته أميز من عبارته.

وولي عدة مدارس، والميعاد بالجامع الأزهر، ولم يزل في ازدياد من الترقي حتى ولاه قايتباي الصلاحية، ثم استقر به في القضاء الأكبر بعد صرف الأسيوطي، فباشره بعفة ونـزاهة، وعمي آخر عمره، ومع ذلك لم يترك الإفتاء والتدريس، وعمّر نحو مائة سنة حتى انقرض جميع أقرانه، وألحق الأصاغر بالأكابر، وصار كل من في مصر من أتباعه أو أتباع أتباعه، وقرئ عليه شرحه لـ«البهجة» سبعًا وخمسين مرة، حتى كان الشيخ الرملي رحمه الله يقول: هذا شرح أهل بلد، لا شرح رجل واحد.

وكان مجاب الدعوة. جاءه شخص عمي سنين فقال له: ادعو الله أن يرد بصري. فدعا له فأبصر ثاني يوم.

ومن كلامه: ينبغي للمريد ألّا يجيب عن نفسه إذا رمي ببهتان، إلا إن كان فيه ما يوجب حدًا أو تعزيرًا.

وقال: علامة الإخلاص في العلماء أن ينقبض خاطر أحدهم إذا وصف بعلم أو صلاح، وينشرح إذا وصف بجهل أو نقص؛ لأن المخلص إنما يعامل الله لا العباد.

وقال: ينبغي تنظيف البدن والثوب وتطييبها؛ لئلا يؤذي أهل الحضرة الإلهية من الأنبياء والملائكة والأولياء. وقال: أهل الفُتوة في الآخرة قليلٌ جدًا، كالشعرة البيضاء في الثور الأسود؛ لأنه في ذلك اليوم يود أن لو كان له حق على والديه فيدخلهما النار مكانه.

وقال: إياكم والطعن في أشياخ أزمنتكم، ولوذوا بهم في الدنيا ليأخذوا بيدكم في الآخرة، ومِن أشقى الناس رجلٌ غير صالح يقع في أعراض الصالحين. =

ويقول: هذه مواهب من الله تعالى بلا شكٍّ، على أني بحمد الله تعالى أوضحت كثيرًا من كلامه؛ لما رأيته وفهمته من كلام أهل دائرة الولاية الكبرى، كالشيخ عبد القادر الجيلي، والشيخ محيي الدين بن العربي، والشيخ أبي الحسن الشاذلي، كما ستراه ـ إن شاء الله تعالى ـ وسميته «الجواهر والدرر» وسميت كل قولة منه باسم شيء من الجواهر النفيسة، إشارة إلى عزة ذلك الجواب.

فأقول: ياقوت، بلخش، جوهر، ماس، در، مرجان، لؤلؤ، فيروزج، ونحو ذلك، فأكرم به من كتاب حلف لي شيخ الإسلام شهاب الدين الفتوحي الحنبلي[1] . . . .

= وقال: إياكم ومخالطة من يقع في أعراض العلماء والأولياء، كما عليه المقاريض الذين جعلوا جُلَّ قصدهم شهوة البطن والفرج، فلا تكاد تذكر لأحد منهم عالمًا أو صالحًا، إلا ويعارضك فيه بذكر عيوبه.

وقال: يثقل الجسم ويخف بحسب تناول الشهوات - قلة وكثرة- فخفته بقدر ميله للآخرة، وثقله بقدر ميله للدنيا، ولا يشترط في حصول الطيران الإسلام، فقد وقع لجماعة من الرهبان.

وقال: إذا مل العبد من العباد، حنت نفسه إلى الفراق من حضرة ربها، فصارت واقفة بين يديه بجسمها دون روحها أو قلبها أو سرّها - على اختلاف المقامات- فهي إلى الإثم أقرب.

وقال: شرط من يكون أعزّه الله أن يزداد بالطاعة ذلًّا، كما أن شأن من يعتز بغيره أن يزداد بها كبًرا، كما عليه أهل الطرد عن حضرته.

وقال: النبي معصوم من العمل بوسوسة إبليس.

وحكي عنه في اللواقح أنه - أعني صاحب الترجمة- قال له: كان أخي الشيخ علي النبتيتي يجتمع بالخضر عليه السلام، فباسطه يومًا فقال: ما تقول في الشيخ يحيى المناوي؟ قال: لا بأس به. قال: ففلان؟ قال: لا بأس به. قال: فما تقول في الشيخ زكريا؟ قال: لا بأس، إلا أن عنده نفيسة. قال صاحب الترجمة: فلما أرسل الشيخ علي بذلك، ضاقت نفسي، وما عرفت ما أراده بالنفيسة فأرسلت أقول له: استفهم منه. فسأله فقال: إذا أرسل قاصده إلى أحد يقول له: يقول لك الشيخ زكريا؛ فيلقب نفسه بالشيخ. مات سنة نيف وعشرين وتسعمائة.

وانظر: الطبقات الشعرانية (2/ 122)، والنور السافر (120)، والبدر الطالع (2/ 252)، الضوء اللامع (3/ 234)، الكواكب السائرة (1/ 102)، وشذرات الذهب (8/ 118)، نظم العقيان (26)، والكواكب الدرية (777).

(1) هو أحمد بن عبد العزيز بن علي، الشيخ الإمام العلامة، شيخ الإسلام قاضي القضاة=

والشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي[1] أنهما طول عمرهما يطالعون كتب الشريعة المطهرة، وأنهما لم يظفرا بجواب واحد مما فيه، فأعيذه بالله تعالى من شر كل عدو وحاسد يدس فيه ما ليس منه؛ لينفر الناس عن مطالعته، كما وقع لي في كتابي المسمى بـ«البحر المورود في المواثيق والعهود» وفي كتابي المسمى: بـ«كشف الغمة عن جميع الأمة» فإن بعض الحسدة والأعداء لما رأى إقبال الناس

= شهاب الدين الفتوحي الحنبلي، المعروف بابن النجار قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية. مولده سنة اثنتين وستين وثمانمائة ومشايخه تزيد على مائة وثلاثين شيخًا وشيخة، وكان عالماً عاملاً متواضعاً، طارحاً للتكلف. سمع منه ابن الحنبلي حين قدم حلب مع السلطان سليم خان سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة الحديث المسلسل بالأولية، وقرأ عليه في الصرف، وأجاز له، ثم أجاز له بالقاهرة إجازة تامة بجميع ما يجوز له، وعنه روايته بشرطه كما ذكره في تاريخه، وذكر والد شيخنا أنه لما دخل دمشق صحبة الغوري هو وقاضي القضاة كمال الدين الطويل الشافعي، وقاضي القضاة عبد البر بن الشحنة الحنفي، وقاضي القضاة المالكي، وشيخ الإسلام جمال الدين العباد هرع إليهم جماعة للأخذ عنهم لعلو أسانيدهم، وكان ذلك في أوائل جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة، وذكر الشعراني أن صاحب الترجمة لم يل القضاء إلا بعد إكراه الغوري له المرة بعد الأخرى، ثم ترك القضاء في الدولة العثمانية، وأقبل على العبادة في آخر عمره وأكب على الاشتغال في العلم، حتى كأنه لم يشتغل بعلم قط مع أنه انتهت إليه الرئاسة في تحقيق مقول مذهبه، وفي علو السند في الحديث، وفي علم الطب والمعقولات، وكان في أول عمره ينكر على الصوفية، ثم لما اجتمع بسيدنا علي الخواص وغيره أذعن لهم واعتقدهم، وصار بعد ذلك يتأسف على عدم اجتماعه بالقوم من أول عمره، ثم فتح عليه في الطريق، وصار له كشف عظيم قبل موته. توفي في سنة تسع - بتقديم التاء - وأربعين وتسعمائة، وصلي عليه غائبة بدمشق يوم الجمعة يوم عيد الأضحى منها، وعلى الشيخ شمس الدين الضيروطي، والشيخ شمس الدين الصهيوني جمعاً. قال الشعراني: وهو آخر مشايخ الإسلام من أولاد العرب انقراضاً. قلت: هذا جار على اصطلاحهم في زمان الجراكسة من تقليب كل من ولي قضاء القضاة شيخ الإسلام، والمراد به آخر قضاة القضاة من أبناء العرب موتًا بالقاهرة. انظر: [الكواكب السائرة (1/ 266)].

(1) هو الإمام الفقيه العارف بالله سيدي أحمد بن يونس بن محمد، أبو العباس شهاب الدين المعروف بابن الشلبي: فقيه حنفي مصري، وفاته بالقاهرة سنة 947 هـ. له (حاشية على شرح الزيلعي للكنز) و(الفتاوي)، جمعها حفيده علي بن محمد المتوفي سنة 1010 هـ، ورتبها على أبواب الكنز، و(الدرر الفرائد)، حاشية على شرح الأجرومية، جردها ولده محمد سنة 1017 هـ. انظر: الأعلام للزركلي (1/ 276).

على هذين الكتابين ومطالعتهما، استعار من بعض المغفلين من أصحابي نسخة من كل من الكتابين، وأوهمه كثرة المحبة، والاعتقاد في مؤلفهما، وكتب له من كل كتاب نسخة، ودسَّ فيها عقائد ومسائل خارجة عن الكتاب والسنة.

ثم أعطى لبعض من لا يخشى الله فدار بها في الجامع الأزهر وغيره، فحصل بذلك فتنة عظيمة، وما سكنت حتى أرسلت لهم النسخة الأصلية التي عليها خطوط العلماء، كما أوضحت ذلك في خطبة كتاب «العهود» لمَّا غيرتها، ومن تلك الواقعة ما أَلَّفت كتابًا إلا وتعرضت فيه للدس؛ لأزيل ما في نفوس المتهورين لما كانوا ظنوه مني، فالله يغفر لهم ما جنوه، ويغفر لكل من ظن في أمر سوء.

وإذا علمت ذلك فأقول ـ وبالله التوفيق:

ياقوت

سمعت سيدي علي الخواص يقول: الطلب لمن هو موجود معك بالمعية لا يصح. فافهم.

وسمعته يقول: إذا قرب غروب الشمس تأهب الناس إلى منازلهم بأزوادهم، وما يستعينون به في بيوتهم، فتأمل واعتبر.

وسمعته يقول: العارفون يعرفون ما في نفوس الخلائق من رؤية ذنوب كل متطهر، ومن رؤية وجوههم لعلامات لا تخطئ، ومنهم من يعرف ذنوب كل متطهر من رؤية غسالة الماء الذي تطهر به من صغائر وكبائر ومكرهات، فإياكم أن تجالسوهم إلا وأنتم تائبون من جميع الذنوب.

وسمعته مرة أخرى يقول: ما في القلب يظهر على الوجه، وما في النفس يظهر على الملبوس، وما في العقل يظهر في العين، وما في السر يظهر في القول، وما في الروح يظهر في الأدب، وما في الصورة يظهر على الحركة.

وسمعته يقول: العبادات كالحلوى المعجونة بالسُّم، فكما لا ترضى النفس بالقليل منها فتسلم، كذلك لا تصبر على فعل الكثير منها فتغنم.

وسمعته يقول: أشد العذاب سلب الروح، وأكمل النعيم سلب أوصاف النفس، وألذ العلوم معرفة الله، وأفضل الأعمال ما قارنه الأدب.

وسمعته يقول: الروح تنور بحسب الجسد، والجسد بحسب المضغة، والمضغة بحسب الأطعمة، ومن قال بخلاف ذلك فليس عنده تحقيق.

وسمعته يقول: علامة العالم الراسخ في العلم أن يزداد تمكينًا عند السلب؛ وذلك لأنه مع الحق تعالى بما أحب لا مع نفسه كما تحب، فمن وجد اللذة في حال علمه فقدها عند سلبه، فهو مع نفسه من حالين.

كافور

سألت شيخنا رضي الله عنه عن أوصاف العقل: ما هي؟

فقال: أوصاف العقل: العلم، والمعرفة، والإدراك، والفهم، والتمييز.

فقلت له: ما أوصاف النفس؟

فقال: أوصافها: السمع، والبصر، والحاسة، والذوق، والشم، والشهوة، والغضب.

فقلت له: فما أوصاف الروح؟

قال: التذكر، والمحبة، والتسليم، والانقياد، والصبر.

فقلت له: فما أوصاف السر؟

فقال: أوصافه: الفطرة، والسعادة، والإيمان، والنور، والهدى، واليقين.

فقلت له: فإذًا مجموع ذلك هي أوصاف المعنى المسمى بالإنسان؟

فقال: نعم، وفيه انطوى العالم الأكبر.

وسمعت شيخنا ﷺ يقول: إذا بلغ طالب العلم حدّ الكمال، فعلى الشيخ أن يبذل المجهود في تعليمه حتى يتركه الطالب من نفسه.

وفي الحديث: «**لأزيدنَّ على السبعين**»[1] ما لم أنه عنه، وذهب بعضهم إلى أنه يتركه أصلاً لاستغنائه عنه.

وسمعته ﷺ يقول: كانت إسراءات رسول الله ﷺ أربع وثلاثين مرة، واحدة بجسمه والباقي بروحه، فما كان بجسمه منها فهو على البراق، وما كان بروحه فهو الذي يعبر عنه بالرؤيا، فقد يرى نفسه محمولاً على مركب، وقد لا يرى نفسه محمولاً، لكن يعلم أنه محمول في الصورة التي يرى نفسه فيها؛ إذ قد علمنا أنه ﷺ بجسمه في بيته نائم.

ومن هنا أنكرت عائشة ـ ﷺ ـ الإسراء بالجسم، وقالت: ما فقدته من الفراش، وهي صادقة، فإن الإسراء بالجسم كان بمكة ليلة فرضت الصلاة، ولم تكن عائشة إذ ذاك مدخولاً بها، فإنه ما دخل بها إلا في ثاني سني الهجرة، فما جاء الخلاف بين العلماء إلا من قولهم أن الإسراء واحد، ولو قالوا بتعدده كما قلنا لم يقم بينهم خلاف.

---

(1) ابن أبي حاتم في تفسيره (36/ 159).

قال: ومن أقوى الأدلة على أنه ﷺ رقي إلى السماوات العلا بجسمه، ما جاء في بعض طرق حديث الإسراء أنه لما زج به الملك في النور استوحش؛ لأن الأرواح لا تتصف بالوحشة والاستيحاش، فلما دخل رسول الله ﷺ حضرة الله الخاصة لم يتغير عليه صورة اعتقاده في ربه، ورأى عين ما علم لا غير. فتأمل ذلك فإنه نفيس.

كِبريت أحمر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن أعلى العلوم مرتبة؟

فقال: أعلاها العلم بالله تعالى، وأعلى العلم بالله تعالى الكشف، ويليه علم النظر وليس دون النظر علم إلهي أبدًا، إنما هي عقائد في قلوب الخلق لا علوم.

قال: واتضاح ذلك: أن علم الحق تعالى إذا تجلى لظاهر النفس وقع لها الإدراك بالحس في برزخ التمثيل، فإن كان المتجلي له من علماء الشريعة زيد له من الأحكام عما كان في علمه قبل ذلك، وإن كان نحويًا زيد له في ميزان الكلام وهكذا، لكن لا يعلم أن هذه الزيادة من تجلي علم الحق تعالى في القلب إلا العارفون فقط.

وأمَّا غير العارفين فينسبون الزيادة إلى أفكارهم إن أحسوا بها، فإن لم يحسوا فهم أهل حجاب، ومن هنا كان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه[1] يقول لعلماء

(1) ذكره الشيخ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وترجمه فأحسن، وقال: منهم التائه الوحيد القائم الفريد البسطامي، أبو يزيد تاه فغاب، وهام فآب، غاب عن المحدود وآب إلى موجد المحسوسات والمعلومات، فارق الخلق ووافق فأيد بإخلاء السر وأمد باستيلاء الذي إشاراته فانية، وعباراته كامنة لعارفيها صائنة، ولمنكريها فاتنة.
اسمه طيفور بن عيسى بن شروشان وكان جده مجوسيًا فأسلم وكان سبب إسلامه على ما ذكره شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني البسطامي قدس الله روحه أنه كان يخالط شروشان ولد إبراهيم الذي ورد بسطام في أول الإسلام فلام إبراهيم ولده وأنكر عليه صحبة شروشان، وقال له: رجل مجوسي تصاحبه؟ فقال لوالده: هو رجل مرضي الخصال لا يرد السؤال عن السؤال سخي وفي وإنما أحبه لذلك، فقال له والده: قل له: إن أبي يجيئك ضيفًا، فأخبره فقال: نعم إن فعل فعلي الهدية والكرامة، فلما حضر إبراهيم وأحضر شروشان الطعام قال له: لا آكله حتى تعطيني مرادي وتقضي=

عصره: أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت.

وسمعته ﷺ يقول: من كان علمه مستفادًا من نقل فليس بعالم، إنما هو صاحب ظن إلا إن استند إلى النصوص القطعية.

قال: ومن أراد أن يعرف مرتبته في العلم يقينًا لا شك فيه فليرد كل قول حفظه إلى قائله، وينظر فيما بعد ذلك إلى ما بقي معه، فهو علمه.

وسمعته يقول: إنما كلم الله موسى عليه السلام من الجانب الأيمن؛ ليزيل من باطنه اللبس؛ لأنه لو سمع الكلام من الجانب الأيسر الذي هو جهة قلبه لربما ظن أن ذلك من كلام نفسه، فلذلك أسمعه تعالى الكلام من الجانب الذي لم تجر العادة أن تكلمه نفسه منه، وإن كان كلام الحق تعالى في نفسه لا يتحير، فافهم.

وسمعته يقول: الدعوة التي يعتذر بها نوح يوم القيامة هي قوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: 26] إلى قوله: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 27] خلاف ما يتبادر إلى أفهام غالب الناس من المفسرين وغيرهم.

فقلت له: كيف؟

فقال: إذ لو كان المراد بها ذلك لكان رسول الله ﷺ أولى بالاعتذار يوم

= حاجتي. قال: وما ذاك؟. قال: أن تسلم. قال: أفعل وكرامة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده رسوله، فكان هذا سبب إسلامه. وقد كثر اسم طيفور في قبيلته وقومه في يومه وغير يومه، وفي الأجانب من كل جانب كانوا يسمون باسمه ويكنون بكنيته تبركًا واستسعادًا، ولكن هو ذلك الطيفور الذي هو نور على نور، ولا زال المشايخ المتقدمون في عصره يزورونه ويتبركون بدعائه وهو عندهم من أجل العباد والزهاد وأهل المعرفة بالله تعالى. قد فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى. انظر: حلية الأولياء (10/ 33، 40)، وفيات الأعيان (1/ 301)، الرسالة القشيرية (17)، طبقات الصوفية للسلمي (8)، ميزان الاعتدال (1/ 481)، الكواكب الدرية (1/ 24) البداية والنهاية (11/ 35)، مرآة الجنان (2/ 173)، نفحات الأنس (56)، الطبقات الكبرى للشعراني (1/ 89)، طبقات الأولياء (108)، النجوم الزاهرة (3/ 35)، جامع كرامات الأولياء (2/ 40)، نتائج الأفكار القدسية (1/ 104)، وروضة الحبور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور لابن الأطعاني (ص18) بتحقيقنا، وكتابنا: أبو يزيد البسطامي سلطان العارفين.

القيامة عن نوح؛ لكونه أرقى منه درجة من باب: «**حسنات الأبرار سيئات المقربين**»(1).

«**وقد قنت ﷺ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وعُصَيَّةَ**»(2).

فقلت له: أي زمان عملت فيه الأصنام؟

فقال: عملت في حياة يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وكل هؤلاء ولدوا في حياة آدم عليه السلام فعاش عليه السلام حتى رأى خامس بطن من ولده.

فقلت له: فما كان عمر إبراهيم الخليل حين ألقاه النمرود في النار؟

فقال: كان عمره ستًا وعشرين سنة.

فقلت له: فما كان عُمر إسماعيل حين أُضجع للذبح؟

فقال: كان عمره ستة عشر سنة.

فقلت له: فهل كان إسحاق جد يوسف ـ عليهما السلام ـ موجود أيام يوسف؟

فقال: نعم؛ لأنه كان في السنة التي استولى فيها يوسف على مصر، وله من العمر مائة وثمانون سنة، وكان قد أضر، فاعلم ذلك.

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الشيطان، هل يصح أن يسلم؟

فقال: لا، ولكن قد صرح بعض الأولياء بأنه يصح أن يسلم.

قال: ومبنى الخلاف على ضبط قوله ﷺ: «**فأعانني الله عليه فأسلم**»(3) فمنهم من ضبط أسلم بفتح الميم، ومنهم من ضبطها بضم الميم؛ أي: فأسلم أنا منه.

فقلت له: فما تقولون في قول إبليس: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ للذي قال له: ﴿أَكْفُرْ﴾ [الحشر: 16]؟

(1) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (1/ 264).

(2) أخرجه البخاري (10/ 200)، ومسلم (4/ 346).

(3) أخرجه مسلم (18/ 117)، والنسائي (12/ 393)

فقال: هذه حكاية الله تعالى عنه في ذلك الوقت، ثم لا يلزم من قوله ذلك أن يكون معتقدًا له في الباطن كما هو شأن المنافقين، فاعلم ذلك.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه: هل الشقاء خاص بمن عصى من الثقلين، أم يكون في الملك والحيوان كذلك؟

فقال رضي الله عنه: ما عدا الثقلين كله سعيد عند الله تعالى لا حظ له في الشقاء؛ وذلك لأنهم خلقوا على مقامات لا يتعدونها ولا ينزلون عنها، والشقاء ما جاء إلا لمن كان من شأنه الترقي، ودعي إليه فلم يجب، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: نجاسة الكلب كنجاسة المشرك سواء، فهي نجاسة صفة لا نجاسة ذات؛ لأنه لا يصدر عن صنع الحق إلا طاهر، ثم إن النجاسة تعرض له كما أشار إليه خبر: «**كل مولود يولد على الفطرة...**»[(1)] وقد سَمى الله تعالى الأنصاب والأزلام والخمر والميسر: رجسًا.

فقلت له: فما الصفة النجسة في الكلب؟

فقال: كون شرب سؤره يقسي القلب، حتى يصير الشخص لا يحب الخير قط مدة الشهر والشهرين وأكثر كما جرب، فلما كان من صفة سؤره ما ذكر أطلق عليه النجاسة، وأُمرنا بالتنزه عما اتصل بنا منه بواسطة طهارته بالماء والطين اللذين هما الطهوران المطهران، وجمع الشارع بينهما في الغسل من سؤره دون سائر الحيوانات؛ لينبه على شدة تأثيره في موت القلب.

فقلت له: هذا مذهب غريب؟

فقال: نعم، ولكنه صحيح؛ لاتفاقنا مع العلماء على وجوب الغسل منه واستحبابه، واختلافنا في العلل لا يضر منه.

قال: نعم، إن من قال: «إن الكلب نجس العين والصفة» فما حقق النظر، وكذلك من قال: «إنه طاهر العين والصفة، وإنما نغسله تعبدًا لا للنجاسة» هو قول من لم يحقق النظر في الشريعة؛ لأنه يؤدي إلى أن الحق تعالى خاطبنا بما لا

(1) أخرجه البخاري (5/ 321)، ومسلم (17/ 186).

نعقل، والحق أن العلة معقولة كما قلنا في علة نجاسة المشرك وما ذكر معه.

قلت: ويحتمل أن الحق تعالى يخاطب عباده بما لا يعقلون اختبارًا لهم في إيمانهم على تعقلهم له، كما وقع في آيات الصفات، والله أعلم.

وسمعته ﷺ يقول: الزهد حقيقة إنما هو في الميل إلى المال لا في ذات المال؛ إذ لو كان الزهد المطلوب في ذاته لما أمرنا بإمساك المال قط، وما سمي المال مالاً إلا لميل النفس إليه، لما يحصل به قضاء أوطارها وشهواتها، فعلم أن كثرة الأموال لا تحجب العارفين عن عبادة ربهم، ولو أنها كانت تحجبهم ما قال سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: 35] فإن الأنبياء لا يسألون الله ما يحجبهم عنه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: 39] فتمم عليه النعمة.

ياقوت

سألت شيخنا ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 187]: لِـمَ خصَّ هذين اللونين دون غيرهما؟

فقال: لأنهما أصل الألوان كلها، وما زاد عليهما فهو برزخ بينهما، يتولد من امتزاج البياض والسواد، فتظهر الغبرة والكدرة والحمرة والخضرة إلى غير ذلك من الألوان، فما قرب من البياض كان كمية البياض فيه أكثر من السواد وعكسه، فاعلم ذلك.

وسمعته يقول: من فتوة العارفين يوم القيامة إذا جاءهم الإذن بأن يشفعوا أنهم يبدؤون بالشفاعة فيمن كان يؤذيهم في دار الدنيا؛ لأن يزيلوا ما يحصل له من الخجل منهم حين يرى منزلتهم وقربهم من الله تعالى، ويندم على ما وقع منه في حقهم.

قال: وإن لم يكونوا يبدؤون بالشفاعة فيمن كان يحسن إليهم في دار الدنيا؛ لأن المحسن يشفع فيه إحسانه، وما قدمه من الخير في حق ذلك الولي وغيره، فاعلم ذلك.

قلت له: فما ضابط مقام الفتوة؟

فقال: ضابطه أن تكون حركات العبد كلها حقًا ليس فيها عبث، وألَّا يتوجه لمخلوق عليه حق يطالبه به في الآخرة.

قال: وأعظم الخلق فتوة محمد ﷺ حيث يقول يوم القيامة إذا سئل الشفاعة: «**أنا لها أنا لها**»(1) حين آيس الناس من غيره.

قلت له: فما كانت فتوة إبراهيم عليه السلام؟

قال: قيامه في دين الله حق القيام بتكسير الأصنام.

قلت له: فما كانت فتوة يوشع بن نون؟

فقال: لأنه كان في خدمة موسى عليه السلام كما ينبغي.

درة

سألت شيخنا رضي الله عنه عن آدم عليه السلام: ما مقدار ما مكث في الجنة حتى أُخرج منها؟

قال: قد اختلفوا في ذلك، والذي أعطاه الكشف أنه مكث فيها ستة أيام من أيام الجنة التي كان فيها، وإلى ذلك الإشارة بقول ابن عباس رضي الله عنهما: «مكث فيها نصف يوم من أيام الآخرة».

فقلت له: هل أُخرج منها ولحيته سوداء أو بيضاء؟

فقال: لم يكن لآدم عليه السلام لحية، وإنما نبتت اللحية لولده من بعده.

وسألته رضي الله عنه عن حقيقة خوف العبد: هل هو من عين الحق أو مما يكون من الحق؟

فقال رضي الله عنه: لا يخاف العبد إلا مما يكون كما قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: 37] فما خافوا إلا اليوم لما فيه من الشدائد.

فقلت له: فما معنى قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50]؟

فقال: معناه: يخافون ربهم أن ينزل عليهم الأسباب المختلفة التي فوقهم، فاعلم ذلك.

(1) أخرجه البخاري (24 / 376)، ومسلم (2/ 97).

وسمعته يقول مرات: لو كان ثَمَّ إنصاف لأول العلماء الأكابر الأولياء ألفاظهم التي تشكل عليهم، كما أولوا للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بل الأولياء أولى بالتأويل؛ لقصورهم عن مرتبة الشارع في الفصاحة والبيان، وتأمل قوله ﷺ: «أتاني ربي ﷻ فوضع أصابعه بين ثديي فعلمت علم الأولين والآخرين»[1] لو قال ذلك ولي لأجمعوا على قتله.

فقلت له: إن بعضهم طعن في صحة هذا الحديث؟

فقال: لا ينبغي الطعن؛ لأن عالم الخيال واسع قوي، فيجسد للعبد في منامه ما ليس من شأنه التجسد، فيرى الإسلام قبة، والعلم البناء، والدين قيدًا، ونحو ذلك.

فقلت له: فهل يشمل قوله: «**فعلمت علم الأولين والآخرين**»[2] جميع ما علمه أمته من منقول ومعقول في فقه أو نحو أو أصول ونحو ذلك؟

فقال: نعم، هو شامل لجميع ذلك، والله أعلم.

وسمعته يقول: جوع الأكابر من الأولياء اضطرار لا اختيار؛ إذ لا ينبغي لعاقل الجوع الذي استعاذ منه ﷺ وهو يجد ما يأكله، ومتى جاع هذا فقد ظلم نفسه، وخرج عن العدل في حق نفسه التي هي مطية أعماله الصالحة.

وسمعته رضي الله عنه يقول: كما تسمع البهائم كلام الميت على النعش وعذابه في القبر كما ورد، كذلك تعلم بزلاتنا ومعاصينا، فلا ينبغي لعاصٍ أن يعصي الله وبهيمة تنظر إليه، فربما أنطقها الله بما رأت فضيحة ذلك العاصي، وقد قرب ظهور علامات الساعة «**حتى يصير يكلم الرجل فخذه وعذبة سوطه**»[3] كما ورد، فليحذر العبد من مجاهرة الخلق، إذا لم يراع نظر الحق، فالله تعالى يلطف بنا برحمته، آمين.

وسمعته رضي الله عنه يقول: الخير أسرع وصولاً لصاحبه من الشر.

---

(1) أخرجه بنحوه الطبراني في الكبير (20/ 141).

(2) التخريج السابق.

(3) أخرجه أحمد (11809)، وعبد بن حميد (877)، والترمذي (2181)، وابن حبان (6494)، والحاكم (8442) وقال: صحيح على شرط مسلم.

قال: وذلك؛ لأن الثواب مأخوذ من ثاب إلى الشيء؛ أي: إذا أثاب إليه بالعجلة والسرعة، بخلاف الشر، فإن حضرة مجازاته من حضرة اسمه تعالى الحليم والرحمن اللذان يعطيان بذاتهما الحلم والتأني والمهلة.

وسمعته يقول: إنما كان الإنسان مجبولاً على الحرص والشح والطمع؛ لأنه فقير بالذات مطبوع على الاستفادة، والأخذ على الإفادة والعطاء، فلذلك كان يود أن يكون كل شيء في الوجود له وتحت سلطانه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [الحشر: 9] ما قال: «ومن يزل شحه» فأخبر أن الشُّح موجود فيه إلا أنه يوق العمل به، فافهم، وسيأتي بأبسط مما هنا ـ إن شاء الله تعالى ـ في الكتاب.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: 40] ونرى الأمر الإلهي يأتي للخلق، فمنهم من يعمل به، ومنهم من يتخلف عن العمل به.

فقال رضي الله عنه: اعلم أن الأمر الإلهي إذا صدر من الحق تعالى بلا واسطة فلا يتخلف المأمور عن التكوين أبدًا كما صرحت به الآية، وإذا صدر من الوسائط فقد يتخلف، وقد يتكون عن الإرادة في الحال؛ ولذلك كان الحق تعالى يقول لعباده على ألسنة رسله: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 43].

و﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: 200] ولا يقع من بعض الناس شيء من ذلك؛ لتوقف امتثاله على الإرادة الإلهية، فكأنه تعالى قال لهم حينئذ: اخلقوا فليس من شأنهم أن يخلقوا، فكأن المتعلق بهم جسم «كن» لا روحها، فكانت كالميتة يحرم عليهم استعمالها، كما قال الشيخ محيي الدين، قدس سره.

وأمَّا تعلق الإذن الإلهي الذي هو «كن» الحياة؛ بإيجاد «كن» الحياة؛ بإيجاد عين الجهاد أو الرباط أو الصلاة أو أي شيء كان من أفعال العباد تكون في حين توجهها عليه، وليس من شأن الأفعال أن تكون بأنفسها، وإلا كانت الصلاة تظهر في غير مصل، والجهاد في غير مجاهد، وهذا لا يصح، فلا بد من ظهورها في

المصلي والمجاهد، فإذا ظهر ذلك فيهما أو في غيرهما من المرابط والمصابر والمتقي مثلاً نسب الله تعالى ذلك الفعل إلى العبد، وجازاه عليه منةً وتفضلاً، كالخلق دائمًا لله وحده وللعبد النسبة؛ لكونه محلاً لظهور الأفعال، ولولا النسبة لكان ذلك قد جاء في الخطاب والتكليف ومباهتة للحس، وكان لا يوثق بالحس في شيء.

وقد بلغنا عن الشيخ محيي الدين ـ رحمه الله ـ أنه كان يقول: الأكوان كلها ستور حاجبة عن مشاهدة الحق، وهو الفاعل من خلف حجاب هذه الستور، فقوم لا يشعرون بأن الله تعالى هو الفاعل، وهم المعتزلة، وقوم يشعرون ويشهدون، وهم الخبرية، غلب عليهم شهود الفعل لله تعالى وحده، ولم يصلوا إلى شهود إضافة الفعل للعبد؛ لنقصهم عن درجة الكمال، فأخطأوا الشريعة في عدم إضافة أفعال العباد إليهم.

وقوم يشعرون، ولكن لم يبلغوا إلى مرتبة الكشف، وهم الأشعرية، منعهم حجاب القول بالكسب عن شهود الفعل لله وحده، وكل من هؤلاء الطوائف الثلاثة على بصره غشاوة بخلاف أهل الكشف الذين هم شهود، والفعل لله تعالى إيجادًا وللعبد إسنادًا. انتهى.

قلت: قد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة من «الفتوحات» ما نصه: إنما أضاف تعالى الأعمال إلينا؛ لكوننا محل العقاب والثواب، وهي لله حقيقة، ولكن لما ادعينا في الحجاب أن أعمالنا لنا أضافها إلينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لنا، فأدخلنا حضرة الإحسان ورق حجابنا، رأينا العمل صادرًا منه فينا، ما نحن العاملون، ثم إنَّا إذا شهدنا هذا المشهد خفنا مزلة القدم فيما سماه من أفعاله سيئًا، فإن من الأدب أن نضيف ما سماه سيئًا إلينا، مع علمنا بما تحته، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: 79] فنكون بهذه الإضافة حاكين قول الله عز وجل وأطال في ذلك، والله أعلم.

ولنرجع إلى أصل المسألة، فنقول: فقلت لشيخنا: فما حقيقة الكشف الذي تقول به الأشعرية؟.

فقال: حقيقته تعلق إرادة الممكن بفعل ما، فتوجد الأقدار الإلهية عند هذا التعلق، فسموا ذلك كسباً للممكن، بمعنى أنه كسب الانتفاع به بعد احتياجه إليه.

وسمعته مرة أخرى يقول: يجب على العبد أن يعلم ألَّا أثر لمخلوق في فعل شيء من حيث التكوين، وإنما الحكم فيه فقط، فافهم، فإن غالب الناس لا يفرق بين الحكم والأثر.

قال: وإيضاح ذلك: أن الحق تعالى إذا أراد إيجاد حركة أو معنى من الأمور التي لا يصح وجودها إلا في موادها؛ لاستحالة أن تقوم بنفسها، فلا بد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الذي لا يقوم بنفسه، فللمحل الذي هو العبد حكم في الإيجاد لهذا الممكن وما له أثر فيه. انتهى.

قلت: وسمعت أخي أفضل الدين[1] رَحِمَهُ اللهُ يقول: ليس للممكن قدرة أصلاً، وإنما له التمكن من قبول تعلق الأثر الإلهي به؛ لأن النعت الأخص الذي انفردت به الألوهية كونها قادرة، فإثبات القدرة للممكن دعوى بلا برهان.

قال: وكلامنا مع الأشاعرة المثبتين لها مع نفي الفعل عنها، انتهى.

وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والعشرين ومائة من «الفتوحات»: أن إثبات القدرة للممكن مع نفي الفعل عنها من أعسر المسائل؛ لأنه يؤدي إلى كونه فاعلاً في حال كونه ليس بفاعل.

قال: وما فتح عليَّ بزوال اللبس فيها إلا ليلة كتابتي لهذا الموضع في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وقد كان يعسر عليَّ الفصل بين الكسب الذي يقول به قوم، وبين الخلق الذي يقول به قوم، فأوقفني الحق تعالى بكشف بصري على خلقة المخلوقين الأول الذي لم يتقدمه مخلوق؛ إذ لم يكن إلا الله.

فقال لي في سري: انظر هل ها هنا ما يورث اللبس والحيرة؟ فقلت: لا يا رب، فقال لي: هكذا جميع ما تراه من المحدثات ليس لأحد فيه أثر ولا شيء من الخلق، فأنا الذي أخلق الأشياء عند الأشياء لا بالإثبات، فتكون عن أمري، خلقت النفخ في عيسى، وخلقت التكوين في الطائر.

(1) هو الشيخ القدوة العارف سيدي أبو الفضل الأحمدي. تلقى عن سيدي علي الخواص وعن الشيخ بركات وكان أخاً للمؤلف في الطريق، ووقع لهما اتحاد لم يقع له قط مع غيره. قال عنه رضى الله عنهما: لو أخذ يتكلم في أفراد الوجود لضاقت الدفاتر، توفي في بدر في بعد الحج ودفن هناك رضي الله عنه سنة 942 هجرية انظر ص204.

قلت له: يا رب، فنفسك إذا خاطبت بقولك افعل ولا تفعل، فقال لي: إذا طالعتك بشيء من علمي فالزم الأدب، فإن الحضرة لا تقبل المحاققة، ولا أسأل عما أفعل، انتهى، فتأمله فإنه نفيس.

وذكر الشيخ أيضًا في الباب الثامن والستين من «الفتوحات»: أن سبب منشأ الخلاف بين أهل النظر في مسألة الكسب، كونهم لم يدروا لماذا يرجع ذلك التمكن الذي أعطاه الله تعالى للعبد ووجده من نفسه، هل يرجع إلى أن تكون للقدرة الحادثة فينا أثر في تلك العين الموجودة عن تمكيننا، أو عن الإرادة المخلوقة فينا، فيكون التمكين أثرًا للإرادة لا أثر القدرة الحادثة؟

فعلى ذلك ينبغي كون الإنسان مكلفًا لعين التمكين الذي تجده من نفسه، ولا يحقق بعقله لماذا يرجع ذلك التمكن هل لكونه قادرًا أو لكونه مختارًا؟ وإن كان مجبورًا له في عين اختياره، ولكن بذلك القدر من التمكن الذي يجده من نفسه صح أن يكون مكلفًا، ولذلك قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق: 7] فقد أعطاها أمرًا وجوديًا، ولا يُقال: أعطاها لا شيء.

وذكر أيضًا في الكلام على اسمه تعالى «الخافض» في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة من «الفتوحات» ما نصه: اعلم ألَّا أثر للمحدث في المحدث سوى حقيقة، وإنما ذلك صورة؛ إذ لا مؤثر إلا الله، فكل منفعل على يدي الخلق منفعل حقيقة للحق، وأطال في ذلك.

ثم قال: ولولا تحقيق النسب ما كان للإنسان عين ولا ظهر عندها أثر، وأنت تعلم أن إسناد العالم أكثره إلى الأسباب، فلولا أن الله تعالى عندها ما أسند مخلوق إليها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [فاطر: 15] يعني: بلسان الحقيقة لا إلى الأسباب، مع أنا لم نشاهد أثرًا إلا منها ولا عقلناه إلا عندها، فمن الناس من قال: بها ولابد، ومن الناس من قال: عندها ولابد.

وأمَّا المحققون فيقولون: عندها وبها، عندها عقلاً، وبها شهودًا وحسًا، فما طلب الحق تعالى من عباده إلا ما لهم فيه تعمل، ولابد من وجود حقيقة هنا تعطي الإضافة في العمل إليك، مع كونه خلق الله وحده كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: 96] أي: خلق ما تعملون.

قال: وأهل الإشارة جعلوا «ما» ها هنا نافية، فالعمل لك والخلق لله، وما أضاف الحق تعالى إليك ما أضافه لنفسه إلا ليعلمك أن الأمر الواحد له وجود، فمن حيث ما هو عمل هو لك وتجري به، ومن حيث ما هو خلق هو لله تعالى لا لك، وبين الخلق والعمل فرقان في المعنى واللفظ، فلا تحجب عن هذا يا أخي، فإنه لطيف خفي. انتهى والله أعلم.

ولنرجع إلى الكلام إلى قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: 40] وبالله التوفيق.

قلت لشيخنا: هل ثَمَّ فرق بين «أردناه» و«أردنا به» و«أردنا منه»؟

فقال: نعم، وذلك أن الحق تعالى مريد لكل ما وقع في الوجود من وجود أو عدم، وإنما الحكم مختلف من حيث المتعلق، فإن العبد إذا أراد الحق تعالى منه وقوع فعل مثلاً لم يقع لعجزه كما وقع لأبي لهب وأبي جهل، وإذا أراد الحق به وقوع فعل وقع، فهذا الفرق بين «يريد منهم» و«يريد بهم».

قال: وإيضاح ذلك أن يُقال: لا يصح أن يأمرهم بالقيام مثلاً، وهو لا يريد منهم أن يقوموا إلا محض إقامة حجة لا غير؛ لأنه لم يخلق عندهم إرادة لوقوع ذلك الفعل، ولابد لهم من إرادة، فأراد بهم ألَّا يقوم بهم القيام؛ إذ متعلق الإرادة العدم، والقيام عند طلبه ممن ليس بقائم معدوم، ولكن إذا أراد الحق تعالى وقوع القيام من المأمور بالقيام أمر القيام بالكون، فكان القيام موجودًا بالأمر من المأمور، وإن لم يرد تعالى به القيام من المأمور بقي الآخر يقتضي الطلب من غير أن يخلق القيام في المحل.

قلت له: فهل الإرادة عين المشيئة أو غيرها؟

فقال رضي الله عنه: الإرادة والمشيئة متحدان في التعلق بالفعل والإيجاد، ولكن الإرادة قد تدخل تحت سلطان المشيئة من حيث الترتيب، فيُقال: قد شاء الله أن يريد، ولا يُقال: أراد الله أن يشاء، فالإرادة أخص من المشيئة؛ لأن المشيئة قد تتعلق بالزيادة والنقصان على سبيل الحدوث والظهور، وأمَّا الإرادة، فإنها تتعلق بالإيجاد، فمتعلقها ضد العدم بخلاف المشيئة، فإنها تتعلق بالإيجاد والإعدام.

وإذا نظرت إلى أن كلاً من الإرادة والمشيئة وصف للذات كانت المشيئة عين الإرادة، وإذا نظرت إلى الوجه الآخر الذي هو النظر إليها من حيث الترتيب

كانت أعمّ منها؛ لأنها قد تتعلق بموجود تريد إعدامه، كما قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ١٩﴾ [إبراهيم: 19] ما قال: إن يرد يذهبكم.

قال: وهنا تحقيق، وهو أن الله تعالى وهو الشائي حقيقة، وإن ظن العبد أنه هو الشائي، فهو في حجاب، فإن مشيئة العبد حقيقتها بالله تعالى لا للعبد؛ إذ مشيئته تعالى أصل مشيئة كل مشيئة. قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: 30] فقول مثبتي الحركة: «إن زيدًا حرك يده» مثلاً مجاز، وإذا حققت قول أحدهم على مذهبه وجدت المحرك ليده إنما هو الحركة القائمة بيده، وإن كنت لا تراها فإنك تدرك أثرها، ومع ذلك يُقال: «إن زيدًا حرك يده» ومعلوم أن المحرك هنا إنما هو الله تعالى، فتأمل يا أخي، في هذا المحل وأمعن النظر فيه، فإني أظنك لا تجده في كتاب.

جوهرة

سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: من صح له سجود القلب لله تعالى حفظه الله تعالى من المخالفات، كالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لكن النبي معصوم والولي محفوظ.

فقلت: فلِمَ خصَّ الأنبياء بالعصمة دون الحفظ مع أن العبد إذا حفظ فقد عصم؟

فقال: إنما خص العلماء لفظ العصمة بالأنبياء من أجل فعلهم المباح لا غير، وذلك أنهم لا يفعلون إلا على وجه التشريع أنه مباح، فهو واجب عليهم فعله؛ لوجوب التبليغ عليهم، ولبيان وجه الاقتداء بهم، فلذلك كان لا يصح منهم وقوع معصية قط؛ لكونهم مشرعين لأممهم في جميع أفعالهم وأقوالهم، فلو صدق عليهم فعل المعاصي لصدق عليهم تشريعها ولا قائل بذلك، بخلاف الولي إذا فعل مباحًا لا يفعله إلا على أنه مباح، فهذا هو الفرق بين العصمة والحفظ بالنظر للفظ لا للمعنى، وهو من أوضح الفروق وأجلاها، فاعلم ذلك.

فقلت له: فما حكمة وقوع الأولياء في المعاصي، مع كونهم منَّ الله تعالى عليهم بذلك المقام العظيم؟

فقال: لا يقع منهم معصية قط إلا عند وجود إدلال أو عجب بأعمالهم أو ظنهم

أنهم أفضل من غيرهم، فيقدر عليهم بالوقوع في تلك المعصية، فيرجع أحدهم ذليلاً صاغرًا يحتقر نفسه أن يجالس الناس، ومن هنا قال صاحب «الحكم»: «ربَّ معصية أورثت ذلاً وانكسارًا، خير من طاعة أورثت عزًا واستكبارًا».

فقلت له: فإذًا المعصية في حق الأولياء ظاهرها نقمة وباطنها نعمة؟

فقال: نعم، بخلاف معصية غيرهم من أهل الإصرار الذين لا يندمون ولا يتوبون، فإنها نقمة فقط، نسأل الله العافية.

بلخش

قلت لشيخنا ﵁: هل كان عيسى ﵇ يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بالفعل أو بالقول؟

فقال ﵁: كان يفعل ذلك تارة بالقول وتارة بالفعل، فبمجرد ما ينطق أو يجس الميت بيده مثلاً يحيا، وكذلك الأكمه والأبرص.

فقلت: وقد بلغنا أن أبا يزيد كان يحيي الموتى، لكن بالجس باليد فقط.

فقال: كان له نصف الإرث من مقام عيسى ﵇ والكامل من أحيا بالقول والفعل.

فقلت له: فلِمَ خصَّ عيسى بذلك؟

فقال: لأن الغالب عليه حكم الروح التي نفخها فيه جبريل بإذن الله، فلم يكن فيه من الطين إلا جزء ضعيف؛ فلذلك التحق بعالم الأرواح السماوية، وكان مكثه في الأرض بقدر ما فيه من الطينة.

ومن خصائص الأرواح: أنها لا تطأ مكانًا إلا حيي وسرت الحياة فيه، ولهذا لما نبذ السامري قبضة من أثر فرس جبريل في العجل صوت وخار، وكان السامري عالمـًا بهذا الأمر، فكان الإحياء على يد عيسى لله تعالى، وكان النفخ لعيسى في الطائر، كما كان النفخ لجبريل والكلمة لله تعالى، وكان نقل جبريل كلمة الله لمريم مثلما ينقل الرسول كلام الله لأمته، والله أعلم.

جوهر

سألت شيخنا ﵁ عن تشبيه عيسى بآدم ﵉ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ

عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59].

فقال ﵁: اعلم أن أول موجود ظهر من الأجسام الإنسانية آدم ﵇ فكان هو الأب الأول من هذا الجنس، ثم إن الحق تعالى فصل عن آدم أبًا ثانيًا لنا سماه: أُمًّا، فصح لهذا الأب الأول الدرجة عليه لكونه أصلاً له، فلما أوجد الحق تعالى عيسى بن مريم تنزلت مريم ﵉ منزلة آدم، وتنزل عيسى منزلة حواء، فكما وجدت أنثى من ذكر، كذلك وجد ذكر من أنثى، فختم الدور بمثل ما به بدأها من إيجاد ابن من غير أب، فكما كانت حواء من غير أم كان عيسى من غير أب، فكان عيسى وحواء أخوان، وكان آدم ومريم أبوان لهما.

ولذلك أوقع الحق تعالى التشبيه في عدم الأبوة الذاكرانية دون غيرها، من أجل أنه تعالى نصب ذلك دليلاً على براءة أم عيسى - عليهما الصلاة والسلام - من الزنا، ولم يوقع التشبيه بحواء وإن كان الأمر عليه؛ لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل؛ إذ كانت محلاً موضوعًا للولادة وليس الرجل بمحل لذلك، والمقصود من الأدلة إنما هو ارتفاع الشكوك، وفي حواء من آدم لا يمكن وقوع التباس؛ لكون آدم ليس محلاً لما صدر عنه من الولادة، فكما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لا يعهد ابن من غير أم.

قال: فالتشبيه من طريق المعنى: أن عيسى كحواء؛ لأن ظهور عيسى من غير أب كظهور حواء من غير أم، وأطال في ذلك. انتهى. فتأمله، فإنك لا تجده في كتاب.

ياقوت

سمعت شيخنا ﵁ يقول: إياك والتأويل، فإنه تعالى إنما أخبرنا أن نؤمن بما أنزل الله على علم الله فيه، ومن أوَّل فما آمن حقيقة إلا بما أوله بعقله لا بما أنزل الله كما سيأتي بسطه أواخر الكتاب، ولكن من أراد الخلاص فليقف على حد ما شرعه الله تعالى، ولا يزيد عليه حكمًا واحدًا، فما حرم الحق تعالى يحرمه، وما أوجبه يوجبه، وما أباحه يبيحه، وما كرهه يكرهه، وما ندب إليه يندب إليه، وما سكت عنه يسكت عنه، فمن فعل ذلك صحت له متابعة رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] فاعلم ذلك.

فقلت له: فما سبب تشريع الحق لنا المباح مع أنه لا ترقي فيه ولا أجر بالأصالة؟

فقال: إنما شرعه لنا تنفيسًا من مشقة التكاليف؛ لأن التكليف على الدوام بالامتثال والاجتناب لا يقدر عليه أحد من الثقلين، وفي ذلك أيضًا ابتلاء للعبيد وفتنة لهم؛ لينظر تعالى كيف يعملون، مع أنه تعالى هو العالم بما يكون منهم قبل أن يخلقهم، هل يقفون عن العمل بالمباح ويقتصرون على صفات العبيد الخلص، من كونهم لا يوجدون لا في فعل مأمور أو اجتناب منهي، أو يتعدون ما حده لهم سيدهم فيزاحمون الرتبة الإلهية بوهمهم؟ فإن المباح لا تحجير فيه، فهو بالرتبة الإلهية أولى. فافهم.

در

سألت شيخنا رضي الله عنه عن وصف الحق تعالى يحيى بالحصور: هل هو مدحٌ له من حيث أن ترك التزويج كمال؟

فقال رضي الله عنه: من كمال الرجل تزويجه؛ إذ العزوبة ليست بحال كمال في الأصل، ولقد امتن الله عليه السلام على الأنبياء بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: 38] وما كمل أحد في شيء إلا بالإنتاج فيه وتعدي النفع إلى غيره، وعلى هذا فوصف الحق تعالى يحيى بالحصور إنما هو حكاية حال؛ لأن الحصر إنما أتاه من أثر همة والده زكريا عليهما السلام لما شهد مريم خالة يحيى بتولاً؛ يعني: منقطعة عن الرجال.

فلما استفرغ طاقته عن مشاهدته لها حيث لم يبقَ فيه التفات لغيرها خرج يحيى حصورًا يسأل والده أن يرزقه الله ولدًا مثلها، فما هي صفة كمال في الحقيقة. انتهى.

قلت: ويحتمل أن يكون ترك التزويج كمالاً في حق يحيى عليه السلام خصوصية له دون غيره من الأنبياء، والله أعلم.

زمرد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: 19] هل لذلك محترز؟

فقال رضي الله عنه: نعم، وذلك أن الدين دينان:

- دين عند الله، وهو ما شرعه تعالى على ألسنة رسله.

- ودين عند الخلق، وهو الذي اصطلح عليه العلماء والصالحون من الأفعال المستحسنة المؤدية إلى سعادة المعاد والمعاش التي شهدت لها الشريعة، وقد اعتبر الشارع هذا الدين وأذن فيه بقوله: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»[1] فاعلم ذلك.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: 133]: ومعلوم أنه لا يسارع إلى حضرات المغفرة إلا من أذنب؟ فقال في «الفتوحات»: إن هذا من علم الضمير الوارد في القرآن، ولا يشعر به إلا العارفون، فإنه تعالى أمر بالمسارعة إلى المغفرة، وما أمر بالمسارعة إلى الذنب، وإن كان هو الذي قدره أن الله لا يأمر بالفحشاء، فكان العبد حينئذٍ مجبورًا باطنًا على فعل ما به يكون السبق؛ ليظهر حكم المغفرة وما لا يتوصل إلى الواجب وفرعه إلا به فواجب وقوعه، ولكن من حيث ما هو فعل لا من حيث ما هو حكم.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: 222] يعني: من كثرت منهم التوبة، فإن الله تعالى يحب التوابين، ما قال: إن الله يحب من يعصي ليتوب، ويؤيد ذلك خبر: «**إذا أذنب العبد فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، فيقول الله تعالى له في الثانية أو الثالثة: افعل ما شئت فقد غفرت لك**»[2] فلم

(1) أخرجه مسلم (17/ 224)، وابن ماجه (1/ 245).

(2) أخرجه البخاري (7068)، ومسلم (2758)، وابن حبان (622)، وأحمد (9245).

يقل: «أبحت لك» ومعلوم أن المغفرة لا تكون إلا عن ذنب ولو بالخطور على البال، انتهى.

فقلت لشيخنا: فهل يمكن لأحد أن يعصي الله تعالى على الكشف والشهود بأن الله تعالى يراه؟

فقال: لا يمكن ذلك، فلا بد من حجاب أدناه التأويل والتزين من العُجب أو الغفلة، ومن زعم أنه يعصي على الكشف لمشاهدته خلق الله تعالى لتلك المعصية، فهو في حجاب؛ لأنه لو حقق النظر لوجد الحق تعالى غير راضٍ عنه في تلك المعصية، وكان يتركها حياءً منه وخجلاً.

وهذا من سر القدر المحكم في الخلائق كما أشار إليه خبر: «**إذا أراد الله تعالى إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم...**»(1) أي: سلبهم شهودهم أن الله تعالى يراهم حين المعصية؛ لأنهم لو علموا أن الله يراهم ما عصوا، وليس المراد بسلب العقول زوال التكليف بالكلية كما توهمه بعضهم؛ لأن ذلك يؤدي إلى رفع التقوية عن كل عاصٍ على وجه الأرض، والله أعلم.

قال الشيخ محيي الدين ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ـ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة من «الفتوحات»: والأسباب المانعة للعبد من الوقوع في المعاصي أربعة لا خامس لها: الحياء، والخوف، والرجاء، والعصمة، أو الحفظ في علم الله لذلك العبد، انتهى.

قلت لشيخنا: فهل اطلع أحد من الأولياء على سر القدر المتحكم في الخلائق؟ فقال: نعم، لكن بحكم الإرث لرسول الله ﷺ لأنه لم يعط لأحد غيره.

فقلت له: لِـمَ؟

فقال: لما هو عليه من القوة التي أعطاه الله إياها بخلاف غيره من الأنبياء، فلو أن أحدًا منهم اطلع على ذلك ربما كان سببًا لفتور همته عن كمال التبليغ والجهاد، فكان طيه عنهم رحمة بهم ليقوموا بما كلفوه من أمر الجهاد، فلو أنهم كشف لهم أن الحق تعالى هو الذي أخذ بناصيتهم إلى ما هم فيه لاستحى العبد؛ فالرجل هو المنازع لأقدار الحق بالحق للحق لا الموافق لها، كما قاله الشيخ

---

(1) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (1408)، والديلمي (966).

عبد القادر الجيلي قدس سره.

وشرح هذه الجملة: أن مراده بالأقدار التي ينازعها حضرة الإرادة المجردة عن الأمر فينازعها بالأمر الشرعي، فالإرادة هي أقدار الحق، وقد نازعها بالحق الذي هو الشرع؛ لأنه تعالى قد تعبده بمدافعة الأقدار جهده، ولولا أنه لم يدافعها لعصى ربه. فافهم.

فقلت له: فما حكم من أطلعه الله تعالى على اللوح المحفوظ ورأى ما قدره الله عليه، وأنه لابد من وقوعه في ذلك؟ هل يبادر لوقوع ما قدره الله عليه من تلك المعصية لتزول من شهوده تلك الصورة القبيحة أم يصبر؟

فقال: لا يجوز لعبد أطلعه الله تعالى على ذلك أن يبادر لفعله، وإنما عليه الصبر حتى يوقعه القدر فيه في الوقت الذي أراده الله تعالى.

قلت له: فإن قال قائل: كيف يؤاخذ في الحق تعالى على فعل قدره عليَّ لا محيص لي عنه؟

قال: تقول له: ألست تعلم أنك محل لجريان أقدار الله تعالى فيك وعليك؟ فلا يسعه ألَّا يقول: نعم، فإذا قال: نعم، قلنا له: قد ذهب وجه اعتراضك بهذا المعتقد، فإن شاء الله جعلك محلاً لجريان الثواب، وإن شاء جعلك محلاً لجريان العقاب.

قلت له: قال السائل بالقول الآخر من خلقه أفعال نفسه، فإن قلنا له: حكم هذه الميزان يقام عليك، فإن حكم العدل أن لكل نفس ﴿مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286] والله أعلم.

زبرجد

سألت شيخنا رضي الله عنه عمَّا يجده المتهجدون في الأسحار من الأنس واللذة وانشراح الصدر: هل ذلك بالله تعالى أو بأعمالهم؟

فقال رضي الله عنه: لا يصح الأنس بالله حقيقة لعدم المجانسة، وإنما الأنس بالتقريبات الإلهية وبأهل تلك الحضرة من الأشباح والأرواح، كما يجد الإنسان الأنس عند رؤية الصالحين، والنفرة والوحشة عند رؤية الفاسقين، وقد كان بعض عباد بني إسرائيل يثابر على قيام الليل، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان،

قل لفلان العابد: إنما تقوم لما تجده من حظ نفسك، لا من الأنس بثواب أعمالك ولو جردناك عن ذلك لم تقم أو ما بهذا معناه، والله أعلم.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 18] لم يقل: «وأولوا الإيمان» مع أن مدار السعادة عليه لا على العلم.

فقال رضي الله عنه: إنما لم يقل تعالى: «وأولوا الإيمان» بدل «وأولوا العلم»؛ لأن شهادته تعالى لنفسه بالتوحيد هي عن خبر، فتكون إيمانًا بخلاف العلم، ومثل العلم في ذلك الوجد والذوق؛ لأنهما كذلك يفيدان العلم، فواحد كان طريقه إلى حصول العلم الدليل، وواحد كان طريقه إلى حصول العلم الذوق أو الوجد.

فقلت له: فلِمَ شهد الحق تعالى لنفسه بأنه لا إله إلا هو؟

فقال: لينبه عباده على غناه عن توحيدهم له.

فقلت له: فلِمَ عطف الملائكة على نفسه دون غيرهم؟

فقال: لأن علمهم بالتوحيد لم يكن حاصلاً من النظر في الأدلة كأولي العلم من البشر، وإنما كان علمهم بذلك حاصلاً من التجلي الإلهي لقلوبهم، وذلك أقوى العلوم وأصدقها، فلذلك قدموا في الذكر على أولي العلم، وأيضًا فإن الملائكة واسطة بين الحق تعالى وبين رسله، فناسب ذكرهم إلى الوسط، والله أعلم.

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253]: ما معنى هذا التفاضل؟

فقال: ذهب بعضهم إلى أن كل واحد فاضل ومفضول، ففضل هذا الآخر بأمر ما وفضل ذلك المفضول من ذلك الأمر بأمر آخر، فهو فاضل بوجه ومفضول بوجه، وذلك يؤدي إلى التساوي في الفضيلة.

والحق أن معنى المفاضلة: أن يزيد كل واحد على صاحبه برتبة نقص المجد

والشرف، فيجعل عنده من صفات المجد ما لم يجعل عند الآخر. انتهى.

قلت: قد قال الشيخ محيي الدين، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: من نظر ارتباط المراتب بالأسماء الإلهية والحقائق الربانية لم يرَ تفاضلاً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285] لأن الأسماء الإلهية نسبتها إلى الذات نسبة واحدة، فمن فاضل من هذه الحيثية كأنه يقول: الأسماء الإلهية بعضها أفضل من بعض، وهذا لا قائل به، وأطال في ذلك.

فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو صحيح، ولكن التفاضل إنما يقع في الكون من حيث الفروع لا من حيث الأصول، ومع ذلك فيجب تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين؛ لانعقاد الإجماع على ذلك، وأمَّا غيره فتفضيله متوقف على وجود نص فيه بخصوصه.

كبريت أحمر

سألت شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قوله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه»[1] وقد قال بعض المتكلمين: أن العدم شيء، فكيف الأمر؟

فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كلام رسول الله ﷺ حق؛ لأن مرادهم بالعدم المدة المحكوم عليها بالخيال أنها كانت قبل وجود الخلق، وهي عدمية عندنا لا وجود لها حقيقة، هذا بالنسبة إلينا، وأمَّا بالنسبة إلى الله تعالى فهو إدراك الحق تعالى الخارج عن الزمان المشهود لنا الذي هو حركة شمسية.

قال: ومثال ذلك: النائم ينظر في منامه زمانًا يطول فيه مدة أيام وليالٍ، بل شهور وسنين، وهو مقدار لمحة، فهذا وجود انطوى فيه مدة طويلة بالنسبة إلى النائم فقط، وعدم بالنسبة إلى ساعة الحكم عند المستيقظ، فالزمان الذي «**كان الله ولا شيء معه**»[2] فيه تمثل بهذا الزمان المعدوم المحكوم عليه بقطع المسافات التي تحتاج إلى طول مدة.

فقلت له: فما المراد بقولهم: كتب الله ذلك في الأزل، مع أن الأزل لا

---

(1) أخرجه النسائي (3/ 363)، والحاكم في المستدرك (7/ 446).

(2) التخريج السابق.

يتعقل إلا أنه زمان، والزمان مخلوق يتبين والكتابة الإلهية قديمة، فكيف الأمر؟

فقال ﷺ: المراد بالكتابة الإلهية هو: العلم الإلهي الذي أحصى الله الأشياء كلها فيه، وأمَّا الأزل فهو: الزمان الذي هو بين وجود الله تعالى ووجود الموجودات المعقولة؛ لأن فيه أخذ العهد على الوجود، وهو زمان يباين زمان الله الذي لا يتعقل كتعقل العدم الذي قدمنا ذكره آنفًا بخلاف هذا الزمان الأول الذي هو قبل وجود الموجودات، ولابد لك يا أخي، من كشف صحيح تتعقل به أن الكتابة قديمة كانت في غير زمن.

قلت: فما أول تعقل الزمان؟

فقال: أوله من وجود آدم عليه السلام لاشتراط العقل بالإنسان؛ إذ لا يتيقن وجود إلا بوجودنا.

قلت: وهذا كلام لا نكاد نسمعه من أحد من علماء هذا الزمان، وهو يحتاج إلى إيضاح، فمن فتح الله تعالى عليه بشيء، فليلحقه بهذا الموضع، والله أعلم.

درة

سألت شيخنا رضي الله عنه عن حديث: «**حب الوطن من الإيمان**»[1] مع أنه يشمل وطن الكفر والمعاصي؟

فقال رضي الله عنه: المراد به الوطن الحقيقي الذي هو الجنة التي خرج منها آدم عليه السلام والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: 118].

فقال رضي الله عنه: توبة الله على عباده رجوعه عليهم بقبول التوبة فضلاً منه ورحمةً بعد الإلهام لها، وفي حق العبد رجوعه إلى تقدير ربه عز وجل وبشهوده إنما وقع منه بقضائه وقدره، وإن كان ذلك صدر منه لغفلته عن ملاحظة نظر الله إليه.

فقلت له: فما تكون التوبة النصوح التي لا ذنب بعدها؟

(1) ذكره السخاوي في المقاصد (1/ 100).

فقال: إذا رجع الحق تعالى عن خلق المعاصي في العبد، فإنه حينئذٍ يتوب هذه التوبة لا محالة، بل لو قدر أن يطلب المعصية لا يجدها.

فقلت له: أيستغني أحد عن التوبة؟

فقال: لا، وقد سمعت قوله ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله تعالى في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة**»(1) لكن توبته ﷺ من أمور دقيقة لا تبلغها عقول غيره من الأنبياء فضلاً عن عقولنا.

وقد صرح الشيخ محيي الدين بن العربي ـ قدس سره ـ بأن مراعاة الحق تعالى مع الأنفاس ليس من مقدور البشر، فتوبة الأكابر ليست من المعاصي الشرعية، وإنما هي من نحو فعل مباح مع الغفلة عن الله مثلاً.

قلت: وقد أوضحنا الكلام على المراد بمعاصي الأكابر أوائل كتاب «منهج الصدق والتحقيق» فراجعه، والله أعلم.

فقلت له: فمن أسرع الناس توبة؟

فقال: من كان أسرع بالإحسان إلى من أساء عليه، فإن الله تعالى يجازي العبد بحسب أعماله ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26] قلة وكثرة، كما أن من يسارع بمسامحة الخلق بالحقوق التي له عليهم يسرع الحق تعالى إليه بالمسامحة فيما عمله من الجرائم المتعلقة به تعالى، فاعلم ذلك.

زمرد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن حديث: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»(2) من هو هذا الفاجر؟

فقال: هو عام في كل فاجر كما ورد، ومما دخل فيه الشيخ المسلك أو العالم، يحيي الله تعالى بعلمه قلوب العباد، فإذا قرب أجله مال بقلبه إلى الدنيا وأكل الحرام وفسق، وجعل علمه وصلاحه مصيدة لها، فيموت على ذلك،

---

(1) أخرجه أحمد (17881)، وعبد بن حميد (364)، ومسلم (2702)، وأبو داود (1515)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (446)، وابن حبان (931)، والبغوي (89)، والطبراني (887).

(2) أخرجه أحمد (8076)، والبخاري (2897)، ومسلم (111).

فيحشر مع الفجار؛ يعني: عصاة المسلمين. فافهم.

جوهرة

سألت شيخنا رضي الله عنه عن إبليس: كيف شقي مع قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: 64]؟

فقال رضي الله عنه: إنما حصل الشقاء لإبليس من قسمه بعزة الله ليغوينهم أجمعين، وكان ذلك إجابة سؤال له من الحق تعالى ومن هنا شقي، فلو أن الحق تعالى قال له ابتداءً استفزز وأجلب وشارك وعد وامتثل ذلك ما شقي أبدًا، ولكن قد جعل الله لكل شيء سببًا.

فلما قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: 82] شقي هو لها، وهذا جزاء من طلب أن يشقي غيره، فهو تنبيه لنا من الحق ألَّا نقصد وقوع ما يؤدي إلى الشقاء لأحد، فإن ذلك نعت إلهي، فهو كمال في حق الحق نقص في حق الخلق، فاعلم ذلك.

درة

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: شؤون الحق في اليوم والليلة على عدد أنفاس الخلائق، وعدد أنفاس كل واحد في اليوم والليلة أربع وعشرون ألف نفس، للحق تعالى في كل نفس منها شأن بيديه، فمن عرف عدد أنفاس الخلائق كلها عرف عدد الشؤون الإلهية ﴿وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247].

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: ينبغي إشاعة حديث القيامة: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**»(1) يعني: العوام وغيرهم؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك إلا ليعلم أمته أنه أول من يفتح باب الشفاعة، فيريحهم في ذلك اليوم من الكرب والضيق، فيأتون قبله إلى نبي بعد نبي، بل يصيرون حتى يفرغ الناس من سؤال الأنبياء، ثم يأتونه صلى الله عليه وسلم هكذا فهمنا الله تعالى من هذا الحديث، فإن الأنبياء لا تزكي أنفسها إلا لغرض صحيح.

(1) أخرجه مسلم (2278)، وأبو داود (4673)، وأحمد (10985)، وابن أبي شيبة (31728).

ونظير ذلك مدح الملائكة نفسها بقولها: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30] فما قالت ذلك إلا بيانًا لشرف آدم، فإن تعظيمها أنفسها بين الملأ، ثم سجودها له أكمل من سجودهم وهم مجهولوا المقام، وإنما قال ﷺ: «**ولا فخر**» أي: لا فخر لي بالسيادة، وإنما الفخر لي بالعبودية، فعلم أنه لا يأتي يوم القيامة إلى نبي بعد نبي إلا من لم يبلغه هذا الحديث، أو بلغه ثم نسيه، وأن تخصيصه السيادة بيوم القيامة إنما هو من حيث حضور الأولين والآخرين فيه، فيكون سيد الكل من غير غيبة أحد ممن له السيادة عليه. انتهى.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: 8] كيف شهد لهم بالصدق ثم يسألهم؟

فقال رضي الله عنه: ليس المراد به ما يتبادر إلى الأذهان، وإنما المراد به نحو الغيبة والنميمة وإفشاء أحد الزوجين ما يفعله مع صاحبه في الفراش، فإن ذلك صدق مع أنه حرام، فليس كل صدق يكون حقًا، فإن الحق ما وجب فعله، والصدق ما أخبر به على الوجه الذي هو.

ثم قد يجب فيكون حقًا وصدقًا، وقد لا يجب فيكون صدقًا لا حقًا، فمن أدى الحق الذي وجب عليه نجا، ومن أدى الصدق الذي منع منه هلك، فالغيبة والنميمة مثلاً صدق لا حق؛ لأن الله حرمهما وجعلهما من قسم الباطل وإن كان صدقًا، ولو كانت الغيبة مثلاً حقًا لم يسأل الله صاحبها عليها؛ إذ هو قائم بالحق الذي هو عليه، فما كل صدق حقًا، وثم من الحقوق ما يقتضي الثناء الجميل على أمر لا يوفيه، كالمجرم المستحق للعقوبة بإجرامه يعفو عنه صاحب الحق، فهذا حق قد أبطل وهو محمود، فتأمل ذلك فإنه نفيس.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الإلهام: هل يُقال في المذموم حتى يجوز أن يقول العبد: ألهمني الله تعالى الزنا أو شرب الخمر مثلاً بناء على ما فهمه من قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: 8].

فقال: لا يُقال: «ألهمني الله كذا» إلا في الخير فقط أدبًا مع الله تعالى، كما أشار إليه حديث: «**والشر ليس إليك**»[1] وأمَّا الآية فمعناها: ألهمها فجورها؛ لتجتنبه لا لتعمل به، وألهمها تقواها؛ لتعمل به، فليس في كلام الله تعالى تناقض؛ إذ النفس محل قابل لما تلهمه من الفجور والتقوى؛ لتجتنب الأول وتسلك سبيل الثاني.

فقلت له: فهل النفس أمارة بالسوء على الإطلاق، كما قصَّ الله علينا ذلك في قصة يوسف عليه السلام أم أمر نسبي؟

فقال رضي الله عنه: ليست النفس بأمارة بالسوء من حيث ذاتها، وإنما نسب ذلك إليها لما قلنا بأنها قابلة لإلهام الشيطان لها بالفجور، فإنها هي المحركة للجوارح بما يغلب عليها من الفرس.

قلت: ورأيت في كلام الشيخ محيي الدين ما نصه: وصف النفس بأنها أمارة بالسوء ليس هو من قول الله أصالة، وإنما هو حكاية عن قول زُلَيْخا، والعارفين يفرقون بين ما يحكيه الله تعالى عن نفسه، وبين ما يحكيه عن عباده. انتهى.

ويصح حمل قول زُلَيْخا: أن النفس لأمارة بالسوء، بحكم العرض إذا وسوس لها القرين، والله أعلم.

فقلت له: فهل الإلهام من قسم الوحي؟

فقال: نعم، وسمي وحي المبشرات وحقيقته أنه خبر إلهي على يد ملك مغيب عن ذلك الملهم، فما انقطع بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا وحي التشريع فقط، أمَّا التعريف بأمور مجملة في الكتاب أو السنة فهو باق إلى هذه الأمة؛ وذلك ليكونوا على بصيرة فيما يدعون الناس إليه من الشرع الكريم.

فقلت له: فهل يأتي ملك الإلهام بشيء يخالف الشرع الظاهر؟

فقال: لا يأتي إلا بما يوافق صريح السنة أو معناها، فهو محفوظ، وإن وقع فيه غلط فذلك الغلط راجع إلى عين الفهم لا إلى عين العلم.

(1) أخرجه مسلم (1848)، وأبو داود (760).

فقلت له: فهل ملك الإلهام رقائق ممتدة من الملائكة أو نفس الملائكة؟

فقال: لا أعلم.

قلت: وقد رأيت في كلام الشيخ محيي الدين - قدس سره - ما نصه: اعلم أنا لا نعني بملك الإلهام حيث أطلقناه إلا الرقائق الممتدة من الأرواح الملكية لا نفس الملائكة، فإن الملك لا ينزل إلا على غير قلب نبي أصلاً، ولا يأمر بأمر إلهي جملة واحدة، فإن الشريعة قد استقرت وتبيَّن الغرض والواجب وغيرهما، فانقطع الأمر الإلهي بانقطاع النبوة والرسالة، وما بقي أحد من خلق الله يأمره الله بأمر يكون شرعًا مستقلاً يتعبد به أبدًا؛ لأنه إن أمره بغرض كان الشارع قد أمر به، وإن أمره بمباح، فلا يخلو إمَّا أن يكون ذلك المباح المأمور به صار واجبًا أو مندوبًا، وإن أبقاه مباحًا كما كان فأي فائدة للأمر الذي جاء به ملك الإلهام لهذا المدعي؟

قال: فإن لم يجبني بذلك ملك الإلهام، وإنما أمرني الله به من غير واسطة.

قلنا: لا يصدق في مثل ذلك، وهو تلبيس من النفس، فإنه ادعى أن الله تعالى كلمه كما كلم موسى، ولا قائل به، ثم إنه تعالى لو كلمه ما كان يلقي إليه في كلامه إلا علومًا وأخبارًا لا أحكامًا وشرعًا ولا يأمره.

درة

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما السبب المانع للعبد من سماع كلام الله تعالى مع أنه تعالى متكلم على الدوام وأقرب من حبل الوريد؟

فقال رضي الله عنه: المانع من ذلك وجوب حجاب البشرية، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا﴾ [الشورى: 51] فلو انكشف حجاب العبد ليسمع كلام الله كما تسمعه الملائكة فما سمي الإنسان بشرًا إلا لمباشرته للأمور التي تعوقه عن اللحوق بدرجة الروح.

فقلت له: فما أكمل الإلهام؟

فقال: أن يلهم العبد لاتباع أوامر الشرع واجتناب نواهيه، فلا يخل من ذلك بشيء، والله أعلم.

مرجان

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: ذهب بعضهم إلى أن التفكر يضر المبتدئ، والذكر أنفع له، والذي نذهب إليه: أنه ينفع المبتدئ؛ وذلك لأن القلب أو النفس أو الروح أو السر أو غيرها من المعاني الباطنة كل منها يألف صفاته الباطنة، فإذا ألف التفكر بولد، وهما والولد يولد خيالاً، هي والخيال يولد علمًا، والعلم يولد يقينًا، فلا يزال العبد المتفكر يترقى بهمته وفكره إلى مقام كماله، فإذا بلغ ذلك المقام أخذ ما كان يدركه بالنظر وبالتفكر مطلوب من المبتدئ لما ذكره الشيخ، وأمَّا المنتهي فلا يحتاج إليه؛ لأنه مستغن عنه بالشهود، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: من شرط كل كامل أن يهرب بنفسه من مواضع التهمة أكثر مما يخاف من وجود الألم، فإن مواطن التهم توجب السقم على القلب، كما توجب الأغذية الفاسدة السقم على البدن، لاسيما وأطباء القلوب قليل، فإياك ومواطن التهم وإن كنت كاملاً، فإنها تحكم عليك ولو كنت بريئًا، كما تحكم الشمس بضيائها على الأمكنة، والله أعلم.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه **عن الملائكة**: لم جعل لها أجنحة مع أن صعودها إلى جهة العلو إنما هو بحكم الطبع لا تحتاج إلى أجنحة؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

قلت: قد رأيت في كلام الشيخ محيي الدين ما نصه: اعلم أن الملائكة إنما جعل الله لها أجنحة من أجل النزول فقط دون الصعود، عكس الأجسام العنصرية من الطيور، وذلك أن الملائكة تجري بطبعها إلى محل صدورها من الأفلاك، فإذا نزلت إلى الأرض نزلت طائرة بتلك الأجنحة، وإذا صعدت إلى أفلاكها صعدت بطبعها بحركة طبيعية حتى أنها لو لم تحرك أجنحتها لصعدت إلى مقرها ومقامها بذاتها.

وأمَّا الطير العنصري فإنه يحرك أجنحته للصعود ولو لم يحركها وبسطها لنزل

إلى الأرض بطبعه، كما أن الحجر إذا رميته ينزل إلى الأرض بطبعه، فما بسط الطير العنصري جناحه للوزن في النزول؛ لأنه لو لم يزن نفسه وبقي مع طبعه تأذى في النزول لقوة حكم الطبع، فحركة جناحه في النزول حركة حفظ لا غير.

فقلت له: فهل كان عروج الرسل من البشر إلى السماوات بطبعهم كالملائكة أم كان تبعًا للبراق؟

فقال: كان عروجهم تبعًا للبراق، وكذلك لما عُرج برسول الله ﷺ إلى المقام الذي لا يتعداه جبريل، قال: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: 164] حيث كان عروجهم إلى السماء رجوع إلى أصلهم الذي خلقوا منه، بخلاف الرسل من البشر، فلو أن الحق تعالى أراد لجبريل الصعود إلى فوق ذلك المقام الذي وقف عنده لما صعد إلا محمولاً، مثلما حمل رسول الله ﷺ.

وتأمل البراق لما وصل برسول الله ﷺ إلى المقام الذي لا يتعداه البراق، تدلى رسول الله ﷺ الرفرف، فنزل عن البراق وركب على الرفرف الذي هو نظير المحفة عندنا، ثم لما وصل المعراج الرفرف إلى مقام لا يتعداه الرفرف زجَّ به في النور، كما ورد في الحديث الثابت كشفًا ونقلاً، فتأمل ذلك فإنه نفيس، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الكواكب المشهودة للخلق: هل هي ملائكة، أم هي منازل لهم؟

فقال رضي الله عنه **الذي أعطاه الكشف**: إن أجرام هذه الكواكب إنما هي منازل الملائكة، إنما هي أحكام منازل الملائكة، وأمَّا أعيانهم فلا يدركها إلا أهل الكشف التام، فيدركون الملائكة في منازلهم، والله أعلم.

كِبريت أحمر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل بين ملائكة السماوات وبين العالم السفلي منا ارتباط كما ذهب إليه الشيخ محيي الدين- قدس سره ـ.

قال: نعم، فلا بد أن يكون بين الرسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة

جميع أمور العالم من القضاة وغيرهم ارتباط بالملائكة العلوية برقائق محتدة إليهم بالعدل، مطهرة من الشوائب، مقدسة عن العيوب، فيقبل هؤلاء الولاية الأرضون منهم بحسب استعداداتهم، فمن كان استعداده حسنًا قويًا قبل ذلك الأمر على صورته طاهرًا مطهرًا، فكان والي عدل، ومن كان استعداده منهم رديئًا قبل ذلك الأمر الطاهر ورده إلى شكله من الرداءة والقبح والجور، فكان والي جور ونائب ظلم وبخل، فلا يلومن إلا نفسه، والله أعلم.

زمرد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن سماع الأشعار والتغزلات التي قصد بها أربابها العشق لكون من الأكوان: هل يكره؟

فقال رضي الله عنه: نعم يكره ذلك، بخلاف ما فيه حكمة أو قصد به محبة الله تعالى أو محبة رسله وأوليائه والمؤمنين، ككلام حسان بن ثابت، وكلام سيدي عمر بن الفارض، وكلام بني الوفا رضي الله عنهم فإن هذا مما أهل به لغير الله تعالى وهو حلال قولاً وسماعًا وكتابةً، والله أعلم.

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: 56].

وعن قوله: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: 186].

وعن قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: 272] ونحوها من الآيات، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7]؟

فقال رضي الله عنه: اعلم أن للهداية أثر من أثر إلهي وهو المراد، فالآيات الثلاث الأول ونحوها، والركوني وهو المراد بالآية الأخيرة، ثم إنه يعود أيضًا الأثر الإلهي؛ لأن الهادي الكوني لا يكون إلا رسولاً من عند الله تعالى، فهو مبلغ لا هادي؛ يعني: لا موفق، وإنما هو مبين.

قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44].

وقال في الهداية التي هي التوفيق: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ يعني: أن توفقهم لقبول ما أرسلتك به وأمرتك ببيانه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: 272] أي: يوفق من يشاء ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125] أي: القابلين للتوفيق، فعلم أن للهادي الذي هو الله تعالى الإبانة والتوفيق، وليس للهادي الذي هو المخلوق إلا الإبانة خاصة.

قلت: وبهذا التقدير سقط قول من قال: لو كان الواعظ صادقًا في وعظه لأثر ذلك في قلوب السامعين، فإنه لا أصدق من الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومع ذلك فما أطاعهم من أممهم إلا القليل، ويحتمل أن يكون قول هذا القائل أكثريًا لا كليًّا، والله أعلم.

مرجان

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: 114] هل المراد العلم الخاص به من معرفة الله تعالى والفهم في كلامه، أو زيادة أحكام التكاليف المتعلقة بأمته؟

فقال رضي الله عنه: المراد به ـ والله أعلم ـ الأول؛ وذلك لأن زيادة الأحكام توجب زيادة التكاليف على الأمة.

وقد كان ﷺ يقول: «**اتركوني ما تركتكم**»(1).

وكان يقول: «**إنما هلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم**»(2).

وكان يقول: «**إن الله تعالى سكت عن أشياء رحمة بكم فلا تسألوا عنها**»(3) أو كما قال، وقال لمن سأله عن فريضة الحج: أكُل عام هي يا رسول الله؟ قال: «**ولو قلت: نعم لوجبت، ولم تستطيعوا**»(4).

---

(1) أخرجه عبد الغني المقدسي في نهاية المراد (69).

(2) أخرجه البخاري (6858)، ومسلم (1337)، والنسائي (2619)، وابن ماجه (2)، والشافعي (1/ 272)، وأحمد (7492).

(3) أخرجه البيهقي في الكبرى (20217)، والدارقطني (4445)، والطبراني في الصغير (1111).

(4) أخرجه مسلم (3321)، والنسائي (2618).

فقلت: فهل للإنسان أن يسأل الله الزيادة من علم الحال؟

فقال: لا؛ لأن زيادة الحال تورث كثرة الإنكار على صاحبها، فكلما زاد حال العبد زاد إنكار الناس عليه، بخلاف العلم الإلهي اللدني، فإنه يزيد صاحبه إيضاحًا وكشفًا واتساعًا وانشراحًا، والله أعلم.

درة

سمعت شيخنا يقول في حديث: «الأقربون أولى بالمعروف»[1] اعلم ألَّا أقرب إلينا من الله، فنحن أقرب جار له تعالى، وإذا كنا أقرب جار له فنحن أولى بمعروفه ومغفرته ومسامحته، وهو تعالى أولى من وفى بحق الجوار.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: طلب الكامل ثواب أعماله من الله تعالى لا يضره؛ لأنه لا يطلب إلا من باب المنة إثباتًا للحكم الإلهي بخلاف العامة، فإن مشهدها الاستحقاق لما طلبت جزاءً لأعمالها هي، فيشترك العامي مع الكامل في طلب الثواب، ويفترقان في الباعث على ذلك، كالخوف يوم الفزع الأكبر يشترك فيه الرسل مع العامة، فإن خوف الأنبياء ذلك اليوم إنما هو على أممهم لا على أنفسهم، فإنهم الآمنون ذلك اليوم، وخوف العامة لا يكون إلا على أنفسهم، والله أعلم.

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الأنبياء: 112] وهل يحكم الله تعالى إلا بالحق؟

فقال رضي الله عنه: ليس المراد بهذا السؤال من رسول الله ﷺ إلا إظهار العبودية؛ أي: يا رب، احكم بيني وبين من لم يؤمن بي بالحق الذي وعدتني أن تفصل بيني وبينهم به، ليثبت عندهم صدقي، والله أعلم.

درة

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: كلَّما قصر باع صاحب الكلام قلَّت معانيه،

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (7/ 288).

فأوسع الكلام كلام الله، ثم كلام رسول الله ﷺ، ثم كلام الأئمة المجتهدين.

قال: ومن هنا قلنا: بأن من جلّ مرادات القوم فهو جاهل، إلا أن يكون ذلك بتعريف إلهي.

فقلت له: فما شرط من يفسر القرآن بفهمه؟

فقال: شرطه ألَّا يخرج عما يحتمله اللفظ، فإن فسره مما لا يحتمله اللفظ، فهو قائل برأيه في القرآن لا مفسر، ومن قال في القرآن برأيه ضلَّ، فإنه لا يكون برأيه حتى يكون ذلك الوجه الذي فسر به لا يعلمه أهل ذلك اللسان في تلك اللفظة، ولا اصطلحوا على وضعها بإزائه، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: 108] ما هذه البصيرة التي يكون عليها الأتباع؟

فقال رضي الله عنه: البصيرة التي يكون عليها من اتبعه ﷺ أن يدعو إلى ما صرحت به الشريعة أو أجمع عليه العلماء فقط، وليس المراد من يدعو إلى الله تعالى بفهمه؛ لأنه قد يحكم بشيء ثم يبدو له خلافه فيتركه، ولو أنه كان على بصيرة ما تزلزل عن علمه الأول.

فالبصيرة لهؤلاء الأتباع حقيقة كالضروريات للعقول؛ لأن فتيلتهم التشريعية اتقدت من سراج محمد ﷺ كما اتقدت فتيلة محمد من سراج جبريل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وصاروا يدعون إلى الله تعالى، كما يدعو رسول الله ﷺ في نوره وأمداه كما أشار إليه بقوله: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: 108].

وكما أن الرسل بعد أخذها عن جبريل لم تستند في دعائها إليه، بل إلى الله، كذلك من دعا الله على بصيرة من الأمة صار ينتسب في الدعوة إلى الله لا إلى رسوله، ولذلك قيل في الرسل: «إنهم رسل الله لا رسول جبريل».

وفي الدعاة من الأمة: «إنهم دعاة إلى الله لا إلى نبيهم» فعلم أن الرسل لم تدع الناس قط إلى أنفسها، إنما يدعوهم إلى ربهم، أجابهم المؤمن فمشى إلى حضرة ربه على الطريقة التي شرعها له ذلك الرسول، فإذا وصل إلى حضرته تلقاه الحق تلقي إكرام وهبات وعطاء ومنح، فصار يدعو كذلك على بصيرة كرسوله،

لكن يزيد رسوله عليه بحكم الإفاضة؛ إذ ليس لتابع علم إلا بواسطة متبوعه، فاعلم ذلك، والله أعلم.

لؤلؤ

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: إياك والتأويل فإنه ما دخل على إبليس الشقاء إلا من التأويل، فإنه لما رأى نفسه مخلوقًا من نار، ورأى النار أقرب إلى الإضاءة النورية من الطين، والنور اسم من أسماء الله تعالى، قال حين ذلك: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [ص: 76] فلو أنه سلم العلم إلى الله تعالى لما شقي، وكان يطلعه الحق تعالى على ما خص به آدم من أوصاف الكمال التي لم تكن عند إبليس ولا عند الملائكة؛ ولذلك اعترضوا، فانظر يا ولدي آفة التأويل، والله أعلم.

بلخش(1)

سألت شيخنا رضي الله عنه **عن شهادة الأعضاء على أصحابها يوم القيامة**: هل تشهد بوقوع الأعمال منها فقط أم لا تتم شهادتها حتى تتعرض لوصفها بالمعصية؟

فقال رضي الله عنه: إذا شهدت الجوارح على النفس المديرة لها لا تشهد إلا بوقوع العمل فقط، لا تتعرض في شهادتها لوصفها بالمعصية؛ لأنه لا خير لها بما قصدته النفس من ذلك، ولا تعرف أن ذلك الفعل مشروع ولا غير مشروع، والله أعلم.

ياقوتة

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 3] ما المراد

---

(1) يسمى «اللَعل» بالفارسية، وهو جوهر أحمر شفاف مسفرٌ صافٍ يضاهي فائق الياقوت في اللون والرونق، ويتخلَّف عنه في الصلابة حتَّى إنَّه يحتكُّ بالمصادمات، فيحتاج إلى الجلاء بالمرقشيثا الذهبيَّة. وهو أفضل ما جلي به هذا الجوهر. ومنه ما يشبه الياقوت البهرمانيّ. ويعرف «بالبازكيّ» وهو أعلاها وأغلاها. وكان يباع في أيّام بني بويه بقيمة الياقوت، حتّى عرفوه، فنزل عن تلك القيمة، وقرّر أن يباع بالدرهم دون المثقال، تفرقةً بينه وبين الياقوت. [نخب الذخائر في أحوال الجواهر] بتحقيقنا.

بإقامتها؟ وهل يدخل النقص في صلاة غير الإنس والجن من الملائكة والجماد والحيوان كما يدخل في صلاتنا، فإن الله تعالى قال: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: 41]؟

فقال ﷺ: إقامتها هي ظهور نشأتها على أتم خلقتها، وخلقتها تختلف باختلاف من تنسب إليه من ملك وبشر وغيرهما، ولا يدخل في صلاة من ذكر نقص، بل صلاتهم كلهم تامة الخلق والنشأ؛ لأنهم خلقوا على مقامات لا يتعدونها فلا ترقي لهم ولا نزول، والله أعلم.

جوهرة

سمعت شيخنا ﷺ **يقول**: الشكر لله بالعمل أشق على النفس من الشكر بالقول، وقد قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: 13] ولم يقل: «قولوا شكرًا» والأمة المحمدية أولى بهذه الصفة من كل أمة؛ إذ كانت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110].

فالشكر بالعمل عبادة مغفور عنها، بخلاف الشكر بنحو الحمد لله أو الشكر لله، فإنه لفظ ما فيه كلفة، ولما قام ﷺ حتى تورمت قدماه، وقيل له في ذلك قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(1) فلم يقول: شاكرًا، فعلم أن الشكر بالعمل قليل كما أشار إليه قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13].

فقلت: إذا كان الشكر لله قليلاً من عباده الأخصَّاء المصافين إليه، فكيف بشكر من هو عبد شهوته وبطنه من أمثالنا.

فقال: نقول كلنا: أستغفر الله العظيم، انتهى، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا ﷺ عن قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: 23] هل المراد به القرابة الطينية أو المعنوية أو الصورية؟

(1) أخرجه البخاري (1130)، مسلم(7302).

فقال رضي الله عنه: القرابة تعم الصور الثلاثة، ولكن إلى أفهام الناس القرابة الطينية.

قلت له: فما أعلام مراتب القرابة؟

قال: المعنوية كالأولياء المكملين، ثم القرابة الصورية، كالأئمة والخلفاء القائمة بالعدل من أمته قبل بعثه ﷺ أو بعدها، ثم القرابة الطينية؛ وذلك لأن الولي ولده الشيخ القائم بما تهيأ لقبوله من معناه؛ ولذلك قال ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**»[1] إشارة إلى القرابة المعنوية.

فقلت: فإذا من أجمع الصفات الثلاثة فقد حاز الكمال في القرب؟

فقال: نعم ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: 54] فالعارف يفرق بين المراتب الثلاث في المودة، فيزيد في الود للقرابة الروحية على الصورية، والصورية على الطينية.

فقلت له: فهل الود المحبة أو شيء آخر؟

فقال: الود هو ثبات المحبة، فإذا لم يكن فيها ثبات فهي محبة لا ود، والله أعلم.

در

سألت شيخنا رضي الله عنه على تلاوتنا لما حكى الله تعالى عن المنافقين والمشركين من كلمات الكفر والشتم: هل نثاب على تلاوتها، كما نثاب على تلاوة ما فيه تمجيد لله تعالى وتعظيم له؟

فقال رضي الله عنه: نعم، ووبال تلك الكلمات لا تعود إلى قائلها فقط.

فقلت له: فهل يحرم مس تلك الكلمات المحكية بغير طهارة؟

فقال: نعم؛ لأن الحكم دائر مع كل ما يسمى كلام الله سواء كان محكيًا أو أصليًا.

فقلت له: إن كلام الله تعالى قديم لا أول له، وكلام خلقه حادث لا يكون إلا بعد كلام الله، فكيف يتصور الحكاية؟

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (6539)، والطبراني في الكبير (5908).

فقال رضي الله عنه: حضرة الله تعالى لا زمان فيها لا ماض ولا آت ففهمت ما تحته.

زمرد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن العلوم المكتسبة بالرياضة أيام الفترة: هل هي من علوم الأنبياء الموروثة؟

فقال رضي الله عنه: ليست من علوم الأنبياء، وإنما هي متلقاة عن الأرواح الملكية بقدر ما عليها أصحابها من الاستعداد والمناسبة أو متلقاة من طريق النظر الفكري لا غير.

در

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: ما تكلم أحد بكلمة إلا صارت صورة متشكلة في الهواء، ثم تتصل بالسمع على صورة ما نطق بها المتكلم، فالجو كله مملوء من كلام العالم، ومن تطورات أعمالهم، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: لا نوم للملك أبدًا؛ لأن النوم إنما هو خاص بما تحت القمر، أمَّا فوقه فلا نوم.

فقلت له: فما حكمة النوم في هذه الدار؟

فقال: ليشاهد النائم حضرة الخيال في العموم، فيعلم أن ثم عالما آخر يشبه العالم الحسي، وليألف الإنسان أيضًا البرزخ الآتي بعد الموت.

وسمعته رضي الله عنه **يقول في قوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا جليس من ذكرني»**[1].

فقال: قول الله تعالى صدق، وهو بنفسه عليم، ولكن لا يخلو العبد الذي يجالس الحق، إمَّا أن يكون ذا بصر قوي قلبي أو لا يكون، فإن كان ذا بصر قوي كالأنبياء وكمل الأولياء فإنه يشهد الحق تعالى بقلبه، ويعلم أنه جليسه بلا شك، وإن يكن ذا بصر قوي فهو يشهد الحق تعالى من طريق الإيمان، كالأعمى يعلم أنه جليس زيد وإن كان لا يراه، أو يراه بحس الإيمان لا بحس الشهود.

(1) أخرجه البيهقي في الشعب (699).

فقلت له: فما أعلى مشهد أمن يعلم أن الله تعالى يراه أو من يزعم أنه يرى الله من الشاطحين؟

فقال: علم العبد بأن الله تعالى يراه أكمل لكونه أقوى في التنزيه.

فقلت له: فما عدد مجالس الحق تعالى في طاعاته؟

فقال: هي على عدد المأثورات الشرعية والمنهيات الشرعية، فإنه لا يمتثل أمر الله إلا وهو يشاهده، ولا يجتنب نهيه إلا وهو يشاهده، ولا يفعل مباحًا إلا وهو يشاهد إباحة الحق له، وقد يفعل ذلك من غير مشاهدة، فلا يكون له من الجلوس مع الله سوى الاسم فقط، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ياقوتة

سألت شيخنا رضي الله عنه: أيما أحق بمراعاة الأدب والإحسان: أُمّ الإنسان من الولادة، أم أمه من الرضاعة؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم، ولكن قد بلغنا عن الشيخ محيي الدين ـ قدس سره ـ أنه كان يقول: مراعاة حق الأم من الرضاع أولى؛ لأن أم الولادة حملته من جهة الأمانة فتكون فيها وتغذى بدم طمثها من غير إرادة لها في مثل ذلك، فما تغذى بما لو لم يخرج منها لهلكت أو مرضت وهكذا أم الرضاع، فللخبير المنَّة على أمه من الولادة.

أمَّا الأم من الرضاع فإنما قصدت برضاعه حياته وإبقاءه، ولهذا المعنى الذي نبهناك عليه جعل الله تعالى المرضعة لموسى أم ولادته، فلم يقبل ثديًا غير ثدي أمه، حتى لا يكون لأجنبي عليه فضل، وهكذا كل من يكون في كلاءة الحق وحفظه.

فقلت له: إن رسول الله ﷺ قد أرضعته غير أم الولادة؟

فقال: ما أرضعه من أرضعه إلا على وجه التكريم والتشريف به، فكانت المرضعة ترى لرسول الله ﷺ الفضل عليها.

وأمَّا موسى عليه السلام فما ارتضع على أم ولادته إلا تمهدًا لإقامة الحجة عليه إذا كبر، فقد حكي أنه لما كان كَلًّا على بني إسرائيل ليس له حرفة.

فقال: يا رب، جعلتني كَلًّا على بني إسرائيل وخزائنك ملآنة، فأوحى الله

تعالى إلى موسى: يا موسى، إذا كان خلقك مع بني إسرائيل في الشدة ما أرى من احتياجك إليهم، فكيف إذا أغنيتك عنهم، فسكت موسى عليه السلام.

در

قلت لشيخنا رضي الله عنه: لِـمَ لم يشتهر عن الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ التكلم باللسان الغريب الذي عليه الصوفية؟

فقال رضي الله عنه: إنما لم يتكلم الأنبياء بلسان الباطن؛ لأجل عموم خطابهم للأمة واعتمادهم على فهمهم، والرسل لا تعتبر بالأصالة إلا فهم العامة دون الخصوص، ولذلك جاء غالب الشرائع على فهم العامة في التشبيه، ولم يجيء على فهم الخاصة إلا بعض تلويحات، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: 180] ونحو ذلك.

قلت: قد حكي أن الشارع قد تكلم ببعض الإشارات التي للقوم، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «**أتعرف يوم يوم؟**» **فقال**: نعم يا رسول الله، لقد سألتني عن يوم المقادير[(1)].

وقال له مرة: «**أتدري ماذا أسألك عنه؟**» فقال رضي الله عنه: هو ذاك، فقال صلى الله عليه وسلم: «**هو ذاك**»[(2)] هكذا نقله الشيخ تاج الدين بن عطاء الله[(3)] ـ قدس سره ـ والله أعلم.

---

(1) ذكره ابن عجيبة في إيقاظ الهمم (ص176).

(2) المصد السابق، نفسه.

(3) أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الشيخ تاج الدين أبو الفضل الجذامي السكندري الشاذلي. إمام تاج علمه مرتفع، وشمل فضله مجتمع، وخبر نعته مشتهر، ودر حكمه منتشر، ومصنفاته مفيدة، وحلل ذكره على مر الأيام جديدة. هجر النوم وقلاه، ولو لم يكن له غير كتاب التنوير لكفاه.
قال التاج السبكي: أراه كان شافعيًا، وقال غيره: كان مالكيًّا. وله اليد الطولى في العلوم الظاهرة، والمعارف الباطنة، إمام في التفسير والحديث والأصول، متبحر في الفقه، وله وعظ يعذب في القلوب، ويحلو في النفوس. وكان قد تدرب بقواعد العقائد الشرعية، وهذبته العلوم، فاستدل بالمنطوق على المفهوم، فساد بذلك العصابة الصوفية، فكان له من الرياسة شرب معلوم، وهو صاحب كتاب الحكم الذي من تأمله قال ما هذا منشور، إن هذا إلا لؤلؤ منثور، كل سطر منه جنة قد حُفت بالثمار، وأحدقت بأنوار الأزهار، =

وسمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: ليس كل رسول خليفة.

فقلت له: لِـمَ لا؟

فقال: لا يسمى خليفة من الرسل إلا من قاتل على البلاغ وحمايته بالسيف وعزل وولى، وليس ذلك لكل رسول.

جوهرة

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما الحكمة في كون الحق تعالى لم يجب عبده في كل ما سأله فيه من الحوائج في هذه الدار؟

فقال رضي الله عنه: هي الحكمة في كون العبد لم يطع ربه في كل ما أمره به، فكما أمر الحق تعالى عبده فعصاه، فكذلك دعاه عبده فلم يجبه، وانظر إلى الملائكة لما لم تكن من عالم العصيان كيف أجابهم الحق تعالى في كل ما سألوه، بل أجاب من وافق تأمينه تأمينهم كما ورد[1].

فقلت له: فما هو الأفضل من أجيبت دعوته في هذه الدار، أم من ادخر له ما دعي به إلى الدار الآخرة؟

فقال رضي الله عنه: من ادخر له ذلك إلى الدار الآخرة، إلا أن يسأل ما يكفيه عن سؤال الناس، ولذلك قال ﷺ: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا**»[2] أي: لا يفضل من حاجتهم منه شيء.

= وكل شطر من سطر لو يباع بثمن بخس لاشتري بألف دينار. صحب العارف المرسي، وأخذ عنه جمع من الأعيان، وانتفع به خلق كثر، منهم شيخ الشافعية التقي السبكي. وأصله من الإسكندرية، ثم قطن مصر، وصار يعظ الناس ويرشدهم، وله الكلمات البديعة المفردة بالتدوين. 709 هـ ودفن بالقرافة بقرب بني الوفا قدس الله أسرارهم. انظر: مرآة الجنان (4/ 246)، طبقات السبكي (9/ 23)، المنهل الصافي (2/ 120)، الطبقات الشعرانية (2/ 20)، جامع كرامات الأولياء (1/ 317)، الكواكب الدرية (583)، وطبقات الشاذلية (97).

(1) إشارة إلى حديث: «إذا أَمَّنَ الإمامُ فَأَمِّنُوا، فإنه من وافق تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِهِ» أخرجه مالك (194)، وأحمد (7187)، والبخاري (747)، ومسلم (410)، وأبو داود (936)، والترمذي (250)، والنسائي (928)، وابن ماجه (852).

(2) أخرجه البخاري (6095)، ومسلم (1055).

فقلت له: إن الحق تعالى قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186].

فقال رضي الله عنه: الإجابة هي قول الحق تعالى للعبد: لبيك، إذا قال له: يا رب، ثم إن العبد يسأل بعد ذلك حاجته، فإن شاء أعطاه ما سأله فيه، وإن شاء ادخره له لدار البقاء، فكان أحسن وأحسن، وقد سأل النبي ﷺ ربه ثلاثة أمور من مصالح أمته، فأعطاه اثنين ولم يجبه في الثالث، وهو ألَّا يجعل بأس أمته فيما بينهم، وقال له في ذلك: جف القلم بما هو كائن.

فقلت له: فإذا سأل الإنسان مع التفويض.

فقال: لا حرج، فيقول: اللهم أعطني كذا مثلاً إن علمت أن لي فيه الخير.

زبرجد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] وقد قام الدليل السمعي والعقلي أنه لا خالق إلا الله.

فقال رضي الله عنه: لا مفاضلة حقيقية؛ إذ ما تم إلا أفعاله تعالى وإن وقع الاشتراك في اللفظ فالمعنى مختلف؛ إذ الفعل المنسوب إلى العبد لا يقع إلا بإذن الله تعالى، فلا وجود للمفاضلة في الخارج، وإنما جاءت لأجل ما يقوم في أوهام ضعفاء العقول، فإذا قال العبد: «الله أكبر» مثلاً، معناه: أكبر من كل ما يخطر بالبال.

فقلت له: فهل يثاب المتلفظ بالقرآن وهو لا يفهم معناه كالأعجمي الذي يتلوه ولا يفهم له معنى؟

فقال: نعم، كما يثاب العربي إذا تلا ما تشابه في القرآن والسنة، فإنه يذكر ربه به على مراد الله عز وجل فيه.

فقلت له: فما تقولوا في اسمه تعالى «المتكبر» صح أنه على صيغة المتفعل؟

فقال رضي الله عنه: الأمر راجع إلى العبد لا إلى الحق، فلا يزال الحق تعالى يتعرف لعبده شيئًا بعد شيء، وهو تعالى يتكبر في قلبه إلى نهاية ترقيه، فلذلك كان الحق متكبرًا. فافهم.

ماس

سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾

[آل عمران: 28] في هذه الآية تحذير عظيم للعبد أن يتفكر في ذات موجده، وإنما حذرنا تعالى من ذلك؛ لعلمه تعالى بأن القوة المفكرة لم تزل تطلب معرفة كنه موجدها سبحانه، ولا سبيل لها إلى ذلك، فهي قاصرة عن درك ما ترومه من معرفة ذاته تعالى؛ فمعنى الآية: ما حذرناكم من النظر في ذاتنا إلا رحمة بكم وشفقة عليكم؛ خوفًا أن تردوا بعقولكم ما وصفت نفسي به من الصفات على ألسنة رسلي، فتحرمون الإيمان فتشقون شقاء الأبد، فلو أنصفتم في طريق الأدب لما نظرتم قط إلى ذاتي، ولكنتم أمنتم بما جاءكم من عندي على ألسنة رسلي.

قلت: قد رأيت في كلام الشيخ محيي الدين ﷺ ما نصه: ما دعي الناس إلى التأويل إلا لقصورهم وعدم كشفهم، فإنه ليس في كلام العرب مجاز أصلاً إنما هو حقيقة؛ وذلك لأنهم وضعوا ألفاظهم حقيقة لما وضعوها له، فوضعوا يد القدرة للقدرة، ويد الجارحة للجارحة، ويد المعروف للمعروف وهكذا، ومن ادعى أنهم تجوزوا في ذلك فعليه الدليل ولا سبيل له إليه، ولما قالوا: فلانًا أسدًا، وضعوا هذا حقيقة في لسانهم أن كل شجاع يسمى أسدًا، فوضعوا هذا الإطلاق حقيقة لا مجازًا.

قال: ومن هنا تعلم يا أخي، أن كل ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر اليد والعين والجنب ونحو ذلك لا يقتضي بالتشبيه في شيء؛ إذ التشبيه إنما يكون بلفظ المثل أو كاف الصفة، ما عدا هذين الأمرين إنما هو ألفاظ اشتراك، فنسبها حينئذ متى جاءت إلى كل ذات بما تعطيه حقيقة تلك الذات، ولو أن هذه الصفات التي جاءت تستحيل عليه تعالى ما أطلقها تعالى على نفسه، ولكان الخبر الصادق كذبًا؛ إذ ما بعث رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم.

وقد بيَّن لنا ﷺ وبلغ وأشهد الله على أنه بلغ، فوجب علينا الإيمان بها على علم الله فيها، وجهلنا بكيفية النسبة إليه لا يقدح، والله أعلم.

لؤلؤة

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل مقام المعرفة هو بعينه مقام العلم أم بينهما تغاير؟

فقال رضي الله عنه: هما بمعنى واحد؛ لأنك إذا سألت القائل بمقام المعرفة أجاب بما يجيب به المخالف في مقام العلم، فالخلاف بين قوم في اللفظ لا في

المعنى، لكن لا يخفى أن الله تعالى يوصف بالعلم ولا يوصف بالمعرفة، أدبًا أن نصفه بما لم يصف به نفسه، والله أعلم.

ياقوت

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: سؤال العبد ربه أن يرفع عنه البلاء لا ينافي الصبر، فإن الله تعالى قد أثنى على أيوب عليه السلام بأنه أواب؛ أي: راجع إلى ربه فيما ابتلاه به أن يرفعه عنه؛ لأن العبد ضعيف إذ ذاك، وكلما ارتفع في مقام العبودية زاد ضعفه حتى يصير يتألم من قرصة البرغوث؛ وذلك لزوال نفسه التي كانت تقاوم القهر الإلهي. فافهم.

قلت: فالكامل من كان سائرًا مع مراد الحق في كل فعل مشروع لا مع مراد نفسه، فإن اقتضى الحال سؤال رفع البلاء، سأل عبودية وامتثالاً، وإن اقتضى التفويض سكت، فإن أيوب عليه السلام لم يسأل رفع البلاء ابتداء، ولما اقتضى له الحال في زمان آخر أن يسأل رفع ما به سأل فرفع الله عنه البلاء، كما قصَّ الله علينا ذلك، والله أعلم.

كبريت أحمر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: إني رأيت في كلام الشيخ محيي الدين رحمه الله أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: 5] ليس من قول الكفار، إنما هو من قول الله أو من قول رسوله.

قال: لأن عقول الكفار تعرف بالبديهة أن الإله لا يكون بجعل جاعل، فإن الإله بنفسه.

قال: ولهذا وقع التوبيخ عليهم في قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: 95] فكما تعجب الخليل عليه السلام منهم كذلك تعجب محمد صلى الله عليه وسلم.

قال: وإن الإله في ضرورة العقل لا يتأثر، وقد كان هذا الإله في زعمهم خشبة يلعب بها أو حجرًا يستجمر به، ثم أخذه هذا الكافر وجعله إله يذل له ويفتقر إليه، ويدعوه خوفًا وطمعًا، فمن مثل هذا هو الذي يقع من أجله التعجب مع وجود العقل.

قال: ومعنى الآية على هذا التقدير: أن إنكاركم التوحيد الذي جاء به محمد وعدم إنكاركم على أنفسكم التعدد لشيء عجاب. انتهى.

فقال رضي الله عنه: وكان في يده مسلة يخيط بها قفة، فوضعها وقال: أعده لي، فأعدته له، **فقال**: كلام نفيس ما طرق سمعي قط، والله أعلم.

در

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «**إن الله في قبلة أحدكم**»[1] لِـمَ خصص جهة القبلة مع أن الله تعالى في كل مكان بلا مكان؟

فقال رضي الله عنه: إنما خصص جهة القبلة في الصلاة شفقة على العبد، وتنبيهًا له على أن يراعي الأدب، وليعلم العبد بقرب الحق تعالى منه قرب مكانة لا مكان؛ ليتوجه إليه في وساوس الشيطان التي تعرض له في الصلاة، وليسأله تعالى أن يفهمه لدقائق غوامض الآيات المتشابهات، فإن صاحب الكلام أولى عند كل مقرب بسؤاله عن معنى كلامه ولا أقرب منه حينئذ للعبد.

قلت: وكان أخي أبي الفضل ـ رحمه الله ـ إذا توقفت عليه آية يسأل الله بقلبه فيطلعه عليها، وكان يخبر أنه يحصل بذلك لذة لا يقدر قدرها، رحمه الله تعالى.

ياقوتة

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول في قوله تعالى**: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة: 57] المراد بـ«أنفسهم»: أعيانهم وأمثالهم، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [النجم: 32] يعني: أمثالكم، وذلك أن الحق تعالى لا ينتقم أبدًا لنفسه، إنما ينتقم للعباد بعضهم من بعض، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى على لسان جبريل: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾ [مريم: 64] هل يدخل جميع الملائكة في ذلك؟

(1) أخرجه بنحوه البخاري (753)، ومسلم (7705).

فقال ﷺ: جميع الأرواح الملكية مع أرواح الكواكب لا تتنزل إلا بأمر ربها، لا تؤثر فيها خاصية ولا تنزل بها.

أمَّا أرواح الكواكب فتتنزل بالهمم وتؤثر فيها الخاصية من استخدام الأسماء وإطلاق البخورات ونحو ذلك، لكنه تنزل معنوي، فإن تلك الكواكب لم تبرح عن مكانها في السماء، وإنما الحق تعالى جعل لمطارح شعاعها في عالم الكون والفساد تأثيرات معتادة عند العارفين بها، كالري عند شرب الماء والشبع عند الأكل، حكمة أودعها الحكيم العليم.

بلخش

سألت شيخنا ﷺ عن قولهم: «من خاف الله تعالى في دار الدنيا كان آمنًا يوم القيامة» مع أنه ورد: «أن الأكابر تخاف يوم القيامة»؟

فقال ﷺ: خوف الأكابر يوم القيامة ليس على أنفسهم، وإنما هو على أتباعهم، وتأمل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥﴾ [مريم: 85] فإنه ما حشرهم إلا إلى حضرة الاسم «الرحمن» الذي يعطي الأمان، ما قال: نحشر المتقين إلى المنتقم ولا إلى الجبار أو القهار؛ لأن هذه الأسماء هي التي كانت مشهورة للمتقين في دار الدنيا؛ ولذلك اتقى رؤية الله إليه في حال عصيانه، فترك المعاصي جملة، ولو كان مشهوده اسما «الحنان» و«الحفيظ» و«الرحمن» لم يثق ولم يخف؛ لغلبة رجائه في الله أنه لا يؤاخذه، فقد علمت أنه لا يجتمع على عبد خوفان، ولا يجني كل إنسان في الآخرة إلا ما ذرعه هنا، والله أعلم.

مرجان

سمعت شيخنا ﷺ يقول في قوله تعالى امتنانًا على زكريا عليه السلام: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 9] في هذه الآية تنبيه: ينبغي للعبد أن يكون مع الله تعالى في حال وجوده بعدم الاعتراض والتسليم لمجاري الأقدار، كما كان في حال عدمه.

فقلت له: فإذًا شرف العبد وكماله في رجوعه إلى صورة ما كان عليه في العدم؟ **فقال**: نعم ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: 269].

زمرد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قولهم: «دائرة الولاية أوسع من دائرة الرسالة» ما معناه؟

فقال رضي الله عنه: لكل رسول من دائرة ولاية من العلوم والمعارف ما ليس له من دائرة رسالته؛ وذلك لأن الرسالة متقيدة بأحكام مخصوصة، والولاية أحكامها مطلقة، كما نبه على ذلك الخضر عليه السلام بقوله لموسى: «أنا على علم علمنيه الله تعالى لا تعلمه أنت» لكون علم الخضر كان من الله بلا واسطة، وليس للرسالة في ذلك مدخل.

قلت: وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام[1] رحمه الله يقول: مقام الولاية أتم من مقام الرسالة؛ لأن الولاية هي الجهة الحقانية الأبدية التي لا تنقطع في الدنيا ولا في الآخرة، وأمَّا الرسالة فينقطع حكمها بذهاب الأمم والتكاليف، وأيضًا فإن الولاية متعلقة بمعرفة الله تعالى، والرسالة متعلقة بمعرفة أحكامه في خلقه، فمتعلقها أشرف.

فعلم من إطلاقه أن كلامه محتمل لأن يكون المراد بالولاية هو: الولاية المعروفة مع رسالة الأنبياء، ومحتمل لأن يكون المراد: ولاية الرسول في نفسه مع رسالته هو، ولكن الأولى حمله على أن يكون المراد به: ولاية النبي مع رسالته في نفسه لا مع رسالته مع ولاية غيره من الأولياء؛ إذ لا يتعدى ولي قدم

---

(1) هو سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الحسن بن محمد بن مهذب السلمي المنوفي الدمشقي عز الدين الفقيه الشافعي، كان بمصر، ولد سنة 578 وتوفي سنة 660.

له: الإشارة والإيجاز في بعض أنواع المجاز في القرآن. أمالي في تفسير القرآن. الإمام في أدلة الأحكام. بحار القرآن. بداية السول في تفضيل الرسول. بيان أحوال الناس يوم القيامة (بتحقيقنا). ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام. رسالة في القطب والأبدال الأربعين وغيرهم. شجرة المعارف والأحوال (بتحقيقنا). شرح منتهى السؤل والأمل لابن الحاجب. الغاية في اختصار النهاية. القواعد الصغرى في الفروع. القواعد الكبرى. مقاصد الرعاية. فرائد الفوائد وتعارض القولين لمجتهد واحد. الفوائد في اختصار المقاصد. فوائد البلوى والمحن. الفرق بين الإسلام والإيمان. الفتاوى المصرية.

نبي أصلاً، فإن الولاية لا تصل قط لتبدأ النبوة ولا تجتمع بها في حد ولا حقيقة، فمن فهم عن القوم غير ذلك ففهمه خطأ، والسلام.

درة

سمعت شيخنا ﷺ **يقول**: جميع ما أعطاك الحق تعالى من غير سؤال أو بسؤال عن أمر إلهي فهو منه عليك ولا حساب عليك في الآخرة، بخلاف ما جاء عن سؤال وتطلُّع نفس، كما أشار إليه حديث: «**ما جاءك من هذا المال من غير تطلع ولا استشراف نفس فخذه فتموله، فإنما هو رزق رزقك الله ومالاً فلا تتبعه نفسك**»[1]، ورأيته مرة يرد سلة عنب أتاه بها شخص، فقلت له في ذلك؟

فقال: أعلمني بها قبل أن يحضر بها، فصارت النفس متشوقة إليها حتى حضرت، وقد نهى الشارع عن ذلك ﷺ.

ياقوتة

سألت شيخنا ﷺ عن قوله تعالى على لسان الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30]: أيهما أعم؟

فقال: التقديس أعمّ والتسبيح أخص؛ لأن التسبيح هو تنزيه الحق تعالى عن نقائص الإمكان والحدوث، وأمَّا التقديس فهو تنزيهه تعالى عن النقائص وعن سائر الكمالات الواقعة للبعد، بل عن كل ما يخطر بالبال من ذلك.

فقلت له: فما حكمة أمر الملائكة بالسجود لآدم؟

فقال: كان ابتلاؤهم بالسجود لآدم صادرًا عن إغضاب دقيق لا يشعر به إلا الراسخون في العلم، وهو ما في اعتراضهم من رائحة سوء الأدب بقولهم لسيدهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 30] فلو لم يقع منهم هذا الاعتراض ما ابتلوا بالسجود لآدم عليه السلام وإن كان آدم قبلة لهم فقط. فافهم.

قال: وهذا الحكم في كل انتقام إلهي للعالم لا يكون إلا بعد إغضاب؛ لأنه تعالى أوجد العالم بالرحمة، وليس من شأن الرحيم الانتقام ابتداء، فافهم علم ذلك.

(1) أخرجه بنحوه النسائي في الكبرى (2386).

فقلت له: فمن هؤلاء الملائكة الذين وقع منهم النزاع لأحكام الحق، ومعلوم أن الملائكة معصومون، فكيف الحال وقول الله صدق؟

فقال رضي الله عنه: لم يقع من الملائكة المعصومة نزاع من ملائكة الجبروت والسماوات؛ لأن هؤلاء لغلبة النورية عليهم وإحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف الإنسان الكامل ورتبته عند الله تعالى، وإنما وقع النزاع من ملائكة الأرض الذين لا عصمة عندهم من الجن؛ لأن هؤلاء هم الذين غلبت عليهم الظلمة والنشأة الموجبة للحجاب، وقد يطلق على الملائكة جن كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: 158] يعني: في قولهم: الملائكة بنات الله، فسموهم جنًّا؛ لاجتنانهم وخفائهم عن العيون.

قال بعضهم: وهم الجن والين، فهؤلاء الذين وقع منهم النزاع، وإلى ذلك الإشارة بتخصيص الأرض بالذكر في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] فما أتاهم رائحة الحسد لآدم إلا لكونه زاحمهم في الأرض، فقد علمت أن الطعن والاعتراض لا يصدر قط من ملائكة الجبروت؛ لأن النزاع لا يكون إلا في مركب من الطبائع الأربع لما فيها من التضاد؛ إذ المتكون منها لا يكون إلا على حكم الأصل.

فقلت له: إن الله تعالى قد وصف الملأ الأعلى بالخصام، في قوله حكاية عن رسوله ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩)﴾ [ص: 69].

وفي الحديث أيضًا: «**قلت: يا رب فيم يختصم الملأ الأعلى؟**»[1].

فقال رضي الله عنه: ليس خصام هؤلاء في الاعتراض على أحكام الله تعالى، إنما هو في بيان الأفضل من الأعمال حتى يتسارعوا إلى بني آدم يدعونهم إليه بلماتهم ويرغبونهم في ذلك الأجر العظيم، حتى لا يصير عندهم التفات إلى ما فيه أجر يسير مما كانوا يفعلونه، فهم كالرجلين المتناظرين في مسائل الحيض التي لا نصيب للرجال فيها.

فقلت له: فهل في هذا الخصام يسبحون الله تعالى به لكون الحق تعالى

---

(1) أخرجه بنحوه الترمذي (3235)، والطبراني (216)، والحاكم (1913)، وأحمد (22162).

وصفهم بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون؟

فقال: نعم؛ لأن خصامهم المذكور من جملة تسبيحهم، كما كان ﷺ يذكر الله على أحيانه، ومعلوم أنه كان يتحدث مع الأعراب، ويمزح مع الأطفال والعجائز ونحو ذلك، كل ذلك وهو ذاكرٌ لله تعالى؛ لأنه لا يتحرك ويسكن، إلا وهو في أمر مشروع يشاهد فيه من شرعه ﷺ.

فقلت له: فهل يلحق بخصام الملائكة المذكور خصام طلبة العلم في جدالهم ونصرتهم لمذاهبهم؟

فقال: نعم، إذا جادلوا بصريح السنة لا بالفهم، وكانوا في ذلك مخلصين، فإن قصدوا مغالبة الخصوم فلا؛ وذلك لأن الشارع نهى عن الجدال، وقال عندئذ: لا ينبغي التنازع، وحكم تقرير شرعه بعده في الأدب حكم حياته.

فقلت له: فهل أُرسل محمد ﷺ إلى جميع الخلق حتى الملائكة؟

فقال: في ذلك تفصيل كما قررناه لك مرارًا، وهو أن الملائكة ثلاثة أقسام:

أعلاهم: الملائكة العالون، وهم المهيمون في جلال الله تعالى، المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: 75] يعني: أن العالين لا يتوجه إليهم أمر رسول حتى يستكبروا عن امتثاله، بل عبادتهم ذاتية خلقوا عليها لا يحتاجون في فعلها إلى رسول يأمرهم فقط، ولا يحتاجون إلى من ينهاهم؛ لأنه لا يصح في حقهم عصيان، وهم ملائكة السماوات على اختلاف طبقاتهم.

ما عدا العالين: فهؤلاء لا يحتاجون إلى رسول في جانب النهي.

وقسم: غير معصومين، كالجن والإنس كما قدمنا بيانهم آنفًا، وهم ملائكة الأرض والفضاء الذي بين سماء الدنيا وبين الأرض، فهؤلاء لا يحتاجون إلى رسول يأمرهم وينهاهم.

فعلم أن من قال: «أنه ﷺ أُرسل إلى جميع الملائكة حتى العالين» فما أصاب، ومن قال: «أنه أُرسل إلى جميع ملائكة السماوات بالأمر والنهي معًا» فما أصاب.

ومن قال: «أنه لم يرسل إلى ملائكة مطلقًا لا بأمر ولا بنهي» فكذلك، فهو رسول إلى جميع الخلق في عالم الأرواح والأشباح عدا العالين.

ثم قال: وهذا التفصيل لا نجده الآن عند غيري في مصر كلها.

فقلت له: فهل هذه المقاولة الواقعة بين الله وبين الملائكة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [ص: 71] إلى آخر النسق، كانت بلا واسطة بينهم وبين الله تعالى أم بواسطة ملك؟ ومن هذا الملك الذي كان واسطة؟ فسكت رضي الله عنه ساعة.

ثم قال: في ذلك تفصيل، وهو: أنه لما كانت المقاولة وقعت في العالي المثالي، فهو شبيه بالمكالمة الواقعة لموسى عليه السلام من الشجرة، وبالمكالمة التي تقع من الله تعالى لعباده في الآخرة، وإن كان ذلك واقعًا في عالم الأرواح من حيث مجردها، فهو كالكلام النفسي، فيكون قول الله تعالى لهم على هذا إلقاء في قلوبهم لمعنى المراد، وهو جعله خليفة في الأرض دونهم، ويكون قولهم كذلك ليس لفظًا، وإنما هو عدم رضاهم بذلك في نفوسهم، وأطال في ذلك بكلام يدق عن الأفهام فتركته.

ثم قال: فمن أمعن النظر فيما ذكرناه تفطن لفهم كلام الله وعلم مراتبه، والله أعلم.

جوهرة

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27] فنفى رؤيتنا للجان، ونرى أقوامًا يزعمون أنهم يرون الجان والملائكة.

فقال رضي الله عنه: لا تصح رؤية الأرواح النورية والنارية من غير إرادة منهم، ولا ظهور ولا تطور إلا لمن كان ناقد البصر بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يرى جبريل ويحدثه ويكالمه وغيره لا يراه، كما يقع ذلك لبعض المحتضرين.

وقد وقع ذلك لعائشة وابن عباس رؤية جبريل عليه السلام في حال جلوسه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير علم من جبريل ولا إرادة منه للظهور لهما، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: «**أو قد رأيتماه؟**» فقالا: نعم، قال: «**ذلك جبريل** عليه السلام». فالممنوع لعامة الناس من رؤية الجانّ إنما هو رؤيتهم في صورهم التي خلقهم الله عليها، وأمَّا رؤيتهم إذا استشكلوا في غير صورهم من كلب وهر فلا منع، بل هو واقع كثيرًا.

فقلت له: فهل حكمنا في رؤيتهم في الجنة كحكمنا هنا؟

فقال: لا، هنا ينعكس الحكم فنراهم ولا يرونا إلا الخواص منهم، فإنهم يرونا كما تراهم الخواص منا هنا.

فقلت له: فهل تختلف أصواتهم إذا تطوروا في صورة كلب أو هر تبعًا للصورة التي ظهروا بها، أم هم باقون على أصواتهم الأصلية؟

فقال رضي الله عنه: الحكم للصورة التي دخلوا فيها من آدمي أو بهيمة أو غير ذلك من سائر الحشرات.

فقلت له: فهل تشبه أصواتهم أصواتنا إذا دخلوا في صورتنا في كل الحروف؟

فقال: لا؛ وذلك لأن أجسامهم لطيفة، فلا يقدرون على مخارج الحروف الكثيفة؛ لأنها تطلب انطباقًا وصلابةً، وهذا غير موجود عندهم.

فقلت: فكيف يحصل لنا العلم بكلامهم الناقص الحروف؟

فقال: حصول العلم لنا بكلامهم إنما هو لنطقهم بمثال حروفنا لا بحقيقتها، فلو نطقوا بحقيقة حروفنا ونقصوا من الكلمة حرفًا ما فهمنا من كلامهم شيئًا.

فقلت له: فهل في قوة الروحاني أن يتكلم بكلام البشر وهو في غير الصورة الإنسانية؟

فقال: لا.

قلت: قد بسط الشيخ محيي الدين ـ قدس سره ـ الكلام على الجان وعلى حروفهم وجماعهم وغير ذلك في «الفتوحات المكية» والله أعلم.

فيروز

سألت شيخنا رضي الله عنه عن سبب حجاب الثقلين عن سماع كلام أهل البرزخ، ومشاهدة ما هم فيه من النعيم والعذاب دون غيرهما من الحيوانات.

فقال رضي الله عنه: إنما حجب الإنس والجن عن ذلك؛ لأنهما من عالم التعبير، فلو أبصروا شيئًا من ذلك لأخبر بعضهم بعضًا، كما أشار إليه حديث: «**لولا أن**

تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر»[1].

وفي رواية: «**فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهُ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»[2].

فهذا كان سبب الحجاب بخلاف غير الإنس والجن من البهائم، فإنهم يسمعون كلام الموتى ويدركون أحوالهم؛ لأنهم غير قادرين على التعبير عما شاهدوه.

وقد ورد: «**أن بغلة رسول الله ﷺ مرت على مقبرة ففزعت، فقال رسول الله ﷺ: أنها رأت صاحب هذا القبر يعذب**»[3]. انتهى. فمن كتم الأسرار سمع الأسرار، والله أعلم.

ماس

سألت شيخنا ﷺ عما يخبر به أهل الكشف ثم يظهر الأمر بعد ذلك على خلاف ما أخبروا به.

فقال ﷺ: لأنهم لم يتربصوا عندما كشف لهم زمانين، بل مروا سراعًا، ولو أنهم تربصوا لأدركوا الحال الذي تغير فأخبروا به أيضًا.

قلت له: فإذا المكاشف بالصور الحسية كالناسخ الذي ينسخ ما يراه وينقله، ولا يحتاج ذلك إلى نظر آخر ينظر به، هل الأمر صحيح في نفسه أم لا؟

فقال: نعم، وقلَّ من يسلم في ذلك من الغلط، وانظر إلى الصديق ﷺ لما أخذ يستخلص المعاني من القوالب الحسية في خبر الرؤيا، وقال: يا رسول الله، دعني أعبرها، فلما عبرها كيف قال له رسول الله ﷺ: «**أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا**»[4].

---

(1) أخرجه ابن حبان (1000).

(2) أخرجه أحمد (21701)، ومسلم (2867)، وابن أبي شيبة (12028)، وفي المسند (122) بتحقيقنا، وابن أبي عاصم في السنة (868).

(3) أخرجه بنحوه البيهقي في إثبات عذاب القبر (110).

(4) أخرجه البخاري (7046)، ومسلم (6066).

فقلت له: فما حقيقة علم الكشف؟

فقال: حقيقته أنه علم ضروري يحصل للمكاشف ويجده في نفسه، لا يقبل معه شبهة، ولا يقدر يدفعه عن نفسه، ولا يعرف لذلك دليلاً يستند إليه سوى ما يجده في نفسه.

فقلت: فما أعلى مراتب الكشف؟

فقال: أن يكاشف بتنزل المعاني المجردة في القلوب، فإن هذا هو الكشف الصحيح الذي لا يصحبه غلط أصلاً، وهو بمنزلة النصوص التي لا مشابة فيها، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا ﷺ عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: 5] ما كيفية هذا الإلقاء الملكي، هل هو كإلقاء الأولياء بواسطة الروحانيات العلا من الرقائق فلا يحصل به لذة، أم بواسطة القرب الشرعية فيحصل لصاحبه اللذة حتى تغنيه أيامًا عن الطعام والشراب؟

فقال ﷺ: إلقاء الملك على رسول الله ﷺ على نوعين:

أحدهما: أن يكون الإلقاء عليه بطريق التجسد من خارج، فهذا لا فرق بين خطابه حينئذٍ وبين خطاب البشر.

والنوع الثاني: أن يكون بطريق الإلقاء على القلب دون ظاهر الجسد، وهو أشد النوعين عليه ﷺ لأنه يقهر حجاب البشرية بنوره، فيتأثر المزاج جميعه لذلك القهر النوري؛ ولذلك كانت الْبُرَحَاءُ تأخذ رسول الله ﷺ عند هذا الضرب من الوحي، إذا نزل به الروح الأمين على قلبه[1]، وكان يسجى بثوب؛ لئلا ينظر أحد إلى تغير مزاج طبيعته ﷺ[2] بخلاف خطاب الملك من الخارج، كما في حديث الإسلام والإيمان والإحسان، فلم يبلغنا أنه ﷺ تغير لما سأله عن ذلك.

وفي البخاري: «**إنه ليأتيني**» يعني: الملك أو الوحي «**في بعض الأحيان مثل**

(1) أخرجه البخاري (2661)، ومسلم (719633).
(2) أخرجه أبو داود (3122) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُجِّيَ فِي ثَوْبٍ حِبَرَةٍ.

صلصلة الجرس وهذا أشد عليّ»[1].

فقلت له: فما سبب تلك الشدة؟

فقال: سببها قوة عادة الرسول ﷺ في أخذه من عالم الحس، فكان الملك إذا جاءه ينقله إلى عالم الروح الذي هو فوق عالم الطبيعة، فقد أخرجه من عادته التي ألفها؛ فلذلك يجد شدة وتغيرًا كما قدمناه.

فقلت له: فما علامة الإلقاء الشيطاني المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: 52]؟

فقال: علامته أن يجد صاحبه عقب ذلك في المحل حدرًا وحرارةً وتخيلاً في المزاج وتمريسًا للأعضاء، والله أعلم.

در

سألت شيخنا رضي الله عنه عن علامة صدق من يدعي محبة الله عز وجل.

فقال رضي الله عنه: علامته الأدب، فإن المحبة إذا قامت في محل اقتضت بذاتها الأدب والموافقة، وكل محب على قدر مقامه.

زمرد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: 114] هل كان رسول الله ﷺ يعلم القرآن قبل جبريل حتى يسابقه؟

فقال رضي الله عنه: نعم، لكن هذا مخصوص بما أخذه عن الله تعالى بلا واسطة، وذلك في بعض الآيات لا كلها، كأنه تعالى يقول: خذ القرآن المذكور عن جبريل، كأنك ما علمته إلا منه، ولا تسابق بما عندك منا من غير واسطة، وهذا جمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأحقاف: 9] فافهم.

(1) أخرجه البخاري (3043)، ومسلم (2333)، ومالك (475)، وأحمد (25291)، والترمذي (3634)، والنسائي (934)، والطبراني (3345)، والحميدي (256).

لؤلؤة

سمعت شيخنا ﷺ **يقول**: ميزان الحركات والسكنات هو أنك تنظر، فإن وجدت عقب الحركة أو السكون مزيد علم بالله تعالى وتبصر في الأمور فاعلم أن ذلك من الحق، وإن وجدت بعد ذلك ندمًا وضيقًا وكدرًا فاعلم أنها من النفس والشيطان.

وسمعته ﷺ **يقول أيضًا**: خصلتان لا يصح لأحد أن يدخل بهما حضرة الله أبدًا وهما: العز والغنى؛ لأنهما صفتان لله ﷻ وإنما يصح الدخول للعبد بالذل والفقر، وقد قال أبو يزيد البسطامي ﷺ: رأيت رب العزة في المنام.

فقلت له: يا رب، بِمَ يدخل به العبد حضرتك؟

فقال: بما ليس من صفتي.

فقلت: يا رب، وما ذاك؟

فقال: الذل، والمسكنة، والانكسار، والفاقة. انتهى.

فقلت له: فهل ما ينقله الولي عن ربه في رؤيته في المنام له رتبة اليقين أو الظن، فإن المعبر للمنام يقول له: رؤيتك صحيحة، ومعلوم أنَّا إذا صححنا رؤية الحق حكمنا بصحة ما يقوله تعالى للعبد.

فقال ﷺ: لا يحصل القطع لأحد بما يقع له في المنام؛ لأن دائرة الخيال واسعة، وكل ما يظهر فيها ومنها فهو يحتمل التأويلات المختلفة، فلذلك لا يحصل القطع بما يحصل منها إلا إن استند إلى علم آخر وراء ذلك؛ لأن الخيال ليس له حقيقة في نفسه، فإنه أمر برزخي بين حقيقتين.

وهما: المعاني المجردة والمحسوسات، فلهذا يقع فيه الغلط.

وانظر إلى قوله ﷺ في قصة عائشة حين أتاه جبريل بصورتها في خرقة من حرير، وقال له: هذه زوجتك، فقال: «**إن يكن من عند الله يمضيه**»[1] ولو أن ذلك كان أتاه من طريق الوحي المعهود المحسوس أو بطريق المعاني المجردة

(1) أخرجه بنحوه ابن حبان (5)، وابن راهويه (703).

الموجبة لليقين والعلم، لكان لا يمكنه الجواب بمثل هذا الجواب المشعر بالتردد المحتمل للإصابة والخطأ.

قلت: ورأيت مثل هذا الكلام في «الفتوحات المكية» والله أعلم.

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن حشر الناس يوم القيامة، هل يحشرون على قدر معرفتهم بالله أو على قدر معرفتهم بطريق العلم المؤدي إلى المعرفة؟

فقال رضي الله عنه: يحشرون على قدر معرفتهم بالله، لا على قدر معرفتهم بطريقها.

فقلت له: فهل المجذوب ممن عرف الله بدون طرق المعرفة أو بطريقها؟

فقال: هو ممن عرفه بالطريق؛ وذلك لأنه لابد من عبوره على المقامات التي هي الطريق كلها، لكنه يمر عليها سرعة، والسالك يقيمه الله فيها ما شاء، فمثل المجذوب مثل صاحب الخطوة التي تطوى له الأرض، فالناس يرحلون المراحل المعتادة في مدة معلومة، وصاحب الخطوة يخطوها في أسرع وقت بغير تعب، وتنزوي له الأرض فيمن يبصره على جميع علامات الطريق.

فقلت: فإذًا المجذوب عالمٌ بالله وبأحكامه؟

فقال: نعم، وكل جذب لا يمنح صاحبه علمًا لم يكن عنده فليس بجذب.

فقلت له: فما الفرق بين المجذوب والمجنون؟

فقال رضي الله عنه: الفرق بينهما: أن المجنون ذهب عقله باستعمال مطعوم كوني يفسد مجازه أو غير ذلك، كالفزع المهول على غفلة، وأمَّا المجذوب فإنما ذهب عقله بما شاهد من عظمة قدرة الله تعالى عز وجل فعقله مخبوء عند الحق يتنعم بشهوده وعاكف في حضرته متنزه في جماله.

فقلت له: إني سمعت الشيخ محمد بن عنان[1] يقول: من المجاذيب من

---

(1) هو سيدي محمد بن عنان إمام تقدم في جامع الإيمان، وعارف أشرقت بضوء شمسه الأكوان، كثير التعبد، غزير التهجد، وافر الجلالة، عليه للقبول أي دلالة، غالي التربية، علي المرتبة، لا يقاس به غيره، ولا يشبّه. وكان عظيمًا في الديانة، ممدودًا من الله بالإعانة، سلك طريق الهداية، وعني بالتصوف أتم عناية. أخذ عنه الشيخ المصنف، =

تراه عريانًا وهو لابس، ومنهم من تراه ماشيًا وهو راكب، ونحو ذلك من الأحوال؟

= وقال: ما رأيت مثله. وكان مشايخ عصره بين يديه كالأطفال. قال: وأخبرني الشيخ نور الدين المشتولي، قال: سمعت الشيخ عبد القادر الدشطوطي يقول: محمد بن عنان يعرف طبقات السماوات وأزقتها وملائكتها. هكذا قال.

وله كرامات منها: أنه أشبع خمسمائة فقير من عجين أمه - وكان نصف ويبة- وقال: وعزة ربي، لو شئت لملأت البلد خبزًا من هذا العجين. وأرسل نقيبه إلى الشيخ أبي العباس الغمري في المحلة بعد العشاء، وقال: لا تصل الصبح إلا عندي. فذهب وعاد، فقال له: عديت من أي المعادي؟ قال: ما درت بالي للبحر، ولا علمت به. فقال لأصحابه: طوي البحر بهمته، فلم يجده في طريقه.

وأخبر أن رجلاً يصيح في القبر الليل كله، فأتى قبره، وقرأ تبارك، فمن ذلك الوقت لم يسمع.

وأراد رجل من الشرقية أن يتزوج زوجته، فنام بعد العصر بجامع المقسم قبالة ضريح الشيخ، فرآه، فقال له: ضاقت عليك الدنيا، ما وجدت إلا فرشي؟ وطعنه بحربة في جنبه، فاستيقظ مرعوبًا، وهي بجنبه بارزة كالكبد المشوي، فحمل لبلاده، فمات في الطريق؛ وذلك لأن من خصائص جروح الفقراء أنها لا تختم قط، ولا يفيد فيها دواء، وليس فيها إلا روح صاحبها، ولا ينبئك مثل خبير.

وأرسل له أحد أهل الدولة ثماني جرار عسلاً في الوقت، فانصبّت كلها على الأرض، وضاق الوقت عن شراء عسل، فخرج إلى الخليج، وقال: اتبعوني بالجرار. فملأها كلها من الماء، فوجدوها كلها عسلاً، فطبخوا بها، فقال: الحمد لله الذي حمانا من عسل الولاة. وأخبر بأن رجلاً زمنًا بالإسكندرية إذا غضب على رجل قال: يا قمل، رح إليه. فيمتلئ قملاً فلا ينام، ويعجز عن تنقيته، فذهب إليه، وقال له: ما رأيت تعمل إلا شيخ القمل؟ وأخذه بيده، ورماه في الهواء، فلم يعرف له خبر. وسافر هو والشيخ أبو العباس الغمري فاشتد الحر، وعطش الغمري وليس هناك ماء، فأخذ ابن عنان طاسة وغرف بها من الأرض اليابسة ماء، وقال اشرب. قال: يا شيخ محمد، الظهور يقطع الظهور. فقال: لولا خوف الظهور جعلتها بركة يشرب منها البهائم إلى يوم القيامة. وأتى برجل أكل موهيتين فسيخًا، وموهيتين تمرًا في ليلة، فألقى له رغيفًا صغيرًا في فمه، فلم تزل أكلته كل يوم حتى مات. وكانت أوقاته مضبوطة لا يصغي لكلام أحد ويقول: كل نفس مقوم علي بسنة. وغضب من أهل بلاده لعدم قبولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقدم مصر وسكن بسطح جامع الغمري. وكان كل جامع أقام به لا يقيم إلا على سطحه شتاءً وصيفًا. وقال عنه المصنف: كان خادم الحجرة النبوية في طريق الروحانيات، فلا يدخل أحد على المصطفى ﷺ من الأحياء والأموات وإلا بإذنه. وكان من أصحاب الخطوة، والتطوير. =

فقال: صحيح ما قاله، ولكن تعرفوا أن الناس لا يصدقون بمثل ذلك إلا قليلاً؛ لأن فيه مكابرة في المحسوس.

قلت: وقد رأيت الشيخ شعبان المجذوب(1) مرة عريانًا، فقلت له في كشف عورته، **فقال**: «**المؤمن مرآة المؤمن**»(2) يعني: ما شاهدت مني إلا صورتك، وكنت أراه إذا مرَّ على سيدي علي الخواص(3) يقف من بعيد ويستر عورته، ثم يمر رضي الله عنه.

= ولما احتضر ابن عنان بسطح جامع باب البحر مات نصفه الأسفل، فصلى قاعدًا، فلما فرغ أضجعوه، فما زال يهمهم بشفتيه والسبحة بيده حتى مات، وصعدت روحه سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وعشرين سنة. وانظر: الكواكب السائرة (1/ 39)، شذرات الذهب (8/ 116)، كرامات الأولياء (1/ 174)، طبقات الشعراني (2/ 117)، والكواكب الدرية (818).

(1) هو شعبان المجذوب، الصاحي. كان ذا تصرف عظيم بمصر، يلبس الزنوط الحمر، وكان يعرف جميع ما يحدث في السنة من رؤية هلالها. وكان الخواص إذا شكَّ في أمر يحدث في السنة يرسل يسأله، فقالوا له: إنه لبس أول يوم في السنة جلد بقرة، فقال الخواص: السنة تموت فيها البهائم. فكان فصل البقر المعروف، ولبس مرة جلد عنز، فمات في تلك السنة الماعز، ومرة جلد غنم فمات الغنم. وكان يقعد في المرستان وأمامه كوم جير ورماد ويقول: هذا يقطع السَبَل والجرب، فمن كحله منه برأ. ومرة أوقد نارًا فقال الخواص: هذا فتنة بمصر فكانت فتنة أحمد باشا. وكان يطلع على ما في الضمائر. مات سنة سبع وخمسين وتسعمائة، ودفن بزاويته بدرب الأبزاريين، بقرب سويقة اللبن، وكانت جنازته حافلة جدًا. انظر: طبقات الشعراني (2/ 185) جامع الكرامات (2/ 38)، الكواكب الدرية (784).

(2) أخرجه أبو داود (4918)، والبخاري في الأدب المفرد (239)، والبيهقي في شعب الإيمان (7645).

(3) هو سيدي علي البرلسي، الأمي، المعروف بين الخوَاص بالخوّاص. كان من أكابر أهل الاختصاص، ومن ذوي الكشف الذي لا يخطر، والاطلاع على الخواطر على البديهة فلا يبطئ. وكان عليه للولاية أمارة وعلامة، متبحرًا في الحقيقة، أشبه البحر إطلاعه، والدر كلامه. وكان في ابتداء أمره يبيع الجميز- وهو شاب- عند الشيخ إبراهيم المتبولي بالبركة، ثم أذن له أن يفتح دكان زيات، فمكث بها نحوه أربعين سنة، ثم ترك، وصار يضفر الخوص حتى مات. وكان يسمى بين الأولياء النسابة لأنه يعرف نسب بني آدم - مع كونه أميًا - وكذلك جميع الحيوان. وكان معه تصريف ثلاثة أرباع مصر، والربع مع محيسن المجذوب. وكان إذا شاوره أحد لسفر يقول: قل بقلبك عند الخروج من السور أو العمران: دستور يا أصحب النوبة، اجعلوني تحت نظركم حتى أرجع؛ فإنهم=

وقد قلت لشيخنا مرة: هل المجاذيب مطالبون بالآداب الشرعية وإقامة شعائر الدين؟

= يحبون الأدب معهم، ولهم اطلاع على خواطر من يمر في دروبهم وعلى معرفة أعمالهم، ولهم تأديب من حصلت منه زلة. وكان يرد ما يأتيه من الظَّلَمة والأكابر، ثم قبله آخر عمره وفرقه على العميان والعاجزين.

وكان يزجر من يريد تقبيل يده ويقول: إنما يليق بأرباب المناصب، أما الفقير فاللائق به الذل حتى يجاوز الصراط ويدخل الجنة. وكان يربي بالنظرة تارة، وبأمره المريد أن يشرب من إبريقه تارة، فيقوم مقام التلقين وأخذ العهد. وكان يطوف على المساجد يومي الخميس والجمعة، فيكنس وينظف احتسابًا، وينظف المقياس كل سنة - صبيحة نزول النقطة- فيكشط سلمه من الطين، ثم ينـزل يتوضأ ويصلي ويدعو ويبكي ويتضرع إلى الله في طلوع النيل، ويقول لإخوانه: زوروا محل نزول الرحمة لأهل مصر، ولا يطلع الروضة إلا على طهر. وكان يقرأ من لوح قلبه، ومطمح بصره اللوح المحفوظ من المحو. وكان له طب غريب يداوي به ذوي العاهات -كبرصٍ وجذام- فكل ما أشار باستعماله فيه الشفاء. وطلب منه بعض أصحابه تدوين ذلك في كتاب فقال: إنما هي أمور بحسب الإذن، فإن استعملت بغير إذن لم تؤثر. وأكل رجل سُمًّا فقال له: كل من النارنج ما تقدر عليه بشحمه من الشجر، ففعل فبرئ. وكان إذا زار المقياس حمل معه كعكًا كثيرًا، يطعم منه الآدمي والكلاب، ويرمي للسمك. ورأى ابن عنان - وهو يصلي الضحى - بلاءً نازلا على أهل مصر، فأرسل للشيخ يقول له: ما هذا؟ قال: يرسل الله له من يحمله. فنظر ابن عنان في صلاة الصبح أنه ارتفع، فوقع ذلك اليوم أن شيخ الإسلام ابن النجار الحنبلي شكا الشيخ الخواص- وكان زيّاتًا في حارته - إلى المحتسب، فضربه، وخزمه في أنفه وكتفه، وطاف به مصر وبولاق، حتى كاد الشيخ يموت من شدة ما فعل به، فقال ابن عنان: الحمد لله الذي جئنا في زمن فيه رجل يحمل بلاء مصر كاملاً وحده.

وكان إذا نزل بالناس بلاء لا يتكلم ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام حتى ينكشف. وكان إذا سأل الله رفع البلاء كشف رأسه حتى من العرقية، ووقف منكس الرأس حافيًا، يبكي ويتضرع.

وله كلام في الطريق كالبحر الزاخر، فمنه ما قال: شرط الشيخ أن يكون عنده علم بكشف الحقائق والدقائق، فارقًا بين الحق والحقيقة والوهم والخيال، يعلم ما جاز ووجب واستحال، له سريان في العوالم العلوية والسفلية، يعرف الفرق بين لمسة الشيطان والملك والنفس ونزغات المريد، له قدرة على التلبس في الصور والتطور في الرتب، ومعرفة بأمراض القلوب والنفوس والأسرار، وتطهير النجاسة النفسانية وما يدخل من الظلمات على العوالم الروحانية. وقال: ينبغي للرجل تفقد محفوظاته العلمية خوف النسيان، فإن كتب العلم حاوية لما تعبدنا به، ومن نسيها فكأنه نسي القرآن. وقال: ما درس ضريح ولي قط، إلا لاختياره الخفاء على الظهور. وقال: الكمل لا تصريف لهم، =

فقال: لذهاب عقولهم بما طرأ عليهم من عظيم جلال الله تعالى.

= بخلاف أرباب الأحوال، فإنهم جلبان الحضرة، وهي فياضة بالجود على كل وارد، فكل من طلب شيئًا أعطاه، وربما نقص به مقامه؛ ولهذا لما عقد الفقهاء لحسين الجاكي مجلسًا لكونه يلحن في الحديث وتم ومنعه، فخرج للسلطان من حائط بيت الخلاء - وهو فيه- فقال: إعزله وإلا خسفت بك الخلاء.. فارتعد وعزله. وقال: روحانية الولي، إذا دخل مكانًا أو مشى فيه تبقى فيه ستة أشهر، كما يشهده أرباب القلوب، فكيف بمكان يسكنه؟ هذا بعكس بيوت الظَلَمة والعصاة، تجدها موحشة، لا أنس بها ولا روحانية. وقال: كل فقير لا يدرك سعادة البقاع وشقوتها، فهو والبهائم سواء. وقال: من الأماكن التي تظهر فيها الروحانية لغالب الناس في مصر قبة الشافعي رضي الله عنه وضريح ذي النون، وقبور بني الوفا، وجامع محمود، وزاوية الشيخ مدين، وجامع الظاهر، وجامع نائب الكرك بالحسينية وقال: فهذه أماكن لم يزل النور فيها طافحًا لما يرد عليها من الملائكة والأولياء.

ومن الأماكن التي لا يظهر نورها إلا للخواص، القطعة من الشارع المقابلة لسوق الكتبيين وأنت ذاهب لباب الزهومة، وكذلك القطعة المقابلة لجامع الفاكهاني، وأيضًا القطعة المقابلة لجامع الميدان، والأخرى المقابلة للجامع الأخضر. وقال: ينبغي عدم الإنكار على من قام وتواجد، -ولو من الظَلَمَة أو من لا عادة له- فقد تكشف الحجب عن بعض القلوب فتحن إلى وطنها الأول، فتتمايل كشجرة تريد قطع عروقها. وقال: لو ولي الخضر أو القطب شيئًا من ولايات هذا الزمان، ما أمكنه أن يفعل بالناس إلا ما يستحقونه «إنما هي أعمالكم ترد عليكم». وقال: صرحوا بأن من شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده له ولو كان بينهما مسيرة ألف عام. وقال: شرط صحة بداية المريد أن يمشي على الماء والهواء، وأن تطوى له الأرض، ومن لم يقع له ذلك فليس في مقام الإرادة.

وقال: رأيت القطب يبيع الفول الحار بالأمشاطيين، وهو شاكر لله على كثرة ما يؤذيه الناس.

وقال: الخلعة الخضراء الصوف في المنام، علامة على ولاية صاحبها. وقال: قال العارفون: ينبغي لكل إنسان أن يختم علمه بالاستغفار ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33].

وقال: سبب تحريك الإنسان رأسه حال الذكر والتلاوة، أن الروح تشتاق إلى القرب من حضرة ربها إذا سمعت اسمه أو كلامه، فتكاد تلحق بعالمها السماوي. وقال: وشكا له أفضل الدين الأحمد، قسوة قلبه فقال: أحمده الذي أطلعك عليها، وحجب عنك كمالك خوف العجب.

وقال: طعام المتكلفين يورث ظلمة القلب، كطعام البخيل. وقال: حكمة الأمر بالاستعاذة باسم الله دون غيره، أن المكلف لا يعرف من أي حضرة يأتيه إبليس من طرق حضرات الأسماء الإلهية، فأمر أن يستعيذ بالاسم الجامع لحقائق الأسماء كلها؛ ليسد=

فقلت له: إنَّا نرى بعضهم يضحك، وبعضهم لم يزل يتكلم، وبعضهم ساكت، وبعضهم يتكلم بهذيانات، وبعضهم بكلام أهل الدنيا كما هو مشاهد، فما السبب في ذلك؟

فقال: كل حال جذب الحق العبد عليها لا يمكنه الخروج عنها، فإن جذب على حالة بكاء كان أو على حالة ضحك كان أو هكذا لا يحسون قط بطول زمان، فالألف شهر عندهم كلمحة بارق.

فقلت له: فهل نبدأهم بالكلام أو نسألهم الدعاء؟

فقال: لا، فربما دعوا علينا فأجاب الله دعاءهم، كما وقع ذلك بجماعة من إخواننا، ولكن احفظوا قلوبكم إذا مررتم عليهم من الخواطر الردية.

فقلت له: فما حكم هؤلاء المجاذيب عند الموت؟

= على الشيطان جميع الطرق.
وقال: يكرم المؤذن، ويقول ربما أقبل الحق عليهم في السَّحَر بالرضا، وقبل دعاءهم فيمن آذاهم، وربما كان نائما ذلك الوقت على جنابة. وقال: لا ينبغي لمتمشيخ التلاعب بالطريق، فيأخذ العهد على المريد صورة، وليس معه مدد يمده به، فإنه نفاق، والمنافق لا يكون داعيًا إلى الله.
وقال: من يشتغل برعاية مخارج الحروف والترقيق والتفخيم والإدغام ونحوها، لم يحصل له حضور مع الله الذي هو روح الصلاة؛ لأن النفس ليس في قدرتها الاشتغال بشيئين في آن واحد.
وقال: رؤيا المنام جند من جنود الله تقوي إيمان صاحبها بالكشف إذا كان أهلاً، وإن كان ذلك نقصًا لكامل الإيمان. وقال: إذا طال زمن العبادة على النفس، حنت إلى مفارقه حضرة ربها، كما يحن العطشان إلى الماء، فلو وزن ثواب ذلك العمل الواقع، قبل الملل وبعده، لوجد إثم محبته لفراق حضرة ربه يرجح على ثوابه. وقال: لو كان كمال الدعاء إلى الله موقوفًا على إطباق الخلق على تصديقهم واعتقادهم كان الأنبياء أحق بذلك، وقد صدقهم قوم فهداهم الله بفضله، وكذبهم آخرون فأشقاهم الله بعدله. وقال: النفس إذا مُدحت اتسخت، وإذ ذُمت نظفت.
وقال: إياك أن تصغى لقول منكرٍ على أحد من الفقراء، فتسقط من عين رعاية الله وتستوجب المقت.
مات سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاوية الشيخ بركات، خارج باب الفتوح، تجاه حوض الصارم.
وانظر: شذرات الذهب (8/ 233)، طبقات الشعراني (2/ 150)، كرامات الأولياء (2/ 193)، الكواكب السائرة (2/ 220)، والكواكب الدرية (807).

فقال: حكمهم حكم من مات على حالة شهود ونعت استقامة رضي الله عنهم أجمعين.

در

سألت شيخنا ﷺ: هل للشيطان على باطن الأنبياء سبيل؟

فقال ﷺ: لا سبيل له إلى باطن نبي قط، فإن خواطر الأنبياء لا حظ للشيطان فيها، فهو يأتيهم في ظاهر الحس فقط، ولا يعملون بما يقول لهم؛ لعصمتهم.

فقلت: فما عدد الخواطر التي عرض للعبد في كل يوم وليلة؟

فقال: سبعون ألف خاطر على عدد الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم، فلا بد لكل شخص من مرور سبعون ألف خاطر، لكن لا يشعر به إلا الكُمَّل من الرجال.

فقلت: فما علامة خاطر الشيطان؟

فقال: علامته: أن يوسوس لك بشيء يناقض الشرع الذي يدق عن أفهام غالب الناس، حتى أنه ربما يقنع من الإنسان بنقله من طاعة إلى طاعة ليفسخ عزمه بذلك، كأن يقرر عنده أولاً أنه يعاهد الله على إحياء ليله بمطالعة علم أو تلاوة قرآن أو صلاة مثلاً، فإذا شرع فيما عاهد الله عليه جاءه لعنة الله عليه بخاطر يحسن له فعلاً آخر خلاف ما كان عزم عليه، إلى أن يفسخ عقده مع الله تعالى.

ومن دسائسه: لعنه الله تعالى: أن يأتي العبد بالعلم الصحيح والكشف التام ويقنع منه أن يجهل من أتاه به.

وقد وقع لعيسى عليه السلام أن الشيطان قال له مرة: يا عيسى، **قل**: «**لا إله إلا الله**» رجاء أن يقولها عيسى لقوله، فيكون قد أطاعه بوجه ما، فقال عيسى عليه السلام: **أقولها لا لقولك** «**لا إله إلا الله**» فجمع عليه السلام بين القول لها وبين مخالفة غرض الشيطان.

ومن دسائسه: أن يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد، ويهتك به أستارهم، ويظهر به عوراتهم، ويسمي ذلك كشفًا شيطانيًا، لكن لا يعرف أنه شيطاني إلا من حفظه الله تعالى.

قلت: غالب هذا قد رأيته في «الفتوحات المكية» وذكر فيها أن الشيطان في سائر مراتبه حسي إلا في صورة واحدة يكون فيها معنويًا، وهو ما إذا اجتمعت شياطين الإنس والجن وأوحى بعضهم إلى بعض، فإنه يحدث حينئذٍ بينهما شيطان آخر عند وسوستهم، معنوي لا إنسي ولا جني.

فقلت: فبِمَ يفرق بين هؤلاء الشياطين؟

فقال: إن الشيطان الإنسي أو الجني يفتح أحدهما باب الإلقاء في قلب العبد مما يبعده عن الله لا غير، والشيطان المعنوي يستنبط من ذلك شبهًا وأمورًا لم يقصدها إبليس ولا غيره.

قال: ومثل هذا ينسب إلى الشيطان بحكم الأصالة؛ لأنه هو الذي فتح باب الوسوسة، وليس غرض الشيطان من الخلق إلا أن يجهلوه في الخواطر ويصدقونها.

فقلت له: فهل أعطي الشيطان قوة التجسد؟

فقال: نعم، أمَّا سمعت قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: 34] وكان روحانيًا تجسد على صورة سليمان، فإذا رأى الشيطان من عبد أنه محفوظ ووجد التأييد من الله محيطًا به ولم يستطع الوصول إليه بالوسوسة، تجسد له على صورة إنسان مثله، فيتخيل العبد أنه إنسان، ويأتيه بالإغواء من قبل أُذنه، فيدخل له فيما حجر عليه من التأويلات الكثيرة، أدناها أن يقول له: «**مثلك لا يؤاخذه الله بذلك، وظنك بالله حسن**».

وقد قال تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي**»[1] وذلك لأنه ـ لعنه الله ـ يعلم من المؤمن أنه لا يقدم على معصية ابتداء دون وسوسة وتزيين الفعل له، ولو أنه كان يقدم عليها ابتداء ما أوجد الله إبليس، وقد بسط أخي أفضل الدين الكلام على الخواطر جدًا في «رسالته» فراجعها إن شئت ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52].

در

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: يتعين على المفتي إذا سئل عن مسألة، وقيل له

(1) أخرجه البخاري (7405)، ومسلم (6981).

في السؤال: وما حكم الله فيها؟ ولم يجدها صريحة في الشريعة، أن يقول في الجواب: لم أجد فيها شيئًا من صريح السنة، ولكن رأيت فيها كذا، ولا يرده بلا جواب، فيجمع في الجواب بين الشريعة وبيان ما فهمه منها.

فقلت له: إذا لم يجد في المسألة نصًا، فهل الأولى أن يجيب بالتشديد أو بالتخفيف؟

فقال: لكل منها وجه، ولكن من القواعد المقررة بين العلماء أن الأصل في الأشياء الإباحة وعدم التحجير، وأن الله ما خلق جميع ما في الأرض إلا لعباده، فمن ادَّعى تحجير شيء على الأمر فعليه الدليل من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس، والله أعلم.

جوهر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: إذا خسف القمر وكسفت الشمس يوم القيامة ولم يبقَ نورهما، فكيف يكون الحال؟

فقال رضي الله عنه: إنما يمشي الناس هناك في أنوارهم التي أفيضت عليهم من أعمالهم، فكل مسلم نور على قدره ما يمشي أحد في نور أحد، ولذلك رغب ﷺ في المشائين إلى المساجد في الظلم، قال: «**وبشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة**»[1] ووصفه بالتام؛ لأنه جامع للنورين: المبطون في قلوبهم هنا، والمبطون في ظلمة الليل، فيظهر النوران هناك، والله أعلم.

لؤلؤة

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: ما ثَمَّ أحد يغفل عن الله من سائر المخلوقات إلا الإنس والجن فقط، أمَّا غيرهم فلا غفلة عندهم.

وسمعته يقول: من كمال الرجل أن يحسن إلى أعدائه وهم لا يشعرون.

وسمعته يقول: نهاية العلماء منقولة غير معقولة؛ لأنه ما ثَمَّ عندهم إلا بداية وينتهي أعمارهم، وهم مع الحق على أول قدم، فلم تف لهم أعمارهم بما تعلقت

(1) أخرجه الطبراني في الكبير (10541)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (3810).

به هممهم من الوقوف على قرار العلم، والله أعلم.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر: 37] من أين جاءهم هذا الذوق؟

والحق تعالى يقول في آية أخرى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28]؟ ولأي شيء لم يستصحبهم هذا الذوق المذكور إذا رجعوا إلى دار الدنيا؟

فقال رضي الله عنه: لا أدري.

فقلت: إني رأيت في كلام الشيخ محيي الدين في هذه الآية ما نصه: اعلم أن الله تعالى لما خلق الدنيا خلق أهلها على طبائع مخصوصة، وجعل نشأة الإنسان فيها على مزاج يقبل النسيان والغفلة وحب العاجلة، ويقبل أيضًا ضد ذلك على حسب ما يقام فيه، فمن هنا قال أهل النار: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر: 37] حيث لم يستصحبهم العلم بحال نشأتهم المشار إليها بقوله: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: 28] يعني: بحكم القبضتين، ولو بقي لهم ذلك الذوق الذي كان معهم في النار إذا أخرجوا منها لم يكونوا يعودوا لما نهوا عنه، فعلم أنه لا يرد من رد إلى الدنيا إلا بخاصية النشأة، فما قالوا: ﴿أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ إلا بلسان النشأة التي هم فيها في النار؛ لتخيلهم أن ذلك العلم الذوقي الذي حصل لهم في النار يبقى معهم إذا ردوا إلى الدنيا.

قال الشيخ: هذا كلام حسن، ويؤيد كلام الشيخ محيي الدين قوله ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة، فيغمس في النار غمسة، ثم يقال له: هل رأيت نعيمًا قط؟ فيقول: لا، والله**»[1] ومعلوم أنه رأى نعيمًا، ولكن حجبه شاهد الحال عن ذلك النعيم، والله أعلم.

(1) أخرجه بنحوه مسلم (7266).

ياقوت

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: ما أتى على موسى عليه السلام عدم الصبر مع الخضر عليه السلام إلا من تقديم المشيئة على الصبر، ولو أنه قدَّم الصبر على المشيئة كما يفعله المحمدي هنا لصبر؛ وذلك لأن تقديم المشيئة مشعر بضعف العزم، فمن أراد وقوع ما استثنى فيه، فليقدم لفظ ذلك الشيء على المشيئة، فإنه - إن شاء الله تعالى - يقع، انتهى. فليتأمل ويحرر.

زمرد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن كلام الصاحي من شراب القوم: هل نقدمه على السكران منه؟

فقال رضي الله عنه: كلام الصاحي مقدم، وإن كان قول السكران حقًّا وعدلاً، وقد حكي أن الشبلي[1] قال يوم صلب الحلاج[2]: شربت أنا والحلاج من كأس

(1) قيل اسمه: جعفر بن يونس، وقيل: جعفر بن دلف. أصله من الشبلية قرية، ومولده بسامراء، وكان أبوه من كبار حجاب الخلافة، وكان خاله أمير الأمراء بالإسكندرية، وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق، ثم لما عزل أبو أحمد من ولايته حضر الشبلي مجلس بعض الصالحين، فتاب، ثم صحب الجنيد وغيره، وصار من شأنه ما صار، وكان فقيهًا عارفًا بمذهب مالك، وكَتَب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم، وحال وتمكن، وكان يحصل له استغراق وسُكْر.
وانظر: سير أعلام النبلاء (15/ 367)، وتاريخ بغداد (14/ 389)، وصفة الصفوة (2/ 426)، والرسالة القشيرية (ص43)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص80).

(2) قال الكردي في «الانتصار»: وُلد رضي الله عنه في بعض قرى فارس، ونشأ في واسط، وصحب الجنيد والنوري، وعمرو بن عثمان المكي. وقال: وله مقام هو مسجد قديم من مساجد الموصل تُقام فيه الصلوات الخمس بالجماعة، مشهور بين المسلمين بأن فيه مقام الحسين ابن منصور الحلَّاج، فالظاهر أنه قد سكن وتعبَّد فيه أيامًا، والله أعلم. وفي «مختصر ابن الوردي» قال: قدم الحلاج من خراسان إلى العراق ثم إلى مكة، وأقام سنة في الحجر لا يستظل بسقف، يصوم الدهر، ويفطر على ماء وثلاث عضات من قرص، ثم قدم بغداد متزهدًا متصوفًا، يخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس، ويمد يده في الهواء ويعيدها مملوءة دراهم أحدية يسمِّيها دراهم القدرة، ويخبر الناس بما أكلوه، وما صنعوه في بيوتهم، وبما في ضمائرهم، فاعتقد قوم فيه الحلول، وحاشاه من ذلك. واختلف=

واحدة، فصحوت وسكر، فعربد فحبس حتى قتل، فبلغ ذلك الحلاج وهو على الخشبة مقطوع الأطراف.

= قوم فيه كالاختلاف في المسيح عليه السلام فقيل: هو ولي الله، وقيل: هو ساحرٌ، والتمس حامد بن العباس الوزير من الخليفة المقتدر تسليمه إليه، فكان يخرجه في مجلسه ويستنطقه، فلا يظهر منه ما يخالف الشريعة، وحامد مجد في أمر ليقتله حسدًا وبغيًا وعدوانًا لأولياء الله تعالى، ثم أنه رأى له كتابًا حكي فيه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد من داره بيتًا نظيفًا من النجاسات، ولا يدخله أحد، وإذا حضر الحج طاف حوله، وفعل ما يفعله الحاج بمكة، ثم يجمع ثلاثين يتيمًا، ويعمل أجود طعام يمكنه، ويطعمهم في ذلك البيت ويكسوهم، ويعطي كل واحدٍ سبعة دراهم، فيكون كمن حج، فأمر الوزير بقراءة ذلك قدام القاضي أبي عمرو، فقال القاضي للحلَّاج: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري، ولم يعلم الحلاج ما دسّوه عليه، فقال القاضي له: كذبت يا حلال الدم، قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا، فطلب الوزير خط القاضي بقوله حلال الدم، فدافعه القاضي فلم يندفع، وألزمه فكتب بإباحة دمه، وكتب بعده من حضر المجلس من العلماء، فقال الحلَّاج: ما يحل لكم دمي، وديني الإسلام، ومذهبي السنة، ولي فيها كتب موجودة، فالله الله في دمي، وأرسل الوزير الفتاوى بذلك إلى المقتدر، فأذن له بقتله، فضرب ألف سوط، ثم قُطعت يده ثم رجله، ثم قُتل، وأُحرق، ونُصب رأسه ببغداد.

قال الفاضل العمري: ولعمري أنها مظلمة مُظلمة، وقضية ظالمة، ارتكبها الوزير لهوى نفسه، وأظهر أنها حماية للشريعة المؤيدة. قال الشيخ شهاب الدين السهروردي في «عوارف المعارف»: وما يُحكى عن أبي يزيد قوله: (سبحاني ما أعظم شاني) أن يعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله . قال: وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله: (أنا الحق). وممن قال أن هذا القول صَدَرَ عنه في حال السُكر الشيخ عبد القادر الكيلاني، ومنه ما أمروا به، فصدر عنهم امتثالاً للأمر، ويكون ذلك الأمر تنويهًا بفضلهم، وبيانًا لعلوِّ شأنهم، وتعريفًا للجاهل بكِبَر قدرهم، وإرشادًا إلى التعلُّق بهم، وقال أيضًا رضي الله عنه في الحلاج: طار واحد من العارفين إلى أفق الدعوى بأجنحة: (أنا الحق)، طار بغير أجنحةٍ فتعرَّض لحتفه، فظهر عليه عتاب من الملك من مكمن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: 6] أثبت في إصابة مخلب: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: 57] وقال سيدي عبد القادر رضي الله عنه أيضًا في الحلاج: طار طائر بعض العارفين من وكر شجرة صورته، وعلا السماء خارقًا صفوف الملائكة، وكان بازيًا من بزاة الملك، مخيط العينين بخيط: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28] فقال: رأيت ربي فازداد حيرة في قول مطلوبه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115] وعاد هابطًا إلى حضرة الأرض، طلب ما هو أعز من وجوده في قعور البحار، تلفَّت بعين عقله فما شاهد سوى الآثار، فكر فلم يجد في الدارين مطلوبًا سوى حبيبه فطرب، فقال بلسان سكر=

فقال: هكذا يزعم الشبلي، لو شرب مثلما شربت لحلَّ به مثلما حلَّ بي، وقال مثل قولي، فقبل الأشياخ كلام الشبلي؛ لصحوه ورجحوه على قول الحلاج؛ لسكره، والله أعلم.

بلخش

أوصاني شيخي رَحِمَهُ اللهُ وقال: إياك أن تقع في معصية، وتقول: «**هذا قد كتبه الله عليَّ قبل أن أخلق**» وإن كان ذلك حقًّا، فإن هذه حجة على الله تعالى، بل استغفر الله وتُب إليه، وكذلك ينبغي ألَّا تركز إلى قولك هذا من إبليس، فقد أخبر القرآن أن إبليس يخطب لأهل النار، ويبيِّن لهم في تلك الخطبة جهلهم.

ويقول في آخرها: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ يعني: ما أغويتكم حتى ملتم بنفوسكم إلى قبول قولي: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ [إبراهيم: 22] يعني: قبل أن تميلوا، فأنتم كلسان الميزان، وأنا ناظر إليكم، فما دام اللسان لم يخرج لجهة السيئات فأنتم محفوظون مني، وهناك يقيم العبد الحجة على نفسه كشفًا ويقينًا في موضع يصدق فيه الكذوب، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

= قلبه: أنا الحق، ترنَّم بلحنٍ غير معهودٍ من البشر، صفَّر في روضة الوجود صفيرًا لا يليق لبني آدم، لحَّن بصوته لحنًا عرضه لحتفه، نُودي في سرِّه: يا حلاج أنت اعتقدت أن قوتك بك، قل الآن نيابةً عن جميع العارفين: حب الواحد إفراد الواحد، قل: يا محمد أنت سلطان الحقيقة، أنت إنسان عين الوجود، على عتبة باب قلبك تجمع أعناق العارفين، في حمى جلالتك تُوضع جباه الخلائق أجمعين. اهـ. وفي «شرح الجوهرة للقاني»: فمن تكلم في أئمة الدين، وهداة المسلمين من الرؤساء المجتهدين، لا يلتفت إليه ولا يعول في شيءٍ عليه، ومقت الله والسقوط من عينيه منجذب إليه، كما أنه لا التفات لمن رمى الجنيد وأصحابه من جملة الصوفية.

قلت: والناظر في كلام الشيخ الحلاج في كتبه كالطواسين أو نصوص الأولياء يجدها داعية إلى الافتقار الكلي إلى مرتبة الألوهية، ناطقة بالعجز عن معرفة الحق على ما هو عليه في نفسه سبحانه، فكيف يُدعى على الشيخ أنه نسب المرتبة الإلهية لنفسه؟! الانتصار (569)، طبقات الصوفية (307)، طبقات الأولياء (187)، ميزان الاعتدال (1/ 548) تقديمنا لديوان الحلاج.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**»(1) هل ذاك عام في حق الناس أم هو خاص بقوم دون قوم؟

قال رضي الله عنه: هو خاص بقوم دون قوم، فإن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ محبوبون بالاختصاص الإلهي، لا يحتاجون في ذلك إلى تقرب بنوافل؛ إذ النبوة والرسالة غير مكتسبة بخلاف مقام الولاية، وإن علت هو مكتسب عند الجمهور.

وقال بعضهم: قد يكون بعض مقامات الأولياء خاصًا موهوبًا، وقد قالوا لسيدي عبد القادر الجيلي، قدس سره: نرى قومًا أكثر منك عبادة وما وصلت إلى ما وصلت.

فقال: شاركونا في الأعمال، أتشاركونا في المواهب؟ وهذا أمر لا يصح.

ويؤيد ما قررناه قوله في الحديث: «**يتقرب**» على وزن يتفعل؛ فإن المحبوب بالاختصاص الإلهي لا يحتاج إلى تفعل، فافهم.

كِبريت أحمر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأنبياء: 30] هل ذلك عام في نشأة الآخرة أيضًا، أم هو خاص بنشأة الدنيا فقط؟

فقال رضي الله عنه: هو خاص بعالم الدنيا فقط؛ لأن عالم الآخرة لا يستمدون الحياة من الماء، وإنما يستمدونها من الله تعالى بالجعل.

وقد ورد بأن: «**الله تعالى يكتب لأهل الجنة كتابًا فيه: من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، أمَّا بعد، فإني حي لا أموت، وقد جعلتكم أحياء لا تموتون**»(2) فقد علمت أن حياة أهل الجنة ليست إلا من الله لا من الماء.

---

(1) أخرجه البخاري (6137)، وابن حبان (347)، والبيهقي (20769)، وأبو نعيم في الحلية (1/ 4).

(2) أخرجه بنحوه أبو نعيم في الحلية (7/ 303).

قلت: وقد سألني الأخ الصالح الشيخ إبراهيم القهاوي - حفظه الله تعالى - عن النار ثم حياتها، فهل هي داخلة في قوله: ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ أو خارجة عنه؟

فقلت: هي داخلة فيه، فإن النار مركبة من الماء، فهو أحد أركانها، ولذلك قبلت البرد على إبراهيم؛ إذ الحقائق لا تتبدل، وقد بسط ذلك في «الفتوحات» في الباب الثامن وتسعين ومائة، والله أعلم.

فيروزج

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: تستمد جميع الأنبياء والأولياء من روح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ هو قطب الأقطاب أولاً وآخرًا، فهو ممد لكل نبي وولي سابق عليه على حسب الظهور والزمان حال كونه في الغيب، وممد أيضًا لكل ولي لاحق به، فيوصله بذلك الإمداد إلى مرتبة كماله في حال كونه موجودًا في عالم الشهادة، وفي حال كونه منتقلاً إلى الغيب الذي هو البرزخ ودار الآخرة، فإن أنواره صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من تقدمه ومن لحقه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «**أول ما خلق الله نوري**»(1).

وفي رواية: «**أول ما خلق الله العقل**»(2) ومعناهما واحد؛ لأن حقيقته صلى الله عليه وسلم تارة يعبر عنها بالعقل الأول، وتارة بالنور.

وسمعته رضي الله عنه **يقول في قوله** صلى الله عليه وسلم: «**أوتيت جوامع الكلم**»(3) واختصر إليَّ الكلام اختصارًا: اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مجموع العلم جملة، ثم نزل عليه تفصيلاً، والأولياء لا يطلعون عليه إلا مفصلاً شيئًا فشيئًا؛ وذلك لأن الأولياء منهاجهم الترقي والتكسب، فيستعملون بذلك على بني الجنس، ولا كذلك الرسل، فإن التدريج إنما هو للتعمل، ولا تعمل للإرسال.

فقلت له: فما معنى قول أبي يزيد رضي الله عنه: «**خضت بحرًا وقف الأنبياء بساحله**»؟

فقال: معناه ما قررناه لك؛ يعني: فصلت ما أجمله الأنبياء؛ لكوني

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 265).
(2) أخرجه أبو نعيم في الحلية (7/ 318).
(3) أخرجه مسلم (1199).

استمديت علمي شيئًا فشيئًا، وليس ذلك في شطح على الأنبياء كما فهمه بعضهم، وإنما قصد به إظهار نقصه من مقام الأنبياء.

وإيضاح ذلك: أن البحر هو القرآن، والساحل هو معانيه القريبة المأخذ، والخوض فيه هو الدخول إلى معانيه الدقيقة؛ وذلك لأن أبا يزيد ولي لا مشرِّع للناس، ولولا أن الولي أو النبي يقصد المواضع القريبة من الساحل لما خرج إلى الخلق أبدًا، فإن الأنبياء وكمل ورثتهم واقفون دائمًا بساحل هذا البحر يدعون الناس إلى ما فيه سعادتهم وشعار دينهم رحمة بهم، ولو أنهم دعوهم إلى ما وصلوا هم إليه من معاني القرآن ما قدر أحد يتبعهم.

فقلت له: فهل في علم الحقيقة شيء يخالف الشريعة ظاهرًا أو باطنًا؟

فقال: هما مثلا زمان، فإنه لا يعتبر ظاهر إلا بباطن ولا باطن إلا بظاهر، وأما ما أنكره موسى عليه السلام على الخضر فإنما هو لأجل ما بعث به من الوحي، ولم يكن في زمانه رسول إلا هو، وكان هارون رسولاً من باطنه، وما تعودت الأنبياء أخذ الأمور المشروعة إلا بواسطة الملك الذي يوحي إليهم، وكان علم الخضر من الوجه الخاص الذي بينه وبين الله بلا واسطة.

ياقوت

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل يصح لعارف الخروج عن نفسه، كما يقول به بعضهم؟

فقال رضي الله عنه: لا يصح له ذلك، ولو بلغ أقصى درجات الكمال، إلا أن يكون المراد بالنفس الصفات الرديئة؛ وذلك لأن نفس العبد هي الحافظة للمقامات والأحوال والشؤون الواردة من قِبل الحق تعالى إليه، فهي بمنزلة المدبر لبدنه، ومتى أخلَّ العارف بشيء من أحواله كان التدبير ناقصًا، والعارف بعد كماله مفتقر إلى التدبير، لكون الحق تعالى استخلفه في ماله وفي النظر في مصالح عباده.

فقلت له: فهل يصح سلب العارف معرفته، كما يقول به بعضهم؟

فقال: لا يصح سلبه؛ لأن المعرفة من حيث هي لا تسترجع، وإنما اللبس دخل على هؤلاء من شهودهم سلب مصالح الحال، ومعلوم أن صاحب الحال ليس بكامل ولا عارف.

فقلت له: فما صفات العارف بالله تعالى في كل زمان؟

فقال: من صفاته: أن يجري في دقائق المعاني، ويظهر كل معنى غامض على العلماء، وأن يفصل مقامات الكشوف ورتبه وأذواقه، ويعرف كيفية التفريق بين المقامات والحضرات، فإذا حل مقفل ما تضمنه هذا الكلام فهو عارف الزمان.

فقلت له: فهل يُشترط أن تظهر للعارف كرامة؟

فقال: لا يشترط فيه ذلك، فإن بعض الناس يطلعه الله على خواص نباتات أو حيوانات، فيفعل بها كثيرًا من الانفعالات، كالطيران في الهواء، والمشي على الماء، وبعضهم يكون عالمًا بخواص الأسماء والحروف، فيظهر بها الآثار العجيبة، فيلتبس على الحاضرين أن ذلك من قوة الحال أو المكانة عند الله، وإنما هو في ذلك متفعل بالخاصية، كالدواء المسهل أو القابض يفعل بخاصيته لا بالمكانة عند الله، فاعلم ذلك.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن القضاء والقدر: ما معناهما؟

فقال رضي الله عنه: **القضاء**: عبارة عن الحكم الكائن في الأشياء على ما تقتضيه أعيانها الثابتة في علم الله.

والقدر: جعل ذلك معيَّنًا مخصوصًا بأزمنة مشخصة، ولذلك يقدم على القدر في العبارة، والله أعلم.

كبريت أحمر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: كيف سَمى الحق تعالى نفسه بالدهر ونحن لا نتعقله إلا زمانًا؟

فقال رضي الله عنه: المراد بالدهر هنا: الأزل والأبد اللذين هما الأول والآخر.

فقلت له: فمن أين ذم الله تعالى الدهرية، والدهر على هذا هو الله تعالى؟

فقال: لو ظن الدهرية أن الدهر هو الله لم يتوجه عليهم ذم، وإنما جاءهم الذم من ظنهم بالدهر أنه الزمان الفلكي الذي لا حقيقة له في أيام الله التي لا

يعقل لها افتتاح، فهم كمن قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3] فحقَّ عليهم العذاب بهذا الظن كما حقَّ على عبَّاد الأوثان.

فعلم أن المراد بالدهر في قول الله تعالى: إنما الدهر هو الأول والآخر اللذين هما نعوت الله ﷻ فإن الله سمى نفسه بـ: «**الأول**» ولكن لا بأولية تحكم عليه، كالأوليات المسبوقة بالعدم، فإن هذا متفق في حق الحق تعالى بلا شك، فإنه لو كانت أوليته مثل أولية الموجودات المقيدة فهو تعالى آخر بلا آخرين تحكم عليه نظير اسمه الأول، والله أعلم.

زبرجد

قلت لشيخنا رضي الله عنه: رأيت في كلام الشيخ محيي الدين أن أحدًا لا يعذَّب في النار إلا من الجزء الناري في عنصره، هل ذلك صحيح؟

فقال رضي الله عنه: نعم، وذلك أن الجزء الناري في عنصره يقوى ويتأجج على بقية الأجزاء فيحرقها.

قال: وذلك خاص بأهل الكفر والشرك وما قاربهما من الكبائر.

قال: وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «**ما من أحد إلا وله شيطان**» فقيل: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**وأنا، ولكن أعانني الله عليه فأسلم**»(1) بفتح الميم على إحدى الروايتين، والشيطان هو حقيقة، فإذا منَّ الله على عبد واصطفاه صفَّى عناصره من شوائب الكدر، فصارت النار نورًا وباينته النار التي هي نصيب الشرك، كما باينت الرحمة الانتقام.

كبريت أحمر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: 31] ونحوها من الآيات.

فقال رضي الله عنه: هذا ورد من الحق تعالى على سبيل التنزل لعقولنا، فتنزل تعالى لنا ولعقولنا بمنزلة من يستفيد بالاختيار أمرًا كان غامضًا عليه، وهو عليه السلام العالم

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (796).

بما يكون من عباده قبل كونهم؛ أي: ولنبلونكم حتى يظهر لكم علمنا الكامن في أعيانكم، وذلك هو عين علمنا السابق على ظهور أعيانكم، فللعلم الإلهي تعلقان: تعلق بالمعدوم وهو معدوم، وتعلق به وهو موجود على حال مخصوص.

وسألته مرة أخرى عن هذه الآية؟

فقال: معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ أيّ: إذا ظهر منكم عند الابتلاء بالتكليف ما يكون منكم من مخالفة أو طاعة تعلق علمي عند ذلك بحالكم تعلقًا خاصًا صوريًا غير التعلق الذي كان في علمي القديم؛ لأن ذلك التعلق لم يكن في علمي، بل هو مندرج فيه.

فقلت له: قد رأيت في كلام الشيخ محيي الدين في هذه الآية ما نصه في الباب الرابع عشر وخمسمائة من «الفتوحات المكية» بعد كلام طويل لا تحتمله العقول: اعلم أن العلم تابع للمعلوم ما هو المعلوم تابع للعلم.

ثم قال: وهذه مسألة دقيقة من تحقق بمعرفتها لا يمكنه إنكارها، انتهى.

فقال: هذا كلام غوره بعيد، وأحسن الأجوبة ما قدمناه، والله أعلم.

زبرجد

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: لا يقع التجلي العلمي إلا في أربع صور فقط: الماء، واللبن، والعسل، والخمر.

فقلت له: فلِمَ ذلك؟

فقال: لأن الجنة هي دار الرؤية والتجلي الرباني، وما ذكر الله فيها سوى هذه الأربعة أنهار، وتأمل قوله ﷺ: «**أوتيت بقدح من لبن فشربت منه حتى رأيت الذي يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضله عمر بن الخطاب**» قالوا: فما أولته يا رسوله الله؟ قال: «**العلم**»(1) فهذا علم تجلى له صورة لبن، وهو أحد أنهار الجنة، فإن مشروب الجنة يختلف باختلاف أمزجة الشاربين، وهو استعدادهم، فمن الناس من يكون مشروبه فيها عسلاً.

ومنهم: من يكون مشروبه فيها لبنًا.

---

(1) أخرجه البخاري (82)، ومسلم (2391)، وأحمد (6142)، والترمذي (2284).

ومنهم: من يكون مشروبه فيها خمرًا أو عسلاً على حسب الصور التي يتجلى فيها ذلك العلم.

فقلت له: فهذا التجلي العلمي في صورة اللبن قد عرفناه فما يتصور في صورة الماء؟

فقال: ذكر الشيخ محيي الدين أن صورة الماء يتجلى فيها العلوم المعنوية، **فقيل**: فما يتجلى في صورة العسل؟ **قال**: يتجلى فيها العلوم المحققة، كالوحي والإلهام الصحيح.

فقلت له: فما يتجلى في صورة الخمر؟

فقال: علوم الأحوال؛ ولذلك يشطح أصحابها، وقد جربنا ذلك كله في رؤية المنام في دار الدنيا.

وقد بلغنا عن الحلاج أنه رأى في منامه أنه يشرب خمرًا، فكان من أمره ما كان، فاعلم ذلك فإنه نفيس، ما أظنه طرق سمعك قط.

ماس

قلت لشيخنا ﷺ: لـِمَ كانت منامات الأنبياء كلها حقًا؟ ولـِمَ كان لهم العمل بها من غير تأويل، كما وقع للخليل إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده، فإنه جزم بذبحه وعزم عليه؟

فقال: إنما كان للأنبياء العمل بذلك؛ لأن قلوبهم نورانية، فما يرونه في المنام له حكم اليقظة، ويؤيده قوله ﷺ: «**إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**»(1) وكذلك الأنبياء، فجميع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون إلا حقًّا؛ إذ هو من خزانة علم الحق بتوسط الملكوت السماوي، ولا يمكن الخطأ في هذا النوع ولا التأويل.

قلت له: فإذا انعكس النور من قلوب الأولياء إلى الجهة العلوية، كقول يوسف: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 100].

---

(1) أخرجه البخاري (1096)، ومسلم (738)، ومالك (263)، والنسائي في الكبرى (1421)، وأبو داود (1341)، والترمذي (439).

مرجان

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: أحق الناس بالمقت من الناس من لا يرى غير زعمه ودعاوى وهمه، إن تكلم جار، وإن سكت خار بوهمه، ويجرح ويزكي، ويقبح ويبدع ويسمع، نسأل الله اللطف.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: أول ابتلاء ابتلى الله تعالى عباده به: بعثة الرسل إليهم منهم لا من غيرهم؛ لأن الحسد على المراتب لا يكون بين الجنسين، وإنما هو خاص بالجنس الواحد؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: 9] فإن المقصود إقامة الحجة على من جحد ما جاء به رسوله حسدًا، فمعنى الآية؛ أي: لو كان الرسول إلى البشر ملكًا لظهر في صورة رجل حتى لا يعرفوا أنه ملك؛ لأنهم لو رأوه ملكًا لم يقم بهم حسد، فاعلم ذلك فإنه نفيس.

جوهر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما وجه طلب استعانتنا بالله في الأعمال ونحن نعلم بنور الإيمان وشرف الإيقان أن الله خالق لما يظهر على يدنا من الأعمال وحده من غير مشارك؟

فقال رضي الله عنه: طلبنا الاستعانة إنما هو على وجه إظهار العبودية فقط، أمَّا من لم يُعط هذا المشهد من عامة المؤمنين الذين يشهدون لهم مشاركة في الأعمال، فجاء القرآن يأمرهم بطلب الاستعانة في الفعل تنبيهًا لهم على عجزهم عن إظهار فعل بنفسهم دون الله تعالى، فكان أمرهم بطلب الاستعانة تقريرًا لدعواهم رحمة لهم، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: لا يثبت مع الداخلين إلى الجنة من المقامات الدنيوية شيء سوى الأنس والبسط والظهور بصفات الجمال ونحو ذلك، وأمَّا نحو التوبة والتكاليف فتثبت مع أصحابها إلى الموت، وأمَّا نحو الخوف والرجاء فيثبت إلى دخول الجنة.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: ليس للروح كمية حتى يقبل الزيادة في جوهر ذاته؛

وذلك لأنه تعالى ما خلقه إلا بالغًا، كاملاً، عاقلاً، عارفًا بتوحيد الله، مُقرًّا بربوبيته، ولولا ذلك ما أقرَّ بالربوبية عند أخذ الميثاق ولا أجاب بـ«بلى» فليتأمل ذلك ويحرر.

ياقوت

سألت شيخنا عن قوله ﷺ: «الرؤيا الصادقة جزءٍ من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[1]: لِـمَ خصَّ ﷺ بهذه الأجزاء العددية؟

فقال رضي الله عنه: إنما خصها بذلك؛ لأن المراد بها جزء من ستة وأربعين جزءًا من نبوته هو لا من مطلق النبوة الشاملة لسائر الأنبياء؛ وذلك لأنه ﷺ مكث يوحى إليه في المنام ستة أشهر، ثم أتاه الوحي على لسان جبريل في اليقظة، فانسب هذه الستة أشهر إلى مدة رسالته التي هي ثلاث وعشرون سنة تجد رؤياه جزءًا من ستة وأربعين، فلو أنه ﷺ كان يوحى إليه ثلاثون سنة مثلاً لقال: الرؤية جزءٌ من ستين جزءًا من النبوة، فافهم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: لو رفع الحجاب عن الخلق في دار الدنيا كما في الجنة لبطل حكم القضاء والقدر.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: لا يصح لأحد من المتكبرين أن يتكبر على الله تعالى، إنما يتكبر على جنسه من البشر كالرسل وأتباعهم مثلاً؛ وذلك لأن كل جبار مُفتقر إلى الله افتقارًا ذاتيًا، بخلاف افتقاره إلى رسوله، فإنه افتقار عرضي.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: من استحى من الله في هذه الدار استحى الله منه في دار الآخرة وباسطه، يقول: «**يا عبدي، لا تخف مني كل ذلك الخوف، فإن جميع ما وقع منك من المخالفات في دار الدنيا إنما كان بقضائي وقدري، وتنفيذ مشيئتي وإرادتي التي لا يستطيع أحد أن يردها، فقد كنت موضعًا لجريان أحكامي وظهور سلطاني**» فيأنس العبد بهذا القول أشد المؤانسة، ويغيب من لذة ذلك الخطاب، ولو أن العبد كان قال ذلك لربه في دار الدنيا وقلَّ حياؤه لأساء الأدب مع الله تعالى، ولم يسمع منه ما عرف، يا أخي، أدِّب الخطاب يجعلك الحق مع الأحباب.

---

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (3/ 251).

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: العلم نور، والنور حجاب، والحجاب عمى، والعمى حيرة، والحيرة وقعة، والوقعة هلاك، فالعالم في حجاب علمه، والجاهل في حجاب جهله، وما ثَمَّ من علمٍ بذاته إلا الله، فافهم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: إذا زل الولي ولم يرجع من وقته إلى الله عوقب بالحجاب، وهو أن يحبب إليه إظهار خرق العوائد المسماة في لسان العامة بالكرامات، فيظهر بها ويقول: لو كنت مؤاخذًا بهذه الزلة لقبض الحق عني الكرامة، وغاب عنه أن ذلك استدراج، نسأل الله اللطف.

فقلت له: فهل يجب على الأولياء ستر كراماتهم؟

فقال رضي الله عنه: هم في ذلك بحسب مشاهدهم وما يترتب على إظهارها وإخفائها من المنافع؛ لأن الحق في حجر الأولياء كأطفال في يد وليِّهم يحزنهم تارة ويفرِّحهم أخرى، ويخوفهم تارة ويقربهم أخرى، ومع هذه المنافع فلا بد من الإذن الإلهي في إظهار الكرامات، فإن الولي إنما يدعو إلى الله تعالى من باطن شريعة نبيه ﷺ الثابتة المقررة، فلا يحتاج إلى إظهار كرامة، بخلاف الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام.

فقلت له: فإذا كان الإذن على سبيل العرض لا على سبيل الأمر، فهل يتركها؟

فقال: نعم، كما أبت السماوات والأرض والجبال حمل الأمانة إذا كان الأمر معروضًا عليها، بخلاف ما إذا اقترن بنهي من الشارع مثلاً، كما في قصة عثمان رضي الله عنه نهاه رسول الله ﷺ ألَّا يخلع ثوب الخلافة من عنقه حتى يقتل لعلمه بما للحق في ذلك، فعلم أن كل من اقترن بتصريفه أمر إلهي وجب عليه الظهور به، ولا يزال مؤيد في ذلك، ومن لم يقترن به أمر إلهي فهو مخيَّر إن شاء ظهر به فيظهر بحق، وإن شاء لم يظهر به فتستر بحق، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: الغيب الذي يخبر به العارفون غيبًا عندهم إنما هو من قسم عالم الشهادة؛ لأنهم إنما يخبرون عما يشاهدون، وما سمَّاه غيبًا إلا من كان محجوبًا عن ذلك، فصحَّ تخصيص قوله تعالى: ﴿...فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: 26- 27] والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: لا يسمَّى: «**نافلة**» إلا ما كان له أصل في الفرائض،

كالصلاة، والزكاة، والصيام وما أشبه ذلك، وما عدا ذلك فهو عمل برّ ليس بنافلة.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: الشرع طريق إلى السعادة والنجاة لا طريق إلى الله؛ لأن الحق تعالى لا يصح الوصول إليه بطريق من الطرق، فافهم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: إن من عباد الله تعالى من لا يستره حجاب، ومع ذلك فلا يعرف ما في جيبه؛ وذلك لأن العبد لا يعرف الأمور إلا بقدر ما أطلعه الله، وليس له في ذاته اطلاع.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: العارف بالله مركب أدبه من شرع وحقيقة يأكل بعضه بعضًا، فإن تنفس استراح في نفسه وأهلك الناس بكلامه، وإن سكت هلك في نفسه وهلاك الغير أولى.

قلت: وقد رأيت أخي أفضل الدين ـ رحمه الله تعالى ـ لما كانت الحقيقة تبدو له ويكتمها يطلع على يديه جراحات حتى يذوب بدنه، وكان إذا تكلم يرمونه جيرانه بالزندقة؛ لدقة مدارك كلامه، رحمه الله تعالى.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: الكامل من الرجال يكنَّى: أبا العيون؛ لأن لكل شيء عنده عينًا خاصة، فالعين التي ينظر بها ربه غير العين التي يرى بها نفسه، فلا ينظر إلى ربه بعين تدنست بشهود الأغيار، والعين التي يرى بها فعل ربه غير العين التي يرى بها فعل نفسه، والعين التي يرى بها قربه من الحق غير العين التي يرى بها بعده عنه من حيث التنزيه، فكل حال عنده عين، ولذلك قلَّ التناقض في الأمور عند العارفين، فاعلم ذلك.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: 106] هل المراد بها وجوه القلوب أو الأجسام الظاهرة؟

فقال رضي الله عنه: وجوه القلوب هي المبيضة والمسودة هناك؛ لأنها هي التي كانت مسودة هنا بالكفر أو مبيضة بالإيمان، وأطال في ذلك.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: لا يتقرب بالأعمال إلى الله تعالى الذي هو خالقها، لكن يحفظ فيها من النقص فتنبه وتفطن.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: قيام الليل عند العارفين كالفرض في الاعتناء به، فمن ادعى مقام العرفان ونام بالليل في الأسحار، فهو غير صادق.

وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله تعالى: «**يا عبدي، جعلت النهار معاشك، وجعلت الليل للسمر معي، فاشتغلت عني بالنهار، ونمت عني بالليل، فماذا حصَّلت؟**». انتهى.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان: 70] هل يصح لأحد في هذه الدار العلم بسيئاته قد تبدلت حسنات؟

فقال رضي الله عنه: لا؛ وذلك لأن علامة تبديلها أن يذهب عنه تذكرها، فلا يصير عنده علم بأنها وقعت منه أبدًا، بحيث لو نسبت إليه لأنكرها، وحلف بالله أنه ما وقع فيها، وهذا لا يكون إلا لغيره، أمَّا هو فلا يعلم بذلك؛ لأنه إن تذكرها فما بدلت، وإن لم يتذكرها فما عنده علم بها، فمن أراد أن يعرف من غيره تبديل سيئاته بحسنات فليسأله عما كان وقع فيه، فإن وجد عنده علم بوقوعه فهي لم تبدل وإلا قد بدلت.

وإيضاح ذلك: أن التوبة إذا قُبلت لا يبقى للذنب صورة يشهدها في مخيلته أبدًا لتبديله بالنص المعصوم، وأمَّا إذا تذكر الذَّانب ذنبه فتوبته معلومة.

فقلت له: فما كيفية تبديل السيئات بالحسنات؟

فقال: كيفيتها: أن تكتب الملائكة في صحيفته بدل كل سيئة حسنة تشاكلها وتوازيها بحكم المقابلة ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: 54].

بلخش

سألت شيخنا رضي الله عنه عن إضافة المسميات إلى اسم الله تعالى من الشياطين: هل الأدب ترك الإضافة في أسمائهم؟

فقال رضي الله عنه: الأدب ترك ذلك، فلا يقال: «**قوش قيلووش**» ونحو ذلك من أسماء المردة الشياطين؛ لأن الله تعالى ما أضاف إليه في كتابه إلا عباد الاختصاص من المسلمين والملائكة، وأمَّا الشياطين فلا يضاف «قبلؤ» و«قوء»

إلى «أوش» ويضاف «حيروميكا» و«إسراف» و«عزرا» إلى الذي بالسريانية، وقد أقام الله هذا الاسم مقام البسملة في التوراة، فقال ﷻ: «ايل راجعون شداي» والله أعلم.

درة

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: روح العمل هو النية؛ ولذلك قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» وكل عمل ليس فيه نية فهو ميت، حتى أن بعضهم قال: إن الجزاء حقيقته إنما هو من حيث النية، ومن رحمة الله تعالى بهذه الأمة قوله ﷺ: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**»[1] ما قال: وإنما لكل امرئ ما عمل، ولو قال لما كان يحصل لأحد أجر بنيته من غير عمل أبدًا، فالعاقل من ينوي فعل كل خير لم يقسمه الله له فيثاب مثل ثواب من عمله، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «**والصدقة برهان**»[2] ما المراد بهذا البرهان؟

فقال رضي الله عنه: اعلم أن الشُّح في الإنسان وصف جبلِّي لا يمكن زواله، ولكن العبد يوقى العمل به بعناية الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9] فأثبت الشح في النفس، إلا أن العبد يوقى العمل به بفضل الله ورحمته.

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: 19-21].

وقال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: 5] ما قال: «**ومن شر أن**

---

(1) أخرجه البخاري (1)، ومسلم (1907)، وأحمد (168)، والترمذي (1647)، وأبو داود (2201)، والنسائي (3437)، وابن ماجه (4227)، وابن المبارك (188)، والحميدي (28).

(2) أخرجه أحمد (22953)، ومسلم (223)، والترمذي (3517)، وقال: صحيح. والدارمي (653)، وأبو عوانة (600)، والطبراني (3423)، وابن منده (211).

يقوم بي وصف الحسد، أو أن يكون لي حاسد من الناس» وهكذا في سائر الصفات القائمة بالذات، فما خرج عن ذلك إلا الأنبياء فقط؛ وذلك لأن الله تعالى قد طهرهم من أصل الصفات المذمومة بسابق العناية، ويبقى غيرهم على الأصل في الطينة، فمادامت العناية تحف العبد، فلا يظهر به وصف ناقص أبدًا، فإذا تخلفت عنه قام به الوصف الناقص وظهر.

فقلت له: فما أصل وجود هذا الشح في الإنسان؟

فقال: أصله مستفاده وجوده من الحق تعالى، فهو مفطور على الاستفادة لا على الأداة، ومن هنا كانت الصدقة برهانًا، يعني: دليلاً على أن ذلك المتصدق وقى بها شح نفسه، والله أعلم.

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه: هل يزول الحجاب بدخول حضرة الإحسان بالكلية أم هو باقٍ؟

فقال رضي الله عنه: الإيمان مصاحب لسائر المراتب حتى للأنبياء، كمصاحبة الواحد في مراتب العدد، وله في كل مرتبة معنى يخصصه، فقوله في الحديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن من أن الله يراه**»[1] لأن الحياء كان يمنعه من ذلك؛ لأنه غير مؤمن بملائكة الله وكتبه ورسله مثلاً، وقِس على ذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175] أي: بأني شديد العقاب لا أمان لأحد معي، والله أعلم.

در

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: 17] ما صورة إضافة القتل إلى الله مع إضافته إلى العدل؟

فقال: صورته: أن المقتول حين ضُرب بالسيف مثلاً انتهى أجله، فقبل

(1) أخرجه البخاري (6425)، ومسلم (57)، وعبد الرزاق (13686)، وأبو داود (4689)، والترمذي (2625)، وأحمد (10220)، وابن حبان (4412).

القتل بما فيه من استعداد الموت، كما قبلت الشجرة المقطوعة بالفأس أو قطع من القاطع حين كانت مستعدة للقطع، وكما أن القطع بإذن الله كما صرح به في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: 5] وكذلك القتل هو بإذن الله.

وإيضاح ذلك: أن الإذن هو الأمر الإلهي، أمر بعض الشجرة أن يقوم فقامت، وأمر بعضها أن تقطع فانقطعت بإذن الله لا بقطع النجار، يوصف بالقطع والترك في ظاهر الأمر أيضًا، فافهم.

كبريت أحمر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن صلاة ثابت البناني[1] في قبره كما ذكروه في «طبقات الأولياء»: هل يُثاب عليها كما يُثاب على ما كان من أعماله قبل الموت؟

فقال: نعم، لكن بحكم خرق العادة لقوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله...**»[2] فالبرزخ معدود في حق مثل هذا من وقت التكليف، بل قال بعضهم:

---

(1) ثابت بن أسلم الإمام الرباني، أبو محمد البناني المتعبد الناحل، المجتهد الذابل. قد قيل: التصوف محافظة الحرمة، ومداومة الخدمة. وقال أنس رضي الله عنه: إن للخير مفاتيح، وإن ثابتًا من مفاتيحه.
وأوصى له بمثل نصيب ابنه فلم يقبله. وما روى عن الحسن رضي الله عنه أنه أوسع لأحد قط في مجلسه إلا لثابت.
وكان أعبد أهل زمانه، يصوم الدهر كله ويقوم الليل أجمع، ولا يمر بمسجد إلا دخله وصلى فيه ركعتين.
وكان إذا مروا بقبره سمعوا منه قراءة القران. وكان قد قال في حياته: اللهم إن كنت أعطيت أحدًا أن يصلي في قبره فأعطني، فلما دفن سقطت لبنة فأرادوا إخراجها فرأوه يصلي فيه حالاً، وشهد ذلك من حضر جنازته. انظر: الثقات لابن حبان (4/ 89)، وطبقات ابن سعد (7/ 232)، وصفة الصفوة (3/ 260)، والجرح والتعديل (2/ 449)، والتاريخ الكبير (2/ 159)، والتاريخ الصغير (1/ 354)، والشذرات (1/ 161)، وتهذيب التهذيب (2/ 2)، وطبقات الشعراني (1/ 36)، وطبقات الأولياء (125)، وسير أعلام النبلاء (5/ 220)، وتاريخ الإسلام (5/ 50).

(2) أخرجه بنحوه البخاري في الأدب المفرد (38)، ومسلم (1631)، وأحمد (8831)، وأبو داود (2880)، والترمذي (1376)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (242)، والنسائي (3651). وأخرجه بلفظه البيهقي في الكبرى (3/ 392).

إن وقت التكليف باقٍ حتى يسجد أهل الأعراف سجدة ترجح بها ميزانهم، ثم يدخلون الجنة.

قال: فلولا أن تلك السجدة في زمن التكليف ما أغنت عنهم شيئًا، والله أعلم.

فقلت له: إذا لم يتحقق العبد في دار الدنيا بمقام من المقامات، فهل يُعطاه في الآخرة إذا سأله؟

فقال رضي الله عنه: إذا سأل ذلك من باب المنَّة فجائز أن يُعطاه، وإن كان من باب الجزاء فلا؛ إذ الترقي في الآخرة لا يكون إلا في أعمال حصَّلها المكلف هنا، ولو في البرزخ على ما في قصة ثابت في قبره كما قدمناه.

فقلت له: فإذا صدقت نية العبد في شيء، وتعلقت همته بحصوله، فهل يكون له في الآخرة؟

فقال: نعم إن شاء الله تعالى، كما إن مات قبل الفتح عليه في طريق القوم يرفع إلى محل همته.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: 30]؟

فقال رضي الله عنه: أقول لك فيها قولاً لم تسمعه من غيري.

فقلت: نعم.

فقال رضي الله عنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ كُمَّل الأنبياء ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عامة النبيين ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ جميع الأولياء ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30]. انتهى.

زمرد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله صلى الله عليه وسلم: «**لخلوف فَم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»(1) ما المراد بهذه العندية؟

(1) أخرجه البخاري (1795)، ومسلم (1151)، والنسائي (2217)، وابن حبان (8/ 205).

فقال: المراد بها: يوم القيامة، فيتغير هناك رائحة الخلوف برائحة المسك، كما أن دم الشهيد يفوح مسكًا كماء الورد، ومن كمل إيمانه أدرك تلك الرائحة هناك ما هي من عند الله طيبة؛ ولذلك قال رسول الله: «**ما لكم تدخلون علي قُلْحًا استاكوا**»(1) والقلح في الفم: هو تغير لونه، فما أنكر ﷺ عليهم إلا من حيث حط البصر لا من حيث الشم، فتأمل.

بلخش

قلت لشيخنا رضي الله عنه: لِـمَ قال ﷺ: «**من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه**»(2) ولـم يقل بدل «غفر له»: أجيب دعاؤه؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم في هذا الوقت شيئًا.

فقلت له: إني رأيت في كلام الشيخ محيي الدين ما نصه: إنما لم يقل ﷺ: «**أجيب دعاؤه**» لـما بقي له ما يغفر من الذنوب؛ لأنه الـمهدي إلى الصراط المستقيم، حكمه كالأنبياء في ترك المعاصي، فما له ذنب يُغفر، انتهى.

فقال رضي الله عنه: كلام حسن، فلِمَ لم تكن اكتفيت بكلام الشيخ محيي الدين عن سؤالي؟

فقلت: إنما قصدت بذلك تزكيتكم لكلامه.

فقال الشيخ: كان من أئمة العارفين رضي الله عنه.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قصة سليمان عليه السلام في ضربه سوق خيله وأغنامه حين ألهاه عرضها عليه عن صلاة العصر، حتى كادت الشمس أن تغرب:

فقال رضي الله عنه: لِـمَ كان يتصدق بها؟

لـم لا وهو لا يتمالك عقله أن يتصدق بها، مبادرة لعِظم أمر الله تعالى،

---

(1) أخرجه الطبراني (1302). قال الهيثمي (1/ 221): فيه أبو علي الصيقل، وهو مجهول.

(2) أخرجه البخاري (747)، ومسلم (410)، ومالك (194)، وأحمد (7187)، وأبو داود (936)، والترمذي (250)، والنسائي (928)، وابن ماجه (852).

والصدقة تحتاج إلى صرف زمان حتى يأخذها الناس منه.

ونظير ذلك ما وقع لإبراهيم الخليل حين أمره الله بالاختتان ولم يجد الموس فاختتن بالفأس، وقال: إن تأخير أمر الله شديد.

قلت: قد ذكر المفسرون في مسح السوق والأعناق خلاف ذلك.

فقال: دائرة الفهم واسعة.

زمرد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»[1] لِـمَ لم يقل: يرحمهم الرحيم؟

فقال رضي الله عنه: محل سلطان الاسم الرحيم إنما هو في الآخرة دون الدنيا، فلولا قال: «**الرحيم**» لفتر عزم الراحم منًّا لعدم شهود الجزاء له بالرحمة في هذه الدار؛ فلذلك جاء الاسم «**الرحمن**» المؤذن بمجازاته على تلك الرحمة التي رحم بها غيره في دار الدنيا.

فقلت له: فما المراد بقوله: «**يرحمكم من في السماء**»[2]؟

فقال: المراد: هم الملائكة يرحمون من رحم أهل البلايا، وتجاوز عنهم في الدنيا باستغفارهم له في السماء، وهو قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: 5] والله أعلم.

ياقوت

قلت لشيخنا رضي الله عنه: رأيت في كلام الشيخ محيي الدين رحمه الله في قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: 43] كلامًا.

فقال رضي الله عنه: اذكره.

(1) أخرجه أبو داود (4941)، والبيهقي (17683)، وأحمد (6494)، والبخاري في التاريخ الكبير (7/ 194)، والترمذي (1924) قال: حسن صحيح. والحاكم (7274)، والحميدي (591).

(2) انظر: التخريج السابق.

فقلت له: إنما قدم العفو ليعلمنا أن قوله تعالى: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ سؤال عن العلة لا سؤال توبيخ، فإن العفو والتوبيخ لا يجتمعان، فمن وبَّخ فما عفا مطلقًا؛ إذ التوبيخ مؤاخذة بلا شك، فما قدم تعالى العفو وجاء به ابتداء إلا ليزيل ما في الأوهام من أن المراد به التوبيخ كما فهمه بعض من عنده علم بحقائق الخطاب.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ﴾ [التوبة: 43] مثل قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: 116]؟ كأنه تعالى يقول: أفعلت ذلك ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [التوبة: 43]؟ فإمَّا أن يقول عند ذلك: نعم، أو يقول: لا. انتهى.

فما تقولون في هذا الكلام؟

فقال رضي الله عنه: كلام في غاية التحقيق، فاعلم ذلك.

در

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «**الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان**»(1) ما الفرق بينهما؟

فقال رضي الله عنه: الفرق بينهما: أن صاحب الرؤيا يرى الأمر على ما هو عليه في نفسه، بخلاف صاحب الحلم، فإنه يرى على خلاف ما هو عليه، فإن الحلم مشتق من الفساد، يقال: حلم الجلد إذا فسد، فاعلم ذلك.

زبرجد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الوهب والجود والكرم والسخاء والإيثار: هل هي مرادفة أم متغايرة؟

فقال رضي الله عنه: هي متغايرة؛ لأن الوهب عطاء لمجرد الإنعام، ولا يقترن به طلب معاوضة من شكر وغيره.

وأمَّا الكرم: فهو عطاء بعد سؤال.

وأمَّا الجود: فهو عطاء قبل السؤال.

وأمَّا السخاء: فهو عطاء بقدر الحاجة.

---

(1) أخرجه البخاري (5747)، ومسلم (6034).

وأمَّا الإيثار: فهو أن يؤثر على نفسه ما هو محتاج إليه في الحال، وهو الأفضل، أو في الاستقبال وهو دون الحال.

فقلت له: فما حقيقة الإسراف؟

فقال: كرم خارج عن الحد والميزان، والله أعلم.

در

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: إنما عظم الشارع وذم من أفسد عيال غائب في سفر؛ لأن الله عز وجل خليفة المسافر في أهله كما صرح به الحديث، وفي ذلك انتهاك لحرمة الله عز وجل ونظير ذلك ما جاء في أكل مال اليتيم؛ لأنه ليس له ولي حقيقة إلا الله تعالى، وهو تعالى غير مشهود لكل أحد حتى يراعي من هو تحت كفالته، فبالغ الشارع في التنفير عن ظلمه، والله أعلم.

زمرد

قلت لشيخنا رضي الله عنه: إني رأيت بعض الفقهاء يشتري عبدًا، فتوقف في شرائه حتى سأل العبد عن سيده وأقرَّ به لسيده بالرق، ثم اشتراه، هل له في ذلك مستند؟

فقال رضي الله عنه: له مستند عظيم، وهو أن الحق تعالى ما اكتفى بكون الخلق عبيده حتى أخذ عليهم العهد بالاسترقاق يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] فأثبت عليهم الاسترقاق بإقرارهم به؛ ليطالبهم بالوفاء بآداب العبيد، فقد مشى هذا المشتري والله على القواعد الإلهية.

وإيضاح ذلك: أن الأصل الحرية، فإذا اعترف العبد لسيده بالرق صار الاسترقاق في رقبته أصلاً يستصحب حتى يثبت الحرية، والله أعلم.

بلخش

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول في قوله** صلى الله عليه وسلم: «**اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك**»[1] اعلم أن الأولى بمنصب النبوة أن يكون المراد بشفاء الله تعالى:

(1) أخرجه البخاري (5750)، ومسلم (5836).

استعمال الأدوية التي فيها الشفاء، فإن كل مزيل للمرض فهو شفاء الله الذي أودعه في ذلك المزيل، وفي هذا إثبات للأسباب أيضًا، وردها كلها إلى الله تعالى.

قال: وسبب قوله ﷺ: «**لا شفاء إلا شفاؤك**» نفي توهم الشفاء من غير الله، والوقوف مع العقاقير ومع الحكماء الذين يعالجون المريض، فأرشد ﷺ أمته أن يرجعوا إلى الله في دفع كل شيء يؤلمهم؛ لأن ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [المؤمنون: 88] فآداب الأنبياء لا يبلغها أدب.

وتأمل قول أبي بكر رضي الله عنه لما قيل له: أندعوا لك طبيبًا؟

فقال: «**الطبيب أمرضني**» وبين قول الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: 80] تجد قول الخليل أكثر أدبًا؛ لإضافته المرض إلى نفسه حين كان مكروهًا للنفوس، وإضافته الشفاء إلى ربه، والله أعلم.

كبريت أحمر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: 27] هل المراد به هنا الفعل الصادر منه تعالى أو المخلوق؟

فقال رضي الله عنه: المراد به هنا: الفعل الصادر منه تعالى لا المخلوق، فإن عين المخلوق ما زالت من الوجود، وإن اختلفت عليها الأطوار في الدنيا، والبرزخ، والحشر، والجنة، والنار، فإن عين المخلوق واحدة من حيث وجودها، فلم تعدم حتى أنها توجد، وإنما هو انتقال من وجود إلى وجود، ولذلك كان نعيم القبر وعذابه حقًّا، فعلم أن نشأة الآخرة ابتداء لا إعادة؛ إذ لو كانت إعادة لعاد حكمها معها من التكليف، فكل جوهر من حيث خلقه لا ينعدم أبدًا، فافهم وتأمل وحرر إن كان فيه شيء، والله يتولى هداك.

زبرجد

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: عبادة العارف لا لذة فيها تظهر له؛ لقلتها، وخروجه عن دعوى أن العمل له كثرة أو قلة؛ فإن لذة العبد بالعمل على قدر ما فيه من دعوى العمل له كثرة وقلة، ومن هنا كان العباد أكثر لذة في أعمالهم من العارفين؛ لشهودهم العمل لهم، كما أشار إليه حديث: «**ادخل الجنة برحمتي،**

قال العابد: يا رب بل بعملي»[1] فلو شهد العمل لله ما تلذذ؛ لأن أحدًا لا يتلذذ بعمل غيره ذوقًا، ومن هنا سميت العبادات: تكاليف، فافهم.

ياقوت

سألت شيخنا ﵁ عن قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105] لـِمَ ذكر الرسول والمؤمنين، والحق في التكاليف كلها إنما هو لله تعالى وحده؟

فقال ﵁: إنما ذكر رسوله والمؤمنين؛ لأنهم نوَّابه في الأرض في الدعاء إلى شرعه.

فقلت له: فإذا حكم الحق تعالى بنفسه في خلقه يوم القيامة، هل يحكم بما يراه تعالى أو بما يراه الرسول والمؤمنون؟

فقال: الحكم مختلف، فموطن يحكم تعالى فيه بما يراه من العلم الخارج عن علم الخلق كلهم، وموطن يحكم فيه بما يراه الرسول ﷺ لا بما يراه الله تعالى مما هو مختص بعلمه، وموطن يحكم فيه بما يراه المؤمنون لا بما يراه الرسول ﷺ وموطن يحكم فيه بالمجموع، هذا ما أطلعنا عليه ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8].

كافور

قلت لشيخنا ﵁: رأيت في كلام بعضهم أن الليل ذكر والنهار أنثى، هل ذلك صحيح؟

فقال ﵁: نعم، فلما يغشى الليل النهار توالدا، فظهرت الكائنات عن غشيان الزمان، فالمولدات كلها أولاد الزمان.

فقلت له: فإذًا استخراج الزمان الذي هو أنثى كاستخراج حواء من آدم؟

فقال: نعم ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس: 37]

---

(1) أخرجه بنحوه الحاكم (7637)، والبيهقي في شعب الإيمان (4620)، والعقيلي (2/ 144، ترجمة 639 سليمان بن هرم).

كما أن استخراج الليل الذي هو ذكر كاستخراج عيسى بن مريم، وهنا أسرار لا تذكر إلا مشافهة، فإذا خاطب الحق تعالى أبناء الليل قال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ وإذا خاطب أبناء النهار قال: ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ﴾ [الحديد: 6] فهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ [يس: 40] فنزل ذلك عليه تجدهما بهذين المعنيين، والله عليم حكيم.

ماس

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما حكمة إتيان الله تعالى يوم القيامة في ظلل من الغمام؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

فقلت له: قد رأيت فيه كلامًا لبعضهم.

فقال: اذكره.

فقلت: إنما كان إتيان الله في ظلل من الغمام؛ لأنه مجيء قهر وعظمة واقتدار، والغمام مشتق من الغيم؛ لأنه يحجب بيننا وبين السماء التي هي عالم الانفساح، فتنقبض النفوس عند تراكم الغمام؛ لحيلولته بين مسارح أبصارنا، فيأخذ الله الكافر من تحته.

ولذلك ورد: «**وأعوذ بك أن أغتال من تحتي**»[1].

قال: والحكم في ذلك: أن المؤمن في الدنيا علم ربه فنسب العلو إلى ربه، وتواضع فتجلى له من فوقه، والكافر جهل ربه، فنسب العلو إلى نفسه وتكبر، فأخذه الله من تحته فلم يره ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: 15] يعني: حجبهم عند الغمام الذي أخذهم الحق فيه من تحتهم، والله تعالى أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قولهم: «**من عرف الله لم يخفَ عليه شيء**»؟

فقال رضي الله عنه: معناه لو صحت معرفة الله على وجه الإحاطة لأحد، لم يخفَ

(1) أخرجه ابن ماجه (4004)، والطبراني في الكبير (13296).

عليه شيء في الوجود، وهذا ما بلغنا حصوله لأحد من الأنبياء فضلاً عن غيرهم، والله أعلم.

بلخش

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: 94] لِمَ احتاج ﷺ إلى تشجيع بالأمر، مع أنه أقوى الرسل عزمًا، ولِمَ أمر بالإعراض عن المشركين؟

فقال رضي الله عنه: إنما أمر بالصدع؛ لغلبة الرحمة عليه ﷺ وذلك خاص بما إذا كان المحل قابلاً للنفوذ فيه حتى يسمى: مصدوعًا، ولو لم يكن قابلاً لذلك لكان الأمر عبثًا؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ يعني: بالصدع، فإنه لو كان ينفذ أمره ﷺ في المشرك الحقيقي لوحَّد الله تعالى، فما قال له: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ إلا لكون المشرك ليس محلاً للقبول، ومثل هؤلاء لا يكون الأمر لهم بسياسة من غير صدع؛ لأنه لإقامة الحجة لا غير، والله أعلم.

زبرجد

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: من أراد السلامة من مكر الله فلا يرم ميزان الشرع من يده، ولذلك قال أبو القاسم الجنيد[1]: علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة.

---

(1) هو الولي الكامل العارف بالله تعالى أبو القاسم بن محمد الجنيد سيد الطائفتين.
قال عنه الشيخ الأكبر رضي الله عنه: هو سيِّد الطائفة، وكان من الفقهاء المعتقدين الشافعية، تفقه على أبي ثور، وكان يفتي بحضرته وهو ابن عشرين سنةً، لم تزل أعناق الفريقين له خاضعة، وعلى تبجيله مجتمعة.
أخذ التصوف عن خاله السري السقطي والحارث المحاسبي رضي الله عنهما، وتحدَّث عن ذلك قائلا: قال لي شيخي السري: إذا قمت من عندي فمن تجالس؟ فقلت: المحاسبي. قال: نعم، خذ من علمه وأدبه، ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين. ثم لما وليت سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديثٍ صوفيًا، ولا جعلك صوفيًا صاحب حديث اهـ.
قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: يريد أنه نتيجةٌ عن العمل عليهما، وهما الشاهدان العدلان.
وله رضي الله عنه في طريق القوم أقوالٌ كثيرةٌ، ومنها: علمنا هذا مضبوطٌ بالكتاب والسنة، ومن=

فقلت له: فهل يحتاج علم الكشف الصحيح إلى الميزان الشرعي؟

فقال: نعم، لا ثقة إلا بما جاء عن رسول الله ﷺ بالوسائط، ومن هنا قالوا: لا يدخل الأوامر الشرعية استدراج، فإن الله ما بعث رسله إلينا ليمكروا بنا، وإنما بعثهم لسعادتنا، بخلاف الهواتف التي تأتي على لسان الحق بلا واسطة، فإنها غير معصومة، والله أعلم.

فيروزج

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «**شيبتني هود وأخواتها**»(1) ما عين الحكم الذي شاب منه ﷺ من هذه السورة؟

فقال: هو كل سورة فيها ذكر الأمر بالاستقامة، نحو قوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود: 112] لأن العبد لا يدري هل وفَّى بما أُمر به على التمام أم أخلَّ بشيء منه؟ فهو دائمًا يعتقد أنه لم يقم بواجب حق الربوبية في شيء، والله أعلم.

در

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «**فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا**»(2) ما معناه، إنما أبناء الدنيا حقيقة؟

= لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يُقتدى به.

وقال: رضوان الله على أمير المؤ منين عليٍّ رضي الله عنه لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرةً.

ذاك امرؤ أُعطي علمًا لدنيًّا، والعلم اللدني هو العلم الذي خُصَّ به الخضر عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: 65].

وانتقل رضي الله عنه إلى الحياة البرزخية في آخر ساعةٍ من الجمعة سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد، ودُفن بالشونيزية عند خاله سري السقطي، نفعنا الله به في الدارين، آمين. انظر: كتابنا: الإمام الجنيد سيد الطائفتين.

(1) أخرجه الطبراني (790)، وأبو يعلى (880)، قال الهيثمي (7/ 37): رجاله رجال الصحيح.

(2) أخرجه ابن المبارك (255)، وأحمد في كتاب الزهد (ص130)، وهناد في الزهد (509)، والبيهقي في الزهد الكبير (463)، وابن عساكر (42 / 494).

فقال رضي الله عنه: معناه: كونوا في الدنيا بأبدانكم وفي الآخرة بقلوبكم، والكامل من كان ابنًا لكل من الدارين، وأعطى كل ذي حق حقه، ومن كان ابنًا لواحدة منهما دون الأخرى فهو ناقص، والسلام.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: من أدب العبد إذا سأل الله تعالى حاجة غير مأمور بها في الشرع أن يسأل على وجه التفويض، فيقول: «**اللهم أعطني كذا إن علمت أن لي فيه خيرة**» وذلك لجهل العبد بالعواقب، فربما سأل شيئًا كان فيه هلاك دينه، كما وقع لثعلبة الصحابي رضي الله عنه وما قال الحق تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: 186] وما أخبرنا بذلك إلا ليتحفظ السائل ويراقب ما يسأل فيه، فإنه لابد من الإجابة، وانظر إلى بلعام بن باعوراء لمَّا لم يتحفظ في دعائه على موسى وقومه شقي بذلك وسلب الله عنه علم خاصية تلك الأسماء والدعوات التي كان يدعو بها عقوبة له.

وسمعته رضي الله عنه **مرة أخرى يقول**: لا تدعُ قط بدعاء مخترع وادع بالشروع، فإنه لا يدخل الشروع مكر ولا استدراج، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: استحياؤك ممن لا ينسى ذنبك وهو الله تعالى خير من استحيائك ممن ينسى وهو المخلوق؛ ولذلك وبَّخ الله تعالى قومًا ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 108] فنبَّه آخر الآية على عدم النسيان بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: 108].

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: الهالك في طريق الله أكثر من الناجي؛ وذلك لأنه ما تميز من تميز إلا بخرق العادة في كثرة الورع والزهد، والأعمال الصالحة الزائدة على أحوال بني الجنس كلهم، ثم لابد له من الفترة عن ذلك؛ لزيادته على ما أمره الله تعالى به على لسان نبيه ﷺ الذي هو أعلم الخلق بما يستطيعه العباد.

ومعلوم أن مَن خرق العادة في الزيادة فلا بد له من الملل، وإذا ملَّ صارت عباداته لا روح فيها، فهلك من حيث لا يشعر، ولم يبلغنا أنه ﷺ عاهد الله تعالى ألَّا يضع جنبه مثلاً الأرض ما دام يعيش أبدًا؛ وأنَّه لا يأكل اللحم مثلاً ما دام يعيش أبدًا، وقِس على ذلك ما نقل عن بعض العباد من التشديدات وقف على حد ما ورد تكن من الناجين، والحمد لله رب العالمين.

زبرجد

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول في معنى قوله تعالى:** ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40] اعلم أن السيئة الأولى شرعية وصاحبها آثم عند الله تعالى، وأمَّا السيئة الثانية الجزائية فليست بسيئة شرعًا، وإنما هي سيئة من حيث إنها تسوء من جوزي بها.

فلما رأى أهل الله ﷻ أن الحق تعالى أطلق عليها اسم السيئة وأكدها بمثلها، وأن من اتصف بها يطلق عليه أنه مسيء على حد تسميتها سيئة، أنفت نفوسهم أن يكونوا محلاً للسوء، فاختاروا العفو والصفح على الجزاء بالمثل؛ تقديسًا لأنفسهم واقتداء بنبيهم ﷺ في كونه كان لا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولكل مقام رجال وما قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: 194] إلا تنفيسًا لمن عنده ضيق وعدم احتمال ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: 218].

كبريت أحمر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: 24] ومعلوم أن الداعي لنا هو رسول الله، وما منا أحد سمع دعاء الله مجردًا عن رسوله ﷺ فهل ثَمَّ فرق؟

فقال رضي الله عنه: المراد بدعاء الله تعالى لنا: هو دعاؤه لنا على لسان رسوله، وإنما فصل الله تعالى بين الدعائين؛ لينبِّه تعالى على أن الرسول هو الداعي لنا نيابة وتبليغًا، ولكن التحقيق أنه إن دعانا بالقرآن كان مبلغًا وترجمانًا، وكان الدعاء دعاء الله تعالى، وكانت إجابتنا له والإسماع للرسول، وإن دعا بغير القرآن كان الدعاء دعاء الرسول وكانت إجابتنا له ﷺ وعلم أنه لا فرق بين الدعائين في إجابتنا، وإن كان الدعاءان متغايرين من حيث التعلق، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: قطاع طريق السفر بالفكر في المعقولات الشبه القادحة في الإيمان، وقطاع الطريق في المشروعات التأويل.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: ليس للملائكة آخرة؛ لأنهم لا يموتون فيفنون فيبعثون،

وإنما هو صعق وإفاقة كما يقع لهم ذلك عند سماع الوحي من الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [سبأ: 23]. انتهى.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: ادعى بعضهم أنه في الشريعة أنهم يموتوا كالخلائق، ولكن من رأى في ذلك نقلاً بأنهم يموتون كالخلائق فليلحقه هاهنا، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: إنما خصَّ عليه السلام الجلود بالنضج في النار في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: 56] ولم يذكر شيئًا من أعضاء البدن؛ لأن الجلد يحمي النفس الحيوانية، لتلقيه عنها جميع المكاره من جراحة وضرب وحرق وبرد، وفيه أيضًا إحساس، فلما كان يتلقى هذه المشاق خُصَّ بالنضج، وما سمي الجلد بهذا الاسم إلا لما هي الجلود عليه من الجلادة؛ ولذلك غشي الله تعالى الحيوان به، فنضج الجلود سبب في عذاب النفس المكلفة، فما في الحيوان أشد جلادة من جلده، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: من مكر الله بالعبد أن يشعر العبد بأنه ممكور به ويدوم على ذلك الفعل ولا يسأل الإقالة منه، فهو مثل قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ [الجاثية: 23] وكان من شأن العلم أن يقارنه ضلال.

قال: وليس لنا صورة يشعر فيها العبد بمكر الله به، ولا يزول كونه مكرًا إلا في هذه الصورة، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠﴾ [النمل: 50] فهو عام في كل أمر إلا في هذه الصورة. انتهى. فليتأمل فإنه دقيق.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: إيَّاك أن تسيء الظن بأحد ممن اشتهر بالصلاح غيرة من أن يحصل نقص في من انتسب إلى الله تعالى، فإن من عباد الله من لو قُطِّع إربًا إربًا لكان أهون عليه أن يسمع أحدًا يذكر أهل الله بسوء.

قال: وقد بلغنا أن الحلاج لما قُطعت أطرافه وصُلب ورأى مزاجه تغير أمر أن يُلطَّخ وجهه بالدم؛ لئلا يظهر لأعين العامة تغير وجهه وبدنه فيسوء ظنهم بالفقراء في عدم صبرهم للبلايا والمحن، عفا الله عنه.

فيروزج

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾

[الأنفال: 27] ما المراد بهذه الخيانات الثلاث؟

فقال رضي الله عنه: مراد الله ورسوله من كلامه لا ينحصر، ولكن من خيانة الله تعالى أن يرى العبد له ملكًا مع الله في شيء من أموره الظاهرة أو الباطنة، ومن خيانته تعدي حدوده، ومن خيانته عداوة العلماء والصالحين لنسبتهم إليه النسبة الخاصة.

وأمَّا خيانة رسول الله ﷺ:

فمنها: ترك العمل بما علمناه من سنته.

ومنها: عداوة أحد من أهل بيته أو من أولاد الأنصار أو أولاد أحد من أصحابه، أمَّا أهل بيته فإنهم بضعة منه، وأمَّا أولاد الأنصار فإن حبهم من الإيمان، ومن بغضهم فقد خان، وأمَّا أولاد أصحابه فإن من صدقت محبته لشخص أحب جميع من يلوذ به، ومن هنا قالوا: العين تجازي ألف عين وتكرم.

وأمَّا خيانات الأمانات:

فمنها: أن يعطي العبد الحكمة لغير أهلها مع علمه بأنهم لا يستحقونها، والحكمة أمانة عند كل مؤمن، والله أعلم.

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: 106] كيف جاء مع الإيمان الشرك؟

فقال رضي الله عنه: ليس المراد ـ والله أعلم ـ بالإيمان هنا الإيمان الذي هو التوحيد، ولو كان المراد التوحيد لم يصح قوله: ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ أي: مع ثبوت الإيمان، وإنما المراد بالشرك هنا: ما يتصورونه في نفوسهم من حيث ذاته تعالى التي لا يصح تصورها في دار الدنيا عقلاً، فهذا هو الشرك لأكثر الناس، وأمَّا غير الأكثر فلم يتصرفوا بأفكارهم قط في ذات الله عز وجل كالأنبياء وكُمَّل الورثة، فاعلم ذلك.

زبرجد

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما وجه تشبيه من يتلو القرآن ويعمل به بالأترجة؛ ريحها

طيب وطعمها طيب؟

فقال ﷺ: وجه التشبيه بريح الأترجة: كون التلاوة أنفاس تخرج من التالي، فهي شبيه بالروائح التي تعطيها الأنفاس، ووجه تشبيه التلاوة بطعم الأترجة: كون المؤمن يتلذذ بتلاوته كأنه ذاق شيئًا لذيذًا، والإيمان يُذاق وله طعم، كما جاء في حديث: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا...**»[1].

قلت: ويُقاس بالقرآن في التشبيه المذكور كل كلام قاله المؤمن، والله أعلم.

زمرد

سمعت شيخنا ﷺ **يقول**: خاطر الوقوع في الحرام والمكروه لا يكون إلا من الشيطان، وخاطر الواجب والمندوب لا يكون إلا من الشارع، وخاطر المباح لا يكون إلا من النفس، فاعمل يا أخي، بخاطر الواجب والمندوب، وإياك وخاطر الحرام والمكروه.

وأمَّا المباح فأنت مخيَّر فيه، فإن طلبت الربح الكامل فاتركه، فإنه لا يرقى فيه في أصله وإن حصل الترقي فيه بعارض كالنوم لزوال الملل مثلاً ليدخل بعده في العبادات من غير التفات إلى أمر آخر، ثم إذا فعلته فتحضر في نيتك أنه لولا إباحة الشارع ما فعلته، فتكون حينئذٍ مأجورًا في مباحك من حيث إيمانك به بأنه شرع من عند الله تعالى.

وسمعته ﷺ **مرة أخرى يقول**: إذا خطر لك خاطر فعل واجب فقُم إليه مبادرًا، فإنه من الله أو من الملك، وإذا خطر لك خاطر فعل مندوب فاحفظ أول الخاطر، فإنه قد يكون من الشيطان فاثبت عليه، فإذا خطر لك أن تتركه لمندوب آخر هو أعلى منه وأولى فلا تعدل عن الأول واثبت عليه، واحفظ الثاني وافعل الأول ولابد، فإذا فرغت منه فافعل الثاني أيضًا، فإن الشيطان يرجع عنك خائبًا بلا شك حيث لم يتفق له مقصود، وبهذا الدواء يذهب مرض الشيطان من نفسك إن شاء الله تعالى، وتكون عمري المقام، لا يلقاك الشيطان في فجٍّ إلا سلك فجًّا غير فجِّك، إذا داومت على هذا الأمر فاحفظ ما نهيتك عنه، والله يتولى هداك.

(1) أخرجه أحمد (1778)، ومسلم (34)، والترمذي (2623).

ياقوت

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: ليس لتلميذ أن يقول لشيخه: لِـمَ فعلت كذا؟ إلا على وجه الاستفهام، لا الاعتراض على حد ما يفهمه التلميذ، فربما يكون ذلك الفعل أمرًا مشروعًا وخفي على التلميذ، وتأمل أدب الصحابة رضي الله عنهم لما ترك رسول الله ﷺ يوم بدر على غير ماء، فقالوا له: أبوَحي نزلت هنا يا رسول الله؟

فقال: «**لم يُوحَ إليّ فيه شيء**» فقالوا له: أن نرتفع يا رسول الله عن هذا الموضع فننزل على الماء حتى يكون الماء لنا دون عدونا، فأجابهم ﷺ وارتحل. والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: الأمر والنهي كفَّتا الميزان، وأنت لسانها، فكل جانب مِلت إليه فأنت له، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: لا يكمل الرجل عندنا حتى يحفظ القرآن كله عن جهله بشيء من أحكامه، وإذا أخلَّ بشيء منها فهو ناقص، ليس له التصدر لإرشاد الخلق وإن جاز له الإرشاد في الجملة بما علم، فافهم، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: قد نزل غالب الخلق من سماء العمل إلى أرض الكسل والجدل، وبلغ سلطان الشريعة حدَّه من أول المائة السادسة من الهجرة، وتطاولت الحجب، وامتدت النصب، وكثرت الظلال، ونقصت العلوم، وفاض الضلال وما بقي إلا الحثالة، كما لا يرتفع في منخل التحليل إلا النخالة، وقد عمَّ البلاء خواصنا وعوامّنا حتى خرج أهل الدعاوي بجهلهم يدعون الخلق إلى غير الحق ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيءٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ [المدثر: 50-53] وكيف يخاف من صُمَّت أُذناه وعميت عيناه بحلول الشيطان في حواسه؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: لا يكون المسخ الذي ورد أنه يقع في آخر هذه الأمة إلا في اليهود فقط دون المسلمين والنصارى.

فقلت له: لِـمَ؟

فقال رضي الله عنه: لأن المؤمن يحفظه إيمانه، والنصارى لم يغضب الحق عليهم

ذلك الغضب العظيم، كما وقع لليهود فإن المسخ من أثر شدة الغضب، فعلم أن قوله ﷺ: «**يبيت قوم من هذه الأمة على أكل وشرب ولعب فيصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير**»(1) محمول على أمة الدعوة لا أمة الإجابة، أو يحمل ذلك على مسخ القلوب في أمة الإجابة لا مسخ الأجساد الظاهرة إكرامًا لمحمد ﷺ فإن الله وعده ألَّا يخزيه في أمته، والله أعلم.

فيروزج

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «**آدم ومن دونه تحت لوائي وبيدي لواء الحمد**»(2) لِـمَ خصَّ آدم بالذكر دون غيره من الأنبياء؟

فقال رضي الله عنه: إنما خصَّ آدم بالذكر؛ لأن الحمد لا يكون إلا بمعرفة الأسماء، وآدم أول من علم الأسماء كلها، فلم يبقَ إلا من هو دونه من حيث إن الأولية له في ذلك، وإنما عبَّر ﷺ باللواء؛ لأنه يلتوي على جميع المحامد، فلا يخرج عنه حمد، فهو علامة على مقام الملك لتجتمع الناس كلهم إليه.

فقلت له: فإذا كان ليس فوق رتبة الأسماء التي علمها آدم رتبة، فمن أين جاء تفضيل محمد ﷺ بجوامع الكلم على آدم؟

فقال رضي الله عنه: لأنه أوتي جوامع الكلم، وكان نبيًا وآدم لم يخلق، فلما ظهر آدم عليه السلام أخذ ذلك اللواء بحكم النيابة عن محمد ﷺ فكان هو صاحب اللواء بين الملائكة.

فقلت له: فإذًا جميع الأسماء التي علمها آدم كانت فرعًا من جوامع الكلم التي أوتيها محمد ﷺ؟

فقال: نعم، فكان آدم بهذا التقرير في المقام الثاني من مقامي محمد ﷺ وكان أخذ محمد ﷺ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة له.

فقلت له: فهل المقام المحمود هو الوسيلة، أم هو غيرها، فإن المقام

---

(1) أخرجه الطيالسي (1137)، والحاكم (8572)، وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي في شعب الإيمان (5614)، وأبو نعيم في الحلية (6/ 295).

(2) أخرجه بنحوه أحمد (11000)، والترمذي (3615)، وابن ماجه (4308).

المحمود جاء معطوفًا على الوسيلة والعطف يقتضي المغايرة على الأصل فيه؟

فقال رضي الله عنه: المقام المحمود هو المعبَّر عنه بالوسيلة، فليس له اسمان، فمن حيث إنه يفتح به باب الشفاعة لكل شافع من نبي وولي ومؤمن فهو محمود، ومن حيث كونه يتوسل به إلى الله فيما توجه فيه من الشفاعة في جميع الخلق فهو وسيلة.

قلت: ورأيت نحو ذلك في كلام الشيخ محيي الدين- قدس سره- والله أعلم.

ياقوت

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: ذهب العلماء إلى أنه لم يعصِ من آدم إلا من كان في ظهره من النسم المجبولة على المخالفة لا هو.

فقلت له: كيف يصح أن يكون بعض العبد عاصٍ وبعضه غير عاصٍ، والفعل إذا وقع من جسد أحد انسحب عليه اسم العصيان بجملته، ولو أن هذا الحكم صح في حق آدم لانسحب الحكم على ذريته إلى يوم القيامة، فكانت كل مخالفة وقعت منهم تنسب إلى من في ظهرهم من الذرية دونهم، وكانت الحدود كلها تسقط عنهم في الدنيا والآخرة، لاسيما والمكلف حقيقة إنما هو جملة العبد لا الذُّريَّات التي في صُلبه، وقد يكون ذلك العبد العاصي عاقرًا ليس في صلبه ذرية أصلاً؟

فقال رضي الله عنه: هذا كلام وارد كالجبل، ولكن العلماء يجيبون عن الأكابر بجهدهم، ولم يزد على ذلك، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: ليس للشيطان على أصحاب العلوم اللدنية سبيل في إدخال الشُّبه على أصحابها؛ لأن العلم الذي وهبه الله للعبد لا يقدر شيطان على القدح فيه، بخلاف العلوم النظرية، فإن الشيطان يلقي إليهم الشُّبه في أدلتهم؛ ليخبرهم ويردهم إلى محل النظر، ويقول: عسى أن يموت أحدهم في حال الشك والحيرة.

كبريت أحمر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن القطب رضي الله عنه: هل هو دائمًا بمكة كما يُقال أم لا؟

فقال ﷺ: قلب القطب دائمًا طوَّاف بحضرة الحق كما يطوف الناس بالبيت الحرام، فهو ﷺ يرى بقلبه الحق تعالى في كل جهة ومن كل جهة، كما يستقبل الناس البيت الحرام ويرونه؛ إذ هو ﷺ متلقٍ عن الحق تعالى جميع ما يقضيه على الخلق، وهو بجسده حيث أراد الله من الأرض، فأكمل البلاد البلد الحرام، وأكمل البيوت البيت الحرام، وأكمل الخلق في كل عصر القطب، فالبلد نظير جسده، والبيت نظير قلبه.

فقلت له: فما صفات القطب حتى نعتمد القطبية فيمن ظهرت فيه؟

فقال ﷺ: علامة القطب: أن يكون مستغنيًا عن علم العلماء بما أعطاه الله تعالى من النور المبين الذي يفك به معميات الأمور، ولا تُطوى له أرض، ولا يمشي على ماء ولا هواء، ولا ينزل مدر من السماء والأرض إلا بواسطته، له سريان في قلوب المؤمنين به كسريان الماء في العود، لا يتولى مرتبة القطبانية حتى يبايعه الملأ الأعلى على اختلاف طبقاتهم، والعوالم السفلية على اختلاف أجناسهم على السمع والطاعة.

قلت: وقد بسط الشيخ الكلام على القطب في الباب السبعين ومائتين من «الفتوحات المكية» فراجعه.

قال شيخنا ﷺ: وأكثر الأولياء لا يصح لهم الاجتماع به ولا يعرفونه فضلاً عن غيرهم؛ فإنه من شأنه الخفاء، ولو أنه ظهر لشخص لم يستطع أن يرفع رأسه في وجهه إلا إن كان مؤهلاً لذلك، وقد أدخلوا شخصًا على النبي ﷺ مرة فأرعد من هيبته، فقال له رسول الله ﷺ: «**هوِّن عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**»(1) هذا حال من رأى رسول الله ﷺ مع أكثر الخلق تواضعًا، والقطب يتيقن نائبه في الأرض.

قلت: وقد حكى لي السيد الشريف الشيخ شرف الدين العالم الصالح بزاوية الحطاب بمصر المحروسة قال: حكى لي سيدي الشيخ عثمان الخطاب(2):

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3692)، والبيهقي في دلائل النبوة (1807).

(2) قال المصنف: هو أجل من أخذ عن سيدي أبي بكر الدوقدسي ﷺ من الزهاد المتقشفين، كان له فروة يلبسها شتاء وصيفاً، وهو محزم بمنقطة من جلد، وكان شجاعاً=

. . . .

= يلعب اللبخة فيخرج له عشرة من الشطار، ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها، ويرد ضرب الجميع فلا يصيبه واحدة هكذا أخبر عن نفسه في صباه، وكان ﷺ رحيماً بالأولاد الأيتام، ويقول: أنا قاسيت مرارة اليتم لموت أبي، وأنا صغير، وكان مطرقاً على الدوام لا يرفع قط رأسه إلى السماء إلا لحاجة أو مخاطبة أحد، وكان لم يزل في عمل مصالح فقراء الزاوية، وغيرهم إما في غربلة القمح، وإما في تنقيته، وإما في طحنه، وإما في جميع آلات الطعام وإما في خياطة ثياب الفقراء، وإما في تفليتها، وإما في الوقود تحت الدست، وإما في جميع الحطب من البساتين، وبلغ الفقراء، والأرامل عنده أكثر من مائة نفس، وليس له رزقة، ولا وقف إلا على ما يفتح الله به كل يوم، وكان كل من بار عنده شيء من الخضر يقول: خلوه للشيخ عثمان، وكان إذا ضاق عليه الحال يطلع للسلطان قايتباي يطلب منه فيرسم له بالقمح، والعدس، والفول، والأرز، ونحو ذلك فقال له السلطان يوماً يا شيخ عثمان أيش بلاك بهذه الناس كلهم أطلقهم لحال سبيلهم، وأرح نفسك فقال له: وأنت الآخر أطلق هذه المماليك، والعسكر واقعد وحدك فقال: هؤلاء عسكر الإسلام فقال: وهؤلاء عسكر القرآن فتبسم السلطان، ولما شرع في بناء الإيوان الكبير عارضه هناك ربع فيه بنات الخطأ فطلع للسلطان فقال يا مولانا هذا الربع كان مسجداً، وهدموه، وجعلوه ربعاً فصدق قول الشيخ ورسم بهدم الربع، وتمكين الشيخ من جعله الزاوية، فأرشوا بعض القضاة فطلع إلى السلطان، وقال: يا مولانا يبقى عليكم اللوم من الناس ترسمون بهدم ربع بقول فقير مجذوب، فقال: السلطان ثبت عندي قول الشيخ فهدمه فظهر المحراب والعمودان فأرسل الشيخ ﷺ وراء السلطان فنزل فرآه بعينه، وطلب أن يصرف على العمارة. فأبى الشيخ، فقال: أساعدك في كب التراب فقال: لا نحن نمهده فيها مهدا، فهذا كان سبب علوه إلى الآن، وبقية الزاوية كانت زاوية شيخه الشيخ أبي بكر الدقدوسي ﷺ، وأخبرني شيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي الحنفي، والسيد الشريف الخطابي المالكي النحوي رحمهما الله تعالى قالا سمعنا سيدي عثمان ﷺ يقول: لما حججت مع سيدي أبي بكر سألته أن يجمعني على القطب، فقال: اجلس هاهنا، ومضى فغاب عني ساعة ثم حصل عندي ثقل في رأسي فلم أتمالك أحملها حتى لصقت لحيتي بعانتي فجلسا يتحدثان عندي بين زمزم، والمقام ساعة وكان من جملة ما سمعت من القطب يقول: آنستنا يا عثمان حلت علينا البركة ثم قال لشيخي: توص به فإنه يجيء منه ثم قرأ سورة الفاتحة، وسورة قريش ودعوا، وانصرفا ثم رجع سيدي أبو بكر ﷺ فقال: ارفع رأسك قلت: لا أستطيع فصار يمرجني، ورقبتي تلين شيئاً فشيئاً حتى رجعت لما كانت عليه فقال: يا عثمان هذا حالك، وأنت ما رأيته فكيف لو رأيته فمن ثم كان سيدي عثمان ﷺ لا يريد الانصراف عن جليسه حتى يقرأ سورة الفاتحة، ولإيلاف قريش لا بد له من ذلك قال الشيخ شمس الدين رحمه الله تعالى: وما رأيت سيدي أبا العباس الغمري ﷺ يقوم لأحد من=

أنه لما حجَّ مع شيخه العارف بالله تعالى أبي بكر الدقدوسي[1] رَحِمَهُ اللهُ سأله أن يجمعه على القطب بمكة فقال: يا عثمان، لا تطيق رؤيته، فقال: لابد، وأقسم على شيخه، فأجلسه شيخه بين زمزم والمقام، وقال: لا تقم من هنا حتى يحضر، فصارت رأس سيدي عثمان تثقل إلى أن وصلت لحيته إلى بين أفخاذه قهرًا عليه، فجاء القطب وجلس، وصار يتحدث مع الشيخ أبي بكر زمانًا.

= فقراء مصر غير الشيخ عثمان الخطاب كان يتلقاه من باب الجامع رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وكذلك كان سيدي إبراهيم المتبولي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحبه، ويعظمه، وكان كل واحد منهما يجيء لزيارة الآخر، وكان إذا قال له شخص: يا سيدي عثمان المدد يقول: عثمان حطبة من حطب جهنم فماذا ينفعكم خاطره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
وأخبرني سيدي الشيخ نور الدين الشوني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه جاور عنده مدة فخرج يتوضأ ليلا فوجد رجلا ملفوفاً في نخ في طريق الميضأة فقال له: قم ما هو محل نوم فكشف عن وجهه، وقال: يا أخي أنا عثمان أخرجتني أم الأولاد، وحلفت أنها ما تخليني أنام في البيت هذه الليلة، وكانت مسلطة عليه، وكذلك كانت امرأة صاحبه الشيخ عثمان الديمي، وكان عيال كل منهما تخرج على الآخر، وكان كل منهما ينادي الآخر بيا عثمان فقط من غير لفظ لقب، ولا كنية رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
خرج رضي الله تعالى عنه زائراً للقدس فتوفي هناك سنة نيف وثمانمائة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. [الطبقات الكبرى 1/ 334].

(1) قال المصنف: هو شيخ سيدي عثمان الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أصحاب التصريف النافذ، وكانت الأعيان تقلب له. حكى لي شيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي الحنفي رحمه الله تعالى قال: أخبرني سيدي عثمان الخطاب رحمه الله تعالى أنه حج مع سيدي أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة من السنين فكان الشيخ يقترض طول الطريق الألف دينار فما دونها على يدي فإذا طالبني الناس أجيء إليه فأخبره بذلك فيقول له: عد لك من هذا الحصا بقدر الدين فكنت أعد الألف حصاة، والخمسمائة، والمائة والأربعين والثلاثين، وأذهب بها إلى الرجل فيجدها دنانير قال: فلما دخلنا مكة كان الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يضع كل يوم سماطاً صباحاً ومساء في ساحة لا يمنع أحداً يدخل، ويأكل مدة مجاورته بمكة قال: وهذا أمر ما بلغنا فعله لأحد قبل سيدي أبي بكر.
وكان له صاحب يصنع الحشيش بباب اللوق فكان الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يرسل إليه أصحاب الحوائج فيقضيها لهم قال سيدي عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فسألته يوماً عن ذلك، وقلت المعصية تخالف طريق الولاية فقال: يا ولدي ليس هذا من أهل المعاصي إنما هو جالس يتوب الناس في صورة بيع الحشيش فكل من اشترى منه لا يعود يبلعها أبداً هكذا أخبرني سيدي نور الدين الطرابلسي عن سيدي عثمان رحمه الله تعالى.
[الطبقات الكبرى 1/ 333].

ثم قال له القطب: استوصِ بعثمان خيرًا، فإنه إن عاش صار رجلاً من رجال الله.

فلما أراد القطب الانصراف قرأ «الفاتحة» وسورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [قريش: 1] ثم دعا وانصرف، فلما شيَّعه الشيخ أبو بكر ورجع صار يكبس رقبة سيدي عثمان زمانًا حتى استطاع أن يرفع رأسه، وقال: يا عثمان، هذا حالك من سماع كلامه، فكيف لو رأيت شخصه، ومن ذلك الوقت ما كان سيدي عثمان يجتمع بشخص ويفارقه حتى يقرأ «الفاتحة» وسورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ تبركًا بما سمعه من هذا القطب رضي الله عنه فاعلم ذلك.

زمرد

قلت **لشيخنا** رضي الله عنه: هل ينزل على القطب البلاء النازل على الخلق ثم ينتشر كما ينزل عليه النعم والإمداد، أم حكم الإفاضة منه خاص في النعم فقط؟

فقال رضي الله عنه: نعم، ينزل عليه البلاء الخاص بأهل الأرض كلهم ثم يفيض عنه، فإذا نزل عليه بليَّة تلقاها بالخوف والقبول، ثم ينتظر ما يظهره الله تعالى في ألواح المحو والإثبات الخصيصة بالإطلاق والسراح، فإن ظهر له المحو والتبديل نفذ قضاء الحق وأمضاه بواسطة أهل التسليك الذين هم سندة حضرته بحيث لا يشعرون أن الأمر مفاض عليهم منه رضي الله عنه.

وإن ظهر له الإثبات لذلك الأمر وعدم المحو دفعه إلى أقرب عدد ونسبة منه، وهما الإمامان، فيحملانه ثم يدفعانه إلى أقرب نسبة منهما، وهم الأوتاد الأربعة، وهكذا يتناول إلى أهل دائرته جميعًا، فإن لم يرتفع تفرقته الأفراد وغيرهم من العارفين إلى آحاد عموم المؤمنين حتى يرفعه الله عز وجل بتحملهم.

وكثيرًا ما يجد أحد في نفسه ضيقًا وحرجًا ولا يعرف سببه، وبعضهم يحصل له قلق يمنعه النوم بالليل، وبعضهم يحصل له غفلة وكثرة صمت حتى لا يستطيع النطق بحرف واحد، وكل ذلك من البلاء الذي يوزَّع عليهم، ولو لم يحصل توزيع لتلاشى من نزل عليهم البلاء في طرفة عين.

فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ

ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 251].

فقلت له: فهل كان سيدي أحمد الزاهد[1]، وسيدي مدين[2] وأضرابهما أقطابًا؟

---

(1) هو أحمد بن محمد بن سليمان الزاهد. أصله من فاو - بلدة بالصعيد بقرب هو، من الجانب الشرقي - نشأ بمصر على قدم الصلاح والعبادة. تفقه أولاً على مذهب الإمام الشافعي حتى بلغ رتبة الإفتاء، ثم تصوف وصنف عدة تصانيف. وله «رسالة النور»، تشتمل على عقائد وفقه وتصوف، في أربعة أسفار كبار، و«هداية المتعلم» مجلد، و«طلب الزاد ليوم المعاد»، و«العدة عند الشدة»، و«هدية الناصح»، و«الستين مسألة»، وعم النفع بكتبه. وانتهت إليه رئاسة تربية المريدين بمصر، وكان متصديًا لذلك، لا يبيت في بيته أصلاً، ولا يدخله إلا يوم الجمعة عقب صلاتها، فيجلس عند أهله إلى العصر فيخرج. وكان ذا حكمة بديعة في تربية السالكين. وقد قال ابن عربي: التصوف كله حكمة، ومن شرط الصوفي أن يكون حكيمًا، فمن لم يكن ذا حكمة، فلا حظ له من هذا اللقب. وشيخه في الطريق الشيخ حسن الششتري، وعنه أخذ الشيخ محمد الغمري والشيخ مدين وطبقتهما، وكان يقال: هو جنيد عصره، لم يحفظ عنه كلمة شطح أبدًا.
قال رضي الله عنه: مكثت ثلاثين سنة أرى نفسي في ألواح السماء من الأشقياء، فلم أتغير حتى مُنَّ علي بمحو اسمي من ديوان الأشقياء. وكان يعظ النساء بالمسجد، ويخصهن دون الرجال، ويقول: هن لا يحضرن الدروس، وأزواجهن لا يعلمونهن. وكان لا يعظهن إلا من الكراسي، إظهارًا للضعف مع كونه من الراسخين في العلم، فيعلمهن أمر دينيهن.
انظر: طبقات الشعراني (2/ 81)، وجامع الكرامات (1/ 319)، والخطط التوفيقية (5/ 2)، وإنباء الغمر (7/ 229) ذيل الدرر الكامنة (251) الضوء اللامع (2/ 111).

(2) هو مدين الأشموني، خليفة الزاهد. كان له في التصوف يد طولى، وإذا تكلم في الطريق بلغ المريد مرامًا وسؤلا. أصله من ذرية الشيخ أبي مدين، فرحل من المغرب جده الأدنى-وهو مغربي فقير- فأقام بطبلاي بالمنوفية، فولد له بها والد مدين، ودفن علي بطبلية؛ ثم انتقل إلى أشمون، فولد له بها مدين، فاشتغل بالعلم حتى صار يفتي، ثم تحرك لطلب الطرق، فخرج يطلب شيخًا بمصر، فوافق خروجه خروج الشيخ محمد الغمري يطلب مطلوبه، لقيهما رجل من أرباب الأحوال فقال: اذهبا إلى أحمد الزاهد، فتحكّما على يديه، ولا تطلبا الأبواب الكبار-يعني الشيخ محمد الحنفي-، فدخلا على الشيخ الزاهد فلقنهما وأخلاهما، ففتح على مدين في ثلاثة أيام، وعلى الغمري بعد خمس عشرة سنة، وقيل أنه بعد موت الزاهد تبع الحنفي، فكان عليه فطامه، وأنكره بعضهم. وكان صاحب الترجمة صاحب همة، وله عز في الطريق وعزمه، انتفع به خلق كثير من العلماء والصلحاء والفقراء والأجناد وغيرهم، وقام من بعد شيخه الزاهد في زاويته خليفة على جماعته، وانتصب للتربية وتلقين الذكر، واشتهر صيته، وقصد=

فقال ﷺ: لا، إنما كانوا كالحُجَّاب على الملك، يعلِّمون الداخلين على حضرته الآداب الشرعية والحقيقية، وما ظهر عليهم من الكرامات والخوارق إنما هو لصفاء نفوسهم وكثرة مراقبتهم وإخلاصهم ومجاهداتهم ﷺ.

وأمَّا القطبية: فجلَّت أن يلمح مقامها الأحوط غير من اتصف بها، وقد بيَّنها الشيخ عبد القادر الجيلي ﷺ وذكر أن لها ستة عشر عالمًا أحاط بالدنيا والآخرة عالم من هذه العوالم.

وذكر الشيخ أحمد بن الرفاعي ـ رحمه الله تعالى ـ أنه لا يكمل الرجل عندنا حتى يعرف ثمانين ألف أمة في الدنيا والآخرة عالم منها ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8] فاعلم ذلك.

ياقوت

سألت شيخنا ﷺ عن قولهم: «**الرحمة تنزل خاصة، والبلاء عام**» هل هو صحيح؟

= من الأقطار، وكثر مريدوه وعظم معتقدوه من جميع الطوائف. ومع ذلك، ما سلم من الكلام لصحبته الأمراء، وقبوله ما جاءه، وعمّر له الكمال البارزي وأخته خوند مغل زاويته التي دخل بها بقرب جامع الزاهد عمارة حسنة، ووقفوا عليها أوقافًا معتبرة. وكان يلبس فاخر الثياب، ويأكل نفيس الأطعمة والحلوى والسكر، ومن توسم فيه الإنكار تلا له: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأعراف: 32] وكان شيخه الزاهد لا يخزن شيئًا من القوت وآلة الطعام ويقول: الفقير إذا لم يكن عنده قوته، يصير الحق تعالى على باله كلما جاع أو احتاج، وإذا خزّن ما يحتاجه ربما نسي، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ [الزمر: 8].

وله كرامات، منها أن يوسف ناظر الخاص ظلم رجلاً من تجار الحجاز من جماعة الشيخ عبد الكبير الحضرمي، فتوجه فيه، فرأى تلك الليلة يوسف في مقصورة من حديد مكتوب عليها مدين مدين. فقال للتاجر: اذهب إلى شيخه مدين بمصر، فلا سبيل لي عليه. وكان لا يخرج من بيته إلا لصلاة أو بعد عصر كل يوم. ولم يزل دأبه ذلك إلى أن حوّمت عليه المنية، وعظمت فيه على الملمّين الرزية، في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وثمانمائة، وصلى عليه بالشارع من المقسم في محفل عظيم جدا، ثم أعيد إلى زاويته فدفن بها، كذا ذكره جمع مؤرخون. طبقات الشيخ الشعراني (2/ 101)، طبقات الشاذلية (129)، الضوء اللامع (10/ 150)، بدائع الزهور (2/ 345) النجوم الزاهرة (16/ 191)، وجيز الكلام (2/ 717).

فقال ﷺ: هذا قول من ليس عنده تحقيق، والحق أن كلاً منهما ينزل عامًا، فتقع الإفاضة على العامل ثم يبسط البلاء والرحمة على من هو حول العامل لذلك الخير والشر، ولكن لمَّا رأى الناس أن أكثر الرحمة تنزل على فاعل الخير ظن غالب الناس أن الرحمة خاصة به وحده، وكذلك حكم البلاء ينزل عامًا كما قدمنا، لكن من رحمة الله ﷻ بذلك العاصي أن ينزل عليه شيئًا يسيرًا، ويوزع غالبه على الناس من جيرانه وغيرهم؛ إذ لو نزل عليه الأكثر كما في الرحمة لهلك من ساعته.

قـــال الله تـــعـــالـــى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: 25] يعني: بل تعمكم معهم، ثم من فوائد توزيع البلاء على الناس: فتح باب التوبة لذلك العاصي ببقاء روحه، ولو أنه نزل عليه أكثر البلاء لمات غالب العصاة على غير توبة، فالحمد لله على كل حال.

فقلت له: إني رأيت بعض الأولياء يتحمل البلاء عن جميع أهل بلده، وربما كان في ذلك موته، كما وقع لسيدي أحمد بن الرفاعي- قدس سره- وذلك نزل على أم عبيدة والقرى التي حولها بلاء فتحمله حتى صار جلدًا على عظم، فلما كان يوم موته نزل منه شيء مثل محاح البيض، فقيل له: ما هذا؟

فقال: هذا نخاعي.

فقيل له: أَوَتتحمل هذا كله عن الناس؟

فقال: هذا فيما أعده الله لنا في الآخرة لقليل. انتهى.

فقال الشيخ: هذا من باب الفتوة، رضي الله عن فاعله.

قلت: وكان سيدي الشيخ سيدي إبراهيم المتبولي(1) رحمه الله يقول: وعزة ربي

(1) هو سيدي إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي الأحمدي الصوفي، الخبير الناقد البصير.
كان ذا معرفة تامة بالتربية مع كونه أميًا، وعقل راجح، وتمكن قوى من نفسه، حتى لا تحكم عليه الأغراض النفسانية، وكان يجعل القرآن إمامه.
قدم الشيخ إبراهيم من بلده متبول إلى «طندتا»، وأقام بضريحها مدة، ثم قدم القاهرة، فأقام بالحسينية، وصار يبيع الحمص المسلوق، بقرب جامع شرف الدين، ثم أقام بزاوية بدرب التتر -تعرف بالشيخ رستم- ثم تحول لزاوية بقرب درب السباع، وصار الفقراء=

ليحتملن مرتبتي بعدي سبعون رجلاً في مصر ويعجزوا عنها، وكان من جملة

= يردون عليه فيها، فيقوم بهم من زرعه، فاشتهر صيته، وتزايد خيره. وحج مرارًا، ثم تحول لبركة الحاج، فعمّر بها الجامع والغيط المعروفين، وكثر أتباعه بحيث صار يخبز لهم كل يوم نحو أردب، بل ربما بلغ ثلاثة أردب، سوى عليق البهائم التي لزراعاته، فإنه كان نحو ثمانية أرادب كل يوم.

وفزع الأكابر فضلاً عمن دونهم لزيارته والتبرك به، واستفاضت له كرامات كثيرة، ولم يلزمه غسل قط، لا من جنابه ولا احتلام. وذكر أنه أخذ عن الشيخ يوسف البرلسي الأحمدي، وانتفع به، وأنه فتح عليه في سطح جامع الظاهر، فإنه أقام به مدة. وكانت أمه من الصالحات، ربّات الأحوال، وكان الشيخ عليى الخواص -مع علو مقامه في التصريف- إذا جاءته حملة شديدة، يذهب إلى قبرها، ويحكي لها ذلك عند القبر، فتقضى الحاجة، قال الشعراني:.. وقبرها معروف بذلك إلى الآن.

وكان الشيخ إذا سئل: من شيخك في الطريق؟ يقول: أمي.

وكان يرى المصطفى ﷺ في نومه كثيرًا، فيُعلِم أمه فتقول: الناس شركاؤك في ذلك، أما الرجل فهو من يراه في يقظة.. فكان يراه بعد ذلك يقظة ويحادثه ويشاوره في أموره، حتى أنه حفر بئر غيطه ببركة الحاج فانهارت، فشكا له فقال: غدًا أرسل عليًّا ابن عمي يخط لك على بئر شعيب نبي الله التي كان يسقي منها غنمه، فخطها له، فوجد الجدار.. وهو الذي أمره بعمارة زاويته بالبركة وقال: ما دام فيها اللقمة، فالبلاء مدفوع عن أهل مصر، وما دامت عامرة، فمصر عامرة.

وكان مبتلى بالإنكار عليه لكونه لم يتزوج، وكان كثير العطب لمن يؤذيه أو يؤذي أحدًا من جماعته، أو ينكر عليه.

وكان يحزن على عدوه إذا مات أشد الحزن ويقول: مات من كان يحصل لنا على يده الإدمان على تحمل الأذى، ويحصّل على يده الأجر.

وقيل له: الفقراء شأنهم الاحتمال، فقال: صحيح، لكن الحق ينتصر لهم لاستنادهم إليه، فإنهم كالطفل في حجر وليه.

وكان كثير التعبد، لا يفتر ليلاً ولا نهارًا، وبه مرض الحصى وأسر البول، فكان يجعر كالثور ويقول: يا رب، لا أسألك تحويل ما قدرته، ولكن أسألك اللطف بي.

وقال: أنا أمان لمصر ما دمت فيها. وسئل: من لهذه الوظيفة بعدك؟ قال: شاب اسمه محمد بن عنان.

وكان يوصي أصحابه بعدم كلام المجاذيب ويقول: سلموا عليهم بالقلب.

وكان يحث أصحابه على الحرفة ويقول: من لا كسب له كالمرأة لا حظ في الربوبية.

وترك رجل الاحتراف وقعد بزاويته، فقال له: لم؟ فقال: رأيت بومة عمياء في طاقة يأتيها صقر كل يوم بلحم، فقلت: أتوكل على الله، فإنه لا يضيعني. فقال له: لأي شيء تجعل نفسك كبومة ولا تجعلها صقرًا، تأكل من كسبك وتطعم غيرك؟ =

وظائفه: خدامة الحجرة النبوية ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ فلا يدخلها ولي بجسمه أو روحه إلا بإذنه.

فقالوا له: من يأخذ خدامة الحجرة من بعدك؟ فقال شاب يقال له: محمد ابن عنان[1] سيظهر من بلاد الشرقية، وقد اجتمعنا بالشيخ محمد هذا وخدمناه نحو عشر سنين، وقد ذكرنا مناقبه في شيوخ القرن العاشر أواخر «طبقات الصوفية» التي ألفناها ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247].

فيروزج

سألت شيخنا رضي الله عنه: ما عدة رجال الأمر الظاهرة؟

فقال: عدتهم ثمانية عشر رجلاً بهم يحفظ الله العوالم الإحاطية والأفلاك المحيطة.

فقلت له: فما عدة رجال التصريف؟

فقال رضي الله عنه: عدتهم مائة ألف وثمانية وعشرون ألفًا وستمائة سبعة وثمانون شخصًا.

فقلت له: فما عدة المكملين؟

فقال: اثنا عشر رجلاً.

فقلت له: فما عدة أصحاب الدوائر الكبرى؟

فقال: تسعة وعشرون شخصًا في كل زمان، ولهم التربية بالنظر من غير كلام، ولهم جذب من شاؤوا إلى الحضرات الإلهية.

= وكان إذا دخل بستانًا، نادته أشجاره وحشيشه، وأخبرته بما فيها من المنافع والمضار.
وكان يقول: لا ينبغي لفقير أن يظهر كرامة إلا بقدر حماية أصحابه، فإن من لا كرامة له، لا يحمي له صاحب.
خرج إلى القدس، فمات في الطريق، فدفن بسدود، عند سلمان الفارسي، سنة نيف وثمانين وثمانمائة، نحو ثمانين سنة، كما جزم به بعضهم، لكن في الأخلاق المتبولية أنه عاش مائة وتسع سنين.
وانظر: طبقات الشعراني (2/ 83)، الكواكب الدرية (662)، وجامع الكرامات (1/ 243)، والضوء اللامع (1/ 85)، الأخلاق المتبولية (بتحقيقنا).

(1) سبقت ترجمته ص102.

فقلت له: فكم عدد الأفراد؟

فقال: لا عدد يحصرهم؛ لأنهم على أقدام أرواح الملائكة المهيمين في جلال الله ﷻ لا يشهدون سوى الحق، مقامهم بين الصدِّيقية والنبوة الشرعية، والخضر منهم بلا شك، وقد جهلهم أكثر الأولياء.

فقلت له: فهل هم خارجون عن دائرة القطب كما قيل، أم هم داخلون فيها؟

فقال رضي الله عنه: القطب جامع لجميع المقامات المستقل بها من حيث الإرادة القطبية ولا مقام له؛ إذ المقام استقلال بجهة ما، فلا يصح أن يخرج عن دائرته أحد لا أفراد ولا غيرهم؛ لأنه لو صح أن يخرج عن دائرته أحد لوجب أن يكون في الوجود من هو خارج عن عموم رسالة محمد الذي هو ـ يعني: القطب ـ نائبه، وذلك محال، فلا مماثل للقطب في الأرض، ولو صح أن يكون له مثل في عصره لصح أن يجتمع في الأرض قطبان ولا قائل به، فعلم أن الخلافة من آدم إلى انقضاء الدنيا لا تكون إلا لواحد؛ لأنه محال أن يقابلك في المرآة صورتان منك في نور واحد، فافهم.

فقلت له: فما وجه من يقل: «**إن الأفراد خارجين عن دائرة القطب**»؟

فقال: وجهه: أنه لما رآهم مهيمين في جلال الله ﷻ لا شعور لهم بغيرهم حتى يدخلون تحت حكمه وتصريفه، فكانوا خارجين من هذا الوجه؛ لأنهم خارجين من جملة واحدة.

فقلت له: فهل هم مؤهلون للقطبية؟

فقال: نعم، إذا زال عنهم حالهم الذي هم فيه كانوا مؤهلين لذلك.

فقلت له: فهل يكون أحد من الأولياء الداخلين تحت دائرة القطب وتصريفه أكبر منه عند الله تعالى؟

فقال رضي الله عنه: نعم، دائرة الإمكان واسعة، فإن القطب ليس استحقاقه للقطبية من جهة كونه أفضل من سائر رعيته، وإنما هو يسبق الوعد له بذلك من الله، كما أن في أقاليم الأرض من يستحق تدبير المملكة الظاهرة من جهة علمه ومصرفه ونسبه وحسبه، ويولي الحق تعالى المرتبة لمن دونه في ذلك، ولا يلزم أن يكون الحاكم أفضل من سائر من يتحاكم عنده.

فقلت له: فما صفة الأفراد، فإني سمعت بعضهم يقول: نحن بحمد الله من الأفراد لا حكم للقطبية علينا على ما مرَّ فيه آنفًا؟

فقال ﷺ: **من صفاتهم**: ألَّا يكون لهم تلميذ قط؛ لعلو مراقيهم، وعدم تنزلهم عن مقامهم لأجله، بل لا يتصور لهم بغيرهم جملة حتى ينزلون له.

ومن صفاتهم: ترك الإنكار على مجتهد مطلقًا، فالناس ينكرون عليهم ولا ينكرون هم على أحد.

ومن صفاتهم: أنهم يتكلمون بما به يسمعون، ويبصرون بما به يتكلمون، وهكذا في بقية الحواس، وليس ذلك لغيرهم.

ومنها: أنهم لا يقدرون قط على كشف وجوههم عند النوم، ولا ينامون على ظهورهم؛ لتلقي الموارد الربانية. أكثر ما يجري على لسانهم: «**ما شاء الله كان**»(1).

ومن صفاتهم: كتمان ما بصدرهم من العلم، فلو نُشروا بالمناشير ما أظهروا شيئًا مما عندهم من العلم إلا بإذن الله، فاعرض يا أخي هذه الصفات على كل من قال: «**أنا من الأفراد**» وتعرف صدقه، والله أعلم.

درة

سمعت شيخنا ﷺ **يقول**: علم الحق تعالى بنفسه لا يذوقه أحد من خلقه، فإن الله تعالى ما هو عين ما حكم به العقل، ولا هو عين ما حكم به الشهود القلبي ولا البصري؛ بل هو وراء ذلك كله، فلا هو عين ما عرفوه، ولا هو عين ما جهلوه، ومن علم ذلك وجب عليه أن يعبد ذاتًا منزَّهًا غائبًا غير مشهود، وهي أكمل العبادات.

كبريت أحمر

سألت شيخنا ﷺ عن الحاكم الأعظم في المملكة من الأسماء الإلهية؟

فقال ﷺ: حاكمها كلها الاسم «الرحمن» المستوي على العرش.

(1) أخرجه أبو داود (5075)، والنسائي في الكبرى (9840).

فقلت له: فمن حضرته أقرب إلى الخلق من الأسماء؟

فقال: الاسم الرب؛ ولذلك لم يرد أنه ينزل إلى سماء الدنيا إلا الرب فقط، وهنا باب لو فتحناه لرأيت عجبًا، والله أعلم.

در

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: لم يدَّعِ أحد من المخلوقات الألوهية في نفسه إلا الإنسان فقط، وأمَّا سائر العوالم العلويات والسفليات فلم تدَّعِ قط ذلك، بل هم في مقام الذل والخضوع لله تعالى، وغاية الجان أنه تكبر على أبناء جنسه فقط لا على ربه، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول مرارًا**: ما طلب الحق تعالى من عباده أن يطلبوا منه العون في عباداتهم إلا لينبههم على عجزهم؛ لأن يظهروا بها ملوكًا وأربابًا على العباد.

وسمعته يقول: ما ثَمَّ أحد من الخلق ولو علت درجته إلا وهو مملوك تحت حكم حاله، خلافًا لبعضهم في قوله: «**إن الأنبياء يملكون أحوالهم بخلاف الأولياء**» ولو كان هذا القول صحيحًا ما كان صلى الله عليه وسلم يؤخذ عن حسه عند نزول الوحي، فلولا أن الوارد غالب عليه ما أخذ عن حسه، ومن تأمل الحكام كلهم وجدهم تحت حكم ما حكموا به لا يقدرون على مخالفته، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: لو كشف لمن ينوي التقرب إلى الله تعالى بالنوافل عن حقيقة من يتوب إليه لذهب عنه طلب القربة؛ لأن الحق تعالى هو الذي يقيمه ويقعده بحوله وقوته، فافهم.

وسمعته يقول: مما يزيل توهم أن الحق مستوٍ على عرشه مثل استواء الأجسام: أن تعلم يا أخي، أن الحق تعالى كان موصوفًا بالاستواء والنزول إلى سماء الدنيا قبل خلق العرش والسماء؛ لأن صفاته تعالى قديمة، فكان يستوي على ماذا؟ وينزل من أين؟ فما تتعلقه يا أخي، من الاستواء والنزول قبل خلق العرش والسماء فتعلقه بعد خلقهما.

ولم يأت لنا في كتاب ولا سنة التصريح بأن الله تعالى استوى بذاته على العرش، وإنما جاء الاستواء بالاسم الرحمن؛ فالعرش محل ظهور حكم اسمه

تعالى «الرحمن» لا محل للذات؛ لأنه تعالى منزَّه عن الجسمية.

قلت: وقد بسطنا الكلام على ذلك في العقائد، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: أنواع رحمة الله ثلاثة:

الأول: الرحمة الامتنانية، التي ليس في مقابلتها عمل، وهي التي يترجَّاها إبليس فلا يُجاب.

الثاني: رحمة المقابلة، وهي التي جعلها الحق تعالى جزاء للتوبة والصلاح في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54].

الثالث: الرحمة التي تتزاحم الخلق بها فيما بينهم، وقد حبس الله تعالى منها عن أهل الدنيا تسعة وتسعين جزءًا.

وسمعته يقول: العارفون يدركون الحلال والحرام بالرؤية أو الشم أو الذوق، ولا يحتاجون إلى السؤال عن ذلك، بخلاف ما عليه المتورعون بالأدلة الشرعية، فقد يأتي الحلال على يد مكاس، وقد يأتي الحرام على يد عابد.

فقلت له: فلِمَ يقع للصديق الأكبر مثلما وقع للعارفين، بل أكل وتقيأ؟

فقال: إنما يحفظ الله الصديق عن ذلك، ليبيِّن الحق تعالى للأمة أن أبا بكر غير معصوم حين كان بعضهم ظن فيه العصمة، فأراد الله بذلك إعلامهم بعدم عصمته؛ ولذلك لم يبلغنا أن ذلك وقع له إلا مرة واحدة، ثم حماه الله تعالى إلى أن مات- رضي الله عن سيدنا- والله أعلم.

زمرد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن وقوع الاحتلام كثيرًا من الصحابة، وعدم اعتراض بعضهم على بعض إذا وقع من أحدهم ذلك، ونرى الصوفية يؤاخذون المريد على الاحتلام، فما حجتهم في ذلك؟

فقال رضي الله عنه: إنما ابتلي الصحابة بالاحتلام؛ لغيبتهم عن تدبير أجسامهم وضبطها باشتغالهم بالجهاد وشدة الفرح برسول الله ﷺ.

وقد قيل لعمر في ذلك لمَّا احتلم، فقال: «**إني قد ابتليت بهذا الاحتلام مذ وليت أمر الناس واشتغلت بأمرهم**» مع أنه ما نقل إلينا قط أن أحدًا من الصحابة

احتلم في غير زوجته أو ما ملكت يمينه، بخلاف المريدين، فإنهم يحتلمون في غير ذلك مما حرم عليهم، فإن أخبرنا أحد منهم أنه احتلم في زوجته وما ملكت يمينه فلا عتاب عليه، فما أخذ الصوفية على مريدهم في الاحتلام إلا لكونه فرعًا عن عدم حفظ جوارحه في اليقظة، فنام وخاطره مشغول بما احتلم فيه، فجاءه إبليس في صورة ذلك، وسيأتي نحو ذلك عن كلام «الفتوحات» في الباب الثامن والتسعين ومائة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وسمعته يقول: للعلم ثلاث مراتب:

فإن وُضع في النفس: أعطى الكبر به والجدال والكسل.

وإن وُضع في القلب: أعطى المجاهدات البدنية من الجوع والعطش وقيام الليل ومخالفة النفس وغير ذلك.

وإن وُضع في العقل: أعطى الرياضات النفسية من تهذيب الأخلاق وإتيان مكارمها ونحو ذلك، فانظر علمك وُضع في أي مكان بشهودك لأعمالك، فإنها تدلك على مكانها، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قول الجنيد - قدس سره - بمدح علم القوم: ما ظنك بعلم علم العلماء فيه بهمة، ومعلوم أن من جملة علوم العلماء التي بأيديهم تقول الشريعة؟

فقال رضي الله عنه: ليس المراد بهذا القول منه رضي الله عنه رفض ظاهر علم الشريعة بقرينة قوله في آخر كلامه: «**علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة**».

وإنما مراده: أن علم القوم ثابت لا تنقصه الأدلة؛ لبنائه على الكشف واليقين، وعلى ما صح من الأدلة عن رسول الله ﷺ من الأخلاق العظيمة التي لا ينكرها عقل، بخلاف علوم الأفكار تزلزلها الأدلة، فكل عارف في بعض الأحيان فقيه ولا عكس؛ وذلك لأنه ما بلغ مقام العرفان حتى مر أحكام الشريعة الظاهرة، ودخل إلى دقائق أسرارها، فالعلماء ينكرون عليه؛ لكونهم لم يذوقوا مذاقه، وهو لا ينكر عليهم لعلمه بأن ذلك مبلغهم من العلم.

فقلت له: فما معنى قولهم: «**علمنا هذا من حق اليقين**»؟

فقال رضي الله عنه: معناه أنه حق استقر في القلب فلا تزلزله الأدلة.

فقلت له: فلِمَ كانت العقول تمج علوم الأذواق ولا تقبلها إلا بالإيمان؟

فقال رضي الله عنه: لأن علوم الأذواق لم تأتِ من طريق الفكر، وإنما جاءت من طرق غريبة عن طريقه، فلذلك كانت العقول تمجها، فافهم.

ماس

قلت لشيخنا رضي الله عنه: لِمَ طلب الأولياء الخفاء في هذه الدار ولم يطلبه الأنبياء؟

فقال رضي الله عنه: مرتبة الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تطلب الظهور، فهم مضطرون إليه لأجل التشريع، وليس كذلك الأولياء؛ لأنهم يدعون الناس بحكم التبعية بشرع نبيهم لا بشرع من عند أنفسهم.

فقلت له: فإذًا الظهور كمال في مرتبة الرسالة نقص في مرتبة الولاية؟

فقال: نعم، هو نقص، ولكن إن أظهرهم الحق تعالى من غير تعمد منهم ولا اختيار فلهم الظهور؛ وذلك لأن الكامل يعرف أن الله تعالى ما خلقه للكون بالقصد الأول، وإنما خلقه تعالى له؛ ليسبح بحمده ويعبده، فشغل العارف نفسه بما خُلق له، وعلى هذا القدم جميع الملامتية رضي الله عنه.

زبرجد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قولهم: «**العارفون لا يموتون، وإنما ينتقلون من دار إلى دار**» كيف ذلك؟

فقال رضي الله عنه: لأن العارفين ماتوا عن جميع تصرفاتهم واختياراتهم، وأفنوها في تصرفات الحق واختياره، كما يقع للميت، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «**من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر** رضي الله عنه»[1] وهذا المقام لكل كامل بعده إلى يوم القيامة، فعلم أن من لم يحكم مقام فنائه عن شهود

(1) ذكره الشيخ المصنف في «العهود المحمدية» (ص130).

تصرفاته فإن الحال يتغير عليه عند الموت بقدر ما فرط في الرياضة.

فقلت له: فما أشد الموت؟

فقال: موت من كان غافلاً عن الرياضة مطلقًا حتى أتاه الموت على غفلة، فاجتمع الألم عليه دفعة واحدة، بخلاف صاحب المخالفة في ارتكاب المكروهات للنفس، كان الألم يأتيه شيئًا فشيئًا في أنواع الرياضات على حسب التدريج، فاعلم ذلك.

درة يتيمة

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل يسمع كل من في الجنة قراءة الحق ـ جلا وعلا ـ سورة طه عليهم كما ورد؟

فقال رضي الله عنه: نعم، لكن أهل الصف الأول بين يدي الله عز وجل لهم مزيد خصوص، فليس سماع السيد موسى كلام الله كسماع آحاد الناس، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى لداود عليه السلام: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص: 26] كيف يحتاج نبي معصوم إلى الأمر بأن يحكم بالحق؟

فقال رضي الله عنه: المراد بالهوى هنا: الرأي والاجتهاد، لا ما خالف الشرع؛ أي: احكم بما أنزلته عليك فقط.

قلت: وقد أنشد الشيخ محيي الدين في «الفتوحات المكية»:

عجبت لمعصوم يقال له اتبع ... ولا تبتدع واحكم بما أنزل الله
وكيف نرى المعصوم يحكم بالهوى ... مع الوحي والتحقيق ما ثم إلا هو
وما يعلم الأمر الذي قد رمزته ... وبيَّنته إلا حليم وأوَّاه

فيروزج

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾

[ق: 22] هل يكشف هذا الغطاء لأحد حال صحته كما يشير إليه قول الإمام علي ﵁: «**لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا**» مع أنه أثبت غطاء هنا ينكشف؟

فقال ﵁: كشف غطاء كل أحد على قدر حاله.

فمنهم: من ينتقل من الظن إلى العلم.

ومنهم: من ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين.

ومنهم: من ينتقل من عين اليقين إلى حق اليقين.

فقوله: «**ما ازددت يقينًا**» أي: لما أنا عليه من اليقين، وهذا منه إشارة إلى أن درجات اليقين لا تتفاوت، وبه قال جماعة.

فقلت له: فهل ينفع كشف هذا الغطاء صاحبه إذا كان عالم بما كشف له حال الصحة؟

فقال: لا، لا يسعده إلا ما كان عالمًا به قبل الموت، فإذا رأى بعينه ما كان يعلمه سعد، والله أعلم.

در

سألت شيخنا ﵁ عن قولهم: «**فلان بعيد من الله، أو فلان قريب من الله**» ما معناه، والحق أقرب إلى كل إنسان من حبل الوريد؟

فقال ﵁: القرب والبعد راجع إلى شهود العبد في نفسه لا إلى الحق، فإذا أطاع العبد ربه شهد نفسه قريبًا، وإذا عصاه شهد نفسه بعيدًا، فهو أمر إضافي، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا ﵁ عن قول أبي يزيد البسطامي لبعض مريديه: «**لأن تراني يا ولدي مرة خير لك من أن ترى الله ألف مرة**» كيف ذلك؟

فقال ﵁: إنما قال أبو يزيد ذلك للمريد؛ لكون المريد جاهلاً بمعرفة الله ﷻ ومن رأى الحق تعالى على هذه الصفة لا يستفيد منه شيئًا، بخلاف رؤيته لشيخه الذي يعظمه ويحترمه.

وقد وقع للشيخ شمس الدين الحنفي الشاذلي[1] أنه كان يمشي من مصر إلى الروضة في الماء؛ لئلا يتبعه مريد، فقال له: قُل: «**يا حنفي**» وامشِ خلفي، فقالها فمشى على الماء، فقال في نفسه: الله أعظم من الحنفي. فقال: يا الله، فنزلت رجله وغرق، فالتفت إليه الشيخ وقال: يا ولدي، حتى تعرفني قل: يا الله.

ونظير هذه الحكاية قول سهيل بن عبد الله التستري[2] لأصحابه: «**إذا كان**

(1) ترجمه الشيخ المصنف بقوله: كان ﷺ من أجلاء مشايخ مصر، وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة، والأفعال الفاخرة، والأحوال الخارقة، والمقامات السنية، والهمم العلية، صاحب الفتح المؤنق، والكشف المخرق، والتصدر في مواطن القدس، والرقي في معارج المعارف، والتعالي في مراقي الحقائق، كان له الباع الطويل في التصريف النافذ، واليد البيضاء في أحكام الولاية، والقدم الراسخ في درجات النهاية، والطود السامي في الثبات والتمكين، وهو أحد من ملك أسراره، وقهر أحواله، وغلب على أمره، وهو أحد أركان هذه الطريق، وصدور أوتادها، وأكابر أئمتها، وأعيان علمائها علماً، وعملا، وحالا، وقالاً وزهداً، وتحقيقاً، ومهابة، وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، ومكنه في الأحوال، وأنطقه بالمغيبات، وخرق له العوائد، وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب، وأجرى على لسانه الفوائد، ونصبه قدوة للطالبين حتى تلمذ له جماعة من أهل الطريق، وانتمى إليه خلق من الصلحاء والأولياء، واعترفوا بفضله، وأقروا بمكانته وقصد بالزيارات من سائر الأقطار، وحل مشكلات أحوال القوم، وكان ﷺ ظريفاً جميلا في بدنه، وثيابه، وكان الغالب عليه شهود الجمال ﷺ، وكان ﷺ من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. توفي ﷺ سنة سبع وأربعين، وثمانمائة ﷺ، وقد أفرد الناس ترجمته بالتأليف منهم الشيخ نور الدين علي بن عمر البتنوني ﷺ... (السر الصفي).

(2) هو الشيخ الأمين، الناصح المكين، الناطق بالعقل الرصين، من أعاظم المشايخ والمشهورين، ولم يبرز للناس حتى وقع الإذن له من الله وأطلعه على عدد مريديه وأسمائهم وأنسابهم، ومن يفتح عليه منهم ومن يموت قبل الفتح. حبر تجمل الإسلام بوجوده، وزين طريق الصوفية بقلائد فوائده وعقوده. وكان أوحد زمانه في علوم الرياضات، صحب خاله محمد بن سوار ولقي ذا النون وأخذ عنه الأكابر طبقة بعد طبقة، وطبق الأرض من علوم الحقائق، فحسده فقهاء بلده فقاموا عليه ونسبوه على عظائم وقبائح بسبب قوله: «التوبة فرض على العبد في كل نفس»، ولم يزالوا به حتى أخرجوه وجماعته من بلده إلى البصرة، فمات بها. وحفظ القرآن وهو ابن سبع، وكان يسأل عن دقائق الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة، وهو ابن عشر فيحسن الإجابة. وكان لا يفطر إلا كل خمسة عشر يومًا. وإذا دخل رمضان يأكل أكلة واحدة في أول ليلة منه ثم يطوي بقيته لكنه يفطر كل ليلة على الماء القراح أو على زبيبة ليخرج عن الوصال=

لكم إلى الله حاجة فأقسموا عليه بي، واحذروا أن تقسموا عليه بنبي أو ولي» فإنه إنما أراد تقريبه الطريق عليهم لما رأى عليهم من تعظيمه واحترامه، ودليل الفقراء في ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] لأنهم لا يعرفون يتبعون الله لو قال لهم رسول الله: اتبعوا الله تعالى، والله أعلم.

ياقوت

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما عدد مجالس العباد مع الحق تعالى المأخوذة من

= المنهي عنه. وكان يكفيه لطعامه في السنة كلها درهم، وإذا جاع قوي وإذا شبع ضعف، وكان إذا دخل عليه ضيف يأكل معه وإن لم يكن له شهوة إلى الأكل ذلك الوقت. وكان يسمع القرآن وغيره فلا يتحرك، فلما كان أواخر عمره صار يتواجد ويقول: ضعفنا والله عن التحمل، وصار واردنا أقوى منا. وكان يطوي ثلاثين وأربعين، وقيل سبعين ليلة لا يأكل شيئًا. وقال الغزالي: «وقد انتهى إلى ذلك جماعة يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو المغربي، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم، وإبراهيم التميمي، وحجاج بن قراقص، وحفص العابد المصيصي، وزهير وسليمان الخواص، وإبراهيم الخواص.. كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة، وذكر بعضهم أن من طوى أربعين يومًا من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت -أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية» انتهى.

قال ابن عربي: وكان بدأ سهل في هذا الطريق سجود القلب - وكم من ولي كبير الشأن طويل العمر مات وما حصل له سجود القلب، ولا علم أصلاً أن للقلب سجودًا مع تحققه بالولاية ورسوخ قدمه فيها- وكان سجوده إذا حصل لا يرفع رأسه أبدًا من سجدته، فهو ثابت على تلك القدم الواحدة التي تتفرع منها أقدام كثيرة، وأكثر الأولياء يرون تقلب القلب من حال إلى حال- ولهذا سمي قلبًا- وصاحب هذا المقام، وإن تقلبت أحواله، فمن عين واحدة هو عليها ثابت يعبر عنها بسجود القلب، ولهذا لما رأى سهل في ابتداء دخول طريق أن قلبه سجد، وانتظر أن يرفع، فبقي حائرًا فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته فما وجد أحدًا يعرفها، فإنهم أهل صدق لا ينطلقون إلا عن ذوق محقق.. فقيل له: إن في عبادان شيخًا معتبرًا لو رحلت إليه؟ ففعل فقال له: أيها الشيخ، أيسجد القلب؟ فقال: إلى الأبد. فوجد شفاءه عنده فلزم خدمته. فالله تعالى يؤتي ما شاء من علمه من يشاء من عباده، ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: 15]. مات سنة ثلاثة وثمانين ومائتين، عن ثلاث وثمانين سنة. انظر: الحلية (10/ 189)، وسير أعلام النبلاء (11/ 532)، وطبقات الصوفية (ص206)، ووفيات الأعيان (1/ 273)، وصفوة الصفوة (4/ 46)، وشذرات الذهب (2/ 182).

حديث: «**أنا جليس من ذكرني**»[1]؟

فقال رضي الله عنه: مجالس الحق على عدد أحكام الدين الخمسة، فإن الحق تعالى بالمرصاد عند فعل كل واحد من هؤلاء الخمسة فعلاً وتركًا، ولا يعتد بشيء منها حقيقة إلا إن فعله امتثالاً لأمر الله، ولا يمتثل أمر الله إلا وهو ذاكرًا لله أنه أمره ونهاه وأباح له، وما عدا أحكام الدين الخمسة لا يوجد.

فقلت: فما حكم ما سنَّه العلماء المجتهدون، أو أوجبوه، أو حرموه، أو كرَّهوه؟ هل يكون الحق تعالى جليسًا للعبد فيه إذا فعله أو تركه؟

فقال: نعم؛ لأن الشارع أذن لهم في ذلك بقوله: «**من سنَّ سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها**»[2].

وسمعته مرة يقول: إن أردت سرعة الإجابة في دعائك فاسأل ربك بالدعاء الوارد دون المخترع، فقد لا يجيبك فيه؛ لأنه لم يشرعه، فافهم.

زمرد

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: العارفون في شغل عن هذه الدار عن الزهو والإعجاب بما جعل الله عليهم من التكاليف، فلا تتركهم التكاليف يرفعون لهم رأسًا؛ لأنهم لا يتحركون ويسكنون إلا عن إذن الشارع.

ومن هنا قال الجنيد: «**اقعد على البساط، وإياك والانبساط**» يعني بالبساط: بساط العبادة، وبالانبساط: الإذلال والافتخار بها؛ يعني: الزم حقيقة ما تعطيه عبوديتك من الذل والافتقار، ولا تغِب عن شهودهما.

فقلت له: قد نقلوا عن سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه[3] ما لا يحصى من

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (8/ 121)، والبيهقي في شعب الإيمان (699).

(2) أخرجه الطيالسي (670)، وأحمد (19179)، ومسلم (1017)، والترمذي (2675)، والنسائي (2554)، وابن ماجه (203)، وابن حبان (3308)، وابن أبي شيبة (9803).

(3) قال الحافظ الذهبي في «تاريخه»: عبد القادر بن أبي صالح عبد الله جنكادوست، وزاد البعض في نسبه إلى أن وصله بالحسن رضي الله عنه؛ فقال: ابن أبي عبد الله بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله المحضر بن الحسن=

الإذلال والافتخار.

فقال: قد نقلوا أن ذلك كان بإذن في سره من الحق، ثم مع ذلك قد بلغنا أنه لمَّا حضرته الوفاة قال لهم: «**ضعوا خدي على الأرض، فإن هذا هو الحق الذي كنا عنه في غفلة**» فتمم الله عليه أمره قبل خروجه من الدنيا، ولقي الله تعالى بوصف الذل والانكسار وهذه من عناية الله تعالى بأصفيائه، فاعلم ذلك.

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قول الجنيد[1]- قدس سره -: «**علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة**»: هل في ذلك نفي للإجماع والقياس؟

فقال رضي الله عنه: لا، بل هما داخلان في الكتاب والسنة.

فقلت له: فأيهما أقوى: دلالة الإجماع أو القياس؟

فقال: الإجماع مقدم على القياس؛ لأن الناس اختلفوا في القياس، هل يتخذ ذلك دليلاً وما اختلفوا قط في الإجماع.

= المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. وقال الإمام الحافظ بن رجب في كتابه الذي جعله ذيلاً على كتاب طبقات الحنابلة، للقاضي أبي يعلى بن الفراء: عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست بن أبي عبد الله، وبعض الناس يذكر له نسبًا إلى علي بن أبي طالب، فذكره. وقال الإمام الصفدي في «تاريخه»: عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. وقال الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في معجمه، في ترجمة الفضل بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، وجزم به الحافظ تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع السلامي في تاريخه الذي جعله ذيلاً على تاريخ الحافظ محب الدين بن النجار. قلت: وقد أثبت نسبه كاملا العلامة محمد بن مكي عزوز في كتاب أسماه «السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني» كان سبب تأليفه أن بعض الجهلة شك في نسب الشيخ عبد القادر ومدى صحة نسبته للسيد الأعظم ﷺ؛ فأقام المصنف - جزاه الله خيرًا - بذكر تلك النسبة واثبات صحتها من خلال أدلة ساطعة، ونقول من كتب التاريخ بما لا يدع مجال للشك في صحة تلك النسبة الشريفة «طبع العلمية مع كتاب فتوح الغيب لسيدي عبد القادر بتحقيقنا».

(1) سبقت ترجمته138.

فقلت له: فهل القياس أقوى من خبر الواحد الصحيح؟

فقال: لا، خلافًا لبعضهم في قوله: «**إن القياس أقوى**».

وقال في «الفتوحات»: هو أقوى إذا كان القياس جليًّا، وذلك أن خبر الواحد إنما أخذ به بحسن الظن برواته، والشرع منعنا أن نزكي على الله أحدًا، وأمرنا أن نقول: أظنه كذا أو أحسبه كذا، والقياس مبني على النظر الصحيح العقلي.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقد اعتبر الشارع حكم النظر العقلي في إثبات وجود الله الذي هو الركن الأعظم، أَفتراه سبحانه يبيح العمل به في الأمور القطعية، ويُجيزه علينا في مسألة فرعية؟ لا يكون ذلك، فعلم أن من خطَّأ مثبت القياس فقد أساء الأدب مع الشارع حيث أثبت حكمه، والشارع لا يثبت الباطل، فلا بد أن يكون حقًّا، لاسيما إن كان جليًّا.

قال: وبكون نسبة الخطأ إلى ذلك المجتهد نسبة أنه أخطأ دليل المخالف الذي لم يصح عند المجتهد أن يكون دليلاً.

قال: والمخطئ في الشرع واحد لا بعينه على الأرجح، وإذا كان لابد من الأخذ بقول المجتهد، ومن جملة قوله: إثبات القياس أصلاً من أصول الدين، فقد أمرنا بالأخذ به، لاسيما إن كان حقًّا في نفس الأمر. انتهى.

فقلت لشيخنا: فما سبب كثرة القياس في مذهب الإمام أبي حنيفة ﷺ دون غيره من الأئمة؟

فقال: إنما كثر القياس في مذهبه؛ لعدم وجود نص عن الشارع في ذلك الأمر الذي قاس فيه، ولو أنه وجد نصًّا صحيحًا لم يحتج إلى قياس لتنزه الأئمة عن القول بالرأي في دين الله تعالى؛ والذي نعتقده أن الإمام أبا حنيفة ﷺ لو عاش حتى دُوِّنت أحاديث الشريعة ووجدها مخالفة للقياس لرجع عنه، فكان الإمام معذورًا في القياس في حال حياته، لتفرق أدلة الشريعة في عصره مع علماء التابعين، لشغل غالبهم بفتح البلاد وترتيب الأحكام، وإقبالهم على الأعمال، بخلاف هذا الأمر أيام غيره من الأئمة، فإنهم دخلوا في جمع أحاديث الشريعة ودوَّنوها، فجاوبت الشريعة بعضها بعضًا؛ فلذلك قلَّ القياس في مذاهب غيره من

الأئمة، ولم يزل العلماء يقيسون في كل حادثة لم يجدوا فيها نصًّا إلى وقتنا هذا، فعليك بإحسان الظن بالأئمة، فإنك ما أخذت أحكام دينك إلا عنهم رضي الله عنهم أجمعين.

قلت: وقد بسطنا الكلام على القياس في مختصرنا لشرح «جمع الجوامع في الأصول» فراجعه ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: 6].

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: علامة فقد النفس في حق العالم: عدم الميل إلى الدنيا وشهواتها، وألَّا يطلب التقديم فيها على أقرانه، وينشرح إذا انتقلت طلبته عنه إلى أقرانه.

وسمعته يقول: لم تثبت السيادة إلا له عليه السلام ولا العبودية إلا لك، فالسيد لا يدخل تحت تحجير العبد، والعبد لا يملك شيئًا مع السيد.

وسمعته يقول: المكاتب قِن ما بقي عليه شيء من حال كتابته، وإذا وفي خرج من رق سيده لرق هواه، ودخل في رق نفسه، فالرق للسيد أولى، والسلام.

وسمعته يقول: المكاتب يسعى في طلب رزقه وهو في رق ثلاثة: سيده ودينه ونفسه، والعبد الخالص لا يسعى في طلب رزقه، بل هو يُحمل إليه وهو في رق سيد واحد.

وسمعته يقول: من طلب دليلاً على الوحدانية كان الجماد أعرف بالله منه؛ وذلك أن غاية العارف الحيرة والجماد قد فُطر عليها، فغاية الإنسان مبتدأ الجماد، فافهم.

قلت: وقد تبع في ذلك الشيخ محيي الدين بن العربي، والحق أنه لا أكمل من الإنسان الكامل، والله أعلم.

وسمعته يقول: دخول الجنة برحمة الله، وحصول الدرجات فيها بالأعمال، والخلود فيها بالنيات.

وسمعته يقول: بقدر غفلتك عن ربك هنا يطول وقوفك معه هناك؛ لأنه حضور حساب لا حضور عتاب، نسأل الله اللطف.

وسمعته يقول: إنما قال تعالى في آدم عليه السلام: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29] الإضافة؛ لينبه آدم على مقام تشريفه حتى لا يصدر عنه مخالفة؛ يعني: أنك يا آدم شريف الأصل، فلا تفعل فعل الأراذل، فما وقع منه ما وقع إلا

في حال نسيانه، كما صرح به القرآن.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: 39] المحو خاص بالأعمال والأقوال لا الذوات، فإن الذوات لا يتوجه عليها محو، خلاف الأقوال والأفعال، كما أشار إلى ذلك حديث: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة...**»(1).

وسمعته يقول: الفرائض مفتاح، والسنن أسنانه، فما نقص من أسنان المفتاح ضرَّ، وما زاد حكمه كذلك، لكن إذا قلع لم يضر الزائد.

وسمعته يقول: إذا كثرت مواقد الدار كثر ضوءها، وقل أمنها عبرة لأولي الأبصار.

وسمعته يقول: يحتاج العارف في هذا الزمان أن يحمي نفسه وإخوانه بالحال المؤثر فيمن يؤذيه في نفسه وإخوانه ولو مرة، وإن كان ذلك نقصًا في الأدب فهو كمال في المعلِّم.

وسمعته يقول: الرزق في طلب المرزوق دائر، والمرزوق في طلب رزقه حائر، وبسكون أحدهما يتحرك الآخر.

وسمعته يقول: من جهل المؤمن: أن يستغيب الناس، ويقع في أعراضهم، ويأكل أموالهم بغير حق، ثم يقرأ القرآن مثلاً ويقول: اللهم اجعل ثواب ذلك في صحائف فلان وفلان من الناس الذين لا حق لهم عنده، بل الأولى أن يجعل ثواب ذلك في صحائف من لهم عليه حق، فإنه لابد لهم من المطالبة بحقوقهم في الآخرة.

ولو تأمل المسكين لوجد أعماله الصالحة لا تفي بجبر خلل نفسه بتقدير الإخلاص فيها، فضلاً عن دخول النقص فيها، والصدقة لا تكون إلا عن ظهر غنى، فاصبر عن إرسال ثواب أعمالك لغيرك؛ حتى تنظر ماذا يقع لك في الآخرة، فربما يكون جميع أعمالك الخالصة لا تفي بحقوق الناس الذين اغتبتهم، فإذا جاء من له عليك حق يطالبك لا يجد معك شيئًا من الأعمال الخالصة، فيتحط من أوزاره على ظهرك.

---

(1) أخرجه البيهقي في الكبرى (7/ 421).

وسمعت أخي أفضل الدين رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: استئذان الإخوان في فعل القربات الشرعية دليل على فتور العزم عن فعلها، وإذا استأذنت ربك في فعل خير تعلم أنه خير فانظر، فإن سهَّله الله عليك فحسن، وإن حيرك فقد مكر بك واستدرجك، وظهر أن في إيمانك نقص، وذلك أنك ما علمت أنه خير إلا منه فلا شيء تستأذنه بعد العلم، فجدد يا أخي إيمانك بين يدي الله، وقل: «**لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، آمنت بما جاء به الله**» واشرع في العمل، ولا تستأذن في خير قط، وميزان الشرع بيدك لا ترميه من يدك تهلك. انتهى.

قلت: وقد رأيت في «الفتوحات المكية» ما نصه: من أراد أن يحفظه الله من غوائل المكر فلا يضع ميزان الشرع من يده، فمن وضعها من يده فقد مكر الله به، ومن أخفى المكر ما يقع في المؤولين، لاسيما ممن يعتقد أن كل مجتهد مصيب.

وذكر أيضًا في الباب الثامن ومائتين منها: من أراد أن الله تعالى يحفظه من التزيين، فليقف عند ظاهر الكتاب والسنة، ولا يزد على الظاهر شيئًا إلا بدليل آخر، فإن التأويل قد يكون من التزيين، فما أعطاه الظاهر جرى عليه بشرطه المذكور، وما تشابه منه وكَّل علمه إلى الله تعالى وآمن به، ومثل هذا يكون متبعًا للشريعة ليس للتزيين عليه سبيل، وهو صاحب علم صحيح. انتهى. والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أخذ العهد على المريدين أن يفعلوا كذا ويتركوا كذا مما لم يتعرض له الشارع بأمر ولا نهي، كما هو طريق المريدين؟

فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليست هذه طريقتنا، ويكفي العبد ما جعله الله تعالى عليه من التكاليف التي صرَّحت بها الشريعة، ولا ينبغي لعاقل أن يأخذ عهدًا على أحد إلا مع التفويض إلى الله تعالى، وربما كان في علم الله أن هذا المريد لا يفي بالعهد، فيصير عليه معصية أخرى، وهي نقض العهد، ولهذا الذي ذكرناه كره رسول الله ﷺ النذر، ثم أوجب الوفاء به؛ إذ هو من فضول الإنسان، كما كان السؤال الذي هو أهلك الأمم قبلنا؛ إذ كان من فضولهم. انتهى.

وسمعته يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عباد الله حقًا هم الذين لا يزالون عبيده في حال الاختيار وفي حال الاضطرار؛ ولذلك لم يُذكروا قط في القرآن إلا مضافين

إليه ﷺ بخلاف غيرهم من عبيد النعم والأصناف الذين إن أُعطوا منها رضوا، وإن مُنعوا منها سخطوا.

فقلت له: فإذا عبد العبد ربه امتثالاً لأمره وطلبًا لثوابه فما حكمه؟

فقال: ذلك حكيم الزمان؛ لإعطائه كل ذي حق حقه، فكما أن الحق يطالبه بالإخلاص مع غناه عن عبادة الخلق، كذلك العبد يطلب الثواب، لفقره واضطراره، فإن في العبيد من يطلب الله، وفيهم من يطلب الدنيا، وفيهم من يطلب الآخرة.

وسمعته يقول: إذا طلبت من الله تعالى حاجة فاسأله بالاسم الدال على تلك الحاجة، فإن أذنبت فقل: «**يا تواب، يا غفور**» مثلاً، وإن جُعت فقل: «**يا رزاق، يا معطي، يا كريم**» مثلاً، وإن حصل لك ذل فقل: «**يا معز، يا مجيد**» مثلاً، وهكذا، فإن قلت غير ذلك فحسن، فإن أسماء الإلهية كلها ترجع إلى الذات، ولكن الاسم الدال على الغرض أسرع إجابة. قاله أبو الحسن الشاذلي وغيره.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن تسمية بعض العبيد بنظير أسماء الله تعالى، كنافع، ومؤمن، وعزيز، وجبار، وملك ونحوها؟

فقال: هذا لا يجوز إلا بإذن من الشارع ﷺ كما خلع ﷺ على محمد ﷺ «رؤوف، رحيم».

قلنا: إن انطلق عليه ﷺ هذين الاسمين، لكن على سبيل التلاوة والحكاية لقول الله تعالى فقط، مع اعتقادنا أن المخلوع عليه ذلك عبد خاشع منيب أواه؛ ولذلك لم يذكر الله تعالى شرف محمد ليلة الإسراء إلا العبودية والرسالة الذين هما من صفات العبد، ولا يليق تسمية الحق تعالى بهما، فافهم، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب «لوائح الأنوار» فراجعه، والله ولي حميد.

قلت: وقد رأيت في «الفتوحات المكية» للشيخ محيي الدين رحمه الله ما نصه: جميع أسماء الله تبارك وتعالى، الأصول والفروع، المشتقة وغير المشتقة، الأعلام وغيرها التي بأيدينا أسماء للأسماء الإلهية من حيث كونه تعالى متكلمًا،

فنضع الشرح الذي كنا نوضح به مدلول تلك الأسماء على هذه الأسماء التي بأيدينا، فتكون لها من الحرمة ما لها، كما عظمنا الحروف المرقومة في المصحف من حيث كونها أعيان كلام يفهم منها كلام الله القديم الذي لا صوت فيه ولا حرف، بحكم التنزل الإلهي لعقولنا، فما فهمنا من معاني كلام ربنا إلا بواسطة الحروف، ولولا هي ما فهمنا من كلام الله تعالى شيئًا.

قال: وحرمتها في كل لغة كحرمتها في العربية، فهي معظمة في كل لغة حيثما دلت عليه، ولهذا نهينا أن نسافر بالمصحف إلى أرض العدو، وهو بلا شك بخط أيدينا أوراق مرقومة بأيدي المحدثات بمداد مركب من عفص وزاج، فلولا هذه الدلالة لما وقع التعظيم لها، ولذلك يقال: «**كلام قبيح، كلام حسن**» في عرف الشرع والعادة، وسببه مدلول تلك الألفاظ في العرف والاصطلاح.

فإن قيل: فهل يكفي من توجهت عليه يمين أن يحلف يقول: «**وخداي، وراق، وكريطرور بسلنان الإفرنج الله**».

فالجواب: أنه إن علم القاضي من الحالف حرمة هذه الأسماء في قلبه كالأسماء العربية سواء فله تحليفه بها، لاسيما أهل ذلك اللسان، وإلا فالقياس أنها لا تكفي، فاعلم ذلك وتأمله وحرره إن كان فيه شيء، والله يتولى هداك.

وسمعت شيخنا ﷺ **يقول**: لا يُقال للمصورين يوم القيامة: أحيوا ما خلقتم، إلَّا إن كان ذلك بغير إذن من الله، ليخرج عيسى عليه السلام من أقدره الله تعالى على إحياء الموتى من الأولياء، والله أعلم.

وسمعته ﷺ **يقول**: الإشارة أفصح من العبارة؛ وذلك لأن العبارة تفتقر إلى علم الاصطلاح، والإشارة لا تحتاج إلى ذلك.

وسمعته يقول: إياك لا تمقت أحدًا من عباد الله بغير حق فيمقتك الله؛ لأن عباده عزيزون عليه.

وسمعته يقول: إذا أرسلت رسولاً في حاجة فلا تقول: ما أبطأك؟ فإنه ما أبطأ بها إلا لوقتها الذي جعلها الله فيه إلا الرسول، ومن شهد هذا المشهد استراح قلبه من تعب الانتظار.

وسمعته يقول: سامح الناس في حق نفسك لا في حق الله ولا في حق عباده تكن حكيم الوقت وأديب الزمان.

كبريت أحمر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: كيف وقع من الخليل عليه السلام طلب الاستدلال على الرب تعالى، ومقام الأنبياء يجلّ عن ذلك؟

فقال رضي الله عنه: إنما كان الاستدلال منه؛ لأجل قومه لا لأجله، فأراهم عليه السلام ذلك بحكم النيابة عنهم؛ ليرجعوا إلى الاعتقاد الحق.

قلت: قال بعضهم: ويحتمل أن يكون هذا الاستدلال وقع من إبراهيم قبل النبوة؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120] أيّ: قبل أن يُرسل؛ لأن الأمة هو الذي يوجده الله تعالى بنور وجده في قلبه من غير زمان سلطان الشرائع، كما قال ﷺ في قس بن ساعدة: «**أنه يبعث أمة وحده**»(1) أي: لا تابعًا ولا متبوعًا، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي: قبل رسالته؛ لأنه كان أمة حال رسالته، فتأمل ذلك وحرره إن كان فيه شيء، والله أعلم.

وسمعته يقول: إذا توكلت على الله فاحذر أن تعتمد على السبب دون الحق تعالى فذلك الخطأ، بل اعتمد على السبب بإذن الله من غير وقوف مع السبب.

قال: وكثير من الناس يحتج بالسعي إلى العائلة، ويجعلهم حجة في ضعف يقينه، فإذا أراد هنا أن يتبين له صدقه من كذبه، فليطعم ما حصل له بذلك السعي للعيال، ولا يأكل هو منه شيئًا دائمًا، فإنه متى أكل وتوسع به في نفسه وشهواته فضح نفسه وبان له كذبه.

قال: والمتوكلون على الله قسمان:

منهم: من توكله علم.

ومنهم: من توكله ذوق.

وبين العلم والذوق ما بين الظن واليقين، ولكن الفارق بين المقامين: أن المتوكل على الله إن اضطرب قلبه عند الفقد فتوكله على الله علم، وإن لم

(1) أخرجه أبو يعلى (2047)، قال الهيثمي (9/ 416): فيه مجالد، وهذا مما مدح من حديث مجالد، وبقية رجاله رجال الصحيح. وتمام (1404)، وأحمد (1648)، والطبراني (350).

يضطرب عند الفقد، فتوكله على الله ذوق، وهو ميزان لا يخطئ إن شاء الله تعالى.

بلخش

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29] هل تعود الأرواح إلى تدبير هذه الأجسام بعينها، أو على مثال آخر كما قبل؟

فقال رضي الله عنه: تعود إلى تدبير هذه الأجسام بعينها، وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: 9] فإن في ذلك أول دليل على إعادة جواهر تلك الأجسام التي ذابت في القبور مثلاً، فإذا ظهرت الأجسام من قبورها، تولَّتها الأرواح بالتدبير على قدر ما يعطيه مزاج تلك النشأة بعد أن كانت عزلت، وما عزلت حقيقة، بل هدمت، والملك باقٍ بيد صاحبه حال الهدم، فافهم وحرر إن فيه شيء.

وسمعته يقول: لا تكثر من الوعد لأحد، فإن صدق الوعد إنما هو حال الأنبياء، وأمَّا نحن فربما أخلفنا الوعد؛ لعدم العصمة، فنودي علينا باسم النفاق.

وسمعته يقول: أكثر الناس قهرًا: من كان أكثرهم كبرًا، فإن هذا لا يزال يترأس على الخلق ويطلب ما هو فوق رتبته، والقدرة ليست في يده، فلم يزل مقهورًا، وأمَّا المتواضع: فإنه بالعكس كل شيء جاءه يقول: أنا ما كنت أستحق مثل هذا، وهذا كثير على مثلي، فتأمل واعتبر.

وسمعته يقول: الفتح الوارد في القرآن ثلاثة أنواع: فتح عذاب، وفتح بركة، وفتح ابتلاء.

قال تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [المؤمنون: 77].

وقال: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

وقال: ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 168] فلا تقنع بمجرد اسم الفتح، بل انظر ثمرته ونتيجته، والله يتولى هداك.

فيروزج

قلت لشيخنا ﷺ: هل أكتب كل ما يرد على قلبي من العلوم والمعارف خوف النسيان؟

فقال ﷺ: لا تبادر إلى كتابة شيء منها، بل انظر، فإن صحبك ذلك العلم مثلاً عند انفصام وروده فاكتب، وإلّا فلا تقدح فكرك في تحصيله، فإن كل علم جاء من طريق الفكر معلول، والواردات علم الوقت فتذهب بذهابه، وما ذهب فحكمه حكم العدم، ولا تعول إلا على ما يبقى لمنافع العباد، وأطال في ذلك بكلام يدق عن الأفهام، فتركته.

وسمعته يقول: إذا سافر أحدكم إلى مكة فليحذر من المقت.

فقلت له: لِـمَ؟

فقال: لأنها حضرة الله تعالى، ومنها يخرج الخلع للعراة والأرزاق الحسية والمعنوية للفقراء والمساكين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: 60] وغالبًا يقرأ له منسكًا على مذهب واحد من الأئمة فيقول في نفسه: ما حج أحد مثل حجي ـ بحمد الله ـ ويرى أنه أتى بالمناسك على وجه التمام دون غيره، فإياك من ذلك، وائت بالمناسك على وجه الكمال في الاسم، ولا ترى أنك سلمت من خلل فيها، وأكثر من الاستغفار هناك جهدك؛ وكذلك عند كل عبادة، وتأمل استغفاره ﷺ ثلاثًا عقب كل صلاة فإن فيه تنبيهًا على ما ذكرناه.

فقلت له: فكم يخلع على الحاج مرة؟

فقال: يخلع مرتان:

أحدهما: بعد طواف الوداع.

والأخرى: بين يدي قبر رسول الله ﷺ؛ ليقر تعالى عينه ﷺ بأمته، والله أعلم.

ماس

سألت شيخنا ﷺ عن أنوار الناس في قبورهم: هل هي كثيفة أو شفافة لهذه الأنوار الموجودة في الدنيا؟

فقال ﷺ: هي كثيفة؛ لأنها أنوار أعمال الجوارح في دار الدنيا، والجوارح كثيفة تبعًا لدارها، بخلاف أنوار أهل الجنة، فعلم أن نور البرزخ له وجهان: وجه إلى الدنيا في الكثافة، ووجه إلى الجنة في اللطافة، والله أعلم.

ياقوت

قلت لشيخنا ﷺ: هل يقع لأهل البرزخ الاجتماع بكل من أرادوه أم لا؟

فقال: البرزخ من حيث هو مطلق، ولكن ما كل أحد يقع له فيه الإطلاق والسراح، فإن غالب الناس مسجونون فيه بأعمالهم، وما ظهر الإطلاق إلا للأنبياء والأولياء بحسب درجاتهم، ومن هنا وقع لبعضهم الاستغاثة بسيدي أحمد البدوي[1]، وسيدي إبراهيم الدسوقي[2]، وهم في قبورهم، فأغاثوه

---

(1) شهرته ﷺ في جميع الأرض تُغني عن تعريفه، ونذكر جملة من أحواله تبرُّكًا به فنقول: مولده بمدينة فاس بالمغرب؛ لأن أجداده الكرام انتقلوا أيام الحجَّاج إليها حين أكثر القتل في الشرفاء.
فلما بلغ سبع سنين، سمع أبوه قائلاً يقول: يا عليّ، انتقل من هذه البلاد إلى مكة فإن لنا في ذلك شأنًا، وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة.
قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: قد شاهدت أنا بعيني سنة خمس وتسعمائة أسيرًا على منارة الشيخ عبد العال، مقيَّدًا مغلولاً، وهو مختبط العقل فسألته عن ذلك، فقال: بينما أنا في بلاد الفرنج آخر الليل توجَّهت إلى السيد أحمد، فإذا أنا به فأخذني وطار بي في الهواء فوضعني هنا، فمكث يومين ورأسه دائر عليه من شدَّة الخطفة. تُوفي ﷺ سنة خمس وسبعين وستمائة ﷺ وقدس روحه، وأعاد علينا من بركته آمين. وانظر: كتاب العظة والاعتبار: آراء في حياة السيد البدوي الدنيوية وحياته البرزخية لسيدي أحمد محمد حجاب، بتحقيقنا، والسيد البدوي لأستاذنا الدكتور جودة المهدي حفظه الله.

(2) هو من أجِلَّاء المشايخ المكرَّمين وصدور المقرَّبين، صاحب كراماتٍ ظاهرة، ومقامات فاخرة، وسرائر زاهرة، وبصائر باهرة، وأحوال خارقة، وأنفاس صادقة، وهمَمْ عالية، ونفحات روحانيَّة، وأسرار ملكوتيَّة، ومحاضرات قدسيَّة، وله المعراج الأعلى=

وخلَّصوه من عدوه أو من الغرق ونحو ذلك، والله أعلم.

= في المعارف، والمنهاج الأسنى في الحقائق، والطُّور الأعلى في المعالي، والقدم الراسخ في أحوال النِّهايات، واليد البيضاء في علوم الموارد، والباع الطويل في التَّصريف النافذ، والكشف الخارق عن حقائق الآيات، والفتح المضاعف في معنى المشاهدات، وهو أحد من أظهره الله ﷻ إلى الوجود، وأبرزه رحمةً للخلق، وأوقع له القبول التّام عند الخاص والعام، وصرفه في العالم، ومكَّنه في أحكام الولاية، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات وأنطقه بالمغيبات، وأظهر على يديه العجائب، وصوَّمه في المهد، وكان يتكلَّم بالعجمي والسّرياني، والعبراني، والزنجي، وسائر لغات الوحوش والطيور، وله كلامٌ كثيرٌ عالٍ على لسان أهل الطريق. وكان يقول: الشريعة أصل، والحقيقة فرع، فالشريعةُ جامعةٌ لكل علمٍ مشروعٍ، والحقيقة لكل علمٍ خفيٍّ، وجميع المقامات مندرجة فيهما. وكان يقول: العلمُ كله مجموع في حرفين: أن يعرف العبد ربه، ويعبده، فمن فعل ذلك فقد أدرك الشريعة والحقيقة، وليس في هذا تعطيل للعلم، بل العمل أس العلم، وإنما قلنا ذلك من أجل قول الله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ [المزمل: 20]. ولكل فرقةٍ منهاج، وإلا فقد يجمع الله العلم والعمل في رجلٍ واحدٍ يفيد الناس كل الفوائد، فالشريعة هي الشجرة، والحقيقة هي الثمرة. وكان يقول: ما قطع المريد ورده يومًا إلَّا قُطع عنه الإمداد ذلك اليوم، واعلم يا ولدي أن طريقتنا هذه طريق تحقيق وتصديق وجهد وعمل، وتنـزُّه، وغضّ بصر، وطهارة يد وفرج ولسان، فمن خالف شيئًا من أفعالها رفضته؛ فلذلك آثروا العزلة إلا في صلاة الجماعة، وحضور مجالس العلم التي لا رياء فيها ولا جدال، ولا عجب ولا مدارة، والسلامة من هذه الأمور في زماننا هذا قلَّ أن توجد، فعليك بالوحدة بعد معرفة ما أوجب الله تعالى عليك، فإنك يا ولدي في القرن السابع الذين أكثرهم يجعلون شريعة السالك قدح في الشريعة. وحقيقة المحبَّة بدعًا في الطريقة، كأنهم ما علموا قط عطاء لله تعالى، ومواهب مدد الله تعالى، وخوارق عجائبه، بل رأوا من سوء حالهم أن باب العطاء قد غُلق، فمن اعتقد ذلك فإنما هو معترضٌ على الله تعالى في فعله، ونعوذ بالله من التعرض، فإنه لا بدَّ لأهل حضرته تعالى من التمييز عن المعرضين عنها؛ ليشتاق المعرضون عنها حين يرون الخوارق تقع على يد أوليائه، فما أجهل من جهل قدر الفقراء، وما أعماه أيش يُقال في قوم كلهم طالبين الله تعالى، أينكر عليهم مسلم؟ كلا والله. وقد قيل للجنيد: قومًا يتواجدون ويتمايلون، قال: دعهم مع الله يفرحون ولا تنكر إلا لعصيان المفرج به في الشريعة، أما هؤلاء القوم فقد قطعت الطريق أكبادهم، ومزَّق التعب والنصب أجسادهم، وضاقوا ذرعًا فلا حرج عليهم إذا تنفَّسوا مداواة لحالهم، ولو ذقت يا أخي مذاقهم لعذرتهم في صياغتهم، وشق ثيابهم، فالله يلهمكم يا أولادي سلوك طريق الرشاد إنه سميعٌ مجيبٌ، وهو السيد إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن أبي طنجا بن زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبي الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبي القاسم=

جوهر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما يقول بعض العارفين في قوله: «أُسري بروحي في هذه الليلة إلى السماوات العلا» إلى غير ذلك، هل هو صحيح؟

فقال رضي الله عنه: نعم، ليس الممنوع منه إلا الإسراء بالجسم، فإنه ليس لغير نبي قدم محسوس في السماء أبدًا.

فقلت له: فما حكمة إسراء الأولياء والأحكام الشرعية تقررت وانقطع الوحي بها جملة يقظة ومنامًا؟

فقال: ليس الحكمة في إسراء ما ذكرت، وإنما ذلك ليمرّ بأرواحهم على حضرة الأسماء الإلهية، فإذا مرَّ بروح الولي على حضرة الاسم «الرحيم» كان رحيمًا، أو «الكريم» كان كريمًا، أو «الغفور» كان غفورًا، وهكذا كل ذلك، ليُري أولياءه تعالى في منامهم ما أراه لأنبيائه في يقظتهم، والله أعلم.

زبرجد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «**أفضل الأعمال: الصلاة لأول وقتها**»[(1)] هل يلحق بذلك كل عبادة لها وقت؟

فقال رضي الله عنه: نعم، المبادرة لأوامر الله كلها حسن.

فقلت له: فما أول الوقت بلسان أهل الإشارة؟

فقال: أن يكون عازمًا جازمًا بقلبه أن لو كان موجودًا من أول افتتاح الوجود إلى الآن لكان مُصليًا، فتنسحب عبادة هذا المصلي وأجرها من هناك إلى وقت وجود هذا المصلي وتمييزه.

= ابن جعفر الزكي بن عليّ بن محمد الجوَّاد بن عليّ الرِّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السبط بن عليٍّ بن أبي طالب الهاشمي القرشي، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. تفقَّه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ثم اقتفى أثر السادة الصوفية، وجلس في مرتبة الشيخوخة، وحمل الراية البيضاء، وعاش من العمر 43 سنة، ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان، حتى مات سنة 679هـ رضي الله عنه.

(1) أخرجه عبد الرزاق (2217)، وابن أبي شيبة (3219)، وأبو داود (426)، والترمذي (170)، والحاكم (680)، والطبراني (207)، والبيهقي (1035)، والدارقطني (1/ 247).

فقلت له: فمن كان هذا مشهده وصلى مع ذلك في أول وقت الصلاة الشرعي؟

فقال: هذا قد حاز الخير كله بكلتا يديه.

قلت: فينبغي لكل مصلٍّ أن يتفطن لهذا السر وينويه عند نيته في الصلاة ولا يخل به؛ لأنه ليس فيه كلفة، والله أعلم.

وسمعته يقول: من ذم الدنيا من حيث حقيقتها فقد حق أنه، وجميع الأنكاد والشرور التي ينسبها الناس إلى الدنيا ليس هو فعلها، وإنما هو فعل أولادها؛ لأن الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا، فهي مطية للعبد عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر، ويجب أن أحدًا من أولادها لا يشقى؛ لكثرة حنوها عليهم، وتخاف أن تأخذهم الضرة الأخرى على غير أهبة، مع كونها بأوليتهم ولا تعبت في تربيتهم.

وفي الحديث: «**إذا قال العبد: لعن الله الدنيا، قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه** ﷻ»[1] فعلم أن ذم الدنيا ليس لذاتها، وإنما هو لما فيها من المعاصي والشرور، كما أشار إليه حديث: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم**»[2] وعلم أيضًا أن ذمها ما وقع من العارفين، وإنما وقع من طائفة العباد الذين لم يفهموا الأمر على ما هو عليه، والله أعلم.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قول الإمام الغزالي: «**ليس في الإمكان أبدع مما كان**» فإن بعض أئمة العرب قد أفتى بكفر قائل ذلك.

فقال رضي الله عنه: بلغنا عن الشيخ محيي الدين أنه كان يقول: من كفَّر الغزالي بذلك فهو غير مصيب، والجواب عن ذلك سهل، وهو: أنه ما ثم في الوجود إلا مرتبتان: قِدم، وحدوث، فالحق تعالى في مرتبة القدم، والخلق كلهم في مرتبة

(1) أخرجه الحاكم (7870)، وقال: صحيح الإسناد. والرامهرمزي (24)، والديلمي (6794) بلفظ: «إذا قال العبد: قبح الله الدنيا، قالت الدنيا: قبح الله أعصانا لربه».

(2) أخرجه الترمذي (2322)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (4112).

الحدوث، فلو خلق الله تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث، فمراد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ بنفي الأبدعية: التحاق الحادث برتبة القديم، وهذا غير ممكن، فتأمله فإنه نفيس.

قلت: وقد سُئل عن ذلك الشيخ محمد المغربي الشاذلي(1)شيخ الشيخ جلال الدين السيوطي(2) ـ رَحِمَهُ اللهُ؟ فقال: معناه: ليس في الإمكان أبدع حكمة من

(1) هو محمد المغربي الشاذلي. كان في التصوف بارعًا، ولاستحضار حكايات الصلحاء ونقلها مسارعًا. أخذ عن أبي العباس السرسي، عن الشيخ محمد الحنفي، وعنه الشعراوي. وهو من أهل الرتب العلية. وكان لا يأخذ العهد على أحد إلا بعد تردده إليه، وامتحانه سنين. وجاءه رجل من القضاة يطلب التلقين، وأخذ العهد، فقال: رح، واستكف البلاء، فإنك الآن تأكل وتشرب أطيب الطعام، وتلبس أحسن الثياب، ولا حرج عليك، فتريد إدخال نفسك في تحجير لا تطيقه؟! وكان كريم النفس، يعطي ألف دينار كأنها بعرة. وكان علماء مصر يذعنون له في العلوم العقلية والوهبية. ومن كلامه: يجمع آداب الطريقة كلها لفظتان: سكتة ولفتة، وقد وصل السالك إلى مقصوده. وجاءه المواهبي يطلب التربية، فقال: تريد تربية بيتية أو سوقية؟ قال: كيف؟ قال: السوقية أن أعلمك كلمات في البقاء والفناء ونحو ذلك، وأقعدك على سجادة، وأقول لك: خذ كلامًا، واعط كلامًا بغير ذوق كما عليه مشايخ الزمان. والبيتية أن تقعد عندي وتفني اختيارك في اختياري حتى لا يبقى لك شهوة إلا وضعتها تحت رجليك، وتشارك أهل البلاء، وتسمع في حقك جميع ما يقال في الفساق، فلا تتغير اكتفاء بعلم الله فيك. فقال: هذا مقام كبير. قال: هو من مقامات إبليس، فإن الوجود العلوي والسفلي يلعنه ويسبه فلا تتغير منه شعرة؛ لعلمه بأنه ليس بيد الخلق حل ولا ربط مع الله، فكيف تستبعد مقامًا أعطيه إبليس؟ مات سنة إحدى عشر وتسع مئة، ودفن قرب باب القرافة. طبقات الشعراني (2/ 115)، الكواكب السائرة (1/ 78)، كرامات الأولياء (1/ 173) انظر (ص243).

(2) هو الشيخ العلامة الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد ابن الشيخ الهمام الخضيري السيوطي المصري الشافعي، وصلي عليه بجامع الأفاريقي تحت القلعة، ودفن بشرقي باب القرافة، ومرض ثلاثة أيام. والخضيري نسبة إلى محلة الخضيرية ببغداد. ووجد بخطه رَحِمَهُ اللهُ أنه سمع ممن يثق به أنه سمع والده يذكر أن جده الأعلى كان أعجميًا أو من المشرق، فلا يبعد أن النسبة إلى المحلة المذكورة وأمه أم ولد تركية. وكان مولده بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة، وكان يلقب بابن الكتب لأن أباه كان من أهل العلم واحتاج إلى مطالعة كتاب فأمر أمه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه فذهبت لتأتي به فجاءها المخاض وهي بين الكتب فوضعته. وسماه والده بعد الأسبوع عبد الرحمن ولقبه جلال الدين وكناه شيخه قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني لما عرض=

....

= عليه وقال له ما كنيتك فقال: لا كنية لي، فقال: أبو الفضل، وكتبه بخطه. وتوفي والده ليلة الاثنين خامس سنة صفر سنة خمس وستين وثمانمائة، وجعل الشيخ كمال الدين ابن الهمام وصيًا عليه فلحظه بنظره ودعايته، وختم القرآن وسنه دون ثمان سنين. ثم حفظ عمدة الأحكام، ومنهاج النووي، وألفية ابن مالك، ومنهاج البيضاوي وعرضها وهو دون البلوغ على مشايخ عصره، وأحضره والده وعمره ثلاث سنين مجلس شيخ الإسلام ابن حجر مرة واحدة، وحضر وهو صغير مجلس الشيخ المحدث زين الدين رضوان العقبي، ودرس الشيخ سراج الدين عمر الوردي. ثم اشتغل بالعلم على عدة مشايخ، وحج سنة تسع وستين وثمانمائة، وشرب من ماء زمزم لأمور منها أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر، ووصلت مصنفاته نحو الستمائة مصنفًا سوى ما رجع عنه وغسله. وولي المشيخة في مواضع متعددة من القاهرة. ثم إنه زهد في جميع ذلك، وانقطع إلى الله بالروضة وكانت له كرامات وعظم غالبها بعد وفاته. وحكى الشيخ العلامة زكريا ابن الشيخ العلامة محمد المحلي الشافعي أنه عرض له مهم في بعض أوقاته، قال فسألته أن يكتب إلى بعض تلامذته بالوصية علي فامتنع، وأطلعني على ورقة بخطه وفيها أنه اجتمع بالنبي ﷺ في اليقظة مرات تزيد على سبعين مرة، وقال له كلامًا حاصله أن كان بهذه المثابة لا يحتاج إلى مدد وإعانة من أحد رحمه الله. وحكي عنه أنه قال: رأيت في المنام كأني بين يدي النبي ﷺ فذكرت له كتابًا شرعت في تأليفه في الحديث وهو جمع الجوامع. فقلت. فقلت له: أقرأ عليكم شيئًا منه فقال لي: هات يا شيخ الحديث، قال: هذه البشرى عندي أعظم من الدنيا بحذافيرها، ومن تصانيفه الدر المنثور في التفسير بالمأثور اثني عشر مجلدًا، وتناسق الدر في تناسب السور، وحاشية علي البيضاوي إلى الإسراء، والمعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة، وإتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة، والديباج على صحيح مسلم ابن الحجاج وكشف الغطا في شرح الموطأ، وتنوير الحوالك على موطأ مالك، والبدور السافرة عن أمور الآخرة، ونتيجة الفكر في الجهر بالذكر، وتزيين الأرائك في إرساله ﷺ إلى الملائك. ومسالك الحنفا في إسلام والدي المصطفى، ونشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين، وذم القضاء، وذم زيارة الأمراء، والتنفيس عن ترك الإفتاء والتدريس، والأحاديث الحسان في فضل الطيلسان، وطي اللسان عن ذم الطيلسان، والتضلع في معنى المتقنع، وعين الإصابة فيما استدركته عائشة على الصحابة، والاحتفال بالأطفال، وما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين، والأوج في خبر عوج، والوديك في الديك، والطرثوث في فوائد البرغوث، وله مختصر نهاية ابن الأثير، والينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع، ومختصر الخادم، ومختصر الأحكام السلطانية، وشرح الروض لابن المقري، وشرح التنبيه مختصر، والبهجة المرضية في شرح الألفية ممزوج، والمسائل الوفية في نكت الحاجبتين والألفية، على منوال التحرير للشيخ ولي الدين=

هذا العالم يحكم به عقلنا، بخلاف ما استأثر به تعالى بعلمه وأبدعيته خاصة به، فإن ذلك أكمل وأبدع حسنًا من هذا العالم بالنسبة إليه تعالى وحده، فلو كان هذا العالم يدخله نقص ما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨﴾ [الذاريات: 47 ـ 48] في مقام الامتداح، ومعلوم أن الامتداح لا يكون إلا فيما هو غاية ونهاية، لا في مفضول. انتهى.

وقد أجاب عن ذلك أيضًا الشيخ عبد الكريم الجيلي، فقال: قول الغزالي: «**ليس في الإمكان أبدع مما كان**» قول صحيح؛ لأن كل ما كان قد تعلق به العلم القديم بلا شك، ومن تعلق به العلم القديم لا يقبل زيادة أبدًا؛ إذ لو قبل الزيادة لقبلها العلم القديم، ولا قائل به، فصح أنه ليس في علم الحق تعالى أبدع من هذا العالم. انتهى.

وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من «الفتوحات» نحو ذلك، فقال في حديث: «**إن الله جميل يحب الجمال**»(1) ما نصه: اعلم أن الله تعالى صانع العالم، فالعالم كله في غاية الجمال، ما فيه شيء من القبح، بل قد جمع الله له الحسن كله والجمال، فليس في الإمكان أجمل ولا أبدع ولا أحسن من هذا العالم، ولو أوجد الله تعالى ما أوجد إلى ما لا يتناهى، فهو مثل لما أوجد؛ لأن الحسن الإلهي والجمال قد جازه وظهر به، فإنه تعالى

= العراقي على الكتب الثلاثة في الفقه جامع لكل ما يرد على عبارتها، وما ناقضوه في غيرها من مصنفاتهم مع ما أمكن من الجواب. ومن تصانيفه: السيف الصقيل في نكت شرح الألفية لابن عقيل، والفتح القريب على مغني اللبيب، وجمع الجوامع في العربية، وشرحه همع الهوامع، والمرقاة العلية في شرح الأسماء النبوية، وشرح الشاطبية ممزوج، ونظم جمع الجوامع في الأصول وشرحه، والطب النبوي، وطبقات الحفاظ وطبقات الشافعية، وطبقات النحاة. وأنموذج اللبيب في خصائص الحبيب، والحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة، والإكليل في استنباط التنزيل، وفتح الإله في التفصيل بين الطواف والصلاة، وكشف الصبابة في مسألة الاستنابة، وحسن المقصد في عمل المولد، وتشنيف الأركان في ليس في الإمكان أبدع مما كان، وفجر الدياجي في الأحاجي، ونزهة الجلساء في أشعار النساء، وشرح الصدور بشرح أحوال القبور، وله تعليق لطيف على البخاري. وله غير ذلك كثيرًا من مؤلفاته الباهرة. [النور السافر 1/ 29].

(1) أخرجه مسلم (91)، والترمذي (1999)، وأبو عوانة (85).

﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾ [طه: 50] وهو جمال؛ إذ لو نقص شيء منه لنزل عن درجة كمال خلقه، فكان قبيحًا. انتهى. وهو جواب حسن، ولكن جواب شيخنا الأول أوضح وأخلص، والله أعلم.

درة

سمعت شيخنا ﷺ **يقول**: حُكم ما يفعله المنفعل من العبادات بغير إخلاص كامل: حُكم الرطب المعمول؛ يتلف ويتغير طعمه على قرب، وحُكم المخلص في عمله: حُكم الرطب الجني؛ لا يزداد على ممر الأزمان إلا حلاوة، وحُكم من اطَّلع من أصحابه على دخول الرياء في أعمالهم ولم ينبههم على ذلك: حُكم من يريد أن يجني الرطب من شجرة أم غيلان.

وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي[1] يقول: من اختلى باسم من أسماء الله تعالى في رياضة لحصول أمر دنيوي، فهو أسوء حالاً من عبادة الأوثان، فإن عباد الأوثان قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3] والمختلي بالأسماء طالب بذلك التقرب إلى الدنيا من حصول جاه أو غير ذلك. انتهى.

جوهر

سمعت شيخنا ﷺ **يقول**: لمَّا علم رسول الله ﷺ أن محبة العباد لذات ربهم لا تصح؛ لجهلهم بها وعدم المجانسة، أحالهم على أمر ظاهر لا يخفى على عبد وجهه، وهو النعم السابغة عليهم؟

فقال: «أحبوا الله ﷻ لما يغذيكم به من نعمه»[2] فافهم.

وسمعته ﷺ **يقول**: الفقير لا يحتاج في آيات الصفات إلى تأويل، فيؤمن

(1) سبقت ترجمته ص154.

(2) أخرجه بنحوه الترمذي (3789)، وقال: حسن غريب. والطبراني (10664)، والحاكم (4716)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان (408)، وعبد الله بن أحمد في زاوئد فضائل الصحابة (1952)، والبخاري في التاريخ الكبير (1/ 183)، وأبو نعيم في الحلية (3/ 211)، والخطيب (4/ 159).

بكل صفة أضافها الحق تعالى لنفسه، ولو لم يتعقلها هو، وهذا غاية الأدب؛ لأنه حكم على الحق بما حكم به تعالى على نفسه، وأنزله في كل منزلة أنزل تعالى نفسه فيها، فيكون الحاكم في تلك الصفة على نفسه هو الحق تعالى لا نحن، وهذا من أتم العلوم.

فقلت له: فما سبب تأويل بعضهم لها؟

فقال: ظنهم أن تلك الصفات نقص في الجناب الإلهي قياسًا على نفوسهم، وقياس الحق على الخلق من أعظم ما غلط الناس فيه، وغالب عن هؤلاء المؤولين أن كل صفة أو نعت كانت ذمًا في الخلق فهي محمودة في جانب الحق، كالمكر والسخرية وغير ذلك؛ لأن الحق تعالى إنما ظهر بها لحكمة اقتضاها علمه تعالى، وإذا كانت حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق، فبلا كيف ﴿وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 32].

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله ﷺ: «**من صلى ركعتين لا يحدِّث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه**»(1) هل يقدح في صلاته شهوده الأكوان من جبال وأودية وأسواق ونحو ذلك؟

فقال رضي الله عنه: لا يقدح في حضور العبد في صلاته شهوده للأكوان بعين قلبه؛ لأن ذلك ليس فيه قوة العبد، ولا يمكنه أن يغمض عين قلبه عما يتجلى له من الصور، بخلاف حديث النفس، فإنه اشتغال بالغير عن الحق، وقد أخبر ﷺ: «**أنه رأى في صلاته الجنة والنار ومن فيهما، وتأخر عن موقفه حين رأى النار تلفح**» وما أخبرنا بذلك إلا ليعلمنا أن ذلك لا يقطع الصلاة.

فقلت له: فهل يقدح في كمال الصلاة التبسم؟

فقال: إن تبسم تبعًا للشارع في المواضع التي ورد عنه فيها التبسم فلا حرج، كما تبسم النبي ﷺ في الصلاة مرة، وقال: «**إن جبريل مرَّ علي في الصلاة**

(1) أخرجه البخاري (158)، ومسلم (226)، وعبد الرزاق (139)، وأحمد (418)، وأبو داود (106)، والنسائي (84)، وابن الجارود (67).

فتبسم لي فتبسمت له»[1].

قلت: وقياس ذلك أن يبتسم أيضًا إذا مرَّ على خاطره معنى أخبر الحق تعالى عن نفسه بأنه يضحك منه ويتبشبش، والله أعلم، فليتأمل ويحرر.

دُر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: «**من يتغول وفي علوم القوم مات مصرًا على الكبائر، وهو لا يشعر**» لـِمَ خص علم القوم دون علم الأحكام الظاهرة؟

فقال رضي الله عنه: نفس الأحكام الظاهرة من جملة علوم القوم؛ إذ هي مبنى طريقهم، ولكن لما كان من شأن القوم كثرة التفتيش في أعمالهم من الدسائس التي يقدح فيها كالرياء والإعجاب ونحو ذلك، خص الشيخ الحكم بعلم القوم بخلاف علم غيرهم من الطوائف، فلا يعتنون غالبًا بالتفتيش عن دسائس أعمالهم، فيموت أحدهم على جانب من الرياء والنفاق وهو لا يشعر، فاعلم ذلك.

زمرد

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: إذا فتح عليك بعلم أو صلاح ونازعك أحد في ذلك الفتح وكذبك فيه، فلا تجب عن نفسك ولا تراده، بل قف وانظر في حكمة تسليط هذا المنازع عليك، واطلب الاطلاع على حكمة من الحق، فربما سُلِّط هذا المنازع عليك لغفلة طرأت عليك، أو لإعجابك بنفسك أو بعلمك، أو غير ذلك، واعلم أنك متى أجبت عن نفسك خرجت من مقام الأدب.

وسمعته يقول: إذا ذكرت فائدة لشخص فلا تذكرها وفي نفسك أنك أعلم بها منه، فتحجب بذلك عن العلم وتصير من قسم الجاهلين، بل اذكرها بنية الاتفاق من العلم والنصح للمسلمين.

---

(1) أخرجه بنحوه الطبراني في الكبير (1746)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (1410) بتحقيقنا.

ياقوت

قلت لشيخنا ﷺ: هل يقدح في كمال الولي خوفه على نفسه من نحو سبع أو لص؟

فقال ﷺ: لا يقدح في كماله؛ لأن خوفه من السبع مثلاً إنما هو امتثال لأمر الله ﷺ في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195] وأيضًا فإن الجزع من الأمر المهول مركوز في جبلة كل إنسان، فما جبل إلا على الخوف؛ وذلك لأن أصله عدم، ولذة الوجود بعد العدم لا تعدلها لذة، فكل نفس تجزع من ذلك العدم أن تلحق به أو بما يقاربه وتهرب من مواضعه وترتاع خوفًا على ذهاب عينها، فاعلم ذلك.

كبريت أحمر

سألت شيخنا ﷺ عن قوله تعالى عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: 122] لـِمَ خص صلاحه بالآخرة؟

فقال ﷺ: إنما خص صلاحه بالآخرة؛ لأجل الثلاثة أمور التي صدرت عنه في الدنيا، وهي: قوله عند زوجته سارة: أنها أخته.

وقوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: 89] على وجه الاعتذار.

وقوله: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: 63] هذا إقامة حجة، وبهذه الثلاثة يعتذر يوم القيامة للناس إذا سألوه أن يفتح باب الشفاعة.

فقلت له: فإذًا من شرط الصالح من الأمة ألَّا يتحدث إلا بالصدق من غير تورية؟

فقال: نعم، ذلك شرط في صلاحه، وقد مدح الله تعالى يحيى بقوله: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: 39].

وعيسى بقوله: ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: 46] لكونهما لم يصدر منهما ما صدر من إبراهيم.

وقال يوسف: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: 101].

وقال سليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 19] فكلهم مُدحوا بالصلاح ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ولكن هم بين مشهود له به في الدنيا، وبين مشهود له به في الآخرة، وبين سائل في الصلاح تواضعًا مع من قبله من الأنبياء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 218]. انتهى.

قلت: والذي يظهر لي من الجواب أن إبراهيم عليه السلام إنما ذكر الله تعالى صلاحه في الآخرة؛ لأنها دار التحقيق، فكل من ثبت صلاحه في الآخرة فهو صالح في الدنيا بلا شك، بخلاف العكس، والله أعلم.

در

سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول في معنى حديث: «لو زاد عيسى يقينًا لمشى على الهواء»[1] ولا شك أن من أولياء هذه الأمة من مشى على الهواء، كسيدي عبد القادر الجيلي وأضرابه، ومعلوم أن عيسى عليه السلام أقوى يقينًا من سائر من مشى من الأولياء على الهواء بما لا يتقارب.

فقال: ما مشى ولي منا على الهواء إلا تبعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، لا بزيادة يقينه على يقين عيسى عليه السلام وكان عيسى يمشي على الماء ولا يمشي على الهواء، وكل وارث لنبي لا يتعدى مقام مورثه أبدًا، فاعلم ذلك.

وسمعته رضي الله عنه يقول: علوم أهل الله ليست عن نتيجة فكر، فمن ادَّعى أنه من أهل الله وسُئل عن مسألة ففكر في الجواب فليس بصادق.

وسمعته رضي الله عنه يقول: ما خرج أحد من الخلق عن رق الحاجة إلى الأسباب ولو بلغ أقصى الدرجات، ومن ادعى أنه استغنى بالله فهو جاهل، فإنه لا يستغني بالحق، وإنما يستغني بما يكون من الحق، وأدنى الأسباب التنفس، فتارك السبب لا يتنفس، وإذا تنفس مات.

وتأمل صاحب خرق العادة الظاهرة، لابد له من حركة حسية هي سبب وجود عين ذلك المطلوب، فيغرف أو يقبض بيده في الهواء فيفتحها عن مقبوض

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية (8/ 157)، والبيهقي في الزهد الكبير (986).

عليه من ذهب أو غيره، فلم يوجد إلا بسبب حركة بيده وقبض، فما خرج هذا عن سبب، وكذلك يا أخي، فتأمل الإنسان إذا جاع أو عطش كيف يترك أعظم مهماته ويبادر إلى الطعام والشراب، فهو يكذب قوله وفعله ولولا الحبل لما وصلت إلى البئر، ولولا الدلو لما طلع لك الماء، فتأمل واعتبر.

وسمعته يقول: لا يصح لأحد الأُنس بالحق؛ لانتفاء المجانسة بين الخلق والحق بوجه من الوجوه، وإنما أنس العبد إذا وقع بحال من أحواله، فرجع ذلك الأنس بالكون؛ ولذلك لما عُرج برسول الله ﷺ وزُجَّ به في النور ولم يرَ معه أحد من الخلق يأنس به أعطته المعرفة الوحشة؛ لانفراده عن جنسه، فما سكن روعه إلا بسماعه صوت أبي بكر رضي الله عنه يقول: «**قف، إن ربك يصلي...**»[1].

وأدل دليل على أن الأُنس إنما هو بالخلق حقيقة: كون العبد إذا عصى الله ذهب أنسه، ولولا أن الأنس كان بالله لم يذهب؛ لأن الأمر والشأن الإلهي إذا وقع لا يرتفع دنيوي ولا أخروي وإن تغيرت الأحوال، والله أعلم.

بلخش

سألت شيخنا رضي الله عنه عن حديث: «**من آذى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»[2] بماذا يعرف الولي حتى يجتنب الشخص أذاه زيادة على تجنب غيره؟

فقال: يعرف الولي بملازمته الآداب الشرعية، فكل من وفَّى بها فهو ولي الله حقًّا، والناس بين مقل ومكثر في الوفاء بها، فمن أذى مثل هذا فقد استحق محاربة الله عز وجل فليستعد للبلاء.

فقلت: فما أركان الولاية؟

فقال: شيئان: الإيمان والتقوى، فكل من صح إيمانه وتقواه فهو ولي الله حقًّا.

فقلت له: فما تصحيح إيمانه؟

(1) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (1/ 218) بلفظ: «قال له جبريل: رويدًا، فإن ربك يصلي».

(2) أخرجه أبو نعيم في الحلية (1/ 4).

فقال: أن يكون مصدِّقًا للرسل في جميع ما أخبروا به عن الله ﷻ حتى كان ذلك رأي عين عندهم، فإذا طلب منه إنسان مثلاً ديناراً وهو مستغنٍ عنه أعطاه له من غير مهلة؛ لأن الشارع أخبر أن الله يجازيه بعشرة أمثاله وأكثر، وإذا توقف في ذلك ففي إيمانه خلل، وقس على ذلك إذا رسم السلطان لكل عالم مثلاً بمائة دينار. فقال شخص من الناس: «**لا تعطوا فلانًا شيئًا**» فمحوا اسمه؛ لأجل كلامه، فمتى تأثر ذلك العالم مثلاً من ذلك الشخص، فإيمانه مدخول «**فإن رزق الله لا يرده عن صاحبه حرص حريص**»[1] كما ورد، فليمتحن مدعي كمال الإيمان نفسه ويقضي عليها بما يراه فيها.

فقلت له: وما كمال التقوى؟

فقال: أن تشهد قلبك أن الحق تعالى هو الذي وقَّاه جميع ما اتقاه من أعمال الشرك إلى تقوى خلاف الأولى.

فقلت له: فإذًا طريق تصحيح التقوى سهل؟

فقال: نعم، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: 102] فمن شهد عجز نفسه عن عدم الوقوع فيما لا يُرضي ربه، وأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، فقد اتقى الله حق تقاته، وهو أسهل من قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] خلاف ما يتبادر لأذهان الخلق، فإن تقوى الله حد الاستطاعة شاق على النفس؛ إذ النفس لابد أن تبقي عندها بقية راحة لم تبذلها في مرضاة الله، لميلها إلى الكسل والراحة، وهذا أمر يعسر على العبد التخلص منه.

قلت: قد رأيت في كلام الشيخ محيي الدين في «الفتوحات» ما نصه: «**كنا نفهم أن تقوى الله حق تقاته أصعب من تقوى الله حد الاستطاعة، حتى رأينا الحق ـ جل وعلا ـ فسر نظير ذلك من الشكر في قصة داود؛ وذلك أن داود قال: يا رب، كيف أشكرك وشكرك نعمة منك، فقال له الحق: الآن شكرتني؛ فلذلك**

(1) أخرجه الطبراني (10514)، والبيهقي في شعب الإيمان (208)، وأبو نعيم في الحلية (7/ 130)، وقال: غريب. والقضاعي (947) بلفظ: «فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره».

جعلنا تقوى الله حق تقاته كذلك». انتهى. والله أعلم.

ياقوت

قلت لشيخنا ﷺ: هل يوصف الملأ الأعلى بأنهم أنبياء أو أولياء، كصالحي الإنس والجن؟

فقال ﷺ: لا يوصفون بذلك؛ لأنهم لو كانوا أنبياء أو أولياء ما جهلوا الأسماء، وأطال في ذلك.

وسمعته يقول: أكمل الإيمان ما كان عن تجلٍّ إلهي في قلب العبد، ودونه ما كان عن دليل.

فقلت له: لِـمَ كان الأول أكمل؟

فقال: لأن إيمانه حينئذٍ على صورة إيمان الرسل، بخلاف ما كان عن دليل؛ لتطرق الشبه إليه، ولما علم الصحابة أن إيمان الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لا يكون عن دليل، لم يسألوا رسول الله ﷺ قط عن حقيقة إيمانه؛ وذلك لأن حقيقة الإيمان إنما هو ذوق، والأذواق لا تضبطها العبارة.

وأمَّا ما ورد في السنة من الألفاظ التي يحكم لصاحبها بالإسلام أو الإيمان والإحسان فكلها راجعة إلى التصديق الذي هو مفتاح لباب العلم بالمعلوم، المستقر في قلب العبد بالفطرة، وما بلغنا أن أحدًا من الصحابة سأل رسول الله ﷺ عن حقيقة هذه الألفاظ، ولا ناقشوا أصحابها على ما هو مصطلح المتكلمين، بل أجروا حكمهم على الظاهر، ووكلوا سرائرهم إلى الله.

قلت: هذا بالنظر للعامة، وإلا فقد سأل رسول الله ﷺ حارثة عن إيمانه، وقال له: «**يا حارثة، كيف أصبحت؟**» فقال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، فقال رسول الله ﷺ: «**انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة**»(1) فنبَّه ﷺ على خواص أمته ألَّا يقنعوا بظاهر الأمور، بل يمتحنون نفوسهم حتى يخلص لهم دينهم، والله أعلم.

وسمعت شيخنا ﷺ **يقول**: القول الجامع لقولهم: «**الإيمان**» يزيد وينقص، ولا يزيد ولا ينقص أن تقول: إيمان الفطرة لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه هو الذي

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (10590).

سبق له عند الله، وهو الذي يموت الإنسان عليه؛ إذ الخاتمة عين السابقة، وما بينهما يزيد وينقص، فنزل قول من قال: «**أنه لا يزيد ولا ينقص**» على إيمان الفطرة، ونزل قول من قال: «**أنه يزيد وينقص**» على ما بين السابقة والخاتمة يرتفع الخلاف، ولعله مراد الأئمة، وإن كان الخلاف المحقق بين طائفتين فلا يرتفع عند بعضهم، والله أعلم.

فيروزج

سألت شيخنا رضي الله عنه عن حديث: «**سيد القوم خادمهم**»(1) هل هو عام في حق الرسل، عليهم الصلاة والسلام؟

فقال رضي الله عنه: نعم، فكل داع إلى خير خادم للمدعو أو مسخر له ومعد لكشف كربه في الدنيا والآخرة، كل ذلك استجلابًا للأتباع ووقفًا، حتى أن بعضهم يتمنى نزول البلاء به ولا ينزل على أتباعه منه شيء؛ لما هو عليه من الشفقة التي أودعها الحق تعالى في قلبه.

قلت: وقد أراد شيخنا مرة أن يصب على يدي الماء بعد أكلي طعامًا فأبَيْت.

فقال مباسطًا لي: كأنك تريد ألَّا تجعلني سيدًا عليك، ما بلغك حديث: «**سيد القوم خادمهم**»(2).

فقلت: نعم.

فقال: الحمد لله رب العالمين.

ياقوت

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل كان يجوز لرسول الله ﷺ أن يقرأ القرآن بالمعنى؛ لكونه هو المترجم به لنا عن الله تعالى؟

فقال رضي الله عنه: لا يجوز ذلك قط في حقه ﷺ فإنه لو قدر أنه تصرف بالتعبير لكان حينئذ مبيِّنًا لنا صورة فهمه لا صورة ما نزَّل الله تعالى، والله يقول: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44] فلم يكن يصح في حقه قط أن يغير أعيان تلك

(1) أخرجه الخطيب في التاريخ (10/ 187).
(2) انظر: التخريج السابق.

الكلمات وحروفها، بل لو فرض أنه علم جميع معاني كلام الله تعالى كما يعلمه الله بحيث لا يشذ عنه شيء من معانيه وعدل عما أنزل، فأيّ فائدة في العدول؟ وحاشى رسول الله ﷺ من ذلك، فلو تصرف نبي في صورة ما نزل من الحروف اللفظية لكان يصدق عليها أنه بلغ للناس ما نزل إليهم وما لم ينزل إليهم، ولا قائل بذلك، فافهم وتأمل وحرره إن كان فيه شيء.

زبرجد أخضر

قلت لشيخنا ﵁: قد ورد: «**أن الله تعالى إذا أحب عبدًا قال لجبريل: نادِ في السماء ألا إن الله أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»(1) فأين مكان قتلة الأنبياء ومن آذى الأولياء من هذا القبول؟

فقال ﵁: ما بلغ القبول إلا لمن كان من أهل القبول على اختلاف طبقات الناس، فشهرة الولي في الأرض تدل على وسع دائرة قبوله.

قلت: وقد حكى الشيخ محيي الدين أنه اجتمع مع بعض الأبدال بالحية المحيطة بجبل «ق» قال: فسألتنا عن حال الشيخ أبي مدين ﵁ بأرض المغرب، فقلنا لها: تركناه في مدينة بجاية بخير، فقالت: كيف حاله مع أهل بجاية؟ فقلنا لها: يرمونه بالزندقة ويؤذونه أشد الأذى، فقالت: عجبًا والله لبني آدم، والله ما كنت أظن أن الله ﷻ يوالي عبدًا من عبيده فيكرهه أحد من الخلق، فقلنا لها: ومن أعلمك به؟ فقالت: يا سبحان الله، وهل أحد من المؤمنين يجهله، إنه والله ممن اتخذه الله وليًّا وأنزل محبته في قلوب عباده المؤمنين، ثم أرسلت السلام لأبي مدين معنا فبلغناه سلامها.

فقال: وعليها السلام ورحمة الله وبركاته. انتهى. فاعلم ذلك.

ياقوت

سمعت شيخنا يقول: من شرط العبد الكامل: أن يتأدب مع الحق تعالى كأدب الظل مع صاحبه، فإنه لا يقوم أبدًا من بساط الخضوع والذلة إلا إذا قابله

(1) أخرجه بنحوه البخاري (7485)، ومسلم (6873).

جدار، فما رفعه حينئذٍ عن الأرض إلا ذلك الجدار، وأيضًا فإنه لا ينحجب قط عن صاحبه ولا يعترض عليه في شيء يفعله معه، فإن مده على مزبلة امتد، أو على بساط حرير امتد، لا يحزن لهذا ولا يفرح لهذا، فتأمل واعتبر.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: 136] ما هذا الإيمان الأول؟

فقال رضي الله عنه: الإيمان الأول: هو الإيمان بالكتب المتقدمة، والمراد بالإيمان الثاني: الإيمان بمحمد ﷺ أي: قولوا: «**لا إله إلا الله**» وآمنوا بما ذكر لقول محمد ﷺ لا لعلمكم السابق بذلك، ولا لإيمانكم بنبيكم الأول، لتجمعوا بين الإيمانين فيكون لكم أجران.

قال: ومن هذا الذي قررناه يعلم الفرق بين العلم بالشيء وبين الإيمان به، وأن السعادة في الإيمان لا في العلم، وأنه لا ينفع أهل الكتاب أن يقولوا: «**لا إله إلا الله**» لقول موسى أو عيسى، وإنما ينفعهم قولهم ذلك لقول محمد ﷺ: «**قولوا**» فتأمله وحرره، والله يتولى هداك.

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ﴾ [يوسف: 24] ما هذا الهمّ؟ فإن الله تعالى أبهم الهم في الجهتين، وقد تكلم الناس في ذلك بما لا يليق برتبة يوسف عليه السلام.

فقال رضي الله عنه: مطلق اللسان يدل على أحدية المعنى، ولكن ذلك أكثري لا كلي، ولم يزد على ذلك.

فقلت له: قد رأيت في كلام الشيخ محيي الدين أنه قال: اجتمعت روحي بروح يوسف عليه السلام في واقعة من الوقائع فسألته عن قصته في أمر الهمّ، فقال عليه السلام: معاذ الله أن أكون هممت بفاحشة، وإنما همت بي لتقهرني على ما أرادت مني، وهممت بها لأقهرها بالدفع عما أرادته مني، فالاشتراك في طلب الدفع مني ومنها، والحكم مختلف.

قال يوسف عليه السلام: ولهذا قالت: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [يوسف: 51] وما جاء في السورة قط أني راودتها عن نفسها.

قال الشيخ محيي الدين: فقلت ليوسف عليه السلام: فما كان البرهان الذي رأيت؟

فقال: كان برهاني الذي رأيته: أن من الرأي أن أدفعها عن نفسي بالقول الليِّن دون التعنيف، فهو من الرأي لا من رؤية العين البصرية.

قلت: بل قد ورد أن الحق تعالى أمر يوسف ألَّا يعنِّفها عما وقعت فيه، وقال له: سسها؛ فإنها امرأة موصوفة بالضعف، والله أعلم.

قال الشيخ محيي الدين: فقلت ليوسف عليه السلام: فهل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: 53] حكاية عن كلامك أو حكاية عن كلام امرأة العزيز؟ فقال عليه السلام: حكاية عن كلام امرأة العزيز حين بان لها الحق، قالته هضمًا لنفسها، وليس من كلامي؛ لأني أعلم أن النفس ليست قابلة للسوء من حيث ذاتها، وإنما يعرض لها قبول السوء من القرين إذا ألحَّ عليها.

قال الشيخ محيي الدين: فقلت له: إن الله تعالى حكى هذا القول وأقرَّ قائله عليه، فقال عليه السلام: حكاية الله تعالى صحيحة، ولكن هل أصابت في هذه الإضافة أو لم تصب؟ هذا حكم آخر مكسوب عنه، فاجعل بالك لما يقوله ربك عن نفسه ولما يحكيه عن العالم وفرق بينهما تكن من الأدباء العلماء. انتهى كلام الشيخ.

فقال شيخنا: كلام حسن، وأقره، فمن وجد فيه شيء فليصلحه، والله عليم خبير.

كبريت أحمر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله تعالى لنوح عليه السلام: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ [هود: 46] وهل يسأل الإنسان إلا عمَّا لا يعلم؟

فقال رضي الله عنه: المراد بهذا النهي: إنما هو عن سؤال الأمور التي ليس في مقدور البشر الإحاطة بحكمتها ولا بحقيقتها، كمعرفة سر القدر المتحكم في الخلائق وفي ولده حتى عمل غير صالح.

قلت: ويستنبط من تلطف الله تعالى بنوح في الخطاب في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: 46] أن من الأدب للعالم إذا سئل عن أمر يعرف من السائل قصوره عن فهم جوابه أن يتنزل له في الجواب على قدر فهمه، ولا يقول له: ليس من رتبتك السؤال عن مثل هذه الآية، ما نهى السائل إلا عن مثل سر القدر كما مر.

وأمَّا غير ذلك: فلا؛ على أنه ما من سائل إلا وفيه أهلية للجواب ولقبوله، ولولا أهليته لذلك ما تصور ذلك الحكم الذي سأل عنه، فتعين الجواب له، لكن بالوجه الذي يليق به، وأمَّا الذي لا يفهمه فينبغي ستره عنه، فإن العالم إذا أجاب بما لم يفهمه السائل، فالعالم هو المقصر في معرفة ما كان للسائل من الجواب، فلا يَلُم العالم إلا نفسه لا السائل، فتأمل ذلك وحرره، والله يتولى هداك.

ماس

قلت **لشيخنا** رضي الله عنه: هل قتل أرباب الأحوال بعضهم بعضًا بالهمة من غير أساس صحيح؟

فقال: نعم.

فقلت له: كيف؟

فقال: يتوجه صاحب الهمة بكليته، ويحضر نفسه على من يريد تنفيذ همته فيه بالقتل أو غيره على وجه الاحتقار له فيقتله، بل نقول: لو جمع هذا همته على تزحزح الجبل لتزحزح.

فقلت له: فإذًا لا تؤثر همة مريد في شيخه ولا فيمن يراه مساويًا له.

فقال: نعم، شرط التأثير: الحقارة.

فقلت له: فهل يشترط في القتل بالهمة إيمان القاتل؟

فقال: لا يشترط ذلك، فقد نقل أن كثيرًا من الرهبان قتلوا بعضهم بالهمة، لاسيما رهبان الهند، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: إياكم أن تقصروا نظركم على ملابس الرجال، بل اعتبروا لقلوبهم، فإن لله عباد في صورة أسياد وأسياد في صورة عبيد، فيخلع الله

تعالى على العبد خلعة السيادة فيبرز بها عبدًا في نفسه، سيدًا عند الناظرين، ولما خلعت هذه الخلعة على أبي يزيد ﷺ صار الناس يتبركون بمرقعته، فلامه بعض الناس في ذلك.

فقال: إنما يتبركون بخلعة ربي لأبي. انتهى.

فقلت: وقد رأى بعض الفقراء سيدي عبد الله بن أبي جمرة[1] المدفون بقرافة مصر ﷺ في المنام وهو جالس على كرسي وعليه حلة خضراء، والأنبياء كلهم واقفون بين يديه، فأشكل عليه ذلك، فعرضه على بعض العارفين.

فقال: منامك صحيح، ووقوف الأنبياء ليس هو أدب مع سيدي عبد الله حقيقة، إنما هو أدب مع الحق تعالى الذي ألبسه تلك الخلعة، والله أعلم.

بلخش

سألت شيخنا ﷺ عن مقام الإدلال والإعجاب في هذه الدار الواقع من بعض العلماء والأولياء: هل هو نقص أو كمال؟

فقال ﷺ: إن كان بإذن الله فهو كمال، وإلا فهو نقص، كما أشار إليه حديث: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يقرع باب الجنة، وأنا أول شافع وأول مشفع، وآدم ومن دونه تحت لوائي**»[2] ونحو ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: 11].

وأمَّا إذا كان بغير إذن: فهو فضول، ومتى يتفرغ العاقل للإدلال وجميع الحقوق الإلهية والكونية تطلبه في دار التكليف، وقد رأينا أنه لا يخلع على عبد

(1) الإمام القدوة الرباني ﷺ. قدم مصر، وله زاوية بخط جامع المقسم، وكان ذا تمسك بآثار النبي ﷺ وحالة، وجمعية على العبادة، وشهرة كبيرة بالإخلاص، والاستعداد للموت، والفرار من الناس، وانجماع عنهم إلا في الجمع، وابتلى بالإنكار عليه حين قال: إنه يرى رسول الله ﷺ يقظة، ويشافهه، وقام عليه بعض الناس، فانقطع في بيته إلى أن مات سنة 675 هـ. قلت: ولهم ابن أبي جمرة آخر اسمه أحمد، حفظ المدونة على مذهب الإمام مالك ﷺ. ومات سنة 599 هـ بمرسية ﷺ.

(2) أخرجه بنحوه أحمد (11000)، والترمذي (3615)، وابن ماجه (4308).

علم أو معرفة تميزه عن أقرانه كلهم إلا ويدخله العجب والزهو إلا من حفظه الله، وقليل ما هم، فاعلم ذلك ولا تغتر بصفاء الأوقات، فإن في طيها آفات، والله يتولى هداك.

ماس

قلت لشيخنا ﷺ: أيُّما أكمل وأحق بالرعاية: الشفقة على الخلق، أو الغيرة في الله؟

فقال: الشفقة على خلق الله أكمل وأحق بالمراعاة.

قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61] ففرض تعالى الجزية والصلح في حق عدو الدين تعظيمًا لهذه النشأة، وسمى الله تعالى القصاص سيئة في حق من أخذ بحقه ولم يصفح؟

فقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 40] وأكدها بمثلها؛ لينبه على ترجيح العفو مع كون ذلك القصاص مشروعًا، فتأمل.

فقلت: فإذًا قصاص الحق تعالى عباده الموحدين كله مائل إلى الرحمة بهم تأديبًا لهم وشفقة عليهم؟

فقال: نعم، يظهر لك حكمة ذلك في صنعة الطب، فإنه لولا قطع الأكلة لهلك صاحبها.

قلت: وقد بلغنا أن داود عليه السلام لما طلب أن يبني بيت المقدس صار كلَّما يبني شيئًا ينهدم، فأوحى الله تعالى إليه أن بيتي لا يتم بناءه على يد من سفك الدماء؟

فقال: يا رب، أليس ذلك كان في الجهاد في سبيلك؟ فقال الله تعالى له: بلى، ولكن أليسوا بعبادي. انتهى. هذا مع أنه ما جاهد فيهم إلا بأمر من الله، فافهم، والله أعلم.

كبريت أحمر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: كيف سأل موسى عليه السلام من الله الرؤية ورسول الله ﷺ

يقول: «**إن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت**»[1]؟ فكيف خفي ذلك على مثل موسى؟ هل ثم مقام في الرسالة يقتضي طلب الرؤية كما قال الشيخ محيي الدين رَحِمَهُ اللَّهُ؟

فقال: نعم، ثم مقام في الرسالة يقتضي طلب الرؤية بذاته لا بأمر من الله تعالى، فإنه لو كان بأمر الله ما قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: 143] فافهم.

فقلت له: فهل رأى موسى ربه في صعقته؟

فقال: نعم، صرح بذلك بعضهم.

قلت: ولعل مراده ببعضهم: الشيخ محيي الدين، فقد رأيت في الباب السابع والستين وثلاثمائة ما نصه: اجتمعت روحي بروح موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في بعض الوقائع التي وقعت لي، فقلت له: يا نبي الله سألت الرؤية ورسول الله ﷺ يقول: «**إن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت**»[2].

فقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: وكذلك كان، فإني لما سألته الرؤية وأجابني خررت صعقًا، فرأيته تعالى في صعقتي، قلت له: موتًا، قال: موتًا، قلت له: فإن رسول الله شك في أمرك إذا وجدك يوم القيامة متعلقًا بقائمة العرش، وقال: لا أدري أجوزيَ بصعقة الطور أم ممن استثنى الله، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: جازاني الله بصعقة الطور، فلم أصعق عند النفخ، فما رأيت ربي حتى مت فلما أفقت علمت من رأيت ولذلك قلت: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143].

قال الشيخ: **فقلت له**: يا نبي الله، إن الله دلك على رؤية الجبل، وذكر عن نفسه أنه تجلى للجبل، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: صحيح ذلك، لا يثبت لتجليه تعالى شيء، فلا بد من تغير الحال، فكان الدك للجبل كالصعق لي، فالذي دكه أصعقني. انتهى.

فقلت لشيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلِمَ رجع موسى إلى صورته ولم يرجع الجبل بعد الدك إلى صورته؟

---

(1) أخرجه بنحوه مسلم (169)، والترمذي (2235)، وأحمد (23722)، ونعيم بن حماد في الفتن (1461).

(2) انظر: التخريج السابق.

فقال: إنما زالت عين الجبل؛ لخلوِّه عن الروح المدبر له، بخلاف موسى، لم تزل صورته حين خرَّ صعقًا؛ لكونه كان ذا روح، فروحه أمسكت صورته على ما هي عليه، بخلاف الجبل، لم يرجع بعد الدك إلى كونه جبلاً؛ لأنه لم يكن له روح تمسك صورته، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن السيد هارون: هل كان رسولاً مستقلاً مع موسى أم بحكم التبعية له من باطن رسالته، فإن علماء مصر قد وقع بينهم فيه اختلاف سنة سبع وثلاثين وتسعمائة؟

فقال رضي الله عنه: ما كان هارون عليه السلام رسولاً إلا بحكم التبعية لموسى، فإنه عليه السلام ما أخذ الرسالة إلا بسؤال أخيه موسى في قوله: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ [طه: 32] فافهم قوله: ﴿فِيٓ أَمْرِي﴾ فكأن موسى يوحى إليه بما كان هارون عليه من التعبد بشرع التوراة، فعلم أن من نفى رسالة هارون أصلاً أخطأ، ومن قال: إنه رسول مستقل أخطأ، والله أعلم.

قلت: قد رأيت في الباب الرابع والعشرين من «الفتوحات المكية» ما نصه: اعلم أن الحق تعالى لما كان لا يقع له قط من التجليات على شخصين بمعنى واحد للاتساع الإلهي قلنا بامتناع رسالة رسولين في زمان واحد إلى شخص واحد برسالة واحدة، إلا إن نطقا بلسان واحد في وقت واحد، كموسى وهارون لما قيل لهما: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: 43-44] ولا سيما وموسى يقول: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ﴾ [القصص: 34] يعني: هارون. انتهى. فتأمله وحرره إن كان فيه شيء، والله يتولى هداك.

فيروزج

قلت لشيخنا رضي الله عنه: قد ورد: «**أن الحق تعالى كتب التوراة بيده**»[1] وإذا كتبها

(1) أخرجه بنحوه الدارقطني في الصفات (28)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (426)، وأبو الشيخ (5/ 1555)، والديلمي (675).

بيده فكيف أمكن اليهود تحريفها مع هذا الاعتناء العظيم المشار إليه باليد التي هي كناية عن شدة الاعتناء بها؟

فقال: لا أستحضر حكمة في ذلك الآن، ولكن راجعني وقتاً آخر، فلم يقدر ذلك.

قلت: قد رأيت في كلام بعض المحققين الجواب عن ذلك، وهو: أن التوراة ما تغيرت في نفسها، وإنما كتابتهم إياها وتلفظهم بها لحقه التغيير، فنسب مثل ذلك إلى كلام الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 75] فهم يعلمون أن كلام الله معقول عندهم، وأنهم أبدوا في الترجمة عنه خلاف ما في صدورهم وفي صحفهم المنزلة عليهم، فما حرفوا إلا ما نسخوه من الأصل التي هي الألواح، والألواح باقية على ما هي عليه؛ وذلك ليبقى لهم ولعلمائهم العلم.

قال: فإن قيل: إن آدم خلقه الله بيده، وما حفظه من المخالفة والنسيان، وأين رتبة اليد من اليدين؟

فالجواب: أن كلام الله إنما عصم من التغيير المطلق؛ لأنه حكم الله، وحكم الله معصوم، ومحله العلماء به، وأمَّا آدم فما هو حكم الله، فلا يلزم عصمته من جريان الاقتدار عليه، بل هو وذريته محلها الأعظم، فإن قيل: إذا كان ذكر اليدين في خلق آدم إنما كان للاعتناء، فحينئذٍ الإنعام أقوى في الاعتناء من آدم؛ لأنه جمع في خلقها الأيدي بقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يس: 71]؟

فالجواب: أن آدم عليه السلام أكثر المخلوقات اعتناء به؛ لأنه الخليفة الأعظم في الأرض هو وبنوه، وتوجه اليدين على خلقه أقوى من توجه الأيدي؛ لأن التثنية برزخ بين المفرد والجمع، فلها القوة والتمكين من حيث إنه لا يوصل إلى الجمع إلا بها، فتأمل، والله أعلم.

زبرجد

قلت **لشيخنا** رضي الله عنه: هل ما ورد من تجلي الحق تعالى في الثلث الأخير عام

لسائر المخلوقات فيدركونه كلهم، أم هو خاص بالإنس والجن؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم، فلما اختصرت «الفتوحات المكية» رأيت فيها أن التجلي في الليل على ثلاثة أقسام، وكذلك التجلي في النهار، فيتجلى في الثلث الآخر، ويتجلى في الثلث الأول للمخلوقات التي لا تدركها الأبصار من الملائكة المهيمين في جلال الله، ويتجلى في الثلث الأوسط للأجسام الشفافة المسخرة، وأطال في ذكر تجلي الحق في الثلث الأول والثاني والثالث من الليل.

ثم قال: ولذلك لم يشرع لنا التهجد إلا في الثلث الأخير من الليل أو قبله بيسير كما ورد؛ لأنه هو وقت التجلي الخاص بنا، ووقت النداء بقوله: «**هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**»[1] إلى آخر النسق، فاعلم ذلك.

وقد بسط الكلام على ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والثلاثين من «الفتوحات».

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن معنى قول الجنيد، رحمه الله: «**لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد عليه ألف صديق بأنه زنديق**» ما درج الحقيقة؟

فقال رضي الله عنه: درج الحقيقة هو زوال الوجود الكوني في شهوده لا في نفس الأمر، فإذا شهد هذا المشهد فلا يرى بقلبه إلا الله، وإذا لم يرَ إلا الله فما يدري ما يقول، ولا يتقيد كلامه على قواعد الشريعة، فلا يسع الصديقين إلا أن يرمونه بالزندقة غيرة على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم خوفًا أن يتبع على ذلك كما وقع للحسين الحلاج[2] والمراد بالصديق هنا: من سلك طريق الشرع على التمام والكمال.

فقلت له: فهل بلوغ درج الحقيقة لابد منه لكل سالك؟

(1) أخرجه أحمد (16793)، والنسائي في الكبرى (10321)، والدارمي (1480).

(2) سبقت ترجمته ص112.

فقال: نعم، ولكن يحفظ الله السالك بواسطة انقياده لشيخه في إرخاء الحجاب عليه، حتى يرجع إلى طريق الأدب التي درج عليها السلف الصالح، والله أعلم.

در

سمعت شيخنا ﷺ **يقول**: من العارفين من يربي الخلق بالنظر إليهم من غير كلام، وكان منهم: سيدي أحمد البدوي، فكانوا يأتونه بالشخص فينظر إليه نظرة واحدة، ثم يقول: اذهبوا به إلى الفلاني.

قلت: وقد شاهدت هذا الأمر من شيخنا، ومن أخي سيدي أبي الفضل الأحمدي[1] كانا يربيان بالنظر وبإرسال كتاب أو شربة ماء، فكان الشخص إذا نظر في ذلك الكتاب أو شرب ذلك الماء يمتلئ مددًا وخيرًا، ويستغنى بذلك عن

(1) هو تلميذ الخواص، ورفيق الشيخ الشعراوي وشيخه، كان من الراسخين في الطريق، وافر الديانة، رفيع المنـزلة والمكانة، متخليًا عن الوظائف، متحليًا بقلائد المحاسن واللطائف، وكان يرى بواطن الخلق وما فيها، كما يرى ما في الإناء البلور، وأعطى نفوذ البصر في كل شيء، ويدرك ببصره تطورات الأعمال، ويرى صورها ومعاريجها، وينام بالليل خمسة عشر دقيقة فقط، ولا يقع بصره على حَب فيسوس، ويرى أصحاب النوبة في جميع الأقطار، ويعرف من ولي منهم ومن عزل، وكان كالخضر عليه السلام في كونه لا يستطيع متشرع أن يصحبه لدقة مداركه وحقائقها، وكل من أنكر عليه عطب، وكان متقشفًا مأكلاً ومشربًا وملبسًا، ويملأ بيوت الأخلية، وقعاوي الكلاب، وكان يميز الحل من الحرام، قدم له الشعراوي رحمه الله رغيفًا، فصار يفتت منه ويرمي للكلاب يمينًا وشمالاً، ويضع بين يديه شيئًا، فاجتمع منه نحو الربع، فأكله وقال: كان فيه قمح مخلوط من حلال وحرام، فميزه الله لي، فقال له: وهو دقيق؟ قال: إن الله على كل شيء قدير. وكان يرى ملك الموت عليه السلام ويحادثه كثيرًا. واجتمع بالمسيح عليه السلام بسوق الورّاقين بمصر يقظة، وسأله عن أشياء، فسُرَّ بذلك. ورأى عند أبي العباس الحريشي رجلاً أخلاه، وقد طعن في السن، وهو يذكر بصوت خفي - للجوع والسهر- فقال: أخرجه، فإن الله يكره من يعبده على حرف، والخلق كالشجر، فمن خلقه سنطًا، لا يكون تفاحًا وعكسه، ولو فعلت به ما فعلت، ثم قال للمختلي: اخرج يا فقير، كل واشرب وما سُبق لك من الله في الأزل يصل إليك. مات سنة 942 هـ قاصدًا للحج، ودفن ببدر. انظر: الطبقات الشعرانية (2/ 173)، الشذرات (8/ 246)، الكواكب السائرة (2/ 94).

مشايخ عصره، وكان أخي أفضل الدين المذكور كثيرًا ما يجلس في شباك السبل التي على الطرقات يسقي المارين، فلا يشرب أحد من يده إلا ويستنير قلبه، ويصير يتكلم بكلام أهل الطريق من غير أن يكون له به علم قبل ذلك رضي الله عنه.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: أعظم حجاب على الأولياء في كل زمان حجابهم عن الخلق بأحد شيئين: إمَّا أن يكون الولي ممن يدعي الدعاوي العريضة فتنفر منه النفوس، وإمَّا بأن يترك الدعوى ويدخل في عموم المسلمين فلا يُعرف.

وسمعته يقول: قد تبع الشرع في بعض المواضع العرف، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: 111] فنفى الشريك مع أنه لا وجود له في الشرع، ولكن لما ثبت اسم الشريك في العرف العام تبع الشرع في ذلك العرف ليفهم عنه، وأنه ﷺ جاء بلسان قومه وهو ما تواطؤوا عليه، فاعلم ذلك.

ياقوت

قلت **لشيخنا** رضي الله عنه: هل الأصل في العالم الذكورة أو الأنوثة؟

فقال رضي الله عنه: الأصل فيه الأنوثة.

فقلت له: فمن أين جاءت الخنوثة؟

فقال: جاءت من تساوي ماء الرجل وماء المرأة؛ إذ الحكم في الذكر والأنثى للأغلب من الماءين، فإن تساويا جاء الولد خنثى بإذن الله، والله أعلم.

ياقوت

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: من توقف في رؤية رسول الله ﷺ صور الأنبياء في السماء ليلة الإسراء في حال كونهم ذلك الوقت في قبورهم، فليجمع له ألف مرآة وأكثر فيقابلها يجد لنفسه في كل مرآة صورة يشهدها هو وغيره، وهو واحد في نفسه لا تمييز لصورة على الأخرى بأولوية، فقد بان لك الأمر في شهود الجسم الواحد في مكانين وأكثر في آن واحد، وأطال في ذلك بكلام يدق على العقول فتركته، والله أعلم.

وسمعته يقول: الحق تعالى من وراء جميع المعلومات كما أشار إليه

حديث: «**ليس وراء الله مرمى**»[1] إشارة لعدم الإحاطة بالحق لأحد من الخلق، واعلم أنه ليس للحق تعالى وراء، وإنما ذكر رسول الله ﷺ ذلك تنبيهًا على الإحجام عن تسريح الفكر في ذات الله تعالى لا غير، فافهم، والله أعلم.

كبريت أحمر

سألت شيخنا ﷺ عن سبب مشروعية جميع التكاليف التي جاءت بها الكتب الإلهية: هل هي كفارة لما سيقع من الأمم من المعاصي، أو لما يقع من أرواحنا قبل البلوغ؟

فقال ﷺ: سبب مشروعية جميع التكاليف كما أعطاه كشفنا الصحيح إن شاء الله تعالى هو: الأكلة التي أكلها أبونا آدم عليه السلام من الشجرة، فانسحب حكمها على جميع بنيه إلى يوم القيامة، فكانت الشجرة مظهر ارتكاب المخالفة الواقعة من بنيه من حرام أو مكروه أو خلاف الأولى، كل واحد منهم على حسب مقامه، فالأنبياء لهم خلاف الأولى، والأولياء لهم المكروه، وعامة المؤمنين لهم الحرام، وقد يشارك الأولياء المؤمنين في الحرام إذا تخلفت عنهم عناية الله، وأمَّا الأنبياء فلا يشاركون غيرهم أبدًا لا في حرام ولا في مكروه، فافهم.

فكانت التكاليف كلها في مقابلة وقوع بني آدم فيما ذكرناه كفارة له؛ فإنه لا يكون منهم أحد إلا وقد أكل من الشجرة التي فتح آدم عليه السلام بالأكل منها باب إظهار أن جميع العبيد تحت القضاء والقدر في جميع ما يتحركون فيه ويسكنون، ثم لمَّا أكل آدم عليه السلام من تلك الشجرة بغير إذن في حال نسيانه النهي جعل الله تعالى له مذكِّرًا من نفسه لما وقع منه، وهو البطنة القذرة المنتنة على خلاف ما كان عليه في الجنة، فكان آدم عليه السلام كلَّما أخذته البطنة تذكر ما وقع فيه واستغفر، ولذلك جاءت شريعتنا بطلب المغفرة إذا خرجنا من الخلاء، فهذا حكمة الاستغفار.

وكذلك أخذت حواء ـ عليها السلام ـ الحيضة في كل شهر زيادة على البطنة؛

---

(1) أخرجه مالك في الموطأ (1634).

لمساعدتها لآدم عليه السلام في ذلك بالتزيين، وتقدمها بقطع الثمرة من الشجرة لآدم حتى أكلها، ولا شك أن إثم من يأتي المخالفة وهو مستحسن لها أعظم في الإثم ممن أتاها ناسيًا.

ثم لا يخفى أن تلك الجنة التي كان آدم عليه السلام فيها ليست محلاً للقذر الذي تولد من تلك الأكلة، فلذلك أُنزلا - عليهما السلام - إلى الأرض، فلما نزلا إليها تولد في بطنهما من تلك الأكلة التي أكلاها البول والغائط، والدم والنوم، ولذة اللمس للنساء والجماع لهن، وتولد في ذريتهما بسبب أكلهم من شجرتهم الخاصة بهم زيادة على ما تولد في أبويهما الجنون والإغماء بغير مرض، والمخاط والصنان والقهقهة، والتبختر والتكبر بإسبال الإزار والسراويل والقميص والعمامة، والغيبة والنميمة، والبرص والجذام، والكفر والشرك، وغير ذلك مما ورد في الآثار أنه ينقض الوضوء.

وكل هذه الأمور متولدة من الأكل كما ذكرنا، وليس لنا ناقض للطهارة قط متولد من غير علة الأكل أبدًا، إلا من لا يأكل كالملائكة لا يقع منه ناقض قط مما ذكرناه ومما لم نذكره، فإن الملائكة لا تبول ولا تتغوط، ولا يجري لها، ولا تشتهي النساء ولا الرجال، ولا تجن، ولا يغمى عليها، ولا تعصي، ولا تكفر، فإن العبد لا يعصي حتى يحجب، ولا يحجب حتى يأكل، فلولا حجب بالأكل ما عصى.

فلذلك أمرنا الشارع وأتباعه من المجتهدين بالطهارة بالماء المطلق، وأمرونا بالتنزه عن كل ما تولد من تلك الأكلة حتى عن مس المحل الخارج منه البول أو الغائط، حتى عن لمس الذكر السراويل الملاصقة له، فقد ورد: «**أنه ﷺ كان ينضح سراويله بالماء كلَّما توضأ ويقول: بذلك أمرني جبريل عليه السلام**»[1] وليس في النضح المذكور دفعًا للوسواس كما فهم بعضهم، فإن الأنبياء منزهون عنه؛ إذ قيل: إنه نوع من الجنون، وإنما هو لملامسة المحل القذر أو الذكر للسراويل كما قررناه، فافهم.

---

(1) أخرجه ابن ماجه (462)، والديلمي (4106) بلفظ: «علمني جبريل الوضوء، وأمرني أن أنضح تحت ثوبي مما يخرج من البول بعد الوضوء».

ثم إن أقوال المجتهدين جاءت على وفق الأدلة التي استندت إليها في النقض، فمنهم المخفف، ومنهم المشدد في الناقض، ومنهم المتوسط فيه وفي الماء الذي يطهر به.

فمنها: ما اتفقوا على النقض به: كالبول، والغائط، والجماع، والجنون.

ومنها: ما اختلفوا في النقض به: كلمس المحارم، ومس الفرج، ولمس العجوز، وخروج الدم السائل من البدن، والقهقهة، والغيبة، ومس صلبان المشركين، ونحو ذلك.

فقد علمت أن النقض بالذكر والدبر إنما هو لكونهما محلاً لخروج الناقض لا لذاتهما؛ إذ لو كان النقض بهما لذاتهما من حيث كونهما متولدين من الأكل، ومن أراد الجمع بين قولي النقض وعدمه بمس الفرج فليجعل النقض به خاصًا بعوام الناس كالأراذل.

وكذا القول في كل ما جاء فيه رخصة وتشديد من الشارع أو المجتهدين، ثم هذا الكلام لا يتمشى على تنفيذ بمذهب واحد، وإنما يتمشى على الشريعة قبل وجود المجتهدين من حيث إنها بحر يغترف منه كل عالم، ويؤيده قولهم: المصيب واحد لا يعينه، فليتأمل.

قلت له: فما وجه قول من يقول بالنقض بخروج حصاة أو عود مع أنهما غير متولدين من الأكل؟

فقال: وجهه: أن النقض لما عليهما من الطبيعة لا لذاتهما، فلولا ما عليهما من الطبيعة لم ينقضا لو فرض ذلك؛ إذ الناقض إنما هو خروج طبيعة آثار النشوة من المآكل والمشارب، وليس الحصا والعود كذلك، فهذا كان أصل الحدث، فليتأمل ويحرر.

فقلت له: فلِمَ وجب علينا تعميم البدن إذا اغتسلنا من خروج المني، مع أنه دون الغائط في الاستقذار يتعين؟

فقال: إنما وجب تعميم البدن في الغسل بخروج المني؛ لأنه فرع أقوى من أصله من حيث اللذة المصاحبة له، فوجوب تعميم البدن من حيث شدة اللذة فيه

لا الاستقذار، فلما كان المجامع يحس اللذة قد عمت بدنه كله أمر بتعميمه بالماء؛ لينعشه من ذلك الفتور الذي حصل للبدن عقب خروج المني، فكانت الغفلة عن الله تعالى فيه أكبر من الغائط، ولذلك نقضت القهقهة في الصلاة عند بعضهم؛ لكونها لا تقع إلا من قلب غافل غير حاضر من ربه ﷻ وحضرة الرب منزهة عن وقوع القهقهة فيها، إنما هي حضرة أدب وبهت وذبول أعضاء.

فقلت له: هذه علة خلاف ما علل به العلماء؟

فقال: اختلافنا مع العلة لا يقدح مع اتفاقنا على الحكم، فافهم.

فقلت له: فما وجه وجوب تعميم البدن على الحائض والنفساء؟

فقال: إنما وجب تعميم بدنها؛ لزيادة القذر الحاصل منهما، وكثرة انتشار الدم في محلات البدن بالعرق وغيره، ولبعد الزمن المتخلل بين الحيضات أيضًا، فلا يشق ذلك، بخلاف الحدث الأصغر، خفف علينا بغسل الأعضاء المعروفة فقط؛ لتكرر سببه كثيرًا في الليل والنهار، وأيضًا فإنها آلات لغالب المعاصي، فإذا غسل المتوضئ الحاضر القلب عضوًا منها تذكر سبب الأمر بغسله، وهو العصيان به، فاستغفر ربه، فطهر ذلك العضو ظاهرًا وباطنًا بالماء والتوبة؛ إذ «**التَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا**»[1] والخطايا تخرج مع الماء، فيدخل ذلك العبد المطهر حضرة ربه على أكمل حال.

فقلت له: فما وجه اتفاق العلماء على نجاسة البول والغائط من الآدمي دون البهائم مع أن الآدمي أشرف منها؟

فقال: وجهه: أنه هو المكلف بترك أكله من شجرة النهي التي بنينا التكاليف كلها عليها، فما جاءنا اتفاق العلماء على نجاسة فضلاته المذكورة دون غيره إلا من شرفه وعلو مقامه، وكان من شأنه أن يطهر كل شيء خالطه، فلما غفل عن ربه واشتغل بطبيعته وشهوته انعكس حكمه، فلذلك صاحبه الأشياء الطاهرة من المطاعم والمشارب، فصار طيبها نجسًا قذرًا، بولاً وغائطًا ودمًا ومخاطًا

(1) ذكره ابن الحاج في المدخل (45)، وهو لا أصل له. ونحوه «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

وصنانًا، والقاعدة أن كل من شرفت رتبته عظمت صغيرته، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فقلت له: فلِمَ لم يتفق العلماء على نجاسة فضلاته كلها من بصاق ومخاط وصنان ونحوها؟

فقال: إنما لم يتفقوا؛ لخفة القبح والقذر فيها وبعدها، عن صورة لون الطعام، بخلاف البول والغائط يشبهان في الغالب لون أصلهما، فافهم، ثم لا يخفى أن التيمم قائم مقام الماء في الطهارة عن الحدث والخبث، فلا يقال: أنَّا قد أسقطنا الكلام عليه، والله أعلم.

فقلت: لهذا وجه تعلق النواقض والطهارة منها بالأكل من الشجرة، فما وجه تعلق مشروعية جميع أنواع الصلاة بالأكل من الشجرة المتقدمة؟

فقال: وجهه: كون الصلاة بجميع أنواعها، إنما شُرعت توبة واستغفارًا وتقربًا إلى الله تعالى، وفتحًا لباب رضا الحق تعالى عنا بعد أن لم يكن راضٍ عنا كل الرضا في تناولنا شهواتنا في المآكل والمشارب، وفي الحديث: «**إن الملائكة تقول عند دخول وقت الصلاة: يا بني آدم، قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فأطفؤوها**»[1].

فقلت له: فلِمَ تكررت علينا في الليل والنهار؟

فقال: ليتذكر العبد ما جناه من المعاصي والغفلات والشهوات من الصلاة إلى الصلاة فيتوب ويستغفر، ثم إنه يتطهر بالماء المنعش لذلك البدن الذي مات بكثرة المعاصي، أو ضعف، أو فتر، أو غفل، على حسب مقام ذلك المصلي، وما وقع فيه من المخالفات.

ثم إنه يدخل حضرة الصلاة مكبِّرًا لله، حامدًا له، مثنٍ عليه بما هو أهله، سائلاً من فضله المعونة على أداء ما كُلف به في هذه الدار والهداية إلى الصراط المستقيم، فلو أنه كشف للمؤمن المخلص عن حاله في صلاته لرأى ذنوبه تنحدر يمينًا وشمالاً عنه في حال قيامه وركوعه، فلا يصل إلى حضرة السجود التي هي

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط (11059).

أقرب ما يكون العبد من ربه وعليه خطيئة واحدة؛ لأنها كلها سقطت بالوضوء والصلاة كما ورد به النص.

قال: وإنما قلنا ببقاء الذنوب في حال الصلاة مع ما ورد بأنها تخر في حال الوضوء؛ لأن الوضوء لا يخر به إلا معاصي مخصوصة كما أعطاه الكشف؛ إذ لو كان الوضوء يُكفِّر جميع المعاصي لم يبقَ لغيره من المكفِّرات الواردة في الشريعة فائدة، فافهم.

وقد قالوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 114] إن ذلك مخصوص بالصغائر دون الكبائر، فتأمل.

فقلت له: فحينئذٍ كلما كانت ذنوب العبد أقبح وأكثر طولب بنظافة الماء أكثر، ولعل هذا ملحظ الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في منعه التطهير بالماء المستعمل؛ لتقذره بخرور الخطايا فيه، فإن الماء الذي لم يستعمل أنعش لبدن العاصي من الماء المستعمل، فإن توضأ من ليس عليه خطيئة، لو فرض، فكان ماء نظيف فوق ماء نظيف، لكان نور على نور.

ثم اعلم يا أخي، أن للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في الماء المستعمل ثلاث روايات:

إحداها: أن المستعمل حكمه حكم النجاسة المغلَّظة سواء.

ثانيها: أنه كبول البهائم سواء.

ثالثها: أنه طاهر غير مطهر.

فقلت له: فما وجه الرواية الأولى؟

فقال: وجهه: أنه غسالة ذنوب الناس كما مر، وذنوبهم فيها الزنا واللواط وشرب الخمر والغيبة والنميمة وكثرة الأذى للناس، وغير ذلك من الكبائر التي قلَّ أن ينفك عنها إلا من حفظه الله تعالى، ومن حق وجد هذه الأمور أقذر وأخبث من الضمخ بالبول والغائط، وذلك أن أصل الأكل مباح، وأصل هذه الأمور حرام، وأثر الحرام بيقين أنجس من أثر المباح أو المكروه.

فقلت له: فإذا كان الأكل كذلك حرامًا في الأصل كالرشا والبلص والغصب ونحو ذلك؟

فقال: مثل هؤلاء يكون الماء الذي استعملوه أخبث من الخبيث، فيُجتنب على هذه الرواية أكثر من اجتناب ماء المعاصي بغير الأكل.

فقلت له: فحينئذٍ كان المتطهر قريب العهد من الإسلام واغتسل ولم يذنب بعده، فما حكمه؟

فقال: لا ينبغي القول بأن ماءه نجس.

فقلت له: فما وجه الرواية الثانية؟

فقال: وجهه: أن غالب معاصي العباد إنما هي صغائر ووقوعهم في الكبائر نادر بالنسبة للصغائر، ومعلوم أن الصغائر حالة متوسطة بين الكبائر والمكروهات، كما أن بول البهائم حالة متوسطة بين النجاسة المغلظة وبين المعفو عنها.

فقلت له: فما وجه الرواية الثالثة؟

فقال: وجهها: أن الأصل عدم ارتكاب المتطهرين بذلك الماء بخصوصه للكبائر والصغائر عملاً بما أمرنا الله به من حسن الظن بالمسلمين، أو أنهم ارتكبوها وكفرت عنهم بأفعال أُخر، فما أتوا للطهارة إلا وليس عليهم خطيئة، اللهم إلا إن شاهدنا من زنا مثلاً قد خرج على أثر الزنا للغسل، وما رأيناه عمل أعمالاً تكفر مثل ذلك في الشرع، فهذا ربما يلحق ماؤه بأهل الرواية الأولى، فرضي الله عن الإمام أبي حنيفة ما كان أدق نظره، ورضي الله عن بقية المجتهدين.

فقلت له: فإذا كانت «**الصلوات الخمس كفَّارات لما بينهن ما اجتُنبت الكبائر**»[1] كما ورد، فلِمَ أمرنا رسول الله ﷺ بالنوافل؟ هل هي كفَّارات لما يتوقع من ذنوب قدمت على الوقوع في الذنب، أو هي جوابر للخلل الواقع في الفرائض؟

فقال رضي الله عنه: هي جبر للخلل الواقع في الفرائض، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما -

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (3020)، والدارقطني في العلل (53)، وقال: يرويه أبو نصير الواسطي، وأبو نصير ضعيف، والحديث غير ثابت.

وقد ورد أيضًا: «**أن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة**»(1).

فقلت له: فلِمَ أكد الشارع بعض النوافل دون بعض؟

فقال: فعل ذلك توسعة لأمته، فلو أكدها كلها لربما يشق عليهم، وكان ﷺ يحب التخفيف عنهم، وقد صلى ركعتين قبل المغرب وقال: «**لمن شاء**»(2).

فقلت له: فلِمَ شُرِّعت النوافل ذوات الأسباب، كالكسوف والاستسقاء، وكذلك الجنازة والعيدان ونحوها؟

فقال: إنما شُرِّعت لحجاب العبد بالأكل عن شهود الآيات العظام التي هي يخوف الله بها عباده، لاسيما من يأكل الحرام والشبهات حتى طبع على قلبه طابع القساوة، وما احتجنا للتخويف إلا من غفلتنا، وحجابنا الناشئ من الأكل، فشُرِّعت هذه الصلوات مشحونة بالدعاء والاستغفار والتكبير لله تعالى عن أن يخرج عن طاعته الإرادية شيء في الوجود.

ولنؤدي أيضًا حقوق إخواننا المسلمين الأحياء والأموات التي أضعناها حين غفلنا وحجبنا بأكل الشهوات، ويزيد العبد عليّ: أن ما ذكر بأن في مشروعيتهما أيضًا تأليف للقلوب المتنافرة من كثرة المزاحمة في الأغراض النفسانية؛ ليجمع شمل نظام الدين، وإقامة شعاره؛ إذ التنافر يشتته ويضعفه.

ويزيد: أن أيضًا على الجماعة في الجمعة وغيرها بالفرح الزائد والسرور، كما هو مشاهد في الرجال والنساء والأطفال والبنات والخُدام والغلمان، فلا ينبغي لمؤمن أن تفارقه صلاة العيدين وفي قلبه كراهية لأحد من المسلمين، وهذا وإن كان مطلوبًا في غير العيد ففي العيد آكد، لاسيما العيد الأكبر للحاج، فإن الحرم حضرة الحق الخاصة في الأرض، وفي الحديث: «**أنه لا يصعد للمتشاحنين عمل**»(3) إشارة لما ذكرناه، فإن القطيعة تمنع نزول الرحمة، ولذلك

---

(1) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (1/ 305) بلفظ: «حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرائضكم».

(2) أخرجه أحمد (20571)، وأبو داود (1281)، وابن خزيمة (1289)، وابن حبان (1588).

(3) أخرجه أحمد (7854) بلفظ: «وَتُعْرَضُ الأَعْمَالُ في كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ ﷻ لِكَلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، إِلَّا الْمُتَشَاحِنَيْنِ، يَقُولُ اللهُ لِلْمَلَائِكَةِ: ذَرُوهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا».

كان المستحب مصالحة الأعداء قبل الخروج للاستسقاء، فاعلم ذلك.

فقلت له: فما وجه تعلق الزكاة بأنواعها بالأكلة المذكورة؟

فقال رضي الله عنه: وجهه: أننا لما أكلنا ما لا ينبغي لنا شرعًا حجبنا عن شهود توحيد الملك لله تعالى بادعاء الملك لنا دون الله، وذلك أننا لما أكلنا المال بشَرَهِ نفس، وجمعنا المال والأتراب ضيَّقنا على الفقراء والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، ونسينا حال ادعائنا الملك قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: 7].

فلما وقع منا ما ذكر أمرنا الشارع بإخراج نصيب مفروض في كل صنف من أموال الزكاة؛ تطهيرًا لنا ولأموالنا من الرجس الحاصل من منبعها بسواد القلب وقلة البركة في الرزق، كما أشار إليه خبر: «**اللهم أعط منفقًا خلفًا، وأعط ممسكًا تلفًا**»[1].

وأمَّا نوافل الزكاة من سائر الصدقات، فإنما هي جبر للخلل الواقع في فرض الزكاة كالصلاة، وكذا القول في نوافل الصوم والحج، وأمَّا زكاة الفطر: فإنما شُرِّعت بين يدي صوم رمضان مبادرة لأن يقبل؛ إذ ورد: «**أن صوم رمضان معلَّق بين السماء والأرض، لا يرفع حتى تؤدى زكاة الفطر...**»[2] وإن ضعَّفه بعضهم فقد صح من طريق الذوق، فرأيت وهو يصعد قليلاً ثم يرد إلى الأرض، فقال لي ملك: أخرج زكاة الفطر يرفع صومك، فاستيقظت وأخرجتها، فرأيته صعد إلى السماء، فالحمد لله رب العالمين.

فقلت له: فما وجه تعلق الصوم بالأكل من الشجرة المذكورة؟

فقال رضي الله عنه: وجهه: أن الصوم تطهير وتقوية للاستعداد في التوجه إلى الله تعالى في قبول التوبة من المعاصي التي حدثت عند الحجاب بالأكل؛ لما فيه من رقة القلب وذبول الجسد، وسد مجاري الشيطان التي انفتحت بالأكل حتى صار البدن كطاقات شبكة الصياد، فإذا صام العبد ضاق على الشيطان المسالك حتى

(1) أخرجه البخاري (1374)، ومسلم (1010)، والنسائي في الكبرى (9178).

(2) أخرجه الديلمي (901).

لا يجد له مسلكًا يدخل منه إلى باطن الصائم ليوسوس له بما يريد؛ ولذلك ورد في الصحيح: «**الصوم جُنَّة**»(1).

فقلت له: فلِمَ كان الصوم المفروض ثلاثين أو تسعًا وعشرين فقط؟

فقال: إنما كان كذلك؛ لأنه ورد أن الأكلة التي أكلها آدم من الشجرة مكثت في بطنه تلك المدة، فانتهى خروجها بانتهاء الشهر الشرعي، واستمر حكمها في بنيه كذلك، فلولا تلك الأكلة من الشجرة ما وجب الصوم، ولما علم الشارع أننا نقع كثيرًا في الأكل المنهي عنه، شرع لنا زيادة على ذلك صوم الاثنين والخميس وأيام البيض، وغير ذلك.

وقد بلغنا أن جسد آدم اسودَّ لمَّا أكل من الشجرة، فما زال سواده إلا بصيام الثلاثة أيام الليالي البيض، فشرع ذلك لكل من وقع في مخالفة، وما منا من وقع أو همَّ، وأيضًا فإن كل شهر ورد على العبد فهو ضيف نزل عليه من قبل الحق تعالى، وحق الضيف ثلاثة أيام.

فقلت له: فلِمَ خصَّ الشارع الثلاث الغرر منه؟

فقال: لأن تعجيل الطعام للضيف من جملة إكرامه، سواء أقبل إطالة الجلوس، أو في وسط المدة، أو قُبيل انصرافه، ولذلك شرع صوم ثلاثة أيام من آخره كذلك.

فقلت له: فما حكم من يصوم من كل عشرة أيام يومًا؟

فقال: هو جائز، ولكن اتباع المشروع أفضل، والله أعلم.

فقلت له: فلِمَ شُرِّعت الكفارة فيمن جامع في رمضان بشروطه، أو في حق القاتل أو المظاهر ونحوهما؟

فقال: شُرِّعت لتكون حجابًا بين العبد وبين ما عرض نفسه له من حلول البلايا والعقوبات بارتكاب المخالفات التي عملها، فإذا جاء البلاء من حضرة الاسم المنتقم مثلاً لينزل على فاعل تلك المخالفة وجد الكفارات قد سترت ذلك العاصي في ظل جناحها واكتنفته، وصارت عليه جُنَّة ووقاية، فرجع البلاء غير

(1) أخرجه البخاري (1894)، ومسلم (2761).

نافذ، كل ذلك لسبق الرحمة الغضب، فاعلم ذلك.

فقلت له: فما وجه تعلق مشروعية الحج والعمرة بالأكلة المذكورة؟

فقال ﷺ: وجهه: أن الحج تكفير الذنوب العظام التي لا يكفرها إلا هو، فإن لكل مأمول شرعي تكفير خاص كما يعلم ذلك أهل الكشف، ولولا أنَّا أكلنا الشهوات بغير إذن من الله تعالى أصلاً أو بأكلنا الزائد عن الحاجة شرهًا وبطرًا لما وقعنا في عمل تلك الذنوب، ولا احتجنا إلى شيء يكفرها، هذا في حقنا.

وأمَّا في حق آدم عليه السلام فلم يكن له ذنب قط غير أكله من الشجرة، فما كان أكله منها إلا فتحًا لباب الوقوع الآتي من أولاده بحكم القبضتين، فأمره الله تعالى بالحج تكفيرًا لتلك الأكلة التي صورتها صورة معصية، فافهم.

وكان الحج آخر ما جعل عليه من الكفارات، فإنه عليه السلام تلقى الكلمات من ربه في تلك الأماكن، فتاب عليه وهدى، والكلمات هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].

فقلت له: فلِمَ كان وجوب الحج علينا في العمر كله مرة واحدة ولم يتكرر وجوبه كالصلاة والصوم؟

فقال: إنما كان ذلك تخفيفًا علينا ورحمة بنا؛ لضعفنا ولكثرة المشقة علينا في فعله، لاسيما أهل البلاد البعيدة.

فقلت له: فما وجه من قال بعدم وجوب العمرة؟

فقال: وجهه: أنها داخلة في الحج ضمنًا، فإن عين أفعاله ما عدا الوقوف، فهي كالوضوء مع الغسل، أو كالسنة مع الفريضة، ويؤيده حديث: «**دخلت العمرة في الحج إلى الأبد**»[1].

فقلت له: فلِمَ كان الوقوف بعرفة أول الأركان بعدم الإحرام؟

فقال: اقتداءً بأبينا آدم عليه السلام لما أتى من الهند، فأول باب دخل منه عرفات، فأمر بنيه كلهم أن يبدؤوا به في أعمال الحج، ثم جاءت شريعتنا كذلك بوجوبه

---

(1) أخرجه الطيالسي (1668)، ومسلم (1218)، وأبو داود (1905)، والبزار (3449)، والطبراني (1582).

حتى على من كان في مكة، فعليه أن يخرج إلى عرفات ليقف بالحج، ثم يرجع.

فقلت له: فلِمَ سومح الحاج المصري والشامي بدخول مكة قبل الوقوف بعرفة؟

فقال: سومحوا بذلك؛ لما وجد عندهم من كثرة الشوق، فكان حكمهم حكم من هاجر إلى دار الملك ومكث في داره زمانًا ينتظر ما يأمره به من الخدمة والطاعة، فإذا أمره بفعل في بلاد بعيدة خرج له، فعلم أن دخول الحاج المصري مثلاً لمكة قبل الوقوف ليس هو لفعل المناسك كما تقدم، وكان حكم طواف القدوم حكم فعل النوافل بين يدي الفرائض شُرِّعت تأنيسًا للعبد ليدخل في فعل فريضة الحج على أكمل حال.

فقلت له: فما حكمة التجرد عن لبس المخيط؟

فقال: إنما شرع ذلك إشارة إلى أن من الأدب لكل داخل إلى حضرة الحق تعالى أن يدخل مفلسًا، متجردًا عن شهود حسناته، تائبًا من زلاته؛ لأن الأمداد الإلهية الخاصة بمكة لا تنزل على أحد إلا بعد تجرده، فكأن المحرم يولد هناك ولادة ثانية، كما أشار إليه خبر: «**من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»[1].

فقلت له: فمتى يتجرد الحاج عن شهود الحسنات ويتوب من الزلات؟

فقال: محله عند التجرد للإحرام ويستمر إلى باب المعلاة أو باب شبيكة أو المحصب.

فقلت له: فما وجه تحريم صوم أيام التشريق على الحاج؟

فقال: لأن جميع الحجاج هناك في دار الضيافة، ولا ينبغي لضيف أن يصوم عند صاحب المنزل إلا بإذنه، والشارع لم يأذن لهم إلا في الفطر.

فقلت له: فما وجه تحريم من يقول بحرمة صومها على غير الحاج؟

فقال: وجهه: أن قلوب جميع الخلق في سائر أقطار الأرض تكون معلقة بتلك الأماكن حتى يتمنون أن لو كانوا معهم هناك، فكأنهم هناك، فتحريم الصوم

(1) أخرجه أحمد (7375)، والبخاري (1449)، والنسائي (2627)، وابن ماجه (2889)، وابن حبان (3694) وأبو يعلى (6198)، والبغوي في الجعديات (896).

على غير الحاج تبعًا للحاج لا بأصالة.

فقلت له: فما وجه تعلق بعض الناس بأستار الكعبة؟

فقال: هو مثل تعلق الرجل بثوب صاحبه إذا كان بينه وبينه جناية ليصفح عنه ويسامحه، وإنما قلنا: «**بعض الناس**» لأن أهل الأدب مع الله لا يفعلون مثل ذلك؛ لأن فيه رائحة قلة الأدب، فكمل لآدم عليه السلام كمال مقام التوبة، وكذلك كمل لذريته بحكم التبع، وإنما قلنا: كمال مقام التوبة من أن الندم وقع منه حين أكل من الشجرة، وكذلك الحكم في كل مؤمن لابد من ندمه عقب المعصية أمر لازم لكل من رد إليه عقله.

ومعلوم أن الندم إنما هو من التوابع واللوازم، وقد ورد: «**أن آدم عليه السلام لما حج البيت قال: يا رب، لي ولذريتي، فقال الله عز وجل: أمَّا ذنبك يا آدم فقد غفرناه لك حين ندمت، وأمَّا ذنوب بنيك فمن أتاني لا يشرك بي شيئًا غفرت له ذنوبه**»[1] والله أعلم.

فقلت له: فما وجه تعلق البيع والشراء وسائر المعاملات بالأكلة المذكورة؟

فقال: وجهه: أن الإنسان إذا أكل الشهوات حجب، فخاف وجار وظلم، فشرع له البيع دفعًا للخوف والجور؛ لأنه إذا أكل مال الغير بغير شراء أو هبة مثلاً شرهت نفسه أكثر وأكثر، وأظلم قلبه لأكله أموال الناس بالباطل، وإذا أظلم قلبه امتنع من قرض المحتاجين المال إلا بالربا، وربما باع وأغدر، فشرع له الخيار وما ذكر معه.

وربما غصب الأموال واحتكر الطعام على المسلمين، وأنكر الحقوق والبيع والشراء، فشرع التحالف قطعًا للنزاع، وربما اشترى الثمرة قبل التأبير فادعاها له أو باعها قبل التأبير فادعاها المشتري، أو اشترى عقارًا فادعى ما فيه من المنقولات وهكذا، فشرع له أحكام الأصول والثمار، وأمر بإعطاء كل ذي حق حقه على يد شهود عدول؛ ليرجع إليهم عند التنازع الغالب على الناس.

ووسَّع الشارع على أمته بالسلم والرهن والتفليس، وبالحجر على السفيه، وبالعارية والوديعة، والشركة والوكالة، والشفعة والحوالة، والضمان والمصالحة

(1) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (2/ 109).

ببعض الديون إذا عجز المديون عن الوفاء، والمساقاة والقراض، والإجارة وإحياء الموات، واللقطة والجعالة، كل ذلك ليتعاونوا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان الناشئ ذلك كله من حجاب أكل الشهوات، ولذلك كانت الملائكة أغنياء عن ذلك كله.

فقلت له: فما وجه تعلق الهبة والهدايا والوقف بربع البيوع؟

فقال: وجه تعلقها به: كونها من جملة شكر النعمة الحاصلة بالبيع والشراء، فهي نوع آخر خلاف الصدقة؛ لأنها من مكارم الأخلاق.

فقلت له: فما وجه تعلق المواريث وبيان قسمتها بالأكلة المذكورة؟

فقال: وجهه: أنها إنما شُرِّعت لشحة الوارثين على بعضهم بعضًا، وتعلق قلب كل واحد بالمال كله، كل ذلك بحجابهم بأكل الشهوات، فبيَّن الشارع لكل وارث واحد نصيبًا مفروضًا دفعًا للخوف والنزاع بين الناس، والله أعلم.

فقلت له: فما وجه تعلق مشروعية النكاح وبيان حدوده وتوابعه بالأكلة المذكورة؟

فقال ﷺ: وجهه ظاهر، وهو: أن شهود النكاح ما نشأت إلا من أكل الشهوات، فلولا الأكل ما كانت شهوة، وكان الناس كالملائكة، وإنما أمر الشارع به وقال: «**شراركم عزابكم**»(1).

ولم يكتفِ فيه بالوارد الطبيعي شفقةً علينا، وتشجيعًا لمن يستحي في فعل ذلك، بل من ذكره من الشباب وأهل الحياء، وأيضًا فلتكون بالأمر تحت الطاعة ممتثلين أمر الله تعالى، فنثاب بذلك ويكثر نسلنا وذريتنا؛ ليستغفروا وتكون أعمالهم الصالحة من جملة حسناتنا؛ لكوننا كنا سببًا في وجود العاملين، ويستجيب الله تعالى ـ إن شاء ـ منهم الدعاء لنا بالمغفرة والصفح والمسامحة عما عملناه من السيئات.

وكان حكم دفع شهوة الزنا ونحوها بحكم التبع لتلك المنافع الحاصلة لنا من أولادنا، وأمَّا الصدق والعدل بين الزوجات: فإنما شرع استجلابًا لميل

---

(1) أخرجه أحمد (21488)، قال الهيثمي (4/ 250): فيه راوٍ لم يسمَّ وبقية رجاله ثقات. وأبو يعلى (6856)، والطبراني (158)، والبيهقي في شعب الإيمان (5480).

الخاطر إلى إجابة سؤال الرجل نكاح تلك المرأة، وإذا مالت الخواطر حصل وجود النسل، وحصل عدم الخوف والظلم لها الناشئ ذلك من حجاب الأكل.

وأمَّا الخلع والطلاق والرجعة والإيلاء والظهار، فسببه أيضًا: الأكل، لاسيما إذا شبع وبطر؛ فإنه إذا شبع جاعت جوارحه، فخاصم وفجر، وكان من أقرب الناس إليه في ذلك زوجته، فضاجرها وعايرها بالضرائر وبالتسري عليها حتى سألت الطلاق، فخلعها أو طلقها هو ابتداء من غير سؤال منها أو بطر عليها، فطلب أعلى منها، وحلف ألَّا يطأها وظاهر منها، فإذا راقت نفسه من ذلك التكدير ربما طلب مراجعتها أو لم يطلب.

وكانت العدد والاستبراء والرضاع من توابع النكاح بفراق أو طلاق، أو سراح أو زوال فراش، أو وجود ولد رضيع ذكر أو أنثى، فبيَّن الشارع لنا حدود ذلك كله؛ حتى لا ينزع الولد ممن هو أحق به، ولئلا يتزوج الإنسان أخته من الرضاع، ولئلا يشح بأجرة المرضعة، وكانت النفقات كذلك من توابع النكاح بعصمة أو فراق مع وجود حمل.

وأمَّا نفقة الوالدين والأقارب والرقيق والبهائم، فإنما أمرنا بها لغفلتنا عن تأدية حقوقهم للحجاب الحاصل لنا من أكل الشهوات؛ فإنه لولا الحجاب ما احتجنا أن نؤمر بذلك؛ لعظم حق الوالدين، ولصلة الرحم، ومن عطف عليهم فإنهم سبب لإيجادنا، وتحمل همومنا وغمومنا، وخدمتنا ليلاً ونهارًا في صحتنا وأيام مرضنا وحملنا متاعنا إلى بلد لا نطيق المشي إليها بأنفسنا فضلاً عن أثقالنا.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾ [البقرة: 237] وإن كانت الآية خاصة فمعناها عام ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 218].

فقلت له: فما وجه تعلق مشروعية الحدود كلها بالأكلة المذكورة؟

فقال رضي الله عنه: وجهه ظاهر لا يحتاج إلى بيان؛ فإن الإنسان إذا جاع ضعفت حركة جوارحه حتى أنك ربما تكلمه فلا يستطيع أن يرد ذلك الجواب؛ فإذا أكل الشهوات وشبع أو لم يشبع فسق وتعدى الحدود، فقتل النفس بغير حق، وقطع العضو وجرحه، وقلع العين وكسر العظم، وسرق وقطع الطريق، وشرب الخمر وزنا، وقذف الناس بالباطل ومزق أعراضهم، وحلف بالله كاذبًا وصادقًا، وبخل بالمال، فلم يسمح لأحد به إلا على وجه النذر إذا زالت عنه كربة شديدة، كل

ذلك لشدة محبته للمال، وادعى أيضًا الدعاوى الباطلة، وتحمل الشهادات على غير علم، وقضى بين الناس كذلك، ولو كان لا يأكل الطعام مطلقًا أو كان يأكله بلا شهوة ما وقع في شيء مما ذكر.

وأصل ذلك كله: الحجاب الحاصل من الأكل، فلذلك أمر الله تعالى أصحاب هذه الجرائم بالانقياد للاقتصاص منهم؛ ليقام عليهم الحدود والمعذرة في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، كل ذلك حفظًا لنظام هذه الدار عن الفساد الحاصل من حجاب الأكل، وإنما شرَّع في بعض الحدود كفارة بعتق أو طعام أو كسوة أو صوم؛ لزيادة القبح في ذلك الذنب، ولتكون الكفارة حجابًا مانعًا من وقوع البلاء على العاصي، كما تقدم في الكلام على الصوم.

فقلت له: فما وجه تعلق عتق الرقيق وتدبيره وكتابته، وتحريم بيع أمهات الأولاد بالأكلة المذكورة؟

فقال رضي الله عنه: وجه ذلك في الكتابة والتدبير: شره النفس من السيد وعبده، وجهل العبد بكون الرق له أحسن من العتق، وجهل السيد بأن عدم أخذ مال المكاتب أفضل، وما جاءهما الشره والجهل إلا من حجاب الأكل، ووجه ذلك في تحريم بيع أمهات الأولاد: نسيان العبد حقوقهن حين كن فراشًا له واختلطت مياههن بمائه، فكان عتقهن كفارة لذلك النسيان، وسبب ذلك حجاب الأكل، والله تعالى أعلم.

فقلت له: فما وجه تعلق مشروعية نصب الإمام الأعظم وسائر نوابهم من الأمراء والقضاة ونوابهم بالأكلة المذكورة؟

فقال رضي الله عنه: وجهه ظاهر؛ وهو أنه لولا الإمام ونوابه ما نفذ شيء من الأحكام، ولا أقيم شيء من الحدود، ولا قام لدين الإسلام شعار، وأصل الإخلال بذلك كله: حجاب الأكل، فلولا الأكل ما تعدينا حدود الله، ولا احتجنا لنصب إمام ولا أحد من النواب، وكنا نعطي الحقوق التي علينا لأربابها قبل المطالبة كما عليه طائفة الأولياء المكملين والعلماء العاملين.

ولكن لما كان الخلق كلهم لا يقدرون على المشي على هذا النمط احتاجوا

لتولية أصحاب الشوكة؛ ليحموا نفوسهم وأموالهم وحريمهم من الفسقة والمتمردين؛ ليخلصوا الخراج لبيت مال المسلمين، فلولا أصحاب الشوكة ما انتظم أمر الناس، ولا كان جهاد، ولا جمع عساكر، ولا بيت مال ينفق منه على العساكر، وكانت تضيع مصالح الخلق أجمعين، فالحمد لله رب العالمين، فليتأمل في هذه المقالة ويحرر إن كان فيه خلل ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 218].

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن أكل آدم عليه السلام من الشجرة: هل هو عين ما عصى به، أو عين المعصية القرب من الشجرة دون الأكل، كما قال به الشيخ محيي الدين وغيره؟ وهل نقَّص ذلك الأمر من مقامه الكريم؟

فقال رضي الله عنه: جمهور المحققين من العلماء والعارفين إنما أوخذ بالقرب من الشجرة لا بالأكل، وأن الأكل إنما هو من توابع القرب، وعلى أنه عليه السلام لم ينقص مقامه بذلك، وإنما تزايد به فضله وكماله؛ إذ الأنبياء من شأنهم دائمًا الترقي، فلا ينتقلون قط من حالة إلا لأعلى منها، حتى قال الشيخ أبو مدين المغربي رضي الله عنه: لو كنت مكان آدم عليه السلام لأكلنا الشجرة كلها، لما حصل في الأكل منها من البركة من خروج جميع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وجميع المؤمنين من ظهره، فإن تلك الجنة التي كان فيها لم تكن محلاً للتناسل. انتهى.

قلت: ويحتمل أن يكون مراد أبي مدين بهذا القول: إظهار عجزه عن كف نفسه عن الأكل من تلك الشجرة هضمًا لنفسه عن وصوله إلى قوة عزم آدم عليه السلام كما قال صلى الله عليه وسلم: «**نحن أولى بالشك من إبراهيم**»[(1)] بقصد الثناء على إبراهيم عليه السلام وذلك أن إبراهيم ما شك في إحياء الموتى، ولكن لما علم أن إحياء الموتى وجوهًا متعددة ولم يدرِ بأي وجه منها يكون إحياء الله تعالى الموتى، وهو مجبول على طلب العلم، فعيَّن الله له وجهًا من تلك الوجوه حتى سكن إليه قلبه، فعلم كيف يحيي الله الموتى.

(1) أخرجه بنحوه البخاري (4263)، ومسلم (151)، وأحمد (8311)، والنسائي (11050)، وابن ماجه (4026)، وابن حبان (6208)، وأبو عوانة (230).

وكذلك المعنى في قوله ﷺ في يوسف: «**لو كنت مكانه لأجبت الداعي**»[1] إنما ذكر ذلك لنا على يوسف؛ لتحمله شدة ما افترته عليه امرأة العزيز، وقد اجتمع في يوسف وهو رسول الله تعالى حالان شديدان: حال السجن، وحال كونه مفترى عليه، والرسول يطلب أن يقرر في نفوس أمته ما يقبلون به من دعائهم إلى الخير الذي جاء به عن ربه إليهم، والذي نسب إليه معلوم عند كل أحد أنه لا يقع في مثله، فلا بد أن يطلب البراءة بذلك عندهم؛ ليؤمنوا بما جاء به من عند ربه، ولم يحضر بنفسه ذلك المجلس حتى لا يدخل الشبهة نفوس الحاضرين بحضوره، فإن البراءة في غيبته أتمّ من براءته في حضوره؛ لأنه ربما يقال: أنه روعي في ذلك إذا حضر، والله أعلم.

فقلت له: فهل هذا الحكم الذي قدمناه في حق آدم عليه السلام خاص به، أم هو لكل مقرب من ذريته؟

فقال رضي الله عنه: ذهب الشيخ محيي الدين رحمه الله إلى أن ذلك لكل مقرب بحكم الإرث له في ذلك المقام، لكن بشرط التوبة الشرعية، كما وقع لآدم عليه السلام ولا ينقص مقامهم جزمًا لإصرارهم، فعلم أن أحدًا من الخواص لا ينزل عن مقامه العلي بارتكاب بعض الزلات خلاف ما يتبادر إلى الأذهان، لاسيما صاحب الزلة حين يرى رأسه صارت منكسة لا يقدر أن يرفع رأسه في وجه أحد؛ لما هو عليه من الخجل والانكسار وكثرة الوحشة والذل والمسكنة، واحتقار الناس له بعد أن كانوا يُقبِّلون أقدامه، فهذا يظن جزمًا أنه نزل عن مقامه الكريم، والحال أنه ترقى بالذل والمسكنة فوق ما كان عليه فيه من العجب والزهو بحاله وعلمه وصلاحه.

ومن كلام الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: «**معصية أورثت ذلاً وانكسارًا خير من طاعة أورثت غلاً أو استكبارًا**» فتأمل ذلك فإنه نفيس.

ثم إن آدم عليه السلام مع علمه بما وقع منه كان بقضاء وقدر سابق لا محيص له عنه قام بأدب العبودية وندم واستغفر وبكى، وقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا

---

(1) انظر: التخريج السابق.

وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23] نصرة لجانب الحق على جانب نفسه، وفتح باب الجنة لذريته بالتوبة والاستغفار، كما فتح إبليس باب النار بالإبانة والاستكبار؛ ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً، فالكامل من اقتدى بأبيه في ذلك ولم يحتج بالقضاء، والله تعالى أعلم. وقد بسطنا الكلام على إقامة العذر لآدم عليه السلام بنحو كراسة.

قلت: وقد ذكر في «الفتوحات» في الباب التاسع والثلاثين نحو ما ذكرناه هنا، فوافق الكشف ذلك الكشف ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 32].

كبريت أحمر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل نزلت أحكام الدين الخمسة من محل واحد أم من أماكن متعددة؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم الآن في ذلك شيئًا، ولكن راجعني في وقت آخر، فمات ولم يُجب عن ذلك رضي الله عنه، فلما اختصرت «الفتوحات المكية» للشيخ محيي الدين بعد موت شيخنا ـ رضي الله عنه ورحمه ـ رأيت المسألة فيه مبسوطة، فأحببت إلحاقها بهذا الموضع لتستفاد.

فذكر رضي الله عنه في الباب الثامن والخمسين ما نصه: اعلم أن جميع أعمال بني آدم لا تجاوز سدرة المنتهى؛ لأنه نهاية كل أمر على ما منه بدأ، والسدرة هي المرتبة الخامسة، فإن الأمر الإلهي نزل من قلم إلى لوح إلى عرش إلى كرسي إلى سدرة، فظهر الواجب من القلم، والمندوب من اللوح، والمحظور من العرش، والمكروه من الكرسي، والمباح من السدرة، وذلك أن المباح قسم النفس، وإليها ينتهي نفوس عالم السعادة، ولأصولها ـ وهي الزقوم ـ ينتهي نفوس أهل الشقاء.

قال: فإن قال لك من لا علم له بهذا الأمر: إن الكرسي محل بروز الأمر والنهي، فقلت له: ذلك عالم الخلق والأمر، وأطال في ذلك.

ثم قال: اعلم أنه يكون من القلم نظرًا إلى الأعمال المفروضة فيمدها بحسب ما يرى فيها، ويكون من اللوح نظرًا إلى الأعمال المندوبة، فيمدها

بحسب ما يرى فيها، ويكون من العرش نظرًا إلى المحظورات، فيمدها بالرحمة؛ لأن العرش مستوى لاسم الرحمن، فلا ينظر أهل حضرته إلا بعين الرحمة كل بما يناسبه من مسلم وغيره، ويكون من الكرسي نظرًا إلى الأعمال المكروهة، فينظر إلى أهلها فيسرع العفو والتجاوز عنهم، ولهذا كان يؤجر تارك المكروه ولا يؤاخذ فاعله، وكتاب الأبرار في عليين، ويدخل فيهم أهل الكبائر والصغائر من المسلمين، وكتاب الفجار في سجين، وفيه أصول شجرة الزقوم كما مر، فهناك ينتهي أعمال الفجار في أسفل سافلين. انتهى.

قلت: وقد بسط الشيخ الكلام على ألواح المحو والإثبات الثلاثمائة وستين في الباب السادس عشر وثلاثمائة، وبسط الكلام على معارج الملائكة بالأمر الإلهي من العرش إلى الكرسي إلى السماء إلى الأرض في الباب السابع وثلاثمائة من «الفتوحات» فراجعه، والله أعلم.

بلخش

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قولهم: «**الشأن الإلهي أو الحكم إذا وقع لا ينقطع فلا بد له من قائم يقوم به ما بقيت الدنيا**» ونرى الوحي والأحكام ترتفع أيام الفترات، فما حقيقة هذا الأمر الذي لا يرتفع؟

فقال رضي الله عنه: اعلم أن روح الوحي في كل عصر إنما هو ما فيه من جميع نظام العالم، فإذا فقدت الشرائع فالناموس قائم مقامها في ذلك العصر، وهو المعبَّر عنه الآن في دولة بني عثمان بالقانون، فعلم أن شرط جواز استعماله إنما هو في بلاد لا شريعة فيها.

ويسمي هذا: سياسة حِكمية ـ بكسر الحاء ـ وطريقه في الأمم السابقة الإلقاء بمثابة الإلهام عندنا، فكان الحق تعالى يلقي في قطر نفوس الأكابر من الحكماء الحكمة، فيحدون الحدود ويضعون النواميس في كل مدينة وإقليم بحسب مزاج ما يقتضيه أهل تلك الناحية وطباعهم، فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوهم، كما انحفظت هذه الأمور بالشريعة الآن.

وسموا تلك الحكمة في عرفهم: نواميس خير فإن الناموس في العرف الاصطلاحي هو الذي يأتي بالخير، عكس الجاسوس، فهذه النواميس الحكمية

التي وضعها العقلاء عن الإلهام من الله من حيث لا يشعرون لمصالح العالم ونظم شمله وارتباطه، ولم يكن لواضعي هذه الأمور علم بها، ولا بأن ثَمَّ جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور ولا حساب، ولا شيء من أمور الآخرة؛ لأن ذلك ممكن، وعدمه أيضًا ممكن، ولا دليل لهم في ترجيح أحد الممكنين، بل رهبانية ابتدعوها لصالح هذه الدار لا غير، فبان لك ما هو الشأن الإلهي الذي لا يرتفع.

قلت: قد ذكر الشيخ في الباب التاسع والستين من «الفتوحات» أنه يتعين استعمال النواميس الوضيعة والنواميس السلطانية أيام الفترات بجمع شمل العالم، ويأجر الله من وضع ذلك، وأطال في ذلك، والله أعلم.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: «**بادرني عبدي**»(1) في حق من قتل نفسه بيده، والجمهور على أنه لا يموت أحدٌ إلا بأجله، فكيف الحال؟

فقال رضي الله عنه: لا إشكال في هذا الحديث؛ لأن العبد ما بادر أمر الحق إلا بمشيئة الحق، فكأنه تعالى يقول: من قتل نفسه بغير أمري فهو عاصٍ لأمري، مطيع لإرادتي، فإن مخالفة الأمر فرع من تخصيص الإرادة، فلا يموت أحد إلا بأجله إلا أن يكون موته عقوبة أو اعتبار، كقوم موسى حين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153].

و﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: 243].

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: 259] فإن هؤلاء لم يموتوا بآجالهم، ولذلك بعثهم الله ليكملوا بقية آجالهم المضروبة لهم في علم الله تعالى.

قلت له: فهل يموت أحد من غير واسطة عزرائيل ملك الموت؟

فقال: ما ثَمَّ أحد حتى يَرِد عليه عزرائيل ملك الموت الموكل بقبض أنفس

(1) أخرجه البخاري (3463)، وأبو عوانة (105).

جميع الخلائق متشاكلاً لكل نفس بمشاكلة، وعملها عملها حسن بحسن يسر صاحبه، وقبيح بقبيح يفزعه.

قال: وهو الأجل المفضي لا المسمى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ [الأنعام: 2].

فقلت له: فما المراد بهذا الأجل الذي عنده؟

فقال: المراد به: أجل الروحانية التي خُلقت قبل الأجسام بألفي عام، بأنها مستمرة الحياة إلى الصعق الأخروي حتى تصعق الأرواح بالنفخة الكلية فتخمد، فلا يبقى روح على ظاهر الأرض ولا في باطن البرزخ إلا ماتت.

وذكر في الباب الرابع والسبعين ومائتين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 2] يعني: في البعث، فإن الموت لا يمترون فيه، فإنه مشهود لهم في كل حيوان، فراجعه فيما لخصناه من أبواب «الفتوحات».

فقلت: فهل للطائفة الذين لا يصعقون عند النفخة أجل مسمى يخصهم؟

فقال ﷺ: ذهب قوم إلى أنهم لا يصعقون أبدًا، قالوا: لأن الله تعالى أنشأهم على حقائق لا تقبل الموت الذي نذهب إليه، أنهم يموتون بعد ذلك تحقيقًا لوعده، وتمييزًا لصفة القدم عن الحدوث، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ [غافر: 16] فلا يجيبه أحد، وعلى ما ذهب إليه قوم يخصص عدم الإجابة بمن صعق؛ يعني: فلا يجيبه أحد ممن صعق، ويكون الاستثناء منقطعًا، قال: وما ذهبنا إليه أولى.

فقلت له: فما المراد بالصور الذي ينفخ فيه؟

فقال: هو الحضرة البرزخية التي ننتقل إليها بعد الموت، وتشهد نفوسنا فيها، وهو المسمى بالناقور، اختلف عليه الأسماء لاختلاف الصفات، فكل روح قبضه الله تعالى من هذه الأجسام أودعه تعالى صورًا جسدية في مجموع الصور المكنى عنه بالقرن النوري.

فقلت له: فهل صرح بذلك أحد غيركم؟

فقال: نعم، صرح به الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور رَحِمَهُ اللَّهُ في «عقيدته».

فقلت له: فهل يموت الموت من حيث إنه مخلوق، فقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: 2]؟

فقال: نعم، يموت الموت كغيره.

فقلت له: فمن يتولى قبض روحه؟

فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يتولى قبض روحه الحياة الأبدية، كما أنه لا يذبح الموت إذا تمثل في صورة كبش إلا يحيى بن زكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بشارة لأهل الجنة بالحياة التي لا موت بعدها، وغمًّا لأهل النار، والله أعلم.

فيروزج

سألت شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن منكر ونكير: هل يأتيان الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أم لا يأتيانهم لعصمتهم؟

فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: منكر ونكير بوابان للبرزخ لا يتعداهما أحد حتى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لكنه في حقهم سؤال تكريم وتعبد باللفظ كما يتلفظ الإنسان بالأذكار مع إقراره بها في الباطن.

قلت: ولم يبلغنا أن أحدًا من الأمم السابقة يسأل عن نبيه كهذه الأمة، والله أعلم.

فقلت له: فإذا وقع السؤال للأنبياء فعمَّ يسألون؟

فقال: يسألون عن جبريل ـ عليهم السلام ـ هل بلَّغهم رسالة ربهم؟ فيقولون: نعم.

فقلت له: فهل يتشاكلان لكل أحد بشاكلة اعتقاده؟

فقال: نعم، يتشاكلان له كذلك، ويسألانه عمَّا ورد في الأخبار: من ربك، من نبيك، إلى آخر ما ورد، فلا يتعدى أحد البرزخ حتى يسألانه سواء أكان في القبر، أو في حواصل الطير، أو في بطون السمك، أو مهاب الرياح، والله أعلم.

زبرجد

سألت شيخنا عن قوله ﷺ: «القبور روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»[1] ما المراد بالجنة والنار هنا؟ هل المراد بذلك التشبيه بالجنة الكبرى أو النار الكبرى ـ بإسقاط كاف التشبيه ـ أم المراد بهما حقيقتهما؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم الآن ذلك. انتهى.

فلمَّا مات الشيخ رحمه الله رأيت الجواب عن ذلك في رسالة الشيخ صفي الدين ابن أبي منصور صاحب «طبقات الصوفية»[2] فأحببت ذكره هنا، فأقول: قال الشيخ المذكور: حيث ذكرت الجنة أو النار فيما قبل البعث أو النشور فالمراد بهما: جنة البرزخ وناره، لا الجنة والنار المدخرتين في علم الله عز وجل لأن هاتين إنما يدخلهما الناس بعد البعث والحساب والميزان والصراط.

قال: وقد ورد: أنه ﷺ صلى بالناس الكسوف فتقدم ثم تأخر، فسألوه عن ذلك؟ فقال: «**رأيت الجنة والنار في مقامي هذا، فلما رأيت الجنة تقدمت لآخذ منها قطفًا من عنبها، فلو أخرجت به إليكم لأكلتم منها ما بقيت الدنيا**»[3] أو ما هذا معناه.

وأخبر: أنه رأى في النار عمرو بن لحي الذي سيب السوائب، ورأى فيها المرأة التي حبست هرة حتى ماتت، ولما تأخر في موقفه ذلك قال: «**خِفت أن يصيبني من لفحها**»[4] وكل هذا كان منه ﷺ في حال يقظته وهو يصلي.

وقال ﷺ: «**رأيت جنة الآخرة ونارها**»، بل قال: «**في عرض هذا الحائط**»[5] الذي هو من دار الدنيا، ومعلوم أن أرواح هؤلاء الذين رآهم في النار

---

(1) أخرجه الترمذي (2648)، والطبراني في الأوسط (8852).

(2) له الرسالة في التصوف (بتحقيقنا).

(3) أخرجه أحمد (21287)، والحاكم في المستدرك (8788).

(4) أخرجه أحمد (14457)، وعبد بن حميد (1012)، ومسلم (904)، وابن أبي شيبة (8304)، وأبو داود (1178).

(5) أخرجه البخاري (6864)، ومسلم (2359)، وابن ماجه (4191)، وأحمد (12681).

إنما هي الآن في البرزخ، ولا يدخل النار الكبرى إلا بعد البعث والصراط.

قال تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ [غافر: 46] يعني: في النار الكبرى الذي هو العذاب المحسوس، فإن عذابهم في القبر حس في خيال، فإن النائم الذي يرى في مقامه ما يفزعه يحس بالألم كاليقظة سواء، وأمَّا النار الكبرى فعذابها محسوس، فهو حس في حس.

قال: وفي هذه الجنة البرزخية كان أخذ العهد على الذرية المستخرجة من ظهر آدم عليه السلام وفيها صرف، وفيها منع، وفيها أبيح له ما أبيح، وحجر عليه ما حجر، وجاز عليه وقوعه فيما نهي عنه والخروج منها، ووجود إبليس فيها، وكل هذا ينافي الجنة الكبرى.

قال: وهي جنة شاهقة فوق جبال الياقوت بأقصى الهند، لا يدركها الأولياء إلا من طريق كشفهم؛ لعلوها، فلما وقع من آدم ما وقع في هذه الجنة أُخرج منها للدنيا؛ لقربها منها في المرتبة والإيجاد، ثم لما يخرج الناس من الدنيا بالموت يعودون إلى جنة البرزخ المذكورة مع أبيهم آدم، وكل من انتقل أو ينتقل منهم كذلك، إلى أن يتكامل العدد وينتهي المدد ويبعث من في القبور، فتنقل أحكام البرزخ إلى أحكام الدار الآخرة، وتنضم الأرواح إلى الأجسام كما كانت في الدنيا، ثم تساق إلى المحشر. انتهى.

قلت: وهو كلام يحتاج إلى دليل، والجمهور: على أن المراد بالجنة والنار في الرؤيا: الجنة الكبرى والنار الكبرى، وقد ذكر الشيخ محيي الدين نحو ما قال الشيخ صفي الدين في الباب السادس والعشرين ومائة من «الفتوحات» فراجعه، ثم ليتأمل ويحرر، ومن وجد له دليلاً فليلحقه به هنا، والله غفور واسع.

جوهر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: متى تدخل الأرواح في الأشباح؟ هل تدخل إليها قبل البعث أو عند البعث؟

فقال رضي الله عنه: تدخل الأرواح في الأشباح قبل البعث، وذلك أن الأرض تمطر مطرًا يشبه مني الرجال تمخض منه الأرض، فينشئ الله تعالى منه الخلق النشأة

الآخرة قائمة على عجب الذنب الذي بقي من نشأة الدنيا، وهو أصلها الذي لا يقبل البِلَى، فإذا أنشأه الله النشأة الأخرى وسواه وعدله، استعد لقبول الأرواح كاستعداد الشجرة النارية التي فيها لقبول الاشتعال، فإذا نفخ إسرافيل النفخة الثانية اشتعلت تلك الصورة المستعدة للاشتعال الذي بأرواحها ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: 68].

قال: فحكم الصور في البرزخ قبل النفخ كالنار إذا انطفت فنفخها إنسان فأوقدت سواء، ثم إذا قاموا من قبورهم ينسى كل واحد حاله في البرزخ بما شاهده من الأهوال العظام، وتخيَّل أن ذلك الذي كان فيه منام كما وقع للمستيقظ من منامه في دار الدنيا، والله تعالى أعلم.

فقلت له: فهل يُحشر المرء في الصورة التي أخذ عليه فيها الميثاق أم يحشر في هذه الصورة الجسمية الدنيوية؟

فقال: يحشر في الصورة التي كان فارقها عند الموت في الدنيا إن كان بقي عليه سؤال لأجل جسده الموصوف بالتكليف، فإن لم يكن بقي عليه سؤال حُشر في السورة التي بدأ بها الجنة أو النار، وأهل النار كلهم مسؤولون بيقين.

فقلت له: فإذا دخلوا الجنة واستقروا فيها، هل يكونون على حالة واحدة بعد ذلك، أم تختلف عليهم الصور؟

فقال رضي الله عنه: إذا دعوا إلى رؤية الله عز وجل يحشرون في صورة لا تصلح إلا للرؤية، فإذا عادوا من حضرة الرؤية حشروا في صورة تصلح للجنة، وفي كل صورة ينسى صورته التي كان عليها، ويرجع حكمه إلى حكم الصورة التي انتقل إليها، فإذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور، فأي صورة رآها واستحسنها دخل فيها، فلا يزال أهل الجنة ينتقلون من صورة إلى صورة أبد الآبدين.

قلت: ورأيت نحو ذلك في كلام الشيخ في «الفتوحات» رضي الله عنه وهو كلام منزعه الكشف، وذكر أيضًا في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة أن التبديل إذا وقع ذلك اليوم في السماوات والأرض يكون في الصور لا في الأعيان، وإن كانت الأعيان أيضًا صورًا.

قال: وفي جوف الفلك المكوكب يكون الحشر والنشر والحساب، ومجيء

العرش الذي يتجلى الحق فيه للفصل والقضاء، ويستحيل جميع ما في الفلك المكوكب إلى الآخرة في صور غير هذه الصور، والله أعلم.

ماس

قلت لشيخنا رضي الله عنه: إذا وقف الناس لرب العالمين وخاف أهل الموقف يدخل فيهما الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؟

فقال رضي الله عنه: لا يدخل الأنبياء في ذلك ولا يخافون؛ لأن الوقوف إنما جعل لمن ينتظر حكم الله فيه، وأمَّا الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر فلا يقفون.

فقلت له: فإذا كلم الله تعالى الخلائق بشيء، هل يقع في أسماع السامعين كلهم واحد، أم يختلف ذلك بحسب أحوال السامعين؟

فقال رضي الله عنه: يختلف ذلك باختلاف أحوال السامعين، فلا يحصل في سمع واحد ما حصل في سمع واحد آخر؛ لأن لكل واحد سؤال يخصه، والله تعالى أعلم.

فيروزج

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الميزان الأخروي: هل هو واحد ويتلوَّن بتلوُّن الخلق، أم هو على عدد الخلائق، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: 47]؟

فقال رضي الله عنه: هو ميزان واحد جامع لتفاصيل جميع موازين الخلائق، يرفع رفعة واحدة فيرتفع سائر موازين الخلائق كلها رفعة واحدة، وكل واحد يرى ميزانه قد رفع وأعماله مودعة في كتبه إلى أن ينقضي حكم الموازنات والمحاسبات، فإن نظرت إلى الميزان الكلي قلت: إنه واحد، وإن نظرت إلى تفاصيل ذلك قلت: إنه كثير، والله أعلم.

قلت: قد رأيت في كلام الشيخ محيي الدين نحو ذلك، وقد ذكرنا عبارته في أواخر كتابنا المسمى بـ«الجوهر الأكبر والكبريت الأحمر» فراجعه، والله أعلم.

زمرد

سألت شيخنا ﷺ عن التأويل لآيات الصفات وأخبارها: هل هو أولى أم الإيمان بها كما جاءت؟

فقال ﷺ: الأكمل التأويل لضعيف العقل وعدم التأويل للإنسان في نفسه؛ ليحوز كمال الإيمان بما أنزل الله، ومن عمل على جلاء مرآة قلبه أفصح له كل مشكل. انتهى.

قلت: قد ذكر الشيخ محيي الدين في «الفتوحات» في الباب الخامس وأربعمائة وغيره ما نصه: أسلم العقائد: الإيمان بما أنزل الله على مراد الله؛ لأن الله لم يكلفنا أن نعلم حقيقة نسبة الصفات إليه؛ لمباينة حقيقته تعالى لسائر الحقائق.

قال: وقد انقسم المؤولون لآيات الصفات وأخبارها على طوائف:

ـ **فطائفة**: طعنت في الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فجعلتهم تحت سلطان الخيال والأوهام، وهؤلاء من الأخسرين.

ـ **وطائفة**: قالت بأن الرسل أعلم الناس بالله تعالى، لكنهم تنزلوا في الخطاب على قدر أفهام الناس لا على ما هو الأمر عليه، فإنه محال، فهؤلاء كالمكذبين لله ورسوله فيما نسبه ﷺ إلى ربه بحسن عبارة، كما يقول الإنسان إذا أراد أن يتأدب مع شخص تحدث بحديث يرى السامع أنه ليس كما قال المخبر، فلا يقول: كذبت، وإنما يقول له: صدقتم سيدي، ولكن ليس الأمر كما ذكر سيدي، وإنما صورته كذا وكذا، فهو يكذبه ويجهله بحسن عبارة.

ـ **وطائفة**: قالوا: لا نقول بالتنزه في العبارة إلى أفهام الناس، وإنما المراد بهذا الخطاب كذا وكذا، دون ما يفهمه العامة.

قال: وهذا موجود في اللسان الذي جاء به هذا الرسول، فهؤلاء أشبه حالاً ممن تقدم، إلا أنهم متحكمون في ذلك على الله تعالى بما لم يحكم به على نفسه.

ـ **وطائفة**: قالوا: نؤمن بهذا اللفظ كما جاء من غير أن نعقل له معنى حتى يكون في الإيمان به في حكم من لم يسمع به، ونبقي على ما أعطانا دليل العقل

من إحالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول، فهؤلاء أيضًا متحكمون بحسن عبارة في جعلهم نفوسهم حكم من لم يسمع الخطاب.

ـ **وطائفة**: قالوا: نؤمن بهذا اللفظ على علم الله فيه وعلم رسله، فهؤلاء لسان حالهم يقول: إن الله خاطبنا بما لم نفهم، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 4] وقد جاء بهذا، فقد أبان كما قال تعالى.

ـ **وطائفة**: قالوا: لا نشك في صدق رسولنا، ولكنه أتانا في نعت الله الذي أرسله إلينا لأمور إن وقفنا عند ظاهرها وحملناها على ربنا كما نحملها على نفوسنا أدى ذلك إلى حدوثه وزوال كونه إلهًا، وقد ثبت كونه إلهًا، فننظر هل لها مصرف في اللسان؟ فإن الرسول إنما يُرسل بلسان قومه، فنظروا فأدَّاهم ذلك إلى تنزه الحق تعالى عمَّا وصف به نفسه، فإذا قيل لهم: ما دعاكم إلى ذلك؟ قالوا: دعانا إلى ذلك أمران:

الأول: القدح في الأدلة، فأتى بالأدلة العقلية؛ إذ في ذلك قدح في الدلالة على صدقه.

الثاني: أن رسول الله ﷺ قال لنا: إن الله الذي أرسله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: 11] فوافق ذلك الأدلة العقلية، فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا.

قلنا: ما قاله في الله على ظاهره ضللنا، فلذلك أخذنا في التأويل إثباتًا. انتهى. وهذا أسلم الطرق لمن لا كشف عنده.

وذكر الشيخ أيضًا في الباب الخامس عشر وثلاثمائة ما نصه: اعلم هداك الله أن من الأدب الإيمان بآيات الصفات وعدم الكيف كما جاءت ولا نؤولها؛ لأنا لا ندري هل ذلك التأويل مراد الله بما قاله فنعتمد عليه، أو ليس بمراده فيرده علينا، فلهذا التزمنا التسليم في كل ما لم يكن عندنا منه علم من الله تعالى.

فإذا سُئلنا: كيف يتعجب الحق تعالى أو كيف يفرح مثلاً؟ قلنا: إنَّا مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله به، وإنَّا مؤمنون بما جاء على رسول الله، ونكل علم الكيف في ذلك كله إلى الله تعالى وإلى رسله، وقد تكون الرسل بالنسبة إلى الله تعالى في هذا الأمر مثلما ترد عليهم هذه الإخبارات من الله تعالى، فيسلمون

علمها إليه تعالى كما سلمنا، ولا نعرف تأويل هذا إلا بعده، وقد نعرف تأويله بتأويل الله بأي وجه كان؟ هذا أيضًا لا يبعد.

قال: وهذه كانت طريقة السلف، جعلنا الله لهم خلفًا، آمين.

وقد ذكر الشيخ أيضًا في الباب الرابع والثمانين وثلاثمائة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] اعلم أن الظلم هنا هو الشرك، والإيمان هو الإيمان بتوحيد الله؛ لأن الشرك لا يقابله إلا التوحيد.

قال: ومن هنا ترك التأويل ممن تركه العلماء ولم يقل به، واعتمده على الظاهر، ووكل علم ذلك إلى الله تعالى، فمن أعلمه الله تعالى بما أراده في كلامه كان علمه بإعلام الله لا بنظره وفكره، ثم إنه من رحمة الله بخلقه أنه غفر للمتأولين من أهل هذا اللسان إذا أخطأوا في تأويلهم فيما تلفظ به رسولهم من تشريع الله أو من تشريع رسول الله ﷺ.

وذكر الشيخ أيضًا في الباب الثاني وثمانين وثلاثمائة: من أراد الدخول إلى حضرة فهم كلام الله فليترك ويقدم بين يديه شرعة، ويقول لعقله: أنت عبد مثلي، فكيف أترك ما نسبه الحق لنفسه لعجزك أنت عن تعقله، فإنك قاصر عن معرفة الله، ولو أنك ألزمت نفسك الإنصاف للزمت حكم الإيمان والتقى، وجعلت النظر والاستدلال في غير ما لم يرد عن ربك ﷻ. انتهى.

وذكر الشيخ أيضًا في الباب الثاني من «الفتوحات» ما نصه: اعلم أن جميع ما ورد في الكتاب والسنة من آيات الصفات التي توهم التشبيه وغير ذلك مما لا يليق بجلال الله إنما هو تنزل لعقول العرب، فإن القرآن جاء على لغتهم، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: 8-9] فإن ملوك العرب كان عبدها المقرب والمكرم عندها يجلس عندها بهذا القدر، فعرفت بذلك قرب محمد من ربه ﷻ ولا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب، وأطال في ذلك.

ثم قال: واعلم أن الألفاظ عند العرب على أربعة أقسام:

ألفاظ متباينة: وهي الأسماء التي لم يتحد مسماها، كالبحر والمفتاح والمقص.

وألفاظ متواطئة: وهي كل لفظ يطلق على آحاد جنس ما من الأجناس، كالرجل والمرأة.

وألفاظ مشتركة: وهي كل لفظ ورد على صيغة واحدة ويطلق على معانٍ مختلفة، كالعين والمشترى والإنسان.

وألفاظ مترادفة مختلفة الصيغ: ويطلق على معنى كل واحد، كالأسد والهِزَبْر والغضنفر، وكالسيف والحسام والصارم، وكالخمر والرحيق والصهباء، فهذه الأمهات، وثم ألفاظ متشابهة ومستعارة ومنقولة، وكلها ترجع إلى الأمهات، مثل: النور يطلق على المعلوم وعلى العلم. انتهى.

وذكر في الباب الثالث من «الفتوحات» ما نصه: ما ضلَّ من ضلَّ من المتشبهة إلا بحمل ما وردت به الآيات والأخبار على ما يسبق منها إلى الأفهام من غير نظر فيما يجب لله تعالى من التنزيه، فقادهم ذلك إلى الجهل المحض والكفر الصراح، ولو أنهم طلبوا السلامة وتركوا الآيات والأخبار على ما جاءت به من غير عدول منهم فيها إلى شيء ألبتة، ووكلوا علم ذلك إلى الله ورسوله لأفلحوا، وكان يكفيهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11].

فمتى جاءهم حديث فيه تشبيه قالوا: إن الله تعالى قد نفى التشبيه عن نفسه، فما بقي إلا أن ذلك الخبر له وجه من وجوه التنزيه، وجيء بذلك لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه، فإنك لا تجد قط لفظة في خبر ولا آية جملة واحدة تكون نصًا في التشبيه أبدًا، وإنما تجدها عند العرب تحتمل وجوهًا:

منها: ما يؤدي إلى التشبيه.

ومنها: ما يؤدي إلى التنزيه، فحمل المتناول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي إلى التشبيه، جوَّز على ذلك اللفظ؛ إذ لم يوفِّه حقه بما يعطيه وضعه في اللسان، وأيضًا فإن في ذلك تعديًا على الله حيث حمل عليه ما لا يليق به تعالى.

وذكر في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة ما نصه: قد نهانا الشارع عن التفكر في ذات الله أشد النهي، فعصى ذلك أهل النظر كالقدماء من المتكلمين وبعض المتصوفة كأبي حامد وغيره ممن يزعم أنه من أهل الله، واحتجوا بأمور هي عليهم لا لهم، ثم بعد استيفاء النظر أقروا بالعجز، فلو كان ثم معهم إيمان كامل وعلم وافر لكان ذلك الإقرار في أول قدم، فتعدى هؤلاء حدود الله التي

هي أعظم الحدود، وجعلوا ذلك التعدي قربة إليه، ولم يعلموا أن ذلك عين البعد منه.

وذكر الشيخ أيضًا في الباب السابع والسبعين وثلاثمائة ما نصه: يجب الإيمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكلف من آدم، فقد أخبر الله ورسوله أن له تعالى يدين وإصبعين، وعين وأعين، ومعية وضحك، وفرح وتعجب، وإتيان ومجيء، واستواء ونزول، وبصر وعلم، وكلام وصوت، وأمثال ذلك من هرولة وحد، ومقدار ورضا وغضب، وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة إلى الله، يجب الإيمان به؛ لأنه حكم به الحق على نفسه، فهو أولى مما حكم به مخلوق وهو العقل، ولذلك احتاج صاحب العقل إلى التأويل حتى يقبله عقله، فإنه ما أول إلا حتى لا يخرج عن حكم عقله، فكأنه في تصديقه لله تعالى مكذب له. انتهى.

وذكر في الباب الثالث من «الفتوحات» ما نصه: اعلم أن العلم بالله يجلّ عن إدراك العقل لا من حيث إنه تعالى موجود لا غير، وكل ما يتلفظ به في حق المخلوقات أو يتوهم في المركبات وغيرها فهو سبحانه بخلاف ذلك، لا يجوز عليه ذلك التوهم، ولا يرى عليه ذلك اللفظ من الوجه الذي يقبله المخلوقات، وإن أطلق عليه فعلى وجه التقريب على الأفهام؛ لثبوت الوجود عند السامع لا لثبوت معرفة الحقيقة التي هو عليها تعالى الله عن ذلك ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: 11] فما طلب تعالى منها إلا العلم بالوجود لا غير، وأمَّا الحقيقة فلا، وأطال في ذلك.

فعلم أن جميع ما وصف به الحق تعالى نفسه من صفات الأفعال من خلق وإحياء وإماتة، ومنع وعطاء، ومكر وكيد واستهزاء، وفصل وقضاء، وضحك وفرح، وتعجب وتبشبش، وقدم ويد، ويدين وأعين، وذراع ونحو ذلك، كله نعت صحيح لربنا، فإننا ما وصفناه به من عند أنفسنا، وإنما هو تعالى وصف نفسه به على ألسنة رسله، وهو تعالى الصادق وهم الصادقون بالأدلة العقلية، ولكن على حد ما يعلمه هو، وعلى حد ما يقبله ذاته وما يليق بجلاله، ولا نرد شيئًا من ذلك ولا نكيفه، ولا نقول بنسبة ذلك إليه إلا على غير الوجه الذي ننسبه إلينا، ونعوذ بالله أن ننسبه إليه على حد علمنا به، فإننا جاهلون بذاته في هذه الدار.

وكل من رد شيئًا أثبته الحق لنفسه على ألسنة رسله، فقد كفر بما جاء من عند الله ومن آمن ببعض ذلك وردَّ بعضًا فقد كفر كذلك، ومن آمن بذلك ولكن شبهه في نسبة ذلك إليه ﷺ مثل نسبتنا إليه، أو توهم ذلك، أو خطر على باله، أو تصور، أو جعل ذلك ممكنًا فقد جهل وما كفر، هذا هو العقد الصحيح كما صرح به الشيخ في الباب التاسع والأربعين ومائة من «الفتوحات» وقد بسطنا الكلام على ذلك في مقدمة كتاب «العقائد»، والله أعلم.

در

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: عقائد العوام بإجماع كل متشرع صحيح العقل صحيحة سليمة، وهم مسلمون ولو لم يطالعوا شيئًا من كتب علماء الكلام ولا عرفوا مذاهب الخصوم؛ لأن الله تعالى أبقاهم على صحة العقل بالفطرة الإسلامية، إمَّا بتلقين الوالد المتشرع أو بالإلهام، وهم من معرفة الحق وتنزيهه على حكم المعرفة، والتنزيه الوارد في ظاهر القرآن، وهم على صواب ما لم يتطرق أحدهم إلى التأويل، فإن تطرق خرج عن حكم العامة والتحق بأهل النظر والتأويل، وهو على حسب تأويله وعليه يلقى الله تعالى فإمَّا مصيب وإمَّا مخطئ بالنظر إلى ما يناقض ظاهر ما جاء به الشارع.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن قول الشبلي، رحمه الله: «**إذا حيطهم به أحاطوا به**» كيف ذلك؟

فقال رضي الله عنه: معنى ذلك: أن الحق تعالى إذا أحيط عباده به أحاطوا به، فإنه لا يحاط به؛ لأنه تعالى لا يقبل الإحاطة به كإحاطة الكون.

قال: وهكذا هي إحاطة الحق تعالى بنفسه، فهو تعالى يعلم نفسه أنها لا تتناهى، ولا يأخذها الحد ولا المقدار؛ لأنه تعالى عاجز عن الإحاطة بنفسه. انتهى.

قلت: وقد رأيت في الباب التاسع والثمانين وثلاثمائة من «الفتوحات» ما

نصه: اعلم أن من الأقوال الفاسدة قول بعض الفلاسفة: «**أن الحق تعالى لا يعلم نفسه**».

قال: لأن العلم بالشيء يقتضي الإحاطة بالمعلوم، وهو تعالى لا يتناهى وجوده ووجود عين ماهيته ليس غيرها، وما لا يتناهى لا يكون محاطًا به إلا أنه لا يتناهى، فقد أحاط علمًا بأنه لا يتناهى لا له ولا للعالم.

قال الشيخ، رَحِمَهُ اللهُ: وهذا وإن كان قولاً فاسدًا فله وجه إلى الصحة، وذلك أنه تعالى يعلم أن ذاته لا تقبل الإحاطة بها؛ لأنه تعالى عاجز عن الإحاطة بنفسه.

قال: وهذه المسألة من مزلات الأقدام، فإن غالب الناس يبادر بالجواب على وجه النصرة للحق ويقول: إن الحق يحيط بنفسه على وجه أنه يحيط بها كما يحيط الكون علمًا ببعضه لا على الذي قررناه، وذلك خطأ. انتهى.

وعبارة الشيخ عبد الكريم الجيلي في الباب الخامس والعشرين من كتابه المسمى بـ«الإنسان الكامل»: اعلم أن الكمال لله تعالى عبارة عن ماهيته، وماهيته غير قابلة للإدراك والغاية، فليس لكماله غاية ولا نهاية، فهو تعالى يدرك ماهيته، ويدرك أنها لا تدرك، وأنه لا غاية لها في حقه ولا في حق غيره لما هي عليه ماهيته في نفسها، فقولنا: يدرك ماهيته وصفًا له بالعلم وعدم الجهل، وقولنا: ويدرك أنها لا تدرك له ولا لغيره، نفيًا لقبول ماهيته الإدراك على وجه التناهي، فلا تقبل الإدراك بوجه من الوجوه إلا على وجه أنها لا تدرك.

قال: ومرادنا بعدم تناهي الذات: نفي البدء أو النهاية، فلا احتياج ولا انتهاء لا زمانًا ولا مكانًا، ومتى فرضت أولاً وآخرًا مسبوقًا بعدم أو متأخرًا عنه عدم فليس ذلك ذات الحق؛ لأن ذاته وجود مطلق.

قال: وهذه مسألة شديدة الغموض، فإياك أن تزلق فيها، فإنها مقام الحيرة، وأطال في ذلك، والله أعلم.

كبريت أحمر

سألت شيخنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] هل

الأولى أن يُقال: أنه تعالى معنا بالعلم أو بالذات؟

فقال ﷺ: الأدب أن يُقال: أنه تعالى معنا بأسمائه وصفاته لا بذاته، وإن كانت الصفات ملازمة للذات، لكن الأدب ألَّا يطلق على الذات المتعالية معيَّة، كما لا يجوز أن يطلق عليها استواء على العرش، وذلك أن غاية تعلق الكون إنما هو بالأسماء والصفات، وأمَّا الذات فلا تعلق لأحد بها، والله أعلم.

قلت: وقد وقع في مسألة المعيَّة عقد مجلس بجامع الأزهر في سنة خمس وتسعمائة، وألَّف في ذلك سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي إبراهيم المواهبي الشاذلي[1] رحمه الله كراسة، وها أنا ذاكر لك عيونها، فأقول وبالله التوفيق: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4].

قال الشيخ رحمه الله: اعلم أن المعيَّة ثابتة عقلاً ونقلاً، ويلزم على اعتقادها وشهودها ذوقًا وعقلاً وحقيقة مصاحبة شيء لآخر سواء أكانا واجبين كذات الله مع صفاته، أو جائزين كالإنسان مع مثله، أو واجبًا وجائزًا، وهو معية الله تعالى لجميع خلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: 35] وما في معناه؛ لما هو معلوم من أن مدلول الاسم الكريم إنما هو الذات الملازمة لها الصفات المقتضية لتعلقها بجميع الممكنات، وليست كمعيَّة متحيزين لعدم مماثلته تعالى لما سواه من المخلوقات المحققة بالجسمية المفتقرة للوازمها

(1) هو إبراهيم أبو الطيب بن محمود بن أحمد بن حسن الأقصرائي الشاذلي، المشهور بالمواهبي، أحد أتباع الشيخ محمد المغربي، والشيخ أبي المواهب. كان حسن الخلق والخلق، سالكًا من الزهد والورع أوضح الطرق، ومع ذلك كان ينفق نفقة الملوك ويلبس ملابسهم، ولا يعلم له جهة يأتيه منها بعض ذلك. وعمل الموشحات، وشرح الحكم، ليس على طريقة الشروح بل هو فوائد مجموعة بمعزل عن شرح الكتاب، وحكايات عن الصالحين، ونحو ذلك. وله كتاب «كشف الجليل عن سر التمويل وبيان مشاهد يا مولاي يا واحد» وكتاب «البارق الأسنى بسر الكنى» وكتاب «الأذكار والدعوات» وكتاب «التفريد وضوابط عقائد التوحيد». ولما احتضر أتاه الشيخ محمد المغربي فقال له: ما تشهد؟ قال: وحدة مطلقة. قال: هنيئًا لك؟ فصعدت روحه فورًا. ودفن بزاويته بقرب قنطرة سنقر سنة 914 هـ. انظر: الطبقات السنية (1/ 241) جامع الكرامات (1/ 246) الكواكب السائرة (1/ 110) النور السافر (49) بدائع الزهور (3/ 63) هدية العارفين (1/ 24).

الضرورية؛ كالحلول في الجهة الأبنية الزمانية والمكانية، بل على ما يليق به تعالى من الكمالات، تعالى الله عن الشبيه والنظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

وبما قررناه انتفى القول بلزوم الحلول في حيِّز الكائنات على القول بمعية الذات، مع أنه يلزم على القول بمعيَّة الصفات دون الذات انفكاك الصفات عنها وبعدها وتحيزها، وسائر لوازم المعية التي لا يصلح إطلاقها على الذات المقدس ولا على صفاته تعالى، وحينئذٍ فيلزم من معية الصفات لشيء معية الذات له وعكسه؛ لتلازمهما مع تعاليهما عن المكان ولوازم الإمكان.

قال: وهذا القول يشبه قول المعتزلة فيما نقله عنهم العلامة القونوي في شرح «عقيدة النسفي» وحكم ببطلانه، حيث قال: وقول المعتزلة وجمهور النجارية: «**أنه تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل؛ لأن من علم مكانًا لا يقال: أنه في ذلك المكان بالعلم فقط، إلا إن انفكت الصفات عن الذات، وأطال في ذلك.**

ثم قال: فعلم أنه يلزم من القول بأنه تعالى معنا بالعلم فقط استقلال الصفات بأنفسها دون الذات، وذلك ممنوع.

وقد ذكر بعض المحققين: أنه ليس في حضرات الأسماء الإلهية ما يعطي التنبيه على أن الحق تعالى معنا بذاته، إلا الاسم الرقيب؛ لأنه على الحقيقة من الرُّقْبَى، وهي: أن تملك رقبة الشيء، فإذا ملكت رقبة الشيء تبعته صفاته كلها وما ينسب إليها.

وقال شيخ الإسلام شمس الدين بن اللبان[1] في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ

---

(1) هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الأسعردي ثم الدمشقي نزيل القاهرة شمس الدين بن اللبان، ولد سنة 85 أو نحوها وسمع بدمشق من ابن غدير وغيره بالقاهرة من الدمياطي وغيره وتفقه وبرع في الفنون ودرس بزاوية الشافعي بالجامع، وتكلم على الناس على طريق الشاذلية فطار له بذلك صيت عظيم، ولكنه ضبطت عليه كلمات على طريق الاتحادية فقام عليه الفقهاء وحضر إلى مجلس القاضي جلال الدين القزويني وادعى عليه عنده، وانتصر له ابن فضل الله إلى أن استنقذ من يد القاضي المالكي شرف الدين عيسى الزواوي بعد أن منع من الكلام وله «ترتيب الأم» للشافعي، واختصر «الروضة» لكنه=

﴿إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ۝٨٥﴾ [الواقعة: 85] في ذلك دليل على أن قربه تعالى من عبده قرب حقيقي مع تعاليه تعالى عن المكان؛ إذ لو كان المراد بقربه القرب بالعلم أو بالقدرة مثلاً لقال: «**ولكن لا تعلمون**» ونحوه.

فلما قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾ [الواقعة: 85] دل على أن المراد القرب الحقيقي المدرك بالبصر، ومعلوم أن البصر لا تعلق لإدراكه بالصفات المعنوية، وإنما يتعلق بالحقائق المرئية.

قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: 16] يدل على ذلك أيضًا؛ لأن أفعل دل على الاشتراك في القرب، ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد؛ وذلك لأن قرب الصفات معنوي، وقرب حبل الوريد محسوس، ففي نسبة أقربيته تعالى إلى الإنسان من حبل الوريد الذي هو حقيقي دليل على أن قربه حقيقي؛ أي: بالذات اللازم لها الصفات.

قال: وبذلك انتفى أن يكون المراد قربه بصفاته فقط، بل قربه بالذات أيضًا؛ إذ الصفات لا تعقل مجردة عن الذات، وأطال في ذلك.

ثم قال: ولا يخفى أنه لا يلزم من ذلك في حقه تعالى المكان؛ لما قررناه في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: 4] لأن «أين» في الآية إنما أُطلقت لإفادة معيَّة الله تعالى للمخاطبين في الأين اللازم لهم لا له تعالى، فهو مع كل صاحب أين، وذلك لعدم مماثلته تعالى لما عداه بوجه من الوجوه.

قلت: وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين من «الفتوحات» ما نصه: ليس الحق تعالى لنا بأين وإن كنا نحن له أين؛ لأن من لا

= تعاني تعقيد الألفاظ فلا يفهم، واختصر «علوم الحديث» وله مختصر في النحو وتفسير سور وكتاب على لسان الصوفية، وفيه من إشارات أهل الوحدة وهو في غاية الحلاوة لفظًا، وفي المعنى سم ناقع. قال الأسنوي: كان عارفًا بالفقه والأصلين والعربية أديبًا ذكيًا فصيحًا ذا همة وصرامة وانجماع، وعمل في كائنة الكمال جعفر الأدفوي مقامة حط عليه فيها. قال العثماني قاضي صفد: رأيته بمكة وقت صلاة الجمعة وأمير الحج يضرب الطائفين، ويقول: اجلسوا للصلاة فقام عليه وأمسك بكتف. وقال: نبيك قال: «لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت أي ساعة شاء من ليل أو نهار» فسقطت العصا من يد الأمير وقبل يد الشيخ، قال: فاتفق أنه لما خرج الخطيب جلس الناس دفعة واحدة. مات في الطاعون العام سنة 749.

أينية له لا يقبل ذلك، وأمَّا نحن فنقبل الأين، ونظير ذلك أن المكان لا يقبل المكان، فلا أين للأين إلا لمن له أين. انتهى. فليتأمل ويحرر.

قال سيدي محمد المغربي الشاذلي[1]، شيخ الشيخ جلال الدين السيوطي[2]، رحمهما الله: واعلم أن معيته تعالى أزلية ليس لها ابتداء؛ لثبوت الأشياء أزلاً في علمه تعينًا بلا بداية؛ لتعلقه بها تعلقًا يستحيل عدمه؛ لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم، واستحالة طرئان تعلقه بها؛ لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد أن لم يكن، وكما أنها أزلية كذلك هي أبدية؛ أي: ليس لها انتهاء، فهو معها بعد حدوثها من العدم عينًا على وفق ما في العلم يقينًا، وهكذا أينما كانت في عوالم بساطتها وتركيبها وإضافتها، وتجريدها من الأزل إلى ما لا نهاية له، وأطال في ذلك.

ثم قال: وما قررناه لك في المعيَّة هو الحق الذي لا شك فيه، فاعتمده ودع ما ينافيه واعتمده، لكن منزهًا لمولاك حق التنزيه، ومخلِّصًا لعقلك من شبهات التشبيه. انتهى كلام الشيخ إبراهيم مع زيادة إيضاح من كلامي، والله أعلم.

مرجان

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: ربما يجد العبد في نفسه خجلاً إذا وقعت

---

(1) هو سيدي محمد المغربي، القاطن بالقلعة، صوفي مجذوب، يغلب عليه الصحو. له من الأحوال ما يقصر عن استقصائه العبارة.
من كراماته أنه لما فحش أمر جند مصر شكي له ذلك فقال: سيأتيهم رجل يكون زوال سطوتهم على يده، وربما أراق دماء بعضهم وأذل آخرين. فكان كذلك.
وهو ممن يتحمل مدلهمات مصر، فيما أخبرني به الولد، وإذ بدا ما سيقع من المكروه في الظهور طاف حوانيت مصر، وأخذ منهم الدراهم، وفرقها على محاويج الفقراء، فيندفع أو ينحل.
قال الحمصاني: ودأبه أنه إذا رأى ولدك قال: أدام الله هذا المدد - وربما قبل يده- ووقف تجاهه مطرق الرأس ويقول: ما أقول في حق سلطاننا يا سيدي؟ إن ترضَ عني فلا أبالي، وإلا فلا حال لي، ولا موالي. وانظر: كرامات الأولياء (1/ 195)، والكواكب الدرية (867). انظر ص (182).

(2) سبقت ترجمته ص182.

المسامحة أكثر ما يجده إذا وقعت المؤاخذة؛ وذلك لأن العقوبة جزاء، والراحة تكون بعد استيفاء الحقوق، فهي بمنزلة صاحب حق أوفيناه حقه، ولا كذلك المسامحة، فلا يزال صاحبها خجلاً من سيده كلَّما تذكر ذنبه.

وسمعته يقول: ما من كامل إلا وتضره الذنوب؛ لأنه مكلف بترك المعاصي شرعًا ولو بلغ أقصى درجات الكمال، هذا ظاهر الشرع، وأمَّا حاله فيما بينه وبين الله فهو تحت المشيئة، وتأمل قوله ﷺ فيمن علم أن له ربًّا يغفر الذنب ويؤاخذ بالذنب، يقول الله ﷻ في الثانية أو الثالثة: «**افعل ما شئت فقد غفرت لك**»(1) لم يقل: «**أبحت لك**» ومعلوم أن المغفرة لا تكون إلا عن ذنب.

فقلت له: فهل يصح لعارف الاطلاع على أن الله تعالى يؤاخذه بما فعل؟

فقال: ذلك ممكن، لكن لم يبلغنا وقوعه لأحد.

فقلت له: فإذا قدَّر الله على عارف بدخول النار هل تزول ولايته؟

فقال: النار للعارفين منزلة الأمراض التي ابتلاهم الله بها في دار الدنيا عقوبة أو تكفيرًا أو رفع درجات، فكما لا يحط المرض العارف عن ولايته فكذلك عقوبته. انتهى.

قلت: وقد سُئل الشيخ محيي الدين رَحِمَهُ اللهُ عن حكم معاصي أرباب الأحوال من المجاذيب: هل هم على يقين بأن الله لا يؤاخذهم أم لا؟

فقال: لهم علامات تدل على عدم مؤاخذتهم في الآخرة.

منها: حماية أحدهم نفسه من متولي الحدود، فإذا رفع إلى متولي الحدود وحمى نفسه منه بيُبس يد الجلاد مثلاً، فذلك دليل على الله تعالى لم يرد مؤاخذته في الآخرة؛ لغلبة رحمة الله، وظهور كرمه ومسامحته هناك، والله أعلم.

در

سمعت شيخنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **يقول**: الأولياء موجودون في كل عصر، وإنما السالك لطريقهم قليل؛ لأنها طريق مبنية على موت النفوس، ومفارقة جميع الشهوات

(1) أخرجه مسلم (7162)، وأحمد (10651)، وابن حبان (392).

والحظوظ النفسانية، وما كل أحد يقدر على موت نفسه وترك رئاسته، ويتلمذ لفقير لا حرمة له في الدنيا، ولا حوله شيء من الشهوات، فاعلم ذلك.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: الخلق على طبقات: عامة، وفقهاء، ومتصوفة، وصوفية، وعارفون، وكاملون، ومكملون، وأقطاب، فكل من كان في مرتبة من هؤلاء المراتب أنكر ما وراءها ضرورة؛ لعدم ذوقه له، فالفقيه ينكر على المتصوف، والمتصوف ينكر على الصوفية، والصوفية تنكر على العارفين وهكذا، والقطب لا ينكر على أحد؛ لمروره على المراتب كلها، ومرادنا الإنكار من حيث الفهم لا الإنكار من حيث الأحكام الشرعية التي صرحت بها الشريعة، فافهم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: جميع ما يتكلم به الأولياء من الغيوب التي اختصوا بها إنما هي عارية من الحق لهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: 255] فإذا شاء خلع عليهم من علمه.

وفي الحديث: «**إن الله تعالى أوحى إلى عيسى** عليه السلام **أن من بعدك أمة أدخلهم الجنة برحمتي ولا حلم ولا علم**» فقال عيسى: يا رب، كيف ولا حلم ولا علم؟ قال تعالى: «**أعطيهم من حلمي وعلمي**»(1).

وسمعته يقول: عليك بإجلال الفقراء إكرامًا لله تعالى؛ لظهور انتسابهم إليه دون غيرهم.

قال: وقد مرَّ كلب على سيدي الشيخ عبد الرحيم القناوي مرة، فنهض الشيخ قائمًا، فأنكر بعض الناس عليه، فقال: انظروا ما في عنقه، فوجدوا فيه شرموطًا من جبة فقير، فقال: إنما قمت إجلالاً لزيّ الفقراء الذي في عنقه، ومن أحب ليلى أكرم جميع من في حيِّها، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: حضرة الحق تعالى حضرة بهت، فمن ادعى أنه حاضر

---

(1) أخرجه أحمد (27585)، والحكيم (1/ 142)، وأبو نعيم في الحلية (1/ 227)، والحاكم (1289)، والبيهقي في شعب الإيمان (9953).

فيها وعبث بيده أو ضحك أو فرح أو حزن، فليس هو فيها، وإنما هو رجل ملبس عليه حاله.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: من أكثر التحجير على الناس بما لم تصرح به الشريعة من إبطال الصلوات والطهارات وغير ذلك فقد خالف غرض الشارع في طلبه التخفيف على أمته، فلا ينبغي التحجير إلا بنص أو إجماع فقط، ومن حكمة الحكيم أن يضيِّق على نفسه ويوسع على الناس، والله أعلم.

فإياك ومطالعة نحو كتاب «المدخل» لابن الحاج المالكي، فإن غالبه من التنطعات، هكذا سمعت الشيخ يقول.

وسمعته رضي الله عنه **يقول في قوله** ﷺ: «**الشر ليس إليك**»[1] إنما لم يضف ﷺ الشر إلى الله تعالى؛ لأن المراد بالشر هنا: الجهل، والجهل نسبة عدمية؛ إذ هو عبارة عن عدم العلم لا غير، فليس هو بأمر وجودي حتى يصح استناده إلى الحق تعالى كالأمور الوجودية، ولو كان الجهل أمرًا وجوديًا لأضافه رسول الله ﷺ. انتهى، فليتأمل ويحرر.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: لا أحد في الوجود أحق برحمة الله وعفوه ومسامحته من الإنسان لقرب الجوار.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: 4].

وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] فنحن أقرب جار إليه.

وفي الحديث: «**الأقربون أولى بالمعروف**»[2] أفتراه تعالى يأمر عباده بالتجاوز والصلح ولا يفعل هو ذلك مع جاره الذي هو أقرب؟ حاشا الجناب الإلهي بذلك، فإنه تعالى ما ندب إلى التخلق بخلق حسن إلا وهو له بالأصالة.

فقلت له: فإذا كان الإنسان أحق برحمة الله وعفوه ومغفرته، فأين وقوع الانتقام الذي جاءت به الآيات والأخبار؟

فقال: ليس ما قلناه معارضًا لوقوع الانتقام؛ لأن العفو والمغفرة واقع بلا

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3384)، والبيهقي في شعب الإيمان (3133).

(2) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (1/ 39).

شك، ولكن تارة تأتي المغفرة قبل العقوبة، وتارة تأتي بعدها، فصدق الله ورسوله، والله أعلم.

ياقوت

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: لا يبلغ الرجل مراتب الكمال حتى يبايعه فكره ألَّا يصرفه قط في التفكر في ذات الله، فإن الله تعالى ما خلق القوة الفكرية إلا ليصرفها العبد في النظر في مصنوعات الله تعالى على وجه الاعتبار، لا ليصرفها في ذات الله؛ لأنه ليس للفكر في ذلك قدم، ومن زعم ذلك فليتعقل لنا بفكره شيئًا يخلقه الله، فإنه لا يقدر والله خالق لا مخلوق.

قال: وإذا وفى الكامل بما بايعه فيه فكره شكره عند ربه إذا رجع إليه، وقال: يا رب، ارحم صاحبي واغفر له، فإنه لم يستعملني قط في النظر في ذاتك حياء من جلالك.

وسمعته يقول: علامة كون البلاء عقوبة: أن يصاحبه الضجر والسخط وكثرة الشكوى للخلق، وعلامة كونه تمحيصًا للذنوب: أن يصاحبه الصبر وعدم الشكوى للخلق، وعلامة كونه رفع درجات: أن يصاحبه الرضا والتلذذ به، وعدم سؤال الإقالة منه، وطمأنينة النفس به، والسكون تحت مجاري الأقدار حتى يرتفع بإرادة الله تعالى.

فقلت له: فإذًا يحتاج عائد المريض إلى كشف حتى يدعو له بالشفاء، فإنه إذا كان كفارة لا يسأل رفعه، فإذا كان رفع درجات لا يسأل كذلك، وإذا كان عقوبة لا يسأل حتى يبلغ التأديب فيه حده؟

فقال رضي الله عنه: نعم، وهو كذلك، لكن لا يخفى أن الله تعالى رحمته مطلقة لا تتوقف على أمر، وتسمى: رحمة الامتنان، فلنا سؤال الشفاء من حضرتها، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن مدة القطبية: هل لها مدة معينة إذا وليها ولي؟ وهل عزل القطب أم لا يعزل إلا بالموت؟

فقال رضي الله عنه: ذهب جماعة إلى أن مرتبة القطابة ثقيلة، قلَّ أن يقيم الإنسان فيها أكثر من ثلاثة أيام فأقل، وذهب جماعة أن مدة القطابة كغيرها من الولايات، يقيم فيها صاحبها ما شاء الله ثم يعزل، والذي أقول به وآخذ به: أن القطبية ليس لها مدة معينة، وإذا وليها صاحبها ما شاء الله لا يعزل إلا بالموت؛ لأنه لا يصح في حقه خروج عن العزل حتى يعزل.

قال: **وإيضاح ذلك**: أن الفروع تابعة للأصول، وقد أقام صلى الله عليه وسلم في القطبية الكبرى مدة رسالته، وهي ثلاث وعشرون سنة على الأصح، واتفقوا على أنه ليس بعده أحد أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد أقام في خلافته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين ونحو أربعة أشهر، وهو أول أقطاب هذه الأمة، وكذلك مدة خلافة عمر وعثمان وعلي ومن بعدهم إلى ظهور المهدي عليه السلام فهو آخر الأقطاب من الأمة المحمدية، ثم ينزل قطب وقته وخليفة الله تعالى في الأرض عيسى عليه السلام فيقيم في الخلافة أربعين سنة كما ورد، فعلم أن الحق عدم تقدير مدة القطابة بمدة معينة وإن كانت ثقيلة على صاحبها كالجبال، فإن الله تعالى يعينه عليها؛ إذ لا ينزل بلاء من السماء على وجه الأرض إلا بعد نزوله على القطب، ولذلك كان من شأنه دائمًا تصديع الرأس حتى كأن أحدًا يضربه فيها بضرب ليلاً ونهارًا.

قال: وبلغنا عن الشيخ أبي النجا سالم المغربي المدفون بمدينة «فوة»[1] أنه

---

(1) أبو النجا سالم الفوي المغربي. مات بعد الخمسمائة. قال الشيخ عتيق: صحبته من بلده، ولم أفارقه إلى أن مات بفوة، في شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. وكنا في صحبته أربعين ولياً، فكان كل بلد يستوعب ما فيه من الرجال إلى أن وصلنا الموصل، خرج بري الرجل وإذا بقضيب البان المشهور، دخل بأطماره وشعثه. قال: ابن الشيخ؟ قلنا: خرج!، قال: خرج شيطانك!. فأظهر الغيظ، ورمى أطماره عنه، وهو قائم على جنب البركة عرياناً، يسكب الماء بيده على جسده ثم لبس أطماره وخرج. فبعد ساعة والشيخ قد جاء، فلما دخل كأنه أدرك شيئاً، قال لنا: من جاءكم؟ فأخبرناه بمن جاء **فقال**: صدق! كنت في تلك الساعة جالساً مع إمام الموصل، ينافقني وأنافقه. ثم أقبل قضيب البان، **فقال**: أخبرني بكل رجل رأيته، من بلادك إلى هنا، فذكر له رجالا، وقضيب البان يقول في كل منهم: وزنه ربع رجل ونصف رجل، إلى آن ذكر له رجلين، فقال له عن كل منهما، هذا وازن وهذا كامل، ثم ذكر شيخاً كان مشهوراً في بلاد المشرق والمغرب، قال له: من الرجال من يرفع صيته ما بين المشرق والمغرب، ولا يسوى=

أقام في القطبية أربعين يومًا ثم مات، وقيل: أنه أقام فيها عشرة أيام، وبلغنا مثل ذلك عن الشيخ أبي مدين المغربي[1].

فقلت لشيخنا: فهل يشترط أن يكون القطب من أهل البيت كما قاله بعضهم؟ **فقال**: لا يشترط ذلك؛ لأنها طريق وهب يعطيها الله تعالى لمن شاء، فيكون في الأشراف وفي غيرهم، والله أعلم.

زمرد

سألت شيخنا ﷺ: هل الأولى للشيخ أن يختصر للمريد طريق الوصول إلى مقامات السلوك، أم يدور به في معاطف الطريق يمينًا وشمالاً كما عليه السادة الصوفية؟

فقال ﷺ: الأولى للشيخ اختصار الطريق على المريد حسب الطاقة، وهو مذهب الشيخ أبي مدين المغربي ﷺ فكان يقصد تقريب الطريق على المريد، وينقلهم إلى محل الفتح من غير أن يمر بهم على الملكوت خوفًا عليهم من تعشق الأنس بعجائب الملكوت، ثم إن المريد إذا فتح عليه يتدلى بعد ذلك إلى العوالم فيكشفها بالحق.

فقلت له: فهل للشيخ أثر في الفتح؟

فقال: نعم له أثر؛ وذلك لأن الشيخ بمنزلة الدليل الذي يقول لك: اسلك هذه الجهة فإنها أقرب لك؛ إذ السلوك دائرة فيها درج كالدوائر المحسوسة، فلا بد أن السالك يمر على جميعها إذا أخذ الأمر على الترتيب، وفي ذلك تعب على المريد وتطويل زمان، ولكن إن وقع له اجتماع بعارف أراحه، فاختصر له الطريق.

وتأمل قول أبي يزيد رحمه الله وقفت على العابدين فلم أرَ لي معهم قدمًا، فوقفت

= عند الله جناح بعوضة! ثم ودعه، وكان من أكابر المحدثين في زمنه، وما في وقته مثله. وقال: كنت مرة على جبل الربوة - بدمشق - فقلت: يا رب، الذي تطيره في الهواء، كيف يفعل؟ فما فرغ من الكلام إلا وأخذني ورفعني في الهواء، صوب السماء، إلى أن صارت دمشق تحتي كدور الدرهم؛ قلت: أشهد أنك على كل شيء قدير. ردني إلى موضعي. وكرامته جمة. [طبقات ابن الملقن ص71].

(1) انظر: كتابنا: «شيخ الشيوخ في الأمصار» أبو مدين الغوث، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

مع المجاهدين فلم أرَ لي معهم قدمًا، حتى ذكر المصلين والصائمين ومقامات كثيرة.

قال: فقلت: يا رب، كيف الطريق إليك؟

فقال لي: تعالَ واترك نفسك، وتعالَ فاختصر له تعالى الطريق بألطف كلمة وأخصرها، فإنه لما ترك حظوظ نفسه في الدنيا والآخرة قام الحق تعالى معه، وهذه أقرب الطرق. انتهى.

قلت: ولكن طريق الصوفية أكمل من حيث إن أحدهم يصير له طول روح تربية غيره، فتلك طريق خاصة بأفراد، وهذه طريق الجم الغفير، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن العارف إذا أدخله الله تعالى النار يوم القيامة، والعياذ بالله تعالى: هل ذلك مشعر بأنه كان غير صادق في دار الدنيا أم لغير ذلك؟

فقال رضي الله عنه: إذا وقع دخول العارف النار فليس ذلك مشعرًا بعدم إخلاصه، وإنما ذلك من بقية اختيارات كانت بقيت عليه في دار الدنيا؛ إذ دخول النار للعارف بمنزلة الأمراض التي تصيبه في دار الدنيا على حد سواء، فكما ابتلاه تعالى بالأمراض في دار الدنيا ليتمحص بها ذنوبه مع اعتقادنا أن المرض لم يحط من مقام العارف شيئًا، فلذلك دخوله النار.

فقلت له: قد بلغنا أن جهنم تنزوي من العبد المؤمن وتقول له: «**جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي**»(1) ولا شك أن مقام العارف أعلى من مقام المؤمن المحجوب.

فقال رضي الله عنه: ليس انزواء جهنم من المؤمن لرفع مقامه على مقام العارف، وإنما ذلك لمدافعة الأقدار الجارية عليه من الحق تعالى، وعدم تسليمه لله تعالى، بخلاف العارف بالله، فإنه يشهد سعة علم الله تعالى، وأنه لا ينصرف إلا بالحكمة

(1) أخرجه الطبراني (668)، وأبو نعيم في الحلية (9/ 329)، والبيهقي في شعب الإيمان (374)، والخطيب في تاريخ بغداد (9/ 232).

سواء ظهر لنا ذلك أم لم يظهر، فإن أدخله الله النار رأى ذلك أكمل من عدم دخوله.

وأيضًا فإن النار كالسبع الضاري، فإذا رأت الإنسان معه سلاح رجعت عنه كما يرجع السبع خوفًا على نفسه، بخلاف من ليس معه سلاح؛ فإن كل شيء يصول عليه، فلما كان العارف لا يختار غير ما اختاره الله له لم يدفع شيئًا عن نفسه، بخلاف المؤمن صاحب الحال؛ ولذلك إذا دخل العارف يصير صاحب الحال يرى مقام العارف فوقه كالنجم في السماء، فيتمنى هناك أن تكون له مرتبة العارف، فلا يُجاب.

فقلت: فما وجه تعذيب العارف بالله تعالى مع أنه محبوب لله تعالى بلا شك، والحبيب لا يعذب حبيبه، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ [المائدة: 18] أي: لو كنتم أحباؤه ما عذبكم؟

فقال رضي الله عنه: إنما عذب الله تعالى المحب وابتلاه من حيث كونه محبًا لا من حيث كونه محبوبًا، فإن التعذيب للمحب كاختباره في صدق محبته، كما أنه إذا أنعم لا يتنعم إلا من حيث كونه محبوبًا، فكل عارف لدرجة المحبة ودرجة المحبوبية فللحق تعالى اختياره من وجه كونه محبًا، فعلم أنه لا يبتلي عبدًا إلا من حيث كونه محبًا، ولا ينعم إلا من حيث كونه محبوبًا، هذا حكم من لم يكن معصومًا، والله أعلم.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الجسم بعد مفارقة الروح: فهل عنده إحساس وإدراك؟

فقال رضي الله عنه: نعم عنده إحساس وإدراك؛ وذلك لأن الجسد عندنا عوالم وحقائق يقبل بها التجلي الإلهي والإدراك من غير واسطة الروح، وإذا انتقلت النفس إلى محلها الأصلي بعد المفارقة ونفي الجسم كان له ذلك الإدراك بتلك الحقائق التي تخصه، ولولا ذلك لما كان لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44] معنى؛ إذ التسبيح هنا عبارة عن المعرفة، تقديره: وإن من

شيء إلا يعرف ربه وموجده وخالقه، ينزهه ويقدسه عما لا يجوز عليه، وهذه حقيقة المعرفة.

قال: وبتلك الحقائق نطقت الجلود، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: 21].

قال: ولا يعرف حياة الجسم بعد مفارقة الروح إلا الكُمَّل من أهل الكشف، والله أعلم.

در

سألت شيخنا رضي الله عنه: «**القرآن بحر لا ساحل له**» ما معناه؟

فقال رضي الله عنه: معناه: أنه لا يقبل جميع ما فسره المفسرون إذا لم يخرجوا عن قواعد أهل اللسان، فما من شارح يقصد وجهًا في الآية إلا وذلك الوجه مراد الحق تعالى؛ لأنه خاطب بذلك جميع عباده.

قال: وهذا بخلاف كلام الخلق، لا يقبل كل كلام فسروه به؛ لأن الخلق قاصرون عن التكلم بكلام يسمع أفهام الخلق أجمعين، والله أعلم.

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن صاحب الحال: لِـمَ كان وعظه يؤثر في السامعين أكثر من وعظ الكُمَّل؟

فقال رضي الله عنه: اعلم يا ولدي، أن أول الطريق بداية، ثم حال، ثم رسوخ، فمن صحب صاحب الحال عينه ذهبًا إبريزًا خالصًا في أسرع من لمح البصر، ومن صحب الراسخ حال رسوخه وثباته لم يؤثر فيه صحبته انقيادًا إلا في النار.

قال: ومن هنا كذبت الأمم رسلها، عليهم الصلاة والسلام؛ لأن الرسل لا تبعث إلا بعد رسوخها في العلم؛ لكونهم رحمة على العباد مبشرين ومنذرين فقط، ليس عليهم إلا البلاغ، وأيضًا فإن الراسخ حاكم على حاله؛ ولذلك كان يخاطب الناس ويعظهم بظواهر الأمور، ويخفي عنهم ما فوق طاقتهم، بخلاف صاحب الحال؛ فإنه قد يكون سيفًا للنقمة عليهم، والله أعلم.

درة

قلت لشيخنا رضي الله عنه: إذا مات السالك قبل فتحه ما حكمه؟

فقال: يرفع إلى محل همته؛ لأن همته تجذبه.

وسألته مرة عن الخواطر إذا تراكمت على القلب في الصلاة وغيرها: بماذا يردها العبد؟

فقال رضي الله عنه: لا يخلو تعلق الخاطر إمَّا أن يكون بموجود أو بمعدوم، فإن كان بموجود فيجب على العبد أن يخرجه من قلبه ويزهد فيه، فإن الخواطر تنقطع عنه، وإن كان تعلقه بمعدوم فليعلم أنه ليس من شأن العاقل أن يعلق خاطره بالعدم، فليرد خاطره بالعلم إلى أن يسكن، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه: هل للكامل أن يركن إلى عدم مكر الحق تعالى به تغليبًا لحسن الظن بربه عز وجل؟

فقال رضي الله عنه: من شأن الكامل ألَّا يحكم على الله بشيء ولو بلغه أعلى المقامات، وقال له في سره: قد رضيت عنك الرضا الأكبر، فليس له أن يأمن مكر ربه في شيء ليوفي لألوهيته حقها في الإطلاق، فإنه تعالى يفعل ما يشاء، وليتأمل العبد فيما ورد في حق جبريل وإسرافيل: «**لما خلق الله النار طفقا يبكيان، فأوحى الله تعالى إليهما: ما يبكيكما وهو أعلم؟ فقالا: خوفًا من مكرك، فقال لهما الحق تعالى: هكذا كونا لا تأمنا مكري**»[1]. انتهى.

وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلي يقول: أعطاني الحق تعالى أربعين عهدًا وميثاقًا أنه لا يمكر بي، فقيل له: كيف حالك بعد ذلك؟

فقال: غير آمن. انتهى.

---

(1) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (376).

ماس

سألت شيخنا ﷺ عن قول أبي يزيد البسطامي: «**سبحاني**» كيف قال ذلك مع كماله، والكاملون منزهون عن الشطح في حق الخلق فضلاً عن صفات الحق جل وعلا؟

فقال ﷺ: إنما قال أبو يزيد ذلك؛ لأنه كان واردًا على سبب، وذلك أنه قال: سبحان الله، فقال له الحق تعالى في سره: هل شهدت فيَّ عيبًا حتى تنزهني عنه؟

فقال: لا يا رب.

فقال: فنفسك إذًا نزّها بالمجاهدة والرياضة، فلمَّا منَّ الله تعالى عليه بالخلوص من النقائص البشرية والرذائل قال: «**سبحاني**» من باب الشكر لله تعالى قولاً ذاتيًا ضروريًا خالصًا لا دعوى فيه.

قال: ولقد عجبت ممن يؤوِّل أخبار الصفات، كيف لا يؤوِّل كلام العارفين مع أنهم أولى بالتأويل، لنقص مقامهم عن مقام الرسل الذين جاءوا بالبينات الصفات وأخبارهما؟

قلت: ولكن إطلاق لفظ «سبحان» على غير الله تعالى منعه المحققون؛ لأنه خاص بالله ﷻ والله أعلم.

ياقوت

قلت لشيخنا ﷺ: ما علامة الحركة المحمودة والمذمومة؟

فقال: علامتها: أن ينظر العبد نفسه بعدها، فإن وجد سكونًا ومزيد علم فليعلم أنها من الحق، وإن وجد بعدها ندمًا وضيقًا وتشويشًا وتهريسًا في الأعضاء فليعلم أنها من النفس أو الشيطان، هذا ميزان جميع الحركات. انتهى.

بلخش

سألت شيخنا ﷺ عن الذاكر لله تعالى: هل يصح له الإقبال على الحاضرين ومكالمتهم مع كونه حاضرًا مع الله تعالى كما هو شأنه في خلوته؟

فقال رضي الله عنه: لا يصح ذلك لمبتدئ ولا منتهي، ألا ترى إلى رسول الله ﷺ الذي سيد المرسلين، كان إذا أتاه الوحي يغيب عن الحاضرين إلى أن ينقضي الوحي، فيسري عنه هذا مع أنه كان خطاباً ملكياً، فكيف يكون استغراقه في خطاب الله تعالى؟

فقلت له: فهل للذاكر أن يشتغل بمعاني الذكر؟

فقال: مذهبنا أنه لا ينبغي له أن يشتغل بمعاني الذكر، وإنما الواجب عليه الذكر امتثالاً تعبديًا لا يعقل معناه؛ لأنه ما ثم من نسبة له ألوهية دون الله حتى ينقيه، فإذا ذكر كذلك عمل الذكر فيه بخاصية من الجلاء ما لا يعمل غيره.

فقلت له: فإذًا الواجب على الذاكر مراقبة المذكور؟

فقال: نعم، وهو كذلك، فإنه إذا لم يراقب، فقد يأتي الوارد إليه من الحق ولا يجد قلبه، فيرد عنه المرد الإلهي، ومن هنا قالوا: إن لله تعالى نفحات في الليل والنهار فلا تغفلوا عنها؛ لأنها لا تصيب إلا من كان قلبه حاضرًا مع الله تعالى.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن المجاذيب: هل يدركون منازل الطريق كما يعرفها السالك؟

فقال رضي الله عنه: نعم، يعرفون الطريق ومنازلها، لكن لا يتربصون في المنازل إذا مروا بها؛ ولذلك لم يقدر مجذوب قط أن يتصدر لإرشاد المريدين كما هو شأن السالكين؛ لأنه يريد من الناس كلهم أن يجذبوا كما وقع له، ولا يصح له ذلك.

فمثال المجذوب مثل صاحب الخطوة التي تُطوي له الأرض، فالناس يرحلون المراحل المعتادة في مدة معلومة، وصاحب الخطوة يقطعها في أقرب وقت بغير تعب؛ لأن الأرض تنزوي له، فكما أنه يمر ببصره على جميع المناهل؛ فكذلك المجذوب لابد من عبوره على جميع المقامات التي هي علامات الطريق، لكن بسرعة دون بطء، بخلاف السالك فإنه يقيم فيها ما شاء الله؛ ليصير يصبر على السالكين إذا أبطؤوا في السير؛ فلا يتوهم أن المجذوب لا يعرف الطريق. انتهى.

ماس

سألت شيخنا ﷺ عن من وقع له صلاة في قبره كثابت البناني: هل يكتب الله تعالى له ثواب تلك الصلاة مدة البرزخ، أم عمله لا ثواب فيه كأهل الجنة؟ فقال الذي أعطاه الكشف: إن الله تعالى يكتب له ثواب عمله إلى أن يخرج من البرزخ.

فقلت له: فهل يتوضؤون في قبورهم كذلك؟

فقال: لا حاجة لهم إلى وضوء؛ لعدم وقوع الحدث منهم.

فقلت له: فهل يؤذنون ويقيمون؟

فقال: نعم، كما ورد في حق الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

فقلت له: فهل يكتب لهم ثواب قضاء حوائج الناس إذا خرج شخص من قبورهم على صورتهم وقضى حوائج الناس؟

فقال: نعم يكتب لهم ثواب ذلك، كحكم صلاتهم في البرزخ على حد سواء.

فقلت له: هل الصورة التي تخرج من قبورهم ملك أو صورة تنشأ من همتهم بحسب اعتقاد صاحب الحاجة فيهم؟

فقال: كل ذلك يكون، فتارة يوكل الله تعالى بقبر ذلك الولي ملكًا يقضي حوائج الناس، كما وقع للإمام الشافعي، وسيدي أحمد البدوي، والسيدة نفيسة، وتارة يخرج الولي بنفسه ويقضي الحاجة؛ لأن للأولياء الإطلاق في البرزخ والسراح لأرواحهم.

فقلت له: فهل حكم الأنبياء كذلك؟

فقال: نعم، ولكن من وقع له خطاب من قبر نبي وذلك عين النبي لا مثال له، وأمَّا إذا سمع خطابه من غير قبره فهو مثال له لا حقيقة؛ لأن ذات النبي منزهة عن كلفة المجيء والرواح. انتهى.

زمرد

قلت لشيخنا ﷺ: متى يصح للعبد أن يصير من أهل الإلهام الصحيح فيعرف ما يحدثه به الحق تعالى في سره، وأن ذلك من حديث الحق تعالى معه؟

فقال رضي الله عنه: إذا تحقق القلب بمقام الأنس بالله تعالى بنسبة خاصة ورابطة صحيحة صحَّ له معرفة حديث الحق تعالى معه في سره، وميَّزه تعالى بلا واسطة من الوجه الخاص، فيتوقف فتحه على وجود الوسائط.

وقد سافر بعض العارفين فرأى قلبه حضر في البرية، فأقام فيها وترك السفر، **وقال**: وجدت قلبي هنا؛ لمناسبة تلك البقعة لمزاجه، وإلا فالكامل لا يتقيد بهذا القيد، ثم إن أهل هذا المقام كلهم إنما هم ورثة في ذلك لعمر بن الخطاب، كما أشار إليه حديث: «**إن يكن من أمتي محدثون فعمر بن الخطاب**»(1) والله أعلم.

كبريت أحمر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الحكمة في وجوب استقبال القبلة في الصلاة مع أن الجهات كلها في حق الحق تعالى واحدة؛ إذ لا تخيير ولا تكييف؟

فقال رضي الله عنه: لا يستقبل الكعبة من العبد إلا جسمه، وأمَّا روحه فهي مستقبلة للحق تعالى في غير وجهة بباطنها كما يعرف ذلك أهل الله، وليحذر العبد الذي لا كشف له أن يتوهم أن نفسه قد أحاطت بها الجهات كعورته الظاهرة، ويبقى الحق تعالى في وهمه كالدائرة المحيطة، فإن ذلك جهل بالله عز وجل بل كما يرى نفسه التي ليست من عالم الحس في غير جهة من جسده، كذلك الحق تعالى يكون في غير جهة كما هو الأمر عليه من نفسه.

وهذا الأمر لا يتعقله إلا من كشف الله تعالى عن قلبه الحجاب، وإلا فمن لازمه الجهة؛ فعلم أنه تعالى ما أمرنا باستقبال جهة الكعبة دون غيرها إلا ليجمع همتنا على الأمر الذي نحن فيه، ولو أنه تعالى لم يأمر العبد باستقبال جهة معينة، وكان على حسب اختياره لربما تبدد حاله، وكان كل وقت يترجح عنده جهة، وربما تكافأت في حقه الجهات، فاحتاج إلى نظر واستدلال في الترجيح، فتبدد حاله بالكلية؛ فلذلك اختار الحق تعالى له ما يجمع همه ويريح قلبه، انتهى.

(1) أخرجه البخاري (3282)، ومسلم (2398)، وأحمد (24330)، والترمذي (3693).

ياقوت

قلت لشيخنا رضي الله عنه: إذا كان الإنسان في عبادة ثم انتقل منها إلى أخرى بغير أمر إلهي، فهل ذلك من الله أو من الشيطان؟

فقال رضي الله عنه: هو من الشيطان؛ لأنه يحب من العبد فسخ عزمه من طاعة إلى طاعة، ويقنع منه بذلك، فيحسن له أولاً أنه يعاهد الله تعالى على إحياء ليلة من الليالي بالصلاة، ثم إذا شرع العبد فيها بنية، وحسن إليه الذكر وما فيه من جمعية القلب، فيترك العبد الصلاة ويجلس يذكر الله تعالى، فيوقع العبد في نكث العهد مع الله تعالى، وذلك غاية مراد إبليس.

قال: ومن جملة مكائده أيضًا: أن يأتي للعبد بالكشف والعلم الصحيح، ويقنع منه أن يجهل من أتاه به؛ لعلم إبليس بأن الجهل أكثف حجاب على العبد، ثم إنه يدخل عليه بعد ذلك في كل شبهة في دينه.

ومن مكائده أيضًا: إنه يكشف للعبد عن الاطلاع على العباد وهتك أستارهم، فيجعله مقيمًا في حضرة الشياطين، فيهلك ولا يشعر، فالواجب عليه التوبة من هذا الكشف، والله أعلم.

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الفرق بين خاطر الحق وخاطر الملك؟

فقال رضي الله عنه: خاطر الحق تعالى لا يكون فيه أمر ولا نهي؛ لأن الحق قد فرغ من الأوامر والنواهي على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل خاطر وجدت فيه أمرًا أو نهيًا فهو خاطر الملك، بخلاف خاطر الحق تعالى؛ فإنه لا يعطيك إلا المعارف الإلهية، ولا يكشف لك إلا عن الأمور الغيبية مما جهلته من الكتاب والسنة، ويكون سمعك وبصرك كما ورد في من أحبه الحق تعالى[1].

---

(1) هو إشارة إلى حديث: «ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها». أخرجه البخاري (6137)، وابن حبان (347)، والبيهقي (20769)، وأبو نعيم (1/ 4)، والطبراني (7880).

فقلت له: فما الفرق بين الكشف والعلم؟

فقال: الفرق بينهما: أن الكشف علمك بالحقائق على ما هي عليه في نفسها، وأمَّا العلم: فهو علمك بالأمور على ما يؤدي إليه الألفاظ، والله أعلم.

ياقوت

قلت لشيخنا رضي الله عنه: أيهما أكمل: أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، أو علم العبد بأن الله يراه أكمل، فإن علم العبد بأن الله يراه أكمل في التنزيه لله تعالى، فإن العبد لا يشهد من ربه إلا ما قارب عقله، وتعالى الله تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، بخلاف علم العبد بأن الله تعالى يراه؛ فإنه في غاية التنزيه، فكان قوله ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه**»(1) مرتبة تعليم، ثم ترقي منها إلى علم العبد بأن الله تعالى يراه.

قال تعالى في حق أكمل المرسلين: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: 17] فغاية عبادة العبد على شهود أنه بين يدي الله تعالى كأنه ـ أي: العبد ـ يراه، التقييد لا الإطلاق؛ لأن ذلك راجع إلى ما يمسكه العبد في نفسه من شاهد الحق، وأقامه كأنه يراه وتلك درجة، ثم يترقى منها إلى شهوده أن الله تعالى يراه ولا يراه هو.

قال: وإن إيضاح ما قلناه، فاضبط شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك، فإنك ترى نفسك قد أخليت شهودك عن بقية الوجود المحيط، وإذا علمت ذلك علمت عجزك عن رؤيته تعالى؛ لتقييدك وإطلاقه، وضيقك وسعته، وحينئذٍ تبقى مع نظره المحقق إليك لا مع نظرك أنت إليه؛ لأن نظرك يقيده ويخرجه على إطلاقه، فيتحد في شهودك وهو المنزه عن الحدود. انتهى.

وسمعته مرة أخرى يقول: اعلم أن التجلي الذاتي لا يكون أبدًا لا بصورة استعداد علم العبد، ذلك لا يكون.

فقلت له: فإذًا العبد ما رأى صورة استعداده لا الحق تعالى؟

---

(1) أخرجه أحمد (6300)، والطبراني (16787)، والبيهقي (10148)، وأبو نعيم في الحلية (8/ 202)، وابن أبي حاتم في العلل (1845).

فقال: نعم، هذا حكمه في دار الدنيا، وأمَّا الآخرة: فلا يعرف الآن حكم الله فيها. انتهى.

زبرجد

قلت لشيخنا رضي الله عنه: إذا ورد على الباطن ذكر معين، فهل يكون الذاكر ساكنًا أو يساعد الوارد بتفعله؟

فقال: سكونه وعدم تفعله أتمّ؛ لأن الوارد إذا جاء وذهب لنفسه من غير مساعدة التهمة كان أكمل في الاستعداد، وقد قررنا مرارًا أنه ينبغي للذاكر أن يكون ذكره للتعبد فقط لا لطلب مقام آخر؛ وذلك ليكون حال ذكره غير حال عن العبادة، فإن الخلوة والرياضة إنما شرِّعا للتفرغ عن الأكوان وتهيىء المحل لا غير، فالصادق من جعل أعماله كلها مقاصد لا وسائل، وحضر مع الله في سائر أعماله.

فقلت له: فما تقولون في ترتيب الأوراد للمريدين؟

فقال: ليس هو مذهبنا، بل هو مما نكرهه ولا نقول به؛ لأن من واظب على أوراد معينة فصار يفعلها بحكم العادة لا العبادة، فيمر عليها بحكم الغفلة وقلبه في محل آخر، وقد ورد: «**إن الله تعالى يقول للملائكة: اكتبوا عمل عبدي فلانًا، واكتبوا أين كان قلبه حال عمله**»(1). انتهى.

فعلم أن العبد إذا لم يتقيد بورد معين وصار يذكر الله تعالى، وكلما وجد إلى ذلك سبيلاً في أي وقت شاء، وسار يذكر الله تعالى بهمة وعزم، فهو أقوى في استعداده، فإن قدر أن العبد يحضر بقلبه في أوراده المعينة فلا بأس.

فقلت له: فما مذهبكم في معاهدة المريد بأنه لا يعود يعصي الله تعالى في المستقبل؟

فقال: هو أيضًا مما نكرهه؛ إذ لا يأمن متعاطي ذلك من نقض العهد بحكم الإرادة النافدة، فيصير عليه معصيتان: المعصية الأصلية، ومعصية نقض العهد،

(1) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص244) بنحوه.

ولو أنه لم يقع في عهد لكان عليه إثم معصية واحدة، فالأولى للشيخ أن يأمر المريد بفعل الأوامر واجتناب النواهي من غير معاهدة، وإذا وقع على يديه معصية لزمه التوبة، هذا ما درج عليه السلف الصالح مع أن العزم على أنه لا يعود داخل شروط التوبة، فافهم، والله أعلم.

جوهر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما معنى قول الصوفية: إن الأحدية سارية في جميع الوجود مع أنه لا حلول ولا اتحاد؟

فقال رضي الله عنه: معناه: إنك إذا حققت النظر وجدت جميع الوجود قائمًا بالله تعالى؛ أي: بقدرته تعالى لا بنفس ذلك المخلوق، فمن شهد ذلك تحقق بشهود سريان الأحدية في جميع الوجود، فكما أن الروح لا يقام للجسد بغيرها؛ فكذلك الروح نفسها لا يقام لها إلا بالله، وأكثر ذلك لا يقال، والله أعلم.

درة

قلت لشيخنا رضي الله عنه: لِـمَ منع المريد من قبول الرفق من الناس؟

فقال: لأن الواجب عليه الاشتغال بما يقربه إلى شهود الأحدية، ويجمع قلبه على الله تعالى، وقبول الرفق من الناس يفرقه ويخرجه إلى مراعاتهم ومكافأتهم، والرياء في عباداته؛ ليروه فيحسنوا له، وذلك من أكبر القواطع؛ لأن الأحدية تطلب من يتوحد بها لتوحده وترفعه على أقرانه، وإذا تفرق السالك فلا توحيد ولا فتح، والله أعلم.

فقلت له: فهل يقدح طلب المريد الكرامة في إخلاصه؟

فقال: نعم؛ لأن الدنيا ليست هي موطن النتيجة والثواب، وإنما هي موطن العمل وتهيؤ المحل، كما أن الدار الآخرة ليست بدار عمل، فكذلك الدنيا ليست بدار نتائج؛ فمن طلب نتيجة في دار الدنيا انقطع عن الله تعالى، وربما كانت الكرامة حظه من الله تعالى، فليعمل المريد على حصول الإخلاص في العمل.

وأمَّا النتائج: فهي أمامه في الدار الآخرة، ثم إنه لابد لكل سالك من كشف جميع الأمور التي حجب عنها قبل طلوع روحه، فلا يخرج من الدنيا حتى يكشف

له عن جميع ما يطلبه، إنما هو تقديم وتأخير، والسلام.

كبريت أحمر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما علامة من يكون في حضرة الله عز وجل؟

فقال رضي الله عنه: علامته ألَّا يكون عنده لأحد مغالبة ولا منازعة، ولا يقهر أحد لأحد، حضرة الحق تعالى تعطي العبد بالخاصة الخشوع والذبول والأدب مع الله تعالى ومع خلقه.

قال صلى الله عليه وسلم: «**ما تجلى الله تعالى لشيء إلا خشع**»[(1)]. انتهى.

فمتى ظهر من عبد قهر أو منازعة لأحد تحققنا أنه ليس في حضرة الله أصلاً، وإنما وجهه مصروف إلى الكون والحجاب.

وسمعته يقول مرارًا: إذا نازعك أحد في مسألة، أو ورد عليك قولك في مصنفك أو غيره، فلا تبادر لجوابه ولا تراده، بل تربص وانتظر له وقتًا آخر، وتعرف منه سبب ردّه ذلك القول عليك، فإن لم يعرفه لك فتعرفه من الحق تعالى بحضور وأدب، فربما يكون الحق تعالى إنما سقط عليك قولك؛ لغفلة طرأت عليك في معاملتك، ومتى أجبت عن نفسك ولم تتعرف السبب من الحق ـ جل وعلا ـ فقد خرجت عن أدب الحضرة الإلهية.

وسمعته يقول: من أدب أهل الحضرة إذا أمروا أحدًا بأمر أو نهوه عنه أن يذكروه له وهم يرون في نفوسهم أنهم أسوأ حالاً منه، فإن من أفاد أحدًا فائدة وهو يشهد في نفسه أنه أفضل أو أعلم حجب بذلك، وقام عنده وتشوف نفسه على أخيه، وذلك هو ذنب إبليس أخرج به من الحضرة، فالواجب على العبد أن يفيد أخاه الفائدة بقصد نشر الشريعة المطهرة في الوجود، وخوفًا أن يلجم من نار يوم القيامة إذا كتم ذلك عن السائل.

وكان يقول: لا تشدد في إزالة منكر إلا إذا أُجمع عليه، ثم لا تنكره بطبعك مع الغفلة عن الله تعالى، وإنما ينكر ذلك بحضور وشفقة ورحمة من غير تعنيف.

---

(1) أخرجه أحمد (18848)، وابن ماجه (1320)، وابن خزيمة (1326).

وكان يقول له: يا أخي، إن الشرع نهى عن مثل هذا، واحذر أن ترى نفسك عليه حال إنكارك، فإن نفسه تتحرك ويعاندك ولو كان معك الشرع اليقين؛ إذ النفس إذا تحركت ركبها إبليس، فيصير هو خصمك، فتريد منه أن يطيعك، فلا يصح لا لك ولا له، وهذا الأمر يخفى على كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، فيصير الناطق في خصمه إبليس والعالم لا يشعر، ويصير يقوم ويقعد، ويغضب ويرفع صوته عليه، وهو لا يتغير، ويطلب قهرًا أن يطيعه، ولو أنه كشف له كما كشف للعارفين لعلم أن الناطق من صاحبه إبليس لا ذلك الإنسان، فهو المعاند، فأمر يا أخي أخاك برفق، وإذا قامت نفسك منه وقامت نفسه منك فتربص له وقتًا آخر.

فقلت له: إذا رأيت نفسي عالـمًا قد حماني الله تعالى من ذلك المنكر، فكيف أرى نفسي دون ذلك الجاهل أو المتلطخ بذلك المنكر؟

فقال: التفاضل لا يقع إلا في الصفات دون الذوات، والصفات كلها عرضية لا ثبات لها، وما لا ثبات له لا ينبغي لعبد أن يفضل نفسه به، وانظر إلى قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: 110] فتسمى بالاسم الذي يشاركه فيه جميع البشر، ولم يتسمّ في هذه الآية بأعلى أوصافه كالنبوة والرسالة، فما فارق غيره إلا بالوحي، وكذلك غيره من الأنبياء لأممهم ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: 11] فالفارق بينه وبين غيره: الوحي، ﷺ.

فعلم أن الواجب على كل داعٍ إلى الله تعالى، أن يتواضع للمدعوين؛ ليركنوا إليه ويسمعوا نصحه وإرشاده، كل ذلك لمقامات العبودية، ولو أنه ﷺ أمر بأن يقول: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**»(1) لما ساغ له تفضيل نفسه؛ لأنه أعلى الخلق في مقام الأدب مع الله تعالى ومع خلقه. انتهى.

وسمعته مرات يقول: لا ينبغي لإنسان أن يفضل نفسه على البعوضة أو الجاهل، فإن لكل منهما وجهًا يقبل به من إلهام الحق له ما يقبل الإنسان

(1) أخرجه أحمد (11000)، والترمذي (3615)، وابن ماجه (4308)، والحاكم (4627)، والطبراني (399)، وأبو يعلى (7493).

الكامل، فانظر إليهما يا أخي، من ذلك الوجه يذهب منك رؤية نفسك عليهما وتوفيهما حقهما الذي عليك. انتهى.

كبريت أحمر

استأذنت شيخنا ﷺ في أني أرخي لي عذبة، أو أتعمم بصوف كما كان جدي، ﷺ تعالى.

فقال ﷺ: لا ترخي لك عذبة إلا إن أعطاك الحق تعالى سر النمو والزيادة في كل شيء مسته يدك، أو نظرت إليه عينك، فتكون تلك الزيادة المرخاة من العمامة علامة وإشارة إلى التحقيق بهذه الكرامة، من باب التحدث بالنعمة لا غير.

وبلغنا أن معروفًا الكرخي لما أرخاها لسري السقطي أراد أن يسقف بيته، فقصرت منه خشبة عن الجدار فمدها، فامتدت معه حتى جاوزت الحائط.

وكذلك بلغنا عن الإمام علي ﷺ: «**لما أرخاها له النبي ﷺ كان يمط الخشبة فتمتط، ويتوضأ وضوءًا كاملاً من كف ماء**»[1] كما رواه البيهقي، وكان إذا نظر إلى القليل صار كثيرًا، فمن حصل له مثل ذلك فله أن يرخي له عذبة، ويرخيها للمريدين كذلك، وإلا فليكف عن ذلك.

فقلت: فما شرط إلباس الخرقة عندكم؟

فقال: شرط إلباسها عندنا أن يعطي الله تعالى ذلك الشيخ الذي يُلبسها لغيره من القوة والعزم، أن ينزع من المريد حال قوله: انزع قميصك، وقد يسوؤك مثلاً جميع الأخلاق المذمومة، فلا يصير من المريد خُلق واحد رديء، ولا يحتاج بعد إلباسه إلى علاج خُلق من الأخلاق، ثم أنه يلبسه ما يلبسه من قلنسوة وخرقة، فتنزل عليه حال إلباسه جميع الأخلاق المحمودة التي يمكن ذلك التخلق بها طول عمره، فيصير إمامًا يُقتدى به، فإن لم يعطه الله تعالى ذلك، فهو بإلباسه الخرقة للمريد كالمستهزئ بطريق أهل الله ﷻ.

قال: وهكذا ألبستها من سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ وأخبرني أنه لبسها

(1) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (46).

كذلك من رسول الله ﷺ يقظة ومشافهة. انتهى.

قلت: وكذلك ذكر الشيخ محيي الدين في جزء له ذكر فيه أنه لبس الخرقة كذلك من يد أبي العباس الخضر عليه السلام تجاه الحجر الأسود، وأخذ عليه العهد بالتسليم لمقالات الشيوخ.

قال: وكان عندي توقف في اتصال سند الخرقة حتى أعلمني الخضر بأنه لبسها من رسول الله ﷺ بالمدينة المشرفة.

قال الشيخ محيي الدين: فلم نزل نُلبسها للمريدين كما لبسناها، فننزع من المريد جميع الأخلاق الرديئة مع الخرقة التي نأمره بنزعها، ونفرغ عليه الأخلاق المحمدية مع الخرقة التي نلبسها له، فمن أعطاه الله ما ذكرناه فليلبس الخرقة لغيره، وإلا فيلزم الأدب مع الأشياخ، وإن قال: إنما يفعل ذلك تبركًا، قلنا له: عليك بالتبرك بهم في الزهد في الدنيا، وعدم النوم في الليل، وكثرة الخوف من الله عز وجل. انتهى.

قلت لشيخنا: وما شرط تلقين الشيخ الذكر للمريد عندكم؟

فقال: شرطه: أن يقدر الله تعالى ذلك الشيخ على أنه يخلع على المريد حال قوله: قل: لا إلٰه إلا الله جميع علوم الشريعة المطهرة، فلا يصير يجهل شيئًا من أحكامها، ويستغني عن سؤال العلماء، وعن مطالعة الكتب، فمن لم يعطه الله تعالى ذلك، فليس له مزاحمة أهل الطريق في تلقين الذكر للمريد.

فقال: وقد بلغنا عن علي بن أبي طالب لما لقنه رسول الله ﷺ وعن الحسن البصري لما لقنه علي رضي الله عنه ـ وكان عمر الحسن البصري إذ ذاك عشر سنين كما صححه الجلال السيوطي وغيره ـ قال: ومن هنا كان علي رضي الله عنه يقول: «**لو شئت لوقرت لكم بعيرًا من معنى الباء أو غيرها من حروف الهجاء**» وكان يقول: «**عندي من العلم الذي أسره إليَّ رسول الله ﷺ ما ليس عند جبريل عليه السلام ولا ميكائيل**»، فقال عبد الله بن عباس: كيف ذلك؟

فقال: «**إن جبريل عليه السلام تخلف عن رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، وقال**: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: 164] **فهل يدرِ أحد ما أعطى الله تعالى لمحمد ﷺ من العلوم في تلك الخلوة؟**». انتهى. فهذا هو التلقين الحقيقي.

فقلت لشيخنا رضي الله عنه: فإذًا أهل هذا الزمان الظاهرون غالبهم إنما يقصدون بالتلقين التبرك؛ ليدخلوا به المريد في سلسلة سند القوم؟

فقال: وهو كذلك، ومن هنا ترك إخواننا الصادقون التلقين لسيدي أبي العباس الغمري وسيدي محمد بن عنان[(1)] وسيدي محمد المنير[(2)].

والشيخ محمد بن داود[(3)] وغيرهم.

ثم إني ذكرت هذه الشروط لبعض مشايخ العصر.

---

(1) سبقت ترجمته ص102.

(2) هو أحد أتباع الشيخ إبراهيم المتبولي. كان صالحًا نحريرًا على طريق التصوف قديرًا. وكان مقيمًا ببلبيس، ثم عمّر زاويته المعروفة لما قيل: إنه عطشت امرأة وولدها من المارة في ذلك المكان، فمات الولد عطشًا، فاجتمعت عليه الفقراء. ووقف خاير بك رزقه على سماط زاويته. وحج بضعًا وستين حجة. وكان يقول: ما دامت اللقمة في زاويتي، فالبلاء عن أهل مصر من جهة المشرق مدفوع، فإذا فرغ الطعام منها أتاهم. وكانت عمامته من صوف أبيض، وله شعرة، ويلبس بشتًا مخططًا بأحمر، ويقول: أنا أحمدي. ولا يركب في طريق الحج إلا نادرًا، ولا يحلق رأسه إلا لنسك.
وكان ممن يشفع بعرفة في الموقف في عصاة الحج. وكان سريع العطب لمن يؤذيه. أنكر عليه الشيخ محمد بن عراق قبوله لصدقات الأمراء للفقراء، فكشف رأسه، وجعل عمامته تحت إبطه، ووقف بباب خلوة ابن عراق، وقال: قولوا له: المنير. فلم يخرج إليه، فشكاه للمصطفى ﷺ فمرض ذلك اليوم، فمات بعد العشرين يومًا، وكانت هذه عادته، ما كشف رأسه لأحد إلا قتل. ويقال: إنه كان يحفظ «الروضة». وإنه كان يأتي كل يوم من زاويته إلى القاهرة يحضر درس ابن إمام الكاملية، ويرجع إلى زاويته من يومه. مات سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته. انظر: طبقات الشعراني (2/ 130)، الكواكب السائرة (1/ 95)، والكواكب الدرية (808) بتحقيقنا.

(3) قال الشيخ المصنف في «الطبقات الكبرى» (1/ 423): هو شهاب الدين بن داود بن المنزلاوي المحمدي رضي الله عنه، كان ملازمًا للعمل بالكتاب، والسنة، ما رأيت يعني بعد الشيخ محمد بن عنان أضبط للسنة منه، وكان يقول: من أراد حفظ السنة فليعمل بها، فإنها تتقيد عنده، ولا ينساها، وكان يدرس العلم، ويقرأ كتب التصوف في زاويته على بحيرة دمياط، وكان موردًا للضيوف الواردين من دمياط، والصادرين، وكان ربما لم يجد شيئًا للضيف غير الأرز فيعلق الدست، ويضع الماء يغليه، ويطعمه للضيف فيقول له: ما أطيب لبن هذا الرز! فيقول الشيخ: سبحان الستار، صحبته رضي الله تعالى عنه نحوًا من أربعين سنة ما رأيته قط زاغ عن السنة في شيء من أحواله. مات سنة إحدى وخمسين وتسعمائة عن نيف وثمانين سنة رضي الله تعالى عنه.

فقال: ليست هذه بشروط إرخاء العذبة وإلباس الخرقة والتلقين، فعرضت ذلك على شيخنا فقال: ومن أين لمثل هؤلاء أن يعرفوا ذلك؟ إنما هؤلاء متفعلون في الطريق، ولو كانوا صادقين في طلبها لكان أحدهم إذا سمع بذكرها طلب الوصول إليه ولو بالسفر إلى البلاد البعيدة طلبًا لمن يدله على الوصول إليه، ولكن أصل هذا الجهلة أنهم لما يجلسوا بجُلَّاس الأشياخ في الملابس والمراسم الظاهرة ظنوا أن الأشياخ السابقين كانوا كحالهم، وذلك جهل منهم بالطريق وبأهلها، فالله يلطف بنا وبهم. انتهى.

در وياقوت

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل يقدح في كمال الإخلاص خطور طلب الثواب فيها من الله عز وجل؟

فقال رضي الله عنه: نعم، يقدح ذلك في إخلاص الكُمَّل إلا أن يطلبوا الثواب من باب الفضل والمنَّة، فذلك لا يقدح، بل هو كمال في مقام العبودية، فإن العبد كلَّما ازداد طلبًا من الحق كلَّما أظهر فاقته وحاجته، وما للعبد إلا مولاه، فعلم أن طلب الثواب على الطاعات مذموم في البداية محمود في النهاية؛ لأن المريد يرى العمل له، ثم يطلب عليه الأجرة، والمنتهي يرى ذاته وأفعاله خلقًا لله تعالى، فيطلب من الله ما يقوم به بنية عبد سيده الذي هو الجسم، وكأنه هو خادم ذلك الجسم الذي لغيره، فافهم.

ثم قال لي: عليك يا ولدي بالأدب مع الله في جميع أحوالك، واترك جميع العلل في جميع أعمالك، واقطع الكل بقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: 39] وإياك أن تقطع بشيء فهمته من الكتاب والسنة، ولو كان ذلك موافقًا للصواب في نفس الأمر، فإن كلام الله تعالى لا ينحصر معناه لأحد من الخلق، ولو انحصر لأحد ما كان جميع الأئمة المجتهدين على هدى من ربهم مع اختلافهم.

وإياكم أن تتكلموا في التوحيد مع من فني عن نفسه، فإنه مغلوب على ما هو فيه، ووكلوا أمره لمشيئة الله عز وجل وإياكم أن تكثروا من مطالعة كتب التوحيد؛ لأنها توقفكم عما أنتم مخلوقون لأجله، فإن كل شيخ تكلم بحسب ذوقه، ومراد

الأشياخ من المريد: أن يصير يذوق كما ذاقوا ويتكلم كما تكلموا، إلا أنه يحكي كلام غيره فقط.

وسمعته يقول مرارًا: عليكم بحفظ لسانكم مع علماء الشريعة، فإنهم بوابوا حضرات الأسماء والصفات، وعليكم بحفظ قلوبكم إذا جالستم الأولياء، فإنهم بوابوا حضرة الذات، وإياكم والانتقاد على عقائدهم بما فهمتموه من كلام المتكلمين بأفكارهم، فإن عقائد الأولياء مطلقة متحددة في كل وقت بحسب الشؤون الإلهية، وغيرهم ربما مكث على عقيدة واحدة طول عمره بحسب ما سمع لا بحسب ما شهد، وهذا أمر لا يعرفه إلا أهل الكشف.

والفرق بين عقائد الأولياء وعقائد غيرهم: أن الأولياء لا يصرون على شيء مما شهدوه إذا بدا لهم غيره، بل جميع ما تجلى لقلوبهم حق عندهم، بخلاف المتكلمين؛ فربما يعتقد في الله أمرًا أول النهار ثم يبدو خلافه، فيحكم بفساد الاعتقاد الأول، وأيضًا فإن عقائد الأولياء لا تتغير عند الموت ولا في الجنة، بل الذي يعتقدونه في الدنيا هو الذي يجدونه حال كشف الغطاء؛ لموافقة عقائدهم لما في نفس الأمر بخلاف غيرهم يبدو له عند كشف الغطاء ما لم يكن في حسابه.

وسمعته يقول: لا تقربوا من الأولياء إلا بأدب، ولو باسطوكم فاحذروا منهم، فربما مكروا بكم، فإن قلوبهم مملوكة، ونفوسهم مقهورة، وعقولهم مسلوبة؛ لعظيم ما تجلى من قلوبهم من جلال الله وعظمته، فربما مقتوا على أقل القليل، ونفذ الله تعالى مرادهم فيكم.

قال: وأمَّا المجاذيب فسلموا عليهم بترك الكلام، ولا تسألوهم الدعاء، فربما عدلوا عن الدعاء لكم ودعوا عليكم، فاستجاب الله تعالى لهم، وربما كشفوا عوراتكم للناس بما تفعلونه في قعور بيوتكم.

وسمعته يقول: إذا صحبتم كاملاً فلا تؤولوا له كلامًا إلى غير ظاهره، بأن الكُمَّل لا يسترون لهم كلامًا ولا حالاً؛ لأن التستر من بقايا رعونات النفس، والكمل قد خرجوا عن الرعونات جملة، وأيضًا فإنهم لا يشهدون إلا سر الله تعالى الذي به قام الوجود، فيسترون كلامهم عمَّن يسمعه.

وسمعته يقول مرارًا: الشريعة والحقيقة كفتا الميزان وأنت قلبها، فكل كفة ملت إليها فأنت لها، فالكامل من مال إليهما معًا، والسلام.

وسمعته يقول: أكثروا من سؤالكم العفو والعافية ولو كان أحدكم صبورًا، وألحوا في ذلك، فإن الله تعالى يحب من عباده إظهار الضعف عن تحمل سطوات بلائه وغضبه، ويكره من العبد مقاومة القهر الإلهي وإظهار التجلد.

وسمعته يقول: عليكم بتطهير باطنكم من الغل والحقد، والكبر والحسد، والحرص ومحبة المقام في قلوب الخلق ونحو ذلك، فإن الملك لا يرضى أن يسكن بجواركم وأنتم على هذا الحال، فكيف بنور الحق جل وعلا «**يا داود، طهر لي بيتًا أسكنه**»[1].

وعليكم بإخراج كل ما تعلقت به نفوسكم ولم تسمح بإظهاره من علم أو حال أو غيرهما، وعليكم بالنصح لإخوانكم ولو ذموكم وتكدروا منكم، فإن «**الدين النصيحة**»[2].

وعليكم بإصلاح الطعمة ما استطعتم، فإنها أساسكم الذي يتم لكم به بناء دينكم، وأعمالكم الصالحة؛ إذ الأعمال تابعة لِلُّقْمَة صلاحًا وفسادًا، فلا ينشأ من أكل الشبهات إلا شبهات، ولا من أكل الحرام إلا حرامًا.

وعليكم بقبول ما تصدق به الحق تعالى عليكم على يد عباده على الوجه الشرعي، ثم إذا بلغ أحدكم مبلغ الرجال عرف الحلال والحرام بمجرد الرؤية، وعرف كل لقمة من أين جاءت، ومن يستحق أكلها من الناس ممن لا يستحق من أصحاب الضرورات وغيرهم، كما يعرف البنَّاء موضع كل طوبة.

وسألته رضي الله عنه عن منام رآه أخي أفضل الدين؛ وذلك أنه رأى نفسه قد مات ودخل القبر، وصار يسأل نفسه عوضًا عن الملكين: هل ذلك صحيح؟

فقال رضي الله عنه: هو صحيح، لكن ثمرة السؤال حقيقة إنما ترجع للملكين لا للعبد؛ لأن العبد لم يزدد بسؤالهما علمًا كما كان هو عليه. انتهى.

---

(1) أخرجه بنحوه الطبراني في الكبير (4477)، وفي الشاميين (53).

(2) أخرجه أحمد (16982)، ومسلم (55)، وأبو داود (4944)، والنسائي (4197)، وأبو عوانة (101)، وابن خزيمة في السياسة كما في إتحاف المهرة للحافظ (2456)، وابن حبان (4574)، والبغوي في الجعديات (2681)، وابن قانع (1/ 109)، والبيهقي في شعب الإيمان (5265)، وأبو نعيم في المعرفة (1291)، والطبراني (1267)، وابن عساكر (11/ 54).

ماس

قلت لشيخنا ﷺ: هل يجب على العبد أن يحكم على نفسه بالعدم؛ ليعطي الوجود لله تعالى حقه؟

فقال ﷺ: نعم، لكن بكون شهود هذا العدم من وجه واحد لا من كل وجه لأجل التكليف.

ثم قال: وأوضح لك ذلك؛ وهو أنه كما حكم تعالى لنفسه بالوجود الحقيقي كذلك يجب على العبد أن يحكم على نفسه بالعدم، لكن المراد به: العدم الإضافي، وإلا فالعدم المطلق ليس له ثبوت عين، فافهم.

زمرد

قلت لشيخنا ﷺ: هل للعارف التصرف في رتبته، فيخلعها على من يعده من ولد أو صاحب؟

فقال ﷺ: لا يصح لعارف التصرف في ذلك؛ لأن الرتب حقيقة لله يعطيها من يشاء من عباده.

فقلت له: فهل يقع من القطب الغوث شيء من خرق العوائد، كالمشي على الهواء وطي الأرض ونحو ذلك؟

فقال: ليس من شأن القطب إظهار الكرامات والخوارق؛ لأن ما به يُعطى الستر، وهذه الأمور تظهره، ثم سكت قليلاً وقال: قد تحكم عليه الرتبة بفعل شيء من ذلك، كما وقع للشيخ عبد القادر الجيلي ـ قدس سره ـ وإذا حكمت الرتبة على كامل بشيء، فلا يؤثر ذلك في كماله سواء قطب أو غيره.

وسمعته ﷺ **يقول**: أشد العذاب: سلب الروح من الجسد، وألذّ النعيم: سلب النفس، وأكمل العلوم: معرفة الحق تعالى، وأفضل الأعمال: الأدب، وبداية الإسلام: التسليم، وبداية الإيمان: الرضا.

وسمعته يقول: علامة الراسخ في العلم أن يزداد بسلب علمه تمكينًا؛ لأنه مع الحق تعالى بما أحبه لا مع نفسه بما يحب، ثم قال: كل من وجد اللذة في حال علمه وفقدها عند سلبه فهو مع نفسه غيبة وحضورًا.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه: هل ينبغي لأحد من معاشرة أرباب الأحوال الذين يغلب عليهم أحوالهم؟

فقال رضي الله عنه: لا ينبغي لأحد معاشرتهم إلا إن له قدم راسخ في الأدب، وقلة الاعتراض عليهم بالباطن فضلاً عن الظاهر، فقال له: يا أخي أفضل الدين، ما علامة أرباب الأحوال التي يتميزون بها على غيرهم؟

فقال: علامتهم: صفرة الوجه مع سواد البشرة، وسعة العيون، وخفض الصوت، وقلة الفهم لما يُقال لهم، وأطال في ذلك.

ثم قال: ما في القلب يظهر على الوجه، وما في النفس يظهر على الملبوس، وما في العقل يظهر في العين، وما في السر يظهر في القول، وما في الروح يظهر في الأدب، وما في الجسد يظهر في الحركة.

وسمعته يقول مرارًا: أرباب الأحوال كالنفس تطير في الهواء بالهواء، فإن سكن الهواء سكنوا، وإن سار ساروا، والعارفون كالجبال الراسيات.

كبريت أحمر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن أخذ الحق تعالى العهد على الموجودات: هل أخذه عليها وهي متجسدة والروح حال فيها، أم كان الأخذ على الروح فقط؟

فقال رضي الله عنه: الروح لا تعقل نفسها إلا في مركب الجسم أو الشبح، فلا توجد مجردة عن مركبها، ولا تعقل عن نفسها بسيطة لا في الدنيا ولا في الآخرة، كما أجمع عليه أهل الكشف، ومع ذلك فالحكم حقيقة دائر مع الأرواح لا مع الأجساد، فلولا الروح ما صح للجسم النطق، ولا الإجابة بـ«بلى» يوم أخذ العهد؛ إذ الموجودات في الأولية عبارة عن أشباح تتعلق بها الأرواح.

ولكن الروح هناك هو الظاهر على الأشباح هناك كما هو الحال في الأجساد الأخروية، فإن أجسام أهل الجنة تنطوي في أرواحهم عكس الدنيا، فيكون الظهور هناك للروح لا للجسم، حتى أن بعض أهل الكشف الناقص أنكر حشر الأجساد حين رأى أهل الجنة يتصورون فيما شاءوا من الصور.

فقال: هذه صفة الأرواح لا الأجساد، ولو أنه حقق الكشف لوجد الأجساد منطوية في الأرواح. انتهى.

فقلت له: فما سبب كفر الكفار مع أنهم كلهم كانوا موجودين عند أخذ الميثاق الأول؟

فقال رضي الله عنه: إنما كَفر منهم من لم يكن حاضرًا عند أخذ الميثاق الأول؛ لأن ظهور الخلق هناك كان على التدريج، كظهورهم هنا لكن على غير هذه الكيفية كونًا وزمنًا، والوجود في نفسه واحد، فهذا كان سبب كفر من كفر بعد أخذ الميثاق الأول، فعلم أن من كان حاضرًا عند أخذ الميثاق الأول فهو الذي يؤمن بجميع ما جاء به نبيه بحكم المطابقة.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 2] وهنا أسرار لا تسطر في كتاب. انتهى.

درة

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل يصح للعبد أن يعرف كونه سعيدًا أم شقيًا؟

فقال رضي الله عنه: نعم، يصح ذلك لأهل الكشف الكامل، وأمَّا غيرهم فغاية معرفتهم النظر إلى أعمالهم من حسن وقبيح، فإن الثوب يدل على لابسه، فمن لم يعرف حقيقة مآله فليعرف حقيقة عمله، فهو في حال المعاصي من إخوان الشياطين، وفي حال الطاعة من إخوان الأنبياء والصالحين، والخاتمة مجهولة، والسلام.

ياقوت

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما الطريق الذي يهيئ القلب لنزول العلوم الربانية فيه؟

فقال: الطريق إلى ذلك: محو جميع النقول المتولدة عن الأفكار؛ حتى يصير لوح قلبه أبيض لا نقش فيه، فإذا صار القلب كذلك فقد تهيَّأ القلب لنزول العلوم والواردات الربانية فيه؛ لأنها لعزتها لا تنزل إلا في الأوعية الفارغة، ولو أنه تصور نزولها في الأوعية المنقوش فيها شيء وانتقشت فيها لكان حكمها حكم الكتابة على الكتابة، فلا تصح قراءة الأولى ولا الثانية.

فقلت له: فهذا أمر يعزّ وجوده في الناس؟

فقال ﷺ: «**كل ميسر لما خلق له**»[1] فإذا أراد الله تعالى أن يصطفي عبدًا لنزول الواردات الربانية في قلبه ومحا عنه تلك النقول الكثيفة في لمح البصر، وأنزل في قلبه العلوم الإلهية، وهذه شفافة لا تتزاحم، بل تتداخل كالأنوار، فلو وضع في ألف سراج لوسع نورها. قال مجنون ليلى:

أَتاني هَواها قَبلَ أَن أَعرِفَ الهَوى فَصادَفَ قَلبًا خالِيًا فَتَمَكَّنا[2]

قال: ومن هنا كان فتوحي الأمي الذي لم يتقدم له قراءة شيء من العلوم أعظم الفتوح بحكم الإرث لرسول الله ﷺ فافهم.

جوهر

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: ينبغي للعارف أن يحمي نفسه وأصحابه بالحال ولو مرة، وإن كان ذلك نقصًا في الأدب فهو كمال في العلم، مثل أن يحمي نفسه من متولي الحدود مثلاً، فتيبس يد الجلاد مثلاً، أو ينتفخ الظالم بين يدي أصحابه مثلاً.

قال رضي الله عنه: ومن لم يحمِ نفسه وأصحابه فهو أنثى في الرجال، ويا طول تعبه وشقاء علته، ويا طول عدم قبولها، ومن هنا قالوا: «**ومن الناس من لا يُرتجى خيره إلا إذا مُسَّ بأضرار**» ويحتاج صاحب هذا الحال إلى ميزان محررة تحرير الذهب، وإلا فربما يتعدى حدود المجازاة في إصراره الظالم فيصير ظالـمًا.

در

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: القن أكمل مقامًا في العبودية من المكاتب؛ لأن المكاتب ساعٍ في خروجه من رق سيده، ودخوله في رق نفسه وشهوته، فإن وفى المال لسيده خرج من حفظه وكلأته، وانقطعت عنه الأمداد، وإن لم يوفِّه فحاله

(1) أخرجه البخاري (7112)، ومسلم (2649)، وأحمد (19847)، وأبو داود (4709)، والنسائي في الكبرى (11680).

(2) البيت من بحر الطويل.

موقوف وخاتمته مجهولة، وأيضًا فإن العبد يحمل إليه رزقه وهو في رق سيد واحد، والمكاتب يسعى في طلب رزقه وهو في رق ثلاثة: سيده، ودينه، ونفسه، تبصرة وذكرى لأولي الألباب.

وسمعته يقول: لا يصحب التوحيد شرك، ولا يصحب الإسلام اعتراض، ولا يصحب الإيمان تأويل، ولا يصحب الإحسان سوء أدب، ولا يصحب المعرفة بالله همة، ولا يصحب الإخلاص لذة، ولا يصحب العلم جهل، ومرادنا الكامل من هذا: المقامات، وإلا فقول العبد: «**قمت قعدت**» مثلاً لا يقدح في توحيده الأصلي، والله أعلم.

وسمعته يقول: ما كمل أحد من الأمة من مقام من جهة إلا ونقص من أخرى، وما خرج عن ذلك إلا الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

وسمعته يقول: من غفل عن ربه هنا طال وقوفه بين يديه في الآخرة، لكنه حضور حساب وعقاب أو عتاب.

وأمَّا قول الشبلي، رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إني أحب أن يطول حسابي يوم القيامة؛ ليطول وقوفي بين يديه تعالى**» مشهد لا يقدر عليه أحد، مع أن ذلك منه على سبيل الفرض والتقدير في دار الرخاء، ولعله يذوب من شدة الحساب في ذلك اليوم العظيم، وقد قالوا: «**بين الذوق والفرض كما بين السماء والأرض**». وقال مجنون ليلى:

ولقد هممت بقتلها من حبها ... كيما تكون خصيمتي في المحشر

إلا لظنه أن ذلك الحال الذي ذاقه هنا يدوم معه هناك.

وقد بلغنا أن خطافًا راود خطافة في قبة سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فأبت عليه، فقال: قد بلغ حبي لك أنك لو قلتِ لي: اقلب هذه القبة على سليمان وجنوده لقلبتها، فحملت الريح كلامه إلى سليمان، فأرسل خلفه، فجاء فقال: ما حملك على ما قلت وأنت عاجز عن مثل ذلك؟ فقال: يا نبي الله، إني عاشق، والعشاق إنما يتكلمون بلسان العشق والسكر في المحبة لا بلسان العلم والتحقيق. انتهى.

وأين كلام الشبلي من قول الإمام أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لو خُيِّرت بين أن أكون ترابًا وبين أن أبعث لاخترت أن أكون ترابًا ولا أرى تلك الأهوال**» فاعلم ذلك.

وسمعته مرارًا يقول: الرزق في طلب المرزوق دائر، والمرزوق في طلب رزقه حائر، وبسكون أحدهما يتحرك الآخر، فلا يُقال: السعي أفضل مطلقًا، ولا ترك السعي أفضل مطلقًا؛ لأن الرزق على قسمين:

ـ **رزق**: جعله الله يحمل إلى العبد، فلا يحتاج إلى المشي إليه.

ـ **ورزق**: جعل الله الوصول إليه بالسعي، فلا بد من السعي، والله أعلم.

فيروزج

سألت شيخنا ﷺ عن الخواطر القبيحة التي تخطر للعامة على تطرق الكُمَّل كذلك؟

فقال ﷺ: لا يقع للكُمَّل خاطر يناقض مقامهم، فلا يشاركون العامة في الخواطر القبيحة؛ لارتفاع مقامهم ومشاهدتهم، فإن الخواطر تابعة للمشاهد، مع أن الكامل متحقق بجميع أخلاق العبودية، وهو مع ذلك فانٍ في ذات الحق تعالى أكثر أوقاته، ذاهل عن شهود نفسه، فهو فانٍ باقٍ في آن واحد، جامع بين الضدين، وهذا هو مطمح نظر القطب، وله النصيب الأتمّ من آداب العبودية؛ إذ هو منزه عن أن ينحصر في وصف دون آخر من حال أو مقام.

ثم اعلم أن الوجود لمَّا كان ذاتيًا للحق عارضًا للخلق افتقرت أعيان الموجودات إلى الذات؛ إذ هم خُدَّامها، وبهم ظهر وصفها بالألوهية وتعيُّنها بالربوبية، ومن هنا يعلم أن الكامل منزَّه عن أن يخطر له خاطر يناقض مقامه؛ لارتفاعه أن يؤثر فيه سلب حال أو مقام، بخلاف أرباب الأحوال؛ فإن الخواطر تؤثر فيهم بحسب أحوالهم.

وحاصل الأمر: أن الخاطر إذا ورد على قلب العبد والحق تعالى قيوم على قلبه، فإن ذلك الخاطر ينقلب من حقيقة تقييده إلى صورة مطلقة لا يعلمها أحد إلا بالكشف، ثم تعرج إلى حضرة الله تعالى، فلا تزال واقفة بين يديه أبد الآبدين، وإن ورد الخاطر على قلب العبد وهو فارغ، وكان هناك داعٍ كغلبة حال أو سكر فهو بحسب فقره الداعي وتمكنه وصفاء محله، فإن لم يكن هناك تمكن فإن الخاطر يظهر بصورة روحانية يعرج بها الاسم الداعي لظهور أثره، فلا يستقر إلا في محل استقرار الأعمال.

وإن ورد الخاطر على القلب وهو مستهلك في حقيقة النفس، وأريد الظهور بحسب ذلك الداعي ظهرت صورة ملكية أو حيوانية، وعرجت إلى حيث استقرار عمل النفوس، وإن ورد الخواطر والعوالم الإنسانية تحت قهر الشهوة والشيطان ظهر صورة نارية شيطانية إلى محل استقرار عمل الشياطين، وهو تحت مقر فلك القمر، فإن أراد الله تبديلها في صورة ملك صعدت إلى السماء.

وبالجملة: فالخاطر يتلون العامل كتلون الماء بلون الإناء، فإن كان الإناء شفافًا ظهر التلون صورة محسوسة، وإن لم يكن شفافًا فلا يرى الماء أبدًا ولو كان متلونًا في نفسه، لكن هنا دقيقة؛ وهو أن الإناء سواء كان نظيفًا أو كثيفًا ليس إلا الماء حقيقة.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30] ولما كان الماء فيه قوة التشكل والظهور بكل صورة كان أحدي الذات والصفات في المخلوقات، فانفصلت الأشياء عنه وهو عينها، كما قال تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ [الرعد: 4] فوصفها بالوحدانية، واقتضت حقيقته أن تكون مادة لمجموع العالم، فمن شهد هذا المشهد من كُمَّل العارفين لم يتبرأ قط من خاطر ورد عليه، بل يبادر إلى تلقيه بالأدب من حيث كونه حديث عهد بتكوين ربه، فهو يعلم أن الخاطر ما وصف بالنقص إلا من حيث نقص القائل عن كمال الاستعداد، فإن الخاطر بمنزلة الرسول أو المعلم الهادي إلى طريق الله ﷻ كما أشار إلى نحو ذلك سيدي عمر ابن الفارض بقوله:

عسى عَطْفَةٌ منكُمْ عليّ بنظرةٍ فقد تعبَتْ بيني وبينَكُمْ الرُّسُلُ

أي: رسل الخواطر مع الأنفاس، والله أعلم. هذا ما أملاه لي بحروفه رضي الله عنه.

ياقوت

سمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: لا يكمل الفقير في مقامات الطريق حتى يصير يخاطب الناس على قدر عقولهم وراثة محمدية، فلو قُدِّر أن الناس كلهم سألوه عن حكم واحد، لأجاب كل واحد منهم بكيفية خاصة به بحسب مقامه، وكذلك لا يكمل الفقير حتى يعرف حكم الحديث الواحد من سائر وجوهه، فإن له

وجوهًا: وجه إلى الحق، ووجه إلى رسوله ﷺ ووجه إلى من يستدل به من الأئمة المجتهدين وغيرهم.

وربما رأى الكامل جميع أقوال المجتهدين ومقلديهم لا تخرج عن منطوق ذلك الحديث الذي استدل به كل واحد لمذهبه فقط، ولذلك لا يكمل الفقير حتى يعرف رتبة الراوي حال كل حديث رواه، وأنه من المحال أن يثبت الراوي في مرتبة واحدة حتى يروي حديثين، بل له في كل حديث رتبة لم يكن له عند روايته الحديث الآخر.

ومن شهد هذه المشاهد لم يرَ في أحاديث الشريعة حديثًا مناقضًا للآخر؛ لأن كلامه ﷺ يجلّ عن التناقض، ولا ينافي ذلك النسخ، فإنه ﷺ في ذلك عبد مأمور، فيأمر أمته بأمر فيعملون به مدة، ثم يأمرهم الحق تعالى بأن يفعلوا ضده؛ وذلك لتحُوز أمته ثواب العمل بجميع شرائع الرسل الماضين، وإن كان ذلك متعددًا من جملة شرعه ﷺ فإن جميع الرسل من باطنية شرعه كما قال به جماعة من المحققين، والله أعلم.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن منام الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه حين سأل ربه وقال: «**يا رب، بمَ يتقرب إليك المتقربون؟ قال: يا أحمد، بكلامي، فقال: يا رب، بفهم أم بغير فهم؟ فقال تعالى: بفهم وبغير فهم**» ما المراد بغير فهم؟

فقال رضي الله عنه: المراد به تلاوة العارفين، فإن معاني القرآن تنزل عليهم حال تلاوتهم من غير واسطة فهم أو فكر، فيكون حين تلاوتهم عين تلك المعاني، وإلا فشرط من يتقرب إلى الله تعالى بشيء يعرف معناه، ولو كان المراد بعدم الفهم ما يتبادر إلى الذهن، لكان الإنسان يصح له أن يتقرب إلى الله تعالى بالجهل، ولا قائل به كما بسطنا الكلام على ذلك مرارًا.

زبرجد

سألت شيخنا رضي الله عنه عن مقام المجاذيب في الجنة.

فقال رضي الله عنه: ليس للمجاذيب مقام في جنة الأعمال، كما أنه ليس لهم في الجنة

مقام مخصوص يسكنون فيه «**فهم دعاميص الجنة**»(1) كما ورد في أطفال الجنة.

فقلت له: فهل يتنعمون بالملابس والمآكل والمناكح كما يتنعم المكلفين؟

فقال: لا، إنما لهم نعيم المشاهدة فقط، فهذا هو الذي يشاركون فيه المكلفون.

فقلت له: فهل لهم خصوص وصف في المشاهدة يتميزون به؟

فقال: نعم.

فقلت له: فإذًا السوقة والمحترفة أعلى مقامًا من هؤلاء المجاذيب؛ لقيامهم في الأسباب، وامتثالهم أمر الله واجتنابهم نهيه؟

فقال: نعم، ولهم القدم الراسخة في جنة الفردوس وجنة المأوى وجنة النعيم وجنة عدن، وليس ذلك لأحد من المجاذيب كما أعطاه الكشف الصحيح.

فقلت له: فهل النشأة التي تكون عليها في الجنة تكون كهذه النشأة التي نحن عليها الآن؟

فقال: لا، فإن نشأة الجنة مخالفة لهذه النشأة صورة ومعنى، كما أشار إليه حديث: «**في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»(2).

فقلت له: إن هذا الحديث يشعر بأن حجاب البشرية ما دام قائمًا بالشخص فهو محجوب عن مشاهدة أحوال أهل الجنة من هذه الدار؟

فقال: نعم، لو صحَّ له كشف كما وقع للعارفين لعلم أحوال أهل الجنة من هذه الدار علمًا لا شك فيه، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51].

فقلت له: فإذًا ليس للأولياء والعلماء من الوحي إلا الإلهام على يد ملك الإلهام، والتقييد له من خلف حجاب البشرية؟

فقال: نعم، فإن البشر ما سمي بشرًا إلا لمباشرته الأمور التي تعوق الروح

---

(1) أخرجه أحمد (10336)، ومسلم (2635).

(2) أخرجه مسلم (2825)، وابن أبي شيبة (33973)، وأحمد (22877).

عن اللحوق بدرجة الأرواح، ولولا تلك الأمور لسمعت كلام الله تعالى، سمعته الأرواح من الملائكة ومن الأنبياء.

فقلت له: فلِمَ كان أكثر الوحي على رسول الله ﷺ على لسان جبريل بالوسائط مع أنه أعلى الخلق مقامًا؟

فقال ﵁: إنما كلَّم الحق تعالى محمدًا ﷺ بالوسائط زيادة في التثبت، حتى وصل في اليقين إلى مقام لم يصل إليه أحد من الخلق، مع أن الحق تعالى كلَّمه بلا واسطة في كثير من الأحكام كما هو معروف في السُّنة.

ثم قال: وهنا دقائق ينبغي أن تعرفها.

فقلت له: وما هي؟

فقال: اعلم أن الله تعالى قد جعل لنا السمع والبصر والشم والذوق واللمس واللذة والإدراك حقائق متغايرة حكمًا ومحلاً مع اتحادها في الباطن؛ لأن الإدراك ليس هو إلا النفس، وهي حقيقة واحدة بمنافذ مخصوصة، وإنما تنوعت لتنوع آثارها، وفي الآخرة ينقلب هذا الظاهر باطنًا، فيكون الحكم هناك للباطن، وتتحد أحكام هذه الصفات حكمًا ومحلاً، فيسمع بما به يبصر، بما به يتكلم، بما به يذوق، بما به يشم، بما به يلمس، وبالعكس، ويبصر بسائر جسده، أو بسائر وجهه، أو بسائر حدقة عينه، ويأكل كذلك، وينكح كذلك، ويشم كذلك، وينطق كذلك، ويدرك كذلك.

ثم إن هذه الأمور لا يمكن إدراكها بالعقل؛ لاستحالتها عنده في هذه الدار حسًّا ووجودًا، ولولا أن الله تعالى كشف للعارفين الحجاب حتى شهدوا أحوال الآخرة بعيون قلوبهم، لما صح لهم معرفة شيء مما ذكرناه.

فقلت له: فهذا الأمر عام لكل من دخل الجنة؟

فقال: لا، إنما هو خاص ببعض دون بعض؛ لأن من ارتفع هناك إلى درجة الأرواح لا يحتاج إلى أكل ولا شرب، ولا غير ذلك مما تطلبه الأجسام الدنيوية، وقد أشار إلى بعض ما ذكرناه سيدي عمر بن الفارض ﵀ في نظمه كثيرًا، والله أعلم.

فيروزج

سألت شيخنا رضي الله عنه عن حكمة تخصيص اشتياق الجنة إلى علي وعمار وسلمان وبلال[1] كما ورد؟

فقال رضي الله عنه: لأن معاني أسماء هؤلاء الأربعة هي أركان نعيم الجنة؛ لأن عليًّا من العلو، وعمارًا من العمار، وسلمان من السلامة، وبلالاً من البلة؛ التي هي بلّ القلب من خطور زوال ذلك النعيم، وأطال في ذلك.

ثم قال: واعلم يا ولدي، أن الجنة تتنعم بأهلها كما يتنعم أهلها بها، وكمال النعيم لا يكون إلا باجتماع الروح والجسد، فكان من الحكمة قيام هؤلاء الأربعة المذكورين وإقامتهم بها؛ ليصح لأهلها النعيم الكامل؛ لأن معاني أسماء هؤلاء الأربعة هم روح الجنان وأجسادها، فلا نعيم يظهر لأهل الجنة إلا بوجود هذه الأربعة رضي الله عنهم فهم حقيقة النعيم.

قال: وهم الموكلون أيضًا بالأنهار الأربعة المذكورة في القرآن، فيفرقون منها على كل أحد بحسب حصته ومقامه ومشربه من التوحيد وقوة استعداده، فإن هذه الأنهار الأربعة هي مظاهر العلوم والأعمال الكسبية والوهبية، ويوضح لك جميع ما قلناه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64].

درة

سألت شيخنا رضي الله عنه عن معنى حقيقة الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام؟

فقال رضي الله عنه: حقيقتها: الأفعال المقابلة لما عليه الأنبياء وكُمَّل المؤمنين، وكان تناول آدم من تلك الشجرة صوريًا؛ ليُري بنيه الذين لم يعصموا كيف يتنصلون من الذنوب إذا وقعوا فيها، فإنه عليه السلام معصوم بإجماع، ولكن لما كان

---

(1) إشارة إلى حديث: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، إن الله يحب من أصحابك ثلاثة فأحبهم: عليٌّ، وأبو ذَرٍّ، والمقداد بن الأسود، يا محمد، إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة من أصحابك: عليٌّ، وعمار، وسلمان» أخرجه أبو يعلى (6772).

فاتحًا لقضية السعادة بالتوبة والاعتراف أحبَّ أن يعلم أولاده بكثرة حلم الله تعالى على أولاده؛ ليستغفروه ويشكروه، والكل منه تعالى وإليه يرجع، ومن قال في الأنبياء غير ذلك فهو تحت عهدته حتى يخرج منه بين يدي الله ﷻ.

جوهر

قلت لشيخنا ﷺ: هل القطب الغوث مقيم بمكة دائمًا كما يقال؟

فقال ﷺ: قلب القطب طواف بحضرة الحق لا يخرج من حضرته، كما يطوف الناس بالبيت الحرام، فهو يشهد الحق تعالى في كل جهة ومن كل جهة، لا تحييز عنده للحق تعالى بوجه من الوجوه كما يستدير الناس حول الكعبة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: 60] إذ هو ﷺ متلقٍ عن الحق تعالى جميع ما يفيضه على الخلق من البلايا والأمراض، فرأسه دائمًا يكاد يتصدع من ثقل الواردات، وأمَّا جسده فهو لا يختص بمكة ولا غيرها، بل هو حيث شاء الله تعالى.

وسمعته مرة يقول: أكمل البلاد: البلد الحرام، وأكمل البيوت: البيت الحرام، وأكمل الخلق في كل عصر: القطب، فالبلد نظير جسده، والبيت نظير قلبه، ويتفرع الإمداد عنه للخلق بحسب استعدادهم، وإنما كانت الأمداد أكثرها تنزل بمكة؛ لقوله تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: 57] لاسيما من أتاه مجردًا من بلاد بعيدة؛ إذ الأمداد الإلهية لا تنزل على عبد إلا إن تجرد من رؤية حسناته وصار فقيرًا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: 60] ولذلك ورد: «**من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»[1] فيولد هناك ولادة جديدة، وربما كانت حسنات بعض الناس كالذنوب بالنظر إلى ذلك المحل الأقدس.

فقلت له: فهل يحيط أحد من الأولياء بأخلاق القطب ﷺ؟

فقال: قلَّ من الأولياء من يعرف القطب فضلاً عن أن يحيط بأخلاقه، بل

(1) تقدم تخريجه.

قال بعضهم: إن القطب الغوث لا يُرى إلا بصورة الاستعداد الرأي، وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلي ﷺ أن للقطبية ستة عشر عالـمًا إحاطيًا؛ الدنيا والآخرة عالم منها واحد، وقد تقدم ذلك في هذا الكتاب.

قلت لشيخنا ﷺ: ماذا أنوي بالست ركعات التي يصليها القوم بعد المغرب كل ليلة؟

فقال: قد سألت عن ذلك سيدي إبراهيم المتبولي.

فقال: انوِ باثنين منها الشكر لله الذي جعلك مسلمًا، وباثنين منها الشكر لله الذي جعلك من أمة محمد ﷺ وباثنين منها الشكر لله الذي أعانك على تأدية الفرائض في ذلك النهار، ثم قال: وهكذا فافعل بسائر النوافل لا تفعلها إلا بنية الشكر لله على شيء من نعم ذلك اليوم أو تلك الليلة.

فقلت له: فهل إذا واظب كل يوم على الصلاة على من مات من المسلمين، وغسل في سائر أقطار الأرض؟

فقال: نعم، ولكن لا يواظب عليها، فإنها لم تنقل عن رسول الله ﷺ حقيقةً.

قلت لشيخنا ﷺ: هل أرد هدايا الناس في الزمان، أم أقبلها وآكل منها وأتصدق؟

فقال: الرد عندي أسلم؛ لغلبة الحرام والشبهة في هذا الزمان على أهل المكاسب.

فقلت له: فما تقول في مال الزكاة؟

فقال: صاحبه أحق بتفرقته؛ لأنه هو الذي تعب في تحصيله.

قال: وقد سمعت سيدي إبراهيم المتبولي ـ قدس سره ـ يقول: كل لقمة نزلت في جوفك من صدقات الناس أو هداياهم أخذت من عبوديتك جانبًا، واسترقت منك جزءًا لذلك المحسن قهرًا عليك، وإن كان لابد لك من قبول هدايا الناس فكافئهم عليها ولو بالدعاء حتى ترى أنهم قد استوفوا حقهم. انتهى.

وسمعت شيخنا ﷺ **يقول:** اعلم يا أخي، أن المدد الذي لم يزل فياضًا

على القلب، يتلون إذا نزل في القلب بحسب القلب كما يتلون بحسب الطعمة وفسادها.

ثم قال: إن كلام كل إنسان على صورة قلبه نورًا وظلامًا، فإذا نار القلب نطق اللسان بكلام يشبه كلام الأنبياء، وإذا أظلم ينطق بكلام يشبه كلام الشياطين.

ياقوتة

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل أكتب كل ما يرد علي من واردات العلوم والمعارف؟

فقال رضي الله عنه: إن صحبك ذلك عند انقضاء نزوله على قلبك فاعلم أن الله أراد منك إثباته في الطروس، فاكتبه إذ ذاك، وإن محاه الله تعالى من قلبك بعد تنزله فلا تطلبه بقلبك وفكرك؛ لأن الله تعالى لم يرد منك إثباته. انتهى.

قلت: ويقع لي كثيرًا أن المعنى يكون موقورًا في قلبي، ولكن أعجز عن الإفصاح به لأحد، فأعرف أن الله تعالى لم يرد منه انتفاع أحد به، فالحمد لله رب العالمين.

بلخش

قلت لشيخنا رضي الله عنه عن الفرق بين صوت الإنس والجن: فإننا نسمع في الليل أصواتًا لا نعرف هل هي أصوات جن أو غيرها؟

فقال رضي الله عنه: خطاب الجن وكلامهم لا يكون فيه انطباق، فلا يقدرون على مخارج الحروف.

فقلت له: فكيف يحصل لنا العلم بكلامهم الناقص بعض الحروف كالميم والباء الموحدة والجيم والفاء؟

فقال: يفهم كلامهم بنطقهم بمثال الحروف لا بحقيقته، فإن بعض الأحرف لا يقدرون على التلفظ بها إلا بواسطة ظهورهم في صورة حيوان يدخلون فيها، فيتمكنون إذ ذاك من إظهار بعض الحروف التي يعجزون عنها، والله أعلم.

در

سألت شيخنا ﷺ عن الخشوع الذي يجده العبد حال ذكره مثلاً، ثم يذهب بذهاب الذكر: ما سببه؟

فقال ﷺ: سببه: التفعل في الخشوع من غير ورع ولا زهد، فهو كالرطب المعمول الذي يتلف على قرب، بخلاف الخشوع الحقيقي الحاصل من تجلي الحق تعالى على قلب العبد من غير استجلاب له؛ فإنه يدوم، حتى أن بعضهم يكون خشوعه خارج الصلاة كما هو داخلها على حد سواء، فأخلص يا أخي الله تعالى في عملك، ولا تستجلب الخشوع؛ فإنه يورثك العجب بنفسك، وكن عبد ربك لا عبد نفسك وهواك، فقد قال لي سيدي إبراهيم المتبولي: إذا وجدت قلبك قاسيًا فاحمد الله، وإذا وجدته رقيقًا فاحمد الله، ثم استغفره من هذين الوصفين.

فقلت له: إنه يقع لي في بعض الأوقات أني لا أحس في نفسي بخشوع ولا بقساوة.

فقال: اشكر الله الذي ستر عنك كمالك ورحمك من شهود النقص؛ لما يصحبه من قلة الشكر.

ثم قال لي: احفظ هذه القاعدة؛ وهي: أن كل شيء منحه لك الحق تعالى من غير تقدم سؤال سابق منك فالغالب أن عاقبته حميدة، وكل ما جاءك بواسطة الميل فعاقبته غير حميدة، إلا أن تسأل ما أمرك الحق تعالى بسؤاله.

وسمعته مرة أخرى يقول: إياك أن تميل إلى شيء تألفه النفس؛ فإن السم معه، ولابد لنفوذ السم من معين، ولا معين له إلا ميل النفس، ولكن ذلك في حق الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من باب نفوذ أقدار الله تعالى المحضة كما وقع لآدم عليه السلام فلم ينقص من مقامه من أكله من الشجرة، ولا مقام حواء بقطعها له الثمرة حتى أكلها، بل كان في ذلك غاية الرفعة لهما، والله أعلم.

ياقوت

قلت لشيخنا ﷺ **عن معنى ما ورد من «نزول الحق تعالى** ـ جل وعلا ـ **إلى**

سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل»[1]؟

فقال: هو أمر لا يُعقل، والواجب علينا الإيمان بذلك.

فقلت له: لابد من سماع شيء من معنى ذلك؟

فقال: العقول قاصرة عن تعقل ذلك، ولكن القلوب الصافية تدرك ذلك التجلي من غير كيفية ولا إحاطة.

فقلت: إني رأيت في كلام بعض العارفين أن المراد هنا بـ«سماء الدنيا» هو: قلب القطب؛ لأنه الواسطة في جميع الأمداد، فإذا سمع قول الحق تعالى: «**هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من مُبتلَى فأعافيه؟....**»[2] إلى آخر النسق سأل للخلق أجمعين، قال: لأن القطب محيط بجميع الخلق كإحاطة الجبال والبحار بالأرض.

فقال ﵁: هذا خلاف الظاهر من الشريعة، وحيثما وقع الإيمان بالنزول فلا يضرنا الجهل بالكيف.

فقلت له: إني رأيت في كلام بعضهم أن القطب لا يصح أن يُرى قط في دار الدنيا، وإنما له شهود بقلبه فقط.

فقال: نعم، وكذلك جبريل ﵇ لا يصح أن يرى الله تعالى في الدنيا أبدًا، بل هو والقطب دائمًا من خلف الحجاب.

ثم قال: إذا منَّ الله تعالى عليك بشهود شيء واحد، فلا تعبر عنه بشيء؛ لأن التعبير يفصل، والصمت في الشهود يوصل، وقد تعاظمت الذات الإلهية أن يدرك كنهها أحد من الخلق. انتهى.

زمرد

سألت شيخنا ﵁ عن كثرة النوم في بعض الليالي: هل هو معدود من الغفلة عن الله تعالى؟

(1) أخرجه بنحوه مسلم (168)، وهناد في الزهد (876).

(2) أخرجه الطيالسي (2232)، وابن أبي شيبة (29556)، وأحمد (11313)، ومسلم (758).

فقال: ليس هو من الغفلة، والواجب عليك أن تبادر إلى شهود أن كل شيء وقع لك إنما هو فعل ربك، فاطلب الحكمة فيه أولاً، ثم زنه بميزان الشريعة ثانيًا، فما كان محمودًا فاشكر الله، وما كان مذمومًا فاستغفر الله، وكل من وقف مع الأسباب دون الحق تعالى فقد أشرك، فكن مع ربك لا تأمن مكره، ولا تيأس من روحه، واخرج من اختيارك إلى اختياره.

فقلت له: فما تقول في كثرة القلق والسهر؟

فقال: إن كان ذلك في تفكر تعود مصلحته عليك أو على الخلق فمدد وخير كثير، وإن كان في غفلة وثقل لسان عن الذكر وكسل عند الجوارح، فهو من البلاء الذي يوزعه الله على المؤمنين إذا عجز الأولياء عن تحمله، فينبغي لمن وقع له مثل ذلك أن يصبر حتى يرتفع، ولا يتفعل في رفعه.

مرجان

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الطواف بالكعبة ليلاً؟

فقال: هو عند أكابر الأولياء سوء أدب، إلا أن يأتيه من الله تعالى إذن خاص على لسان ملك الإلهام المحفوظ من التلبيس.

قال: وقد قال لي سيدي إبراهيم المتبولي: أنه طاف ليلاً بغير إذن، فما قدر على إكمال الطواف، وكادت مفاصله تنقطع من شدة الهيبة.

قال: فقلت له: يا سيدي، إن أكثر الناس يطوفون بالليل كثيرًا.

فقال: ليس من يعلم كمن يجهل. انتهى.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الآيات والأحاديث التي فيها مدح الإنسان: هل الأولى له أن يأخذ ذلك المدح على ظاهره، أو يخاف أن يكون ذلك على وجه الاستدراج؟

فقال رضي الله عنه: جميع ما مدح الشارع به الأمة في باطنه توبيخ، وما خرج عن التوبيخ سوى الأنبياء والملائكة، فلا يصح بغير هؤلاء مدح خالص؛ لأنه لو خلص لهم المدح لما أقيمت عليهم حجة الله تعالى، وكأن لسان الشارع يقول

للإنسان إذا مدحه: هل أنت متصف بما وصفتك به أم أنت مخالف لذلك الوصف؟ فإن كنت مخالفًا له فإن مدحي لك إنما هو من باب فضلي عليك، وهو كالتوبيخ لك في الباطن، فخذ حذرك من الركون لذلك.

وإن كنت موافقًا لما وصفتك به، فهل أنت على علم من دوام ذلك معك إلى الموت أم لا؟ فإن ادعيت أنك تموت على ذلك فقد آمنت مكري ولا يأمن مكري ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99] وإن لم تعلم أنك تموت على ذلك فقد فتحت على نفسك باب الإياس من رحمتي و﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87]. انتهى.

جوهر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: أيهما أفضل: هل هو الأكل مما فتح الله تعالى به من غير استشراف نفس، أم الأكل مما يحصل بالكسب الشرعي بالحِرف والصنائع؟

فقال رضي الله عنه: لا شيء أفضل من أكل العبد من عمل يده[1] كما صرحت به الأحاديث، وفي المثل السائر: «**من لا عمل له لا أجرة له**».

قال: وإيضاح ذلك: أن الفلك يدور بالأعمال المحمودة، وينزل منه الإمداد على أصحاب الأعمال بحسب حظهم ونصيبهم من الإخلاص، والنصح في العمل، فمن كان تاركًا للأسباب حرم الإمداد، ودار الفلك بنصيب غيره دونه؛ لأنه لم يعمل شيئًا، وقد رتب الله تعالى الأسباب بعضها على بعض وهو الغني الحميد، فلا ينزل على كل إنسان من الإمداد إلا على حسب عمله.

ومن هنا وقع عتب الخضر على موسى في إقامته الجدار بغير أجرة، فأراد الخضر عليه السلام تبيُّن مرتبة الكسب والوهب؛ لأن الرسالة إنما هي وهب لا كسب، والحق تعالى لا نسبة بيننا وبينه إلا امتثال أمره في امتثالنا أمره في الأعمال المشروعة، فإنه تعالى منزَّه أن ينفصل منه شيء أو يتصل به شيء ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: 16].

(1) إشارة إلى حديث: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده». أخرجه أحمد (17229)، والبخاري (1966).

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: 32] ومن طلب دخول الجنة برحمة الله من غير عمل فهو من قسم النساء لا الرجال، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا ﷺ عن قول بعضهم: «**إن تكليف العبد بالأمور التي أمره الحق تعالى بها من باب الجمع بين الضدين**» هل ذلك صحيح؟

فقال ﷺ: هو عند الكُمَّل غير صحيح، وأمَّا عند أهل الأفكار فهو صحيح؛ لأنهم لا يقدرون على تعقل فاعلين حقيقيين في عمل واحد أبدًا، مع أن الألوهية مطلقة قابلة للجمع بين الضدين، فإنها قبلت التسمي بالاسم «الرحمن» في حال تسميتها بالاسم «المنتقم» وليس لأحد الاسمين أولى بالذات من الآخر.

وكأن الحق تعالى إذا أمر عبده بعمل يقول له: «**افعل كل ما أمرتك به فإنك عبد مأمور موجود، ولا ترى نفسك أنك الفاعل معي بحكم الشركة؛ لأن الفعل لي، وأنت معدوم إذا قربت معي، وأنا الفعَّال لما أريد بفعلك لي وبفعلك؛ لأني غني عنك وعن فعلي فيك ولك وبك، فإن رأيت أنك فعلت فقد أشركت، وإن رأيت أنه لا فعل لك معي فقد كفرت بكتبي التي أنزلتها على رسلي، فاحذرني وافعل كل ما أمرتك به، ولا تنسب إلى نفسك فعلاً إلا بقدر نسبة التكليف، وأنا الخلاق العليم وحدي**» وأكثر من ذلك لا يُقال. انتهى.

بلخش

سألت شيخنا ﷺ عن الخوف من الخلق: هل يقدح في مقام الكامل؟

فقال ﷺ: لا يقدح ذلك في كماله، بل هو من جملة الكمال، فإن الله تعالى قد أمر العبد بألَّا يلقي بيديه إلى التهلكة، وجعل روحه وجسمه عنده كالأمانة، فليس له أن يفرط فيها ويضمن إذا فرط.

فقلت له: فهل يتصور الخوف من الخلق مع دوام مراقبة الله تعالى؟

فقال: نعم، ألا ترى إلى مشروعية صلاة الخوف مع كون المصلي بين يدي الله وفي حضرته، وأمر تعالى المصلي بأن يأخذ حذره من العدو.

وتأمل يا أخي، فرار موسى من قوم فرعون مع أنه نبي، وقوله: ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ

﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: 21] يعثر على ما ذكرناه، فإن بداية النبوة تتبدى من بعد نهاية الولاية، وما كان من أخلاق الأنبياء فهو كمال بيقين في الأولياء، وأيضًا فإن الكامل يكنى «أبا العيون» فعين يرى بها حفظ الحق تعالى له من الآفات ما دام في حضرته، وعين يرى بها تسليط عدوه عليه وتسليمه له نفسه ليقتلها، والله أعلم.

فقلت له: فإذًا عدم الخوف من الخلق إنما هو محمود في مقام البداية دون النهاية؟

فقال: نعم؛ وذلك ليتخلص المريد به من فتنة ركونه إلى الخلق دون الله، كما قال تعالى فيه: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 39] ثم إذا كمل حاله خاف مما خوفه الله منه أدبًا مع الله تعالى.

قال تعالى في حق الكُمَّل: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: 37] والحمد لله رب العالمين.

در

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل المراد بالصديق الذي حلَّ أكل ماله بغير حصول إذن منه هو الذي قالوا فيه: إنه فقد، أم المراد به الصديق العادي المتعارف بين الناس في كل زمان؟

فقال رضي الله عنه: المراد به: المتعارف بين الناس، لكن بشرط الحل في ماله، فإذا علمت أن كسب صديقك حلال، وانشرح صدرك لدخولك بيته، وأكل طعامه في غيبته من غير جزازة، فكل منه رخصة من الله تعالى لك بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [النور: 61] انتهى.

وسمعته يقول: لا تصحبوا خواص الأولياء الذين صحبتهم التسليم لله تعالى في سائر الأحوال، ولم يبقَ لهم مع الله اختيار، فإن هؤلاء لا يرون في الوجود محظورًا ينهونكم عنه، واصحبوا خواص الخواص الكاملون المكملون الذين هم مع غلبة التسليم عليهم يأمرونكم وينهونكم، ويرغبونكم في أشياء ويرهبونكم عن أشياء، كما عليه طائفة الجنيد وأتباعهم؛ فإن الشيخ إنما يتخذ المترقي ومن يرى كل شيء وقع في الوجود حسنًا، ويقطع نسبة الفعل للعبد لا ترقي في صحبته؛ لقصر بصره عن شهود الفعل لله وحده دون عبيده، وأيضًا فإن المصاحبة تقتضي

الميل إلى الصاحب، وصاحب هذا المقام ليس عنده ميل لأحد دون الله حتى يقيم عوجه، فلا فائدة في صحبته، والله تعالى أعلم.

وسمعته مرة أخرى يقول: مصاحبة الكُمَّل لا يقع فيها إلا أن ينزلوا من مقامهم لمقام المريد، فإنهم في أوائل مقام العبودية، والعبد لا يعترض على شيء من أفعال سيده إلا بإذن خاص من سيده، وأنى له بذلك؟ فهو مع الله دائمًا على قدم الخوف والهيبة، فانظر إلى عالمي المحو والإثبات، فمن قدَّمه الحق تعالى قدَّمه من غير ميل، ومن أخَّره الحق تعالى أخَّره كذلك من غير ميل. انتهى.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن صلاتنا على النبي ﷺ بالألفاظ المطلقة التي لا يحصرها عقل: هل تكون مطلقة في حقنا حتى يكتب لنا ثواب مطلق غير محصور، أم هي مقيدة على صورتنا ولو أتينا بألفاظ الإطلاق؟

فقال رضي الله عنه: لا تستعمل نفسك في إطلاق ولا تقييد، وامتثل أمر ربك كما أمرك، وصلِّ على النبي ﷺ بكل كيفية وردت، واجعل ثواب ذلك في صحائف رسول الله ﷺ لتكفى همك ويغفر ذنبك، كما صرح به في حديث كعب بن عجرة وغيره، فلا تطلب لنفسك قط ثوابًا بعملك، بل اجعله لمن شرعه، فإنه صاحب العمل بالأصالة، وكأن جميع عملك أمانة له عندك، فإن لولا شرعه لك ما اهتديت لفعله.

ثم إن تفضل عليك بعد ذلك بشيء فاقبله منه تفضلاً منه ونعمة عليك باستحقاق لك عليه، فاعمل يا أخي الأعمال التي أمرك الحق تعالى بها من غير نظرك إلى إطلاق أو تقييد، فإن الإطلاق الذي يشهده غاية التقييد كما هو شأن كل شيء فرضنا له مقابلاً، فما ثم إطلاق إلا صفات الحق تعالى، فإنها إطلاق لا مقابل له؛ لعلمه بحقائق الذوات وما تستحقه.

وأمَّا نحن: فإطلاقنا تقييد، كما إذا قال الواحد منَّا: «**اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد عدد ما كان وعدد ما يكون وعدد ما هو كائن في علم الله**» فقد استغرق هذا اللفظ العدد والمعدود حسًّا ومعنىً، فإن صلاة الله تعالى الواقعة على نبيه ﷺ لا افتتاح لها، ولا انتهاء إذا وقعت مرة واحدة، فلا تجد المرة

الثانية والثالثة وما بعد ذلك زمنًا يقع فيه لو تصور انتهاء الزمان اللائق بالله تعالى، فكيف وهو لا يتصور انتهاؤه؟ فعلم أن صلاة الله تعالى عليه ﷺ مرة واحدة تستغرق الزمن المطلق بأقسامه، وكذا تستغرق أيضًا لجميع المستحيلات المضافة إلى العلم والقدرة.

فإن كرر المصلي الصلاة على النبي ﷺ مرة أخرى، فعلى أي عالم لم يقع مع الاستغراق المطلق الذي لا افتتاح له ولا انتهاء، وإذا لم يصل رتبة المصلي إلى هذا العموم والشمول لضيقه وحصره وتقييده، فكيف يظهر عنه إطلاق أعماله الواقعة على يد عبد لا تكون إلا على شاكلته.

قال ﷺ: «**الولد سر أبيه**»[1] فمن علم ما قررناه وتحققه علم أنه لا يظهر من عمل عامل ولا قول من صلاة وقراءة وغيرهما إلا بصورة استعداده في ذلك الوقت، وصورة رتبته في مقام التوحيد.

وقد ورد: «**أن الله تعالى يعطي أقوامًا في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[2] وهم الذين شهدوا أعمالهم خلقًا لله وحده، ليس لهم فيها شركة معه، فلذلك كان ثوابهم مطلقًا عن الحصر والتقييد، بخلاف ثواب من يرى العمل لنفسه أو مشتركًا، فإن ثوابه يكون مقيدًا محصورًا، تراه العيون وتسمعه الآذان، ويخطر على قلوب البشر، حتى أن من شهد العمل لله وحده لا يصح منه تقييد، ولو أتى بالألفاظ المقيدة عكس من شهد العمل لنفسه فإنه ولو أتى بالألفاظ المطلقة يكون مقيدًا، فلا تتعب نفسك يا أخي في طلب الإطلاق وأنت تشهد العمل لك، فإن ذلك لا يكون لك. انتهى. وهو كلام ما أظنه طرق سمعك يا أخي قط، والله أعلم.

ماس ويواقيت ودرر

سألت شيخنا ﷺ عن الفهم والتدبر في القرآن: هل يصح للعبد من غير تقدم آلة من نحو ومعانٍ وأصول ونحو ذلك؟

---

(1) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (1/ 236).

(2) تقدم تخريجه.

فقال رضي الله عنه: إذا وجدت آلة العقل كانت هي المقصود لكل فاهم وعارف من الفقهاء وكُمَّل العارفين، فإن الله تعالى جعل العقل آلة يقطع بحدِّها كل شيء، والتدبر والتفكر صفتان من صفات العقل، والقلب وعاء للصفات كلها، وإصلاح الطعمة أصل ذلك وغيره، فإن الإناء إذا كانت شفافًا كالزجاج وبلور وياقوت ظهر ما فيه على صورة الإناء ولونه واستدارته وتربيعه وغير ذلك، وإذا كان كثيفًا كالخشب والحديد والنحاس لم يظهر لها فيه صورة ولا لون، ولا يعرف له حقيقة ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14].

قال: ثم إن الآلة إذا طبع فيها الخير أو الشر دام مكثه ما لم تتغير هذه النشأة من أصلها وطبعها، وذلك غير ممكن؛ لأن القدرة والإحاطة تابعين للصور، فجعل تكوينها لا بعده من حيث إن العلم تابع للمعلوم عقلاً، وإن كان ذلك لا يصح في الصفات الإلهية؛ لتساويها في القدم الذي لا أول له، وهذا من علوم الأسرار التي لا تعرف إلا بالذوق والكشف، فإن الناس كلهم تقول: إن المعلوم تابع للعلم، وصاحب هذا العلم هو الذي يطلعه الله تعالى على سر القبضتين بعد زوال الدنيا، ويعرف أهل الجنة وأهل النار، وأطال في ذلك بكلام يتفلت من العقل؛ لغموضه.

ثم قال: **وبالجملة**: فكيف ما كان القلب متحققًا بالصورة التي هي حقيقته، فإن ما فيه يكون كذلك؛ إذ الحكم دائمًا يكون للقلب على الجسد والروح صفاء وكدرة، كما أنه محكوم عليه بإصلاح الطعمة أو فسادها، كما أشار إلى ذلك حديث: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[1] وأكَّده بلفظ: «**كل**» التي تقتضي حصر المجموع، فتأمله تعرف ما ذكرنا.

فإن القلب إذا صلح صار مهبط الوحي الإلهامي ومسكن الملائكة، وإذا فسد كان مسكن الشيطان والهوى؛ إذ البيت لا يقبل إلا ما شاكله، وأيضًا فإن الأحرف كما كانت وعاء للمعاني كان القلب كذلك وعاء لمعرفة الحق تعالى، فكما أن

(1) أخرجه البخاري (52)، ومسلم (1599)، وأحمد (18398)، وأبو داود (3329، 3330)، والترمذي (1205)، والنسائي (4453)، وابن ماجه (3984)، والدارمي (2531).

الحرف إذا تغير بعض صورته أو لفظه فسد المعنى، فكذلك القلب إذا تغير بعض صورته أو صفته فسد ما فيه، فافهم ذلك وتأمله تعرف أنه ليس لنا آلة يحصل لنا بها العلم بالله تعالى أو بالكون غير العقل، وبغير العقل لا يمكن أن يحصل علم أبدًا، كما أنه لا يصح لأحد دخول البيت بغير باب يدخل منه.

فقلت له: فما سبب لذة العلوم عند حصولها في القلب وقبل وجودها في النفس؟ هل سبب تلك اللذة المذكورة فناء الإنسان عن حسه كما هو الأمر في النفس أم لا؟

فقال رضي الله عنه: إذا كان القلب وسع علم الحق فكيف لا يسع نفسه وما ظهر عنه ومنه.

فقلت له: عالم الغيب أوسع من عالم الشهادة الذي هو محسوس، والحكم دائر مع المحسوس لا مع المغيب فلا تفترق عنه، كما لا يفترق «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

فقلت له: فما الحكم في الإفاضة على النفس؟

فقال: يكون الحكم بحسب استعدادها وقربها من عالمها الأول، أو بحكم تقييدها وعدم استعدادها أو ضعفه، وبحسب بعدها عن عالمها الأول.

فقلت له: نريد الفرق في ذلك؟

فقال: الفرق هنا: ألَّا فرق، كخطاب الصفة لموصوفها، وخطاب قلبك لنفسك، وأنت، أنت، وهما، أعني: القلب عين أنيتك، فافهم.

فقلت له: فهل جميع العلوم المتولدة من الفكر مستقيمة في نفسها أم يكون فيها الخطأ والصواب؟

فقال رضي الله عنه: يكون فيها الخطأ والصواب؛ إذ الحكم في ذلك تابع للوقت، وعلم الوقت يذهب بذهابه، والذهاب: عدم العدم، فلا حكم له ولا عليه.

فقلت له: هذا إذا كان الفكر يفكر، وأمَّا إذا كان الفكر عن وقع في القلب في الوقت فذلك إلهام، فقال لي: بشرطه، فعرفت مراده.

فقلت له: فكيف صح بقاء العلوم في لوح النفس والإدراك لها مع كثرة واردات العلوم الفياضة على القلب؟

فقال رضي الله عنه: بقاء العلوم في لوح النفس إنما هو لأجل حفظها في الصورة

التي ظهرت عنها الأعمال والأقوال حالة وجودها، والمدرك لها حقيقة إنما هو نور القلب حال صفائه المطلق.

فقلت له: فما معنى قولهم: «**العلم قد يكون حجابًا، والجهل قد يكون علمًا**»؟

فقال: معنى كونه حجابًا: أنه صفة، وركون العبد إليه صفة أخرى، والصفة مع الصفة لا تحصل منها نتيجة كاجتماع الأنثى مع الأنثى، وأمَّا معنى قولهم: «**والجهل قد يكون علمًا**» أي: عند وقوع الحيرة، فإن العجز في الحيرة قد يكون علمًا، كما سموا العجز عن معرفة النفس: علمًا بها. انتهى.

قلت: قال الشيخ محيي الدين بن العربي، رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما قالوا: «**العلم قد يكون حجابًا**» يعني: عن معرفة الذات؛ لأن العلم دائمًا يتقدم في الرتبة على صاحبه، وهو خلق علمه لا يمكنه أن يتقدم على علمه أبدًا، فهو دائمًا حجاب على صاحبه عن الإحاطة بالذات، فإن تصور أن أحدًا عرف الذات فهو العلم لا صاحبه. انتهى. وهو كلام غويص بعيد، فليتأمل.

فقلت له: فلِمَ قالوا: «**إن التفكر للمبتدئ أنفع له من الذكر، بخلاف الكامل؛ فإن الذكر أنفع له**»؟

فقال: لأن الأمر درجات؛ إذ القلب والنفس وغيرهما من المعاني الباطنة يألف كل منها صفاته، فإذا ألف القلب والنفس التفكر ولَّدا وهمًا، والوهم يولد خيالاً والخيال مع التفكر يولد علمًا، والعلم يولد يقينًا، واليقين يولد حق اليقين بعد عين اليقين، فلا يزال المريد يترقى بهمته وفكره إلى غاية ما قسم له، بخلاف الكامل؛ فليس هذه الصفات فيه متولدة من فكر على التدريج، بل هو يدرك في الزمن الفرد من العلوم ما لا يحصر ولا يوصف ولا يشهد، مع أنه لا التفات للكامل إلى ذلك؛ لأن التفاته إليه يشغله عن كمال الاشتغال بأوصاف عبوديته التي خلق لها.

ولا ينبغي للعاقل أن يشتغل بصفات نفسه التي هي حاصلة له ويغفل عما هو مراد منه في ذلك الوقت، فإن جميع ما ظهر له ويظهر من المعارف والأسرار إنما هو صفة من صفاته، فهو يعلم أن اشتغاله له بمثل ذلك تحصيل الحاصل، وتحصيل الحاصل فوت، فالكامل من اشتغل باستعمال جميع جوارحه الباطنة، والظاهرة فيما كلفت له، والسلام.

فيروزج

سألت شيخنا ﷺ عن أدب الإحرام للحج لما أردت السفر له؟

فقال ﷺ: أدبه: أن تتجرد باطنًا من الحسنات والسيئات كما تجردت ظاهرًا من لبس المخيط.

فقلت له: قد عرفنا التجرد عن السيئات، فكيف التجرد عن الحسنات؟

فقال: ألَّا تشهد لك من نفسك حسنة واحدة، وجميع ما أنت فيه من الطلقات من جملة فضل الله عليك، وتشهد مجموع ذلك كلها ذنوب وعيوب ضم بعضها إلى بعض فصارت صورة إنسان، وذلك ليحصل لك الذل والانكسار بين يدي الله تعالى في تلك المواطن الشريفة التي تنسكب فيها العبرات، ويصير حسنات الإنسان فيها كأنها ذنوب، بالنظر إلى ما يستحقه جلال الله ﷻ.

فقلت له: فأين يكون التجرد عن الحسنات؟

فقال: من راح إلى باب المعلى، فليس لأحد أن ينزل من باب المعلى وهو يشهد أن معه حسنة واحدة، ومتى شهد معه حسنة حرم إنزال الإمداد عليه من جهتها؛ إذ المدد لا ينزل إلا على الأمكنة المفتقرة إليه، كالأرض اليابسة بالنظر إلى المطر، وذلك ليكمل ظهور كمال فضل الله تعالى على عبده، ويكمل تعظيم العبد لتلك النعمة التي يمن الله بها عليه.

فقلت له: فمتى يخلع على الحاج خلعة القبول؟

فقال: عند قبر رسول الله ﷺ وذلك ليظهر الحق تعالى نعمته على أمته بحضرته ﷺ فيقر بذلك عينه ويزداد ﷺ شكرًا لله ﷻ بكرامته تعالى أمته من أجله.

فقلت له: فمن لم يتجرد عن حسناته وسيئاته؟

فقال: نعم كما ذكرنا، فهو تحت المشيئة، وربما رجع إلى بلاده ممقوتًا، نسأل الله العافية.

فقلت له: فمن خلع عليه خلعة القبول بحضرة رسول الله ﷺ هل يقع له بعد ذلك سلب؟

فقال: قد يقع السلب لبعضهم بعد أن لبس الخلعة عند رسول الله ﷺ وقرت عينه بذلك؛ إذ جميع ما يُعطاه العبد في هذه الدار هبات وعطايا تؤخذ من محل

وتعطى لمحل آخر؛ لسوء أدب ذلك اللابس ووقوعه فيما لا يليق به، ثم قد يتفضل الله تعالى بعود ذلك المدد إذا بلغت العقوبة حدها.

فقلت له: وما علامة بلوغ العقوبة حدها؟

فقال: أن تبلغ في الذل والمسكنة والذوبان والخجل من الله تعالى الغاية، وربما توقف رجوع حاله إليه على أمر أمه أو خالته أو واحد من قرابته، وربما توقف على رؤيته نفسه أحقر من جميع خلق الله تعالى.

فقلت له: فمن أكثر الناس سلبًا ومددًا؟

فقال: من يرى نفسه على عوام المسلمين، ويرى أنه أتى بالحج على صفة الكمال من غير إخلال بشيء من الآداب.

فقلت له: فمن أكمل الناس فتوحًا ومددًا ممن ورد تلك الأماكن؟

فقال: أكثرهم مددًا من كان كلَّما كثر علمه وعمله ازداد هضمًا وحقارة في نفسه، ولا يعتمد على شيء دون الله ﷻ. انتهى.

ياقوت

قلت لشيخنا رضي الله عنه: كيف صحَّت مراقبة الحق ـ جل وعلا ـ مع عدم تحيُّزه في جهة أو جهات؟

فقال رضي الله عنه: إنما يصح من العبد مراقبة الحق ـ جل وعلا ـ مع عدم تحيُّزه في جهة أو جهات.

فقال رضي الله عنه: إنما يصح من العبد مراقبة ما يخيله من شهود نظر الحق تعالى إليه لا نظره هو إلى الحق، فإن نظره هو إلى الحق تعالى يحصره ويقيده، وتعالى الله عن التقييد والحصر.

وسمعته مرة أخرى يقول: المراقبة لله تعالى عينًا لا تصح، وكذلك الأُنس به، فما راقب المراقب أو أنس إلا بما منَّ الله تعالى به، وخصه بما من الله به ملاطفة لعبده وتقريبه إلى حضرة شهوده بقلبه، فإن العبد يأنس بذلك عكس ما حاله إذا حجبه الحق تعالى عنه، وأين القطع من الوصل؟ فافهم.

وسمعته مرة أخرى يقول: المراقبة من حيث هي تنشأ عن صلاح الجسد بواسطة القلب، كما أن صلاح القلب يكون بواسطة الطعمة الحلال، كما أن

المحل في الطعمة يكون بواسطة الكسب في الكون، كما أن صحة الكسب يكون بصحة التوكل على الله تعالى.

فقلت له: فإذًا التوكل هو عين المراقبة.

فقال: نعم.

وإيضاح ذلك: أن الأمور كلها من الله تعالى وإليه ترجع، فابتداء أسباب المراقبة من الله، ونهايتها منه، وإن كانت كسبًا للعبد في النهاية، فتأمل يا أخي قوله ﷺ: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[1] لم يقل: «**شاكرًا**» فإنه من حيث تحققه بالعلم هو شاكر، ومن حيث تخلقه بالعمل هو شكور، وبين الأمرين فرق عظيم.

فقلت له: فإذًا الطعمة تؤثر في القلب أكثر مما يؤثره السبب؟

فقال: نعم، إلا أنه إذا استمر توجه القلب إلى الحق ـ جل وعلا ـ ربما استخلص لعبده المخصوص الحلال من بين فرث الحرام ودم الشبهة ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284].

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن سبب ركون النفس إلى خرق العوائد؟

فقال رضي الله عنه: سببه: الحجاب عن الله تعالى؛ إذ لو كشف الحجاب لرأى العبد جميع الأفعال خلقًا لله تعالى لا تعمل للعبد فيها، وإذا كان لا تعمل له فيها، فمن أين تأتيه اللذة؟

ثم قال لي: من سوء الأدب أن تألف النفس النعمة وتنسى المنعم؛ لأنه تعالى ما أعطى عبدًا نعمة إلا ليرجع بها إليه عبدًا ذليلاً في نفسه، ليكون له ربًّا كفيلاً، والحق لا يكون كفيلاً إلا لمن كان له عبدًا خالصًا لا ميل له إلى شيء من حظوظ النفس «**تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة**»[2] فالعبد الخالص من اختار ربه على نفسه وهواه.

فقلت له: فمن أين جاءنا الميل إلى النفس والهوى مع أنهما مجهولان

(1) أخرجه البخاري (1130)، ومسلم (7302).

(2) أخرجه البخاري (2886)، والبيهقي في سننه (21680).

معدومان في الأصل، وكان الأولى بنا الميل إلى الحق تعالى قطعًا؛ لأنه معلوم موجود؟

فقال ﷺ: إنما الفناء الجهل والعدم؛ لأنه أصل ظهورنا، بخلاف المعرفة والوجود؛ لأنهما أصل ظهور الحق تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56].

قال ابن عباس: إلا ليعرفوني، فجميع ما حصل بأيدي الحق من المعرفة والوجود فمن فضل الله ورحمته عارية مردودة، كما أن جميع ما حصل بأيديهم من الجهل والعدم فعدل من الله ونقمة ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49]. انتهى.

درة

قلت لشيخنا ﷺ: أرشدني إلى حالة محمودة في الدنيا والآخرة لأكون عليها؟

فقال ﷺ: ليس من شأن المحقق أن يدبر لنفسه حالاً محمودًا ليكون عليها، فربما دبرت النفس ما يبعدها عن الله تعالى، فالخلاص أن يتبع الشريعة في كل حركة وسكون، ونسأل الله أن يدبرك بحسن التدبير.

جوهر

سمعت شيخنا ﷺ **يقول**: ينبغي للمريد أن يحمل كله على نفسه دون شيخه، ولا يحمل شيخه إلا ما عجز هو عنه؛ لئلا تألف نفسه الراحة في الدنيا فينقص استعداده، وشيخه كما ليس هو بمقيم له.

فقلت له: فهل للمريد طلب المساعدة من شيخه؟

فقال: نعم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] وفي الحديث أيضًا: أن شخصًا قال: يا رسول الله، أسألك مرافقتك في الجنة؟

فقال ﷺ: **«فأعني على نفسك بكثرة السجود»**(1).

(1) أخرجه مسلم (489)، وأبو داود (1320)، والنسائي (1138).

فيروزج

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الميزان التي يوزن بها الرجال؟

فقال رضي الله عنه: هي وهب وكسب، فالوهب لا ميزان له، والكسب ميزانه المشي على الصراط المنصوب في هذه الدار، وهو الشريعة، فمن استقام عليه فهو الرجل الكامل.

فقلت له: فهل يوزن جوارح الرجال؟

فقال: نعم، القلب بالقلب، والبصر بالبصر، والسمع بالسمع، والقلب جامع للكل ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [مريم: 38].

ثم قال: عجب من سبق لا يحجب، مع أن عدم الحجاب حجاب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: 37] على أن أصل الميزان واحد وإن جمعه الله تعالى في نحو ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: 47] كما أن أصل الإسلام واحد مع أنه بني على خمس. انتهى.

زمرد

قلت لشيخنا رضي الله عنه: إذا كشف للعبد عن حسن الخاتمة وأنه يموت على الإسلام، هل يخاف عليه بعد ذلك؟

فقال رضي الله عنه: نعم، كشف العبد عن ذلك من جهله علم نفسه، فهو علم الوقت يذهب بذهابه، والله ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: 16] ولا يصح لعبد أن يصل إلى يقين ما يحكم به الحق تعالى عليه قبل وجود العبد وبعده، لعدم التقييد على الحق تعالى بأنه لا يغير ما كشف لذلك العبد.

قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29] هذا ما درج عليه المحققون، وكلما زاد العبد في المعرفة زاد في الحزن، والله أعلم.

ياقوتة

أوصاني شيخي رضي الله عنه وقال: إذا عارضك أحد من أصحاب التوبة أو من

أرباب الأحوال فلا تقابله، بل توجه إلى ربك، ثم إلى نبيك محمد رسول الله ﷺ وقل لذلك المعارض: «**الله ورسوله أقوى منك**» فإنه يُخذل بعون الله تعالى، فإن أصحاب التوبة اليوم من العجم، وهم ينفرون من أولاد العرب، فمن اشتغل بمعارضتهم غلب، فإن من شأنهم أنهم إذا توجهوا إلى جبل مهَّدوه، فاستعن بهم في جميع حوائجك بالقلب، فإنهم يطلعون على ما يخطر في قلوب العباد وعلى ما يفعلونه في قعور بيوتهم، ويحبون من سلك معهم الأدب. انتهى.

جوهر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل أتسبب في جباية مال لمن أفقره الله بعد غناه، أم أعطيه مثل الرغيف والخلق من الثياب فقط؟

فقال رضي الله عنه: أعطه من الرغيف أو النصف أو الخلقة، ولا تطلب ترده إلى حاله الأول، فإن الله تعالى ما أفقره إلا لحكمة أراد إظهارها، وكل ما في الوجود بمرأى من الله ومسمع، فلا تطلب بنفسك أن تغني من أراد الله فقره وتأديبه، فربما عاقبك على ذلك وأفقرك، وقسَّى قلوب عباده عليك، وإن كنت ولابد تريد غنى من أفقره الله، فتطلب من الله معرفة السبب الذي أفقره لأجله، وأرشده إلى أن يتدارك أمره بالتوبة والاستغفار، واحذر من دخولك بين يدي الله تعالى وبين عباده إلا بأمر من الشارع ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 218].

لؤلؤ

قلت لشيخنا رضي الله عنه: إن وقع موتكم قبلي، هل أصحب أحدًا من مشايخ العصر لأتعلم منه الأدب؟

فقال رضي الله عنه: لا تفعل ذلك، ولكن إن وجدت أحدًا منهم مخصوصًا بالبلاء فاصحبه وشاركه في بلائه؛ لتُكتب ـ إن شاء الله تعالى ـ من القائمين في منافع العباد، وأمَّا من رأيته مترهفًا في مأكله وملبسه ومركبه فابعد عنه جهدك؛ لئلا يفتنك بظاهر حاله وإن كان في الباطن بخلاف ذلك.

وكذلك لا تصحب من تراه يعد نفسه من القوم أو يرى أنه أهلاً لأن يكون له تلميذ؛ فإنه مفتون، إن الصادق في هذا الزمان لا يحب أن يعرف أحد له مقامًا،

فإن المراتب بلغت حدها، وما بقي للظهور الآن فائدة إلا البلايا والمحن، وسماع ما يكره من الحسدة والأعداء، فالعاقل من محا اسمه من ديوان القوم، وأقبل على خويصة نفسه حتى يموت. انتهى.

كبريت أحمر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: كيف الخلاص من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: 113] مع أن العبد يركن إلى نفسه الظالمة كثيرًا؟

فقال رضي الله عنه: اعلم يا أخي، أن ظلم النفس تارة يكون محمودًا، وتارة يكون مذمومًا، فالمحمود: إيقانها في مرضاة الله تعالى، فإن ذلك ظلم لها وهو محمود، وأمَّا المذموم: فهو موافقة هواها في الأمور المنهي عنها.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: 32] أي: يُحمِّل نفسه غير طاقتها في مرضاتنا، فهذا لهو المصطفى، وأمَّا الذي ظلم نفسه بارتكاب المعاصي والركون إلى الظلمة، فليس هو مصطفى ولو كان متصفًا بالإسلام، فإن الاصطفاء قد زايد على الإسلام، وإن كان الذي ظلم نفسه بمعاصي أهل الإسلام مصطفى بالنظر إلى الكفار، فافهم.

فقلت له: فما علامة من لا يركن إلى نفسه الظالمة؟

فقال: علامته: ترك الاختيار والتدبير مع ربه كما هو مقام إبراهيم الخليل، وقد أمرنا الله تعالى باتِّباع ملته.

فقلت له: فإذًا الارتكاب صفة من صفات النفس، كما أن الظلم صفة من صفاته؟

فقال: نعم.

فقلت له: فلِمَ وصفها بذلك؟

فقال: لاعتمادها على نفسها لما ظهر عنها قط فعل قبيح، فهي جاهلة بمعرفة نفسها، ظالمة حيث لم توفِّ بحق ربها، ولم تسند إليه جميع أفعالها وأقوالها وحركاتها وسكناتها الظاهرة والباطنة، ثم لا يخفى أن من لم يوفِّ بحق ربه معذَّب بنار نفسه وشهوته لا بالنار المحسوسة المعدوم تعذيبها بعدم جسد المعذب.

وانظر إلى السيد إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا لم تؤثر فيه نار الشهوة، كذلك لم تؤثر فيه نار الحس، وانظر إلى وصف النار عليه بالبرد، تجد ذلك إنما كان لشدة برد باطنه من نار التدبير والاختيار المفضي إلى الشرك بالله تعالى، كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: 13] فالظلم بحق ربه معذب بالبعد عنه، ومتقرب إلى هواه الذي اتخذه إلهًا له وتوجه إليه.

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ [الجاثية: 23].

فقلت له: كيف يكون الإضلال على علم من الضال؟

فقال: لكونه اتخذ إلهًا من نفسه غير خارج عنه؛ إذ الهوى أقرب الأقربين من النفس، وكذلك الإله الحق تعالى هو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، فهوى العابد علم بما تضمنه في نفسه، وكذلك من دام على ضلاله على علم منه، بخلاف الإله الخارج عنه من الحجر وغيره، فإن ضلال العابد له على غير علم.

ومن هنا عذر من عبد هواه في بعض الأوقات لخفاء مدركه عليه، بخلاف من عبد صنمًا؛ فإن الصنم غير عالم بمصالح النفس أو مفاسدها؛ لبعده وجهله، على أن الإنسان العابد لهواه إنما هو عبد نفسه في الحقيقة؛ لأن صفته عبدت ذاتها كما نبهنا الحق على ذلك بقوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: 21].

وكذلك قول الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**من عرف نفسه عرف ربه**» فيه تنبيه أيضًا على ذلك فإنه كرر المعرفة فيه مع أنها لا تقبل التكرار، والنفس والرب فيه بلا تكرار، فافهم.

زبرجد

قلت لشيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: 30]؟

فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذه الآية من جوامع الكلم؛ لأن المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ جميع الأنبياء، وبقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ محمد ﷺ وبقوله: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ جميع النبيين، وبقوله: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ جميع الأولياء المكملين، وبقوله: ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30] جميع

المؤمنين، وإن كانت صفات الأدنى منطوية في صفات الأعلى، فافهم، والله أعلم.

بلخش

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما معنى قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير: 1-2] إلى آخرها، فإن ورد عليَّ وارد بطلب سماع تفسيرها منكم؟

فقال رضي الله عنه: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ ظهرت، وباسمه الباطن ظهرت، ولم تظهر ولم تبطن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: 4] وانقسمت بعدما توحدت وتعددت وانعدمت بظهور المعدوم ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس: 2] ثم تنزهت بما عنه انفصلت لما به اتصلت واتحدت ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم: 1] ثم تنوعت بالأسماء واتحدت بالمسمى، وظهرت من أعلى عليّين إلى أسفل سافلين، ثم رجعت إلى نحو ما نزلت.

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة: 251] وبالجبال سكن ميدها، وميدها: هو فسادها، ثم اتصفت وتعددت بما وصفت عما به اتصفت، وما اتصفت إلا بما له خلقت وانحرقت، فحشرت وبأعمالها انحشرت، ولحدوثها اتحدت «**كل ميسر لما خلق له**»[1].

﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: 84] ثم انعدم التقييد بوجود الإطلاق، وانخرق الحجاب وتعطلت الأسباب وطلبت القلوب ظهور المحبوب ليكون معها كما كان، وهو الآن على ما عليه كان، لكن هم الذين حجبوا عند يوم ﴿يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: 210].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ [التكوير: 7] ولزوجها تعلقت، ولجثتها تشوقت، ولحقيقتها اتصلت، ولمظاهرها تعددت، وبها تنعمت ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة: 29-30].

---

(1) تقدم تخريجه.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير: 8-9] والروح لم تقتل؛ لأنها حيَّة، وإن قتلت فمجيئها قتلت، وإن سُئلت فيه سُئلت، فقاتلها مجيئها بقتلها ومماتها، والموت عدم العلم، والعلم عند الله؛ لأنه عالم بالقاتل وما يستحقه، فجزاؤه عليه ورجوعه إليه ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: 14].

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: 10] بالأعمال التي هي علوم القلب المفاضة على الجوارح، فالعمل صورة، كما أنه روحه، فمن لا روح له لا نشر لصحفه ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: 94] يرى عملكم، إنه المعلم، والله العامل المنزه عن الرؤية بالأبصار والقلوب المقيدة بغيره «**يُحشر المرء على دين خليله**»(1).

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾ [التكوير: 11] لأنها علوم، والوجود يومئذٍ للأعمال ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾ [الكهف: 49] والحكم والأمر يومئذٍ لله باسمه الله لا باسمه الرب، وحكم الله يعم، وحكم الرب يخص، ثم إلى ربهم يرجعون، ولا وجود لصفة مع ذاتها.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ [التكوير: 12] نار الخلاف أشعلت، والأعمال المظلمة عذبت، إنما يريد الله أن يعذبهم ببعض ذنوبهم، وما عذبهم إلا بهم، وما رحمهم إلا به، والواحد ليس من العدد؛ لأنه الواحد موجود مستور، والعدد معدوم مشهور.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير: 13-14] كذلك ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير: 15-18] إذ الرسول هو المستوي بنبوته على عرش ولايته، وهم العيون الأربعة تُسقى بماء واحد.

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [التكوير: 20] مطَّلِع، والعرش المطلق لذلك اليوم المطلق، يتجلى المعبود المطلق على العابد المطلق الذي هو إطلاق المقيدات ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ [الأنبياء: 104].

(1) أخرجه أبو داود (4833)، والترمذي (2378).

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: 21] إلى آخر السورة، صفات ونعوت وأسماء للموصوف المنعوت بالأسماء. انتهى.

فقلت له: وما معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: 1]؟

فقال: هو كتفسير سورة التكوير، إلا أن ذلك في البرزخ مع بقاء نسب وحجب ليس كهذه ولا كتلك؛ لأنه عالم خيال لا حقيقة له ثابتة، وهو محل تجلي الذات الغنية عن العالمين، لقوله في الحديث: «**إنكم سترون ربكم**»[1].

وأمَّا الدار الأولى التي نحن فيها الآن: فهي محل تجلي الأسماء الخاصة بالربوبية، فكل عالم من هذه العوالم الثلاثة قيوم، به مظهر فرد من الأفراد الثلاثة الذين هم آدم وعيسى ومحمد ﷺ خصيص بالذات، فآدم فاتق لرتق المسميات والمقيدات بصورة الأسماء، وعيسى فاتق لرتق الصفات البرزخيات بصورة الصفات، ومحمد ﷺ فاتق لرتق الذات وراتق لفتق الأسماء والصفات؛ إذ الخصيص بالمظهر الآدمي إنما هو الآثار الكونية، فأظهرت عجائبه وتنوعاته وحقائقه ورقائقه.

وأمَّا المظهر العيسوي فالخصيص به المعارف الإلهية والكشوفات البرزخية والتنوعات الملكية والنفثات الروحية، وأمَّا المظهر المحمدي فالخصيص به سر الجمع والوجود والإطلاق عن الصفات والحدود، وذلك لعدم انحصاره بحقيقة، أو تلبسه بضد شريعة، بل سره جامع، ومظهره لامع، و﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3].

وقد ولج كل هؤلاء الأفراد الثلاثة عالمه المختص به في هياكلهم التي هي فيها الآن، ولم يكن ذلك لغيرهم، فآدم عليه السلام يتحقق ببرزخيته أولاً قبل نزوله إلى هذا العالم، وعيسى كذلك إلى الآن في المحل الذي ولجه آدم مع ما اختص به عليه من حقائق الصفات وإحاطتها على عوالم الأسماء، ولذلك طالت مدة مكثه ضعفي ما مكثه آدم عليه السلام في جنته.

ومحمد ﷺ قد ولج العوالم الثلاث؛ لأنه مظهر سر الجمع والوجود حين

---

(1) أخرجه البخاري (529)، ومسلم (633)، وأحمد (19213)، وأبو داود (4729)، والترمذي (2551)، وابن ماجه (177)، وابن حبان (7442).

أسري به من عالم الأسماء، ونزل الأرض وصعد إلى السماء الدنيا، وعرف جميع أحكامها وتعلقاتها، ثم ولج البرزخ باستفتاحه السماء الدنيا إلى أن انتهى فوق السماء السابعة، ثم ولج باستفتاحه عالم العرش إلى ما لا نهاية له عقلاً، ولا يمكن أحد التعبير عنه إلا بالوصول إليه، ولا وصول إليه، فلا يصح لأحد أن يعبر عنه بحقيقة إطلاقه.

ولذلك ادَّخر ﷺ غالب دعواته ومعجزاته الخصيصة به إلى ذلك اليوم المطلق الذي لا يسع ذلك غيره، فإنه لو أظهر ذرة معجزاته الخصيصة به في هذه الدار لتلاشى العالم بأسره؛ إذ هي كلها تجليات ليس فيها رائحة من الكون المقيَّد، فهي بريئة من المثلية، وما ظهر هنا من معجزاته فإنما ظهر لأجل مشاركة خصوص المرسلين له فيه؛ إذ هو كله كونيات مربيات متخيرات متقطعات، بخلاف ما سيظهر حكمه في الدار الآخرة الخصيصة بما يناسبها من الإطلاق وعدم الانقطاع، فيوم آدم ألف سنة ابتداء يومه وآخره؛ وذلك من سر أوليته وأصل نشأ العالم وظهوره كالواحد مع الأعداد.

ويوم عيسى سبعة آلاف سنة، ابتداؤه ونهايته خمسون؛ وذلك لكونه بعث آخر الدنيا وأول البرزخ، وذلك سبعة أيام.

ويوم محمد ﷺ خمسون ألف سنة ابتداؤه ولا نهاية له؛ لأنه حقيقة الروح الكلية التي انفتحت في برزخيته بصور العوالم الإلهية والكونية؛ فلذلك قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: 4] فمن أمعن النظر علم حقائق الكون ومراتبه علمًا يقينًا، وعلم ما يمكن تغييره، وما لا يمكن تغييره، وما لا تمكن تغييره هناك. انتهى ما استمليته من شيخنا رضي الله عنه في تفسير السورتين، والله أعلم.

در

قلت لشيخنا رضي الله عنه: أيهما أفضل: الفقير الذي يتحمل البلايا عن الناس، أم الذي لا يتحمل شيئًا تسليمًا لله تعالى في خلقه؟

فقال رضي الله عنه: الفقير الذي يتحمل البلاء عن إخوانه أفضل بيقين؛ لزيادة نفعه مع زيادته، على أن التحمل لا ينافي التسليم لله تعالى أيضًا، بل هو من شأن كل

عبد لله تعالى، ولكن ليس في ذلك نفع للناس، وما كثر نفعه أفضل.

فقلت له: فمن أكمل الأولياء مقامًا؟

فقال: الملامتية؛ لأنهم في أنفسهم على أعمال صالحة لا يقدر غيرهم على القيام بها مع سلامتهم من الشهرة، فلا يكاد أحد يعرفهم بالصلاح أبدًا؛ لعدم تميزهم عن العامة في الأفعال الظاهرة، فلا يعلمهم إلا الله ومن أشرف أو اقترب من مقامهم من الأولياء؛ فلذلك حفظ الله تعالى عليهم رأس مالهم، فخرجوا من الدنيا مجهولي المقام، لم يسرفوا من أجرهم فيها شيئًا، بخلاف من اشتهر بالصلاح؛ فربما استوفى أجر أعماله بكثرة مدح الناس له وتبركهم به واعتقادهم فيه.

فقلت له: فهل يحل أخذ الجعالة على التحمل؟

فقال: للفقراء في ذلك قولان:

أحدهما: له ذلك كالأجير في الأعمال الظاهرة.

والثاني: ليس له ذلك؛ لأنه كبيع الدين بالدنيا. انتهى.

ياقوت

سألت شيخنا ﷺ عن حال أرباب الأحوال، وما ظهر عليهم من المكاشفات وخرق العوائد مع عدم صلاتهم وصومهم، وغير ذلك؟

فقال ﷺ: إن كان ذلك في غيبة عقل منهم فجميع ما يقع منهم وعلى أيديهم هو فعل الله تعالى وحده؛ لأنه لا تعمل لهم فيه، وإن كان مع وجود عقل التكليف فذلك ثمرة أعمالهم التي يتحقق بها عن الخلق أو استدراج.

فقلت: فلأي شيء يخفون أعمالهم الصالحة وقد أمرهم الشرع بإظهارها؟

فقال: الشعار قائم بغيرهم ولهم أماكن يصلون فيها دون غيرهم، كمكة والمدينة وبيت المقدس، وسد يأجوج ومأجوج، وجبل ق، والجامع الأبيض برملة لد، وجامع الظاهر بمصر، والجامع الأخضر بها.

قال: وقد حضرنا من مصر إلى الجامع الأبيض برملة لد مع سيدي إبراهيم المتبولي مرارًا.

وبالجملة: فأرباب الخطوة ليس لأحد الاعتراض عليهم؛ لأنهم يخطون خطوة للمشرق، وخطوة للمغرب.

قال: وقد كان منهم الشيخ محمد الشربيني، فكان له ذرية من مراكش من أرض المغرب، وذرية في أقصى بلاد العجم، وذرية في اليمن، وذرية في بلاد الهند، انتهى.

قلت: وقد اجتمعت أنا بشخص شريف من بلاد الهند يوم السبت.

فقلت له: متى خرجت من بلادك؟

فقال: يوم الأربعاء، فنمت ليلة الخميس في مكة، وليلة الجمعة في المدينة المشرفة، وهذه الليلة عند سيدي أحمد البدوي.

ثم قال لي: الدنيا خطوة مؤمن، فربما أدور على مدائن الدنيا كلها في يوم، ثم كلمني كلامًا في مقامات الطريق يدق على الفهم، ولم أفهم منه شيئًا، فلمَّا حججت سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وجدته في الطواف، فقلت له: أعطني وعاء أضع فيها شيئًا من الطعام الذي في بيتنا.

فقال: وعائي بطني، أنا لا أحمل قصعة أبدًا، فحادثته طويلاً، فلمَّا دخلت المدينة اختفى مني هناك- رَحِمَهُ اللهُ.

جوهر

سألت شيخنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الذين يتصدرون لطريق أهل الله تعالى مع جهلهم بأحكام الشريعة المطهرة، بحيث إن آحاد طلبة العلم أعلم منه بالأحكام: هل يقدح ذلك في كمالهم؟ وهل لهم التصدر؟

فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نعم يقدح ذلك في كمالهم، وليس لأحد منهم التصدر في الطريق؛ لأنه كالمكذب والناصب على الناس، وإنما لأحد منهم التصدر إذا صار بحيث لو عقد العلماء له مجلس مناظرة لقطعهم كلهم بالحجج، فمثل هذا له التصدر، وهي طريق أبي القاسم الجنيد، قدس سره.

وسمعته مرة أخرى يقول: لا يصلح للفقير التصدر في الطريق إلا بعد معرفة أدلة مذاهب الشريعة كلها، ومعرفة مجملها ومبينها، وناسخها ومنسوخها، وعامها وخاصها، بحيث لو انفرد في أقاليم الدنيا كلها لكفاهم في العلم والسلوك، ومن لم يصل إلى هذه الدرجة فليس له التصدر في الطريق؛ إذ لا

يصلح التصدر إلا لمن كان إمامًا في علوم الظاهر والباطن.

وسمعته يقول: كل مريد لم يبلغ دركة الاجتهاد في الفقه فليس هو مريد، ثم إنه يرتقي من درجة الاجتهاد إلى علم اليقين، ثم إلى عين اليقين، ثم إلى حق اليقين، وغاية ما يصل إليه الأشياخ، وذلك ليكونوا في طريقهم على يقين لا ظن، فإن غاية الاجتهاد أن يوصل صاحبه إلى الظن، وهو الطرف الراجح. انتهى.

در

قلت لشيخنا ﷺ **ونحن في سنة أحد وأربعين وتسعمائة**: هل أدخل في جملة أحد في هذا الزمان؟

فقال ﷺ: إن وطنت نفسك على مقاساة الأهوال والموت فادخل، وإلا فلا يرد من نزل عليه بلاء علي الدعاء، فإن البلاء قد تزايد في هذه السنة ونزل كالمطر، واستحق غالب الناس المسخ والخسف، ونزول البلايا والمحن عليه، وأيش جهد ما يعمل الفقير فيمن استحق دخول النار؟

فقلت له: قد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: 251].

فقال: ذلك صحيح، ولكن فيما يقدر على الفقير على تحمله، ثم قال لي: أقول لك الحق.

فقلت: نعم.

فقال: جميع أبواب الأولياء الأحياء والأموات قد تزحزت للغلق، وما بقي مفتوحًا سوى باب رسول الله ﷺ فكل من جاءك يطلب منك أن تحمل عنه شيئًا من البلاء النازل عليه فقل له: أنزل ذلك برسول الله ﷺ فإنه شيخ الأولياء كلهم، وحكم الناس من جميع الأمة كالخدم والغلمان له ﷺ فالسيد يحكم بين عبيده وخُدامه عند ربهم؛ لأنه صاحب الجاه العريض.

فيروزج

قلت لشيخنا ﷺ: متى يكمل العالم في الأدب مع الله ورسوله والأئمة المجتهدين؟

فقال رضي الله عنه: إذا صار يشهد المشرع في شرعه، فأتى بما أمر الله به على الكشف والحضور مع الله تعالى فيه، ويأتي بما أمره به رسول الله ﷺ على وجه الحضور معه كذلك، ويأتي بما أمره به الأئمة المجتهدون ومقلدوهم كذلك.

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: لا يصير العالم عالمًا إلا إن صار يشاور رسول الله ﷺ في كل فعل وقول ويفعل بإشارته، فيطابق بين صحته من النقل والكشف، ومثل هذا يشارك الصحابة في معنى الصحبة وإن تفاوت المقام.

قال: وهؤلاء هم الراسخون في العلم حقيقة؛ لأن الراسخ هو من لم تزلزله الأدلة.

فقلت له: فما المراد بحديث «**إن الله يكره الحبر السمين**»[1]؟

فقال: معناه أن الله يكره العالم السمين؛ وذلك لأنه ما سمن إلا لقلة ورعه، ولو أنه تورع لم يجد طعامًا يسد جوعته، فضلاً عن كونه يسمنه، والله أعلم.

زمرد

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل الأفضل لي زيارة الإخوان كل قليل أو ترك الزيارة؛ خوفًا أن أشغلهم أو يشغلوني عن أمر هواهم من الزيارة؟

فقال رضي الله عنه: زُرْ إخوانك بالنية الصالحة، وحرر نيتك قبل الخروج، وليس اللوم إلا على من يزور لغير غرض شرعي.

ثم قال: إذا غلب على ظنك أن المزور يشتغل بك عن ربه أو عن عمل حرفته التي تستره بين الناس فلا تزره، وقد قالوا: من أشغل مشغولاً بالله عن الله تعالى، فقد أدركه المقت في الوقت، والله أعلم.

ياقوت

سألت شيخنا رضي الله عنه عن حج هؤلاء المغاربة وغيرهم بلا زاد ولا راحلة: هل نسلم لهم حالهم أو نعترض عليهم؟

فقال: ذلك مذموم شرعًا، فيجب الاعتراض عليهم؛ لأن الله تعالى ما

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (7630).

خاطب بالحج إلا من استطاع إليه سبيلاً، وذلك خوفًا من تحمل منة الناس في تلك الطريق الصعبة، أو من وقوع الحقد والغيبة في حق كل من لم يركبه إذا تعب، أو يطعمه إذا جاع، ولم يسقه إذا عطش، فيرجع صاحب هذا الحال وهو موقور الظهر من الآثام.

وما نقل عن السلف الصالح من حجهم بلا زاد إنما كان ذلك منهم بعد المبالغة في الرياضة، حتى أن الرجل كان يمكث الأربعين يومًا لا يذوق طعامًا ولا شرابًا، وكان بعضهم إذا عطش يقول: يا رب أنا عطشان، فتنبع له عين في الحال فيشرب منها، وإذا جاع يغرف من الرمل بقصعته فيجده سكرًا، فمن يبلغ هذا الحد، فله أن يسافر بلا زاد ولا راحلة؛ لأنه لا يحتاج إلى الخلق، ولو أن السلف لم يتقدم لهم رياضة لم يخرج أحد منهم بلا زاد، ولو أمروه بذلك لا يسمع لهم.

وبلغني أن أخي الشيخ أفضل الدين حج في بعض السنين من مصر بأربعة أرغفة فأكل في كل ربع رغيفًا، فلما رجع من مكة اشترى له كذلك أربعة أرغفة فأكلها في رجوعه، وهذا أكمل ممن حج على التجريد واعتمد على ما يقدره الله تعالى عليه من قلب الأعيان في الطريق، وقد تشبه شخص به فلم يقدر واحتاج إلى الناس وصار يسلقهم بألسنة حداد، فسفر مثل هذا حرام، والله أعلم.

ماس

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الادخار: هل هو أفضل ليطمئن الجزء الذي فينا يضطرب اهتمامًا بأمر الرزق، أم الأفضل عدم الادخار؟

فقال رضي الله عنه: قد ورد الإذن في الادخار، وورد الأمر بعدم الادخار، وهو محمول على حالين: فمن قوي يقينه في الله، فعدم الادخار له أولى، ومن ضعف يقينه، فالادخار له أولى.

وسمعته يقول مرارًا: ليس لفقير أن يدخر رزقًا لغد إلا إن أعطاه الله تعالى العلم من طريق الكشف، فإنه قوته ليس لأحد معه فيه مشاركة، ويكون الحق تعالى عجل لهذا رزق عامه أو شهره مثلاً فضلاً منه ورحمة بعبده، فإن لم يكن على بصيرة من كون ذلك القوت رزقه وحده، فليس له أن يمسكه عنده؛ لأن

الحامل له على ذلك حينئذٍ إنما هو شح في الطبيعة.

قال: ومن هنا كان الخضر عليه السلام لا يجتمع قط بمن يدخر رزق غد، وهي طريق الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فكان لا يسأل ولا يرد ولا يدخر.

فقلت له: فإذا أعطاه الله تعالى الكشف بأن ذلك القوت من رزق عياله والواردين عليه، فهل يدخره على اسمهم أو يتركه؟

فقال: الأولى ادخاره.

فقلت له: فإن أطلعه الله تعالى أن ذلك رزق عياله أو غيرهم، لكن لم يكشف له أنه يصل إليهم على يديه أو يد غيره، فهل له ادخاره؟

فقال: لا.

فقلت له: فإذا أطلعه الله تعالى على أن ذلك الرزق لابد أن يأتي صاحبه على يديه هو، فهل يدخره لهم، أو يصبر حتى يأتي الوقت الذي يأتيهم فيه رزقهم على يديه فيمسكه حينئذٍ؟

فقال: هو بالخيار حينئذٍ، إن شاء أمسكه، وإن شاء صبر وتركه في يد غيره حتى يأتي وقت إيصاله على يديه، فإن الله تعالى ما أمره بأن يكون حارسًا لرزق غيره، فهو يعرف أن الحق تعالى لابد أن يرده إليه إذا جاء الوقت الذي يصل ذلك الرزق على يديه لهم.

قال: وترك ادخار مثل ذلك أولى؛ لأنه يكون بين الزمانين غير موصوف بالادخار فهو خزانة للخلق لا خازن للحق، فافهم.

زبرجد

قلت لشيخنا رضي الله عنه: ما السبب في كون مريدي سيدي أحمد البدوي، ومريدي سيدي إبراهيم الدسوقي، وغيرهما من أشياخ الطريق يجيبون مريديهم من قبورهم إذا ناداهم، ولا نرى أحدًا من طلبة العلم يجيبه شيخه أو إمام مذهبه من قبره إذا ناداه؟

فقال رضي الله عنه: السبب في ذلك: صحة الاعتقاد والرابطة بين مشايخ الطريق ومريديهم، بخلاف طلبة العلم مع أشياخهم، فلما كان المريد يعتقد في شيخه أنه حي في قبره ويسمع نداءه أجابه، ولما كان الفقيه لا يصل إلى هذه الدرجة لم

يجبه شيخه، فليس عدم الإجابة أو وجودها راجعًا إلى الأشياخ، وإنما هو راجع إلى المريدين، فإن الإمام الشافعي، والإمام الليث وغيرهما أفضل عندنا من آحاد المشايخ الذين أجابوا مريديهم بما لا تتقارب، ولكن لما نقص اعتقاد الطلبة في أئمتهم واستبعدوا أنهم يجيبونهم من قبورهم لم يجيبوهم، فافهم.

قلت: وقد وقع أن سيدي علي الخواص[1] زار الإمام الشافعي مرة وسأله عن مسألة، فأجابه بها من القبر، وكذلك وقع له مع السيدة نفيسة، والسر في ذلك: أن كلام الأموات لا يسمعه إلا من تحقق بكتمان الأسرار، وكذلك ورد: «**أن البهائم تسمع صوت الميت في قبره**»[2] لكونها ليست من عالم التعبير، وورد أيضًا: «**أن لولا تمزع في قلوبكم ومزيدكم في الحديث لسألت الله تعالى أن يسمعكم عذاب القبر**»[3]، وقد رأيت مرة فقيهًا يقرأ عند الإمام الشافعي كل قليل ختمًا ويهديه له.

فقلت له: مقصودي أنك تقرأ على الإمام الشافعي شيئًا من «مختصر المزني» ليحصل لك بركة الإمام؟

فقال: هل يسمع قراءتي؟ فقلت له: نعم، فقال: بعيد ذلك، ولكنهم قالوا: إن الأرواح تحضر في قبورها ليلة الجمعة وتستمر إلى طلوع الشمس يوم السبت، فعلمت قلة اعتقاده في الإمام.

وكان سيدي ياقوت العرشي[4] ـ قدس سره ـ يقول: زوروا الإمام الشافعي، فإن روحه حاضرة في كل وقت، وقفوا للزيارة عند الشباك البحري،

---

(1) سبقت ترجمته 104.

(2) أخرجه بنحوه ابن راهويه في مسنده (1416).

(3) تقدم بنحوه.

(4) هو سيدي ياقوت العرشي الحبشي، أجل تلامذة العارف المرسي، كان إذا شهدته، شهدت له بالولاية، وإذا أشهدك، أشهدك الهداية. أخبر به المرسي يوم ولد بالحبشة، وصنع له عصيدة أيام الصيف بالإسكندرية، فقيل: هي لا تكون إلا في الشتاء.. فقال: هذه عصيدة ولدنا ياقوت ببلاد الحبشة، وسيأتيكم. وهو الذي شفع في الشمس بن اللبان حين سلبه البدوي عمله وحاله، بعد أن توسل بجميع أولياء عصره، فلم يقبل البدوي شفاعتهم، فسافر من الإسكندرية إلى قبر البدوي، فسأله فأجابه، ورد عليه حاله وعمله. مات بالإسكندرية سنة سبع وسبعمائة. كذا ذكره أحدهم. =

فإنه موقف زيارة الأبدال، وكان يقول: ما ثم ولي يُزار فيقرأ عنده شيء من القرآن أو ذكر الله عنده إلا جلس في قبره متربعًا، وقرأ أو ذكر مع ذلك القارئ أو الذاكر. انتهى. وهو خبر من ثقة، وحاشا قلوب أولياء الله أن تجز عن غير علم، والله أعلم.

بلخش

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل للمريد أن يذكر لشيخه كل ما وقع فيه من المعاصي أو خطر له من الخواطر القبيحة على رؤوس الأشهاد، كما عليه طائفة سيدي علي بن ميمون، وابن عراق، وابن علوان، أم الأدب كتمان ذلك، أو شكوى ذلك للشيخ بالقلب من غير لفظ؟

فقال رضي الله عنه: الأدب ذكرهما باللفظ للشيخ سرًا بينه وبينه، ولا يكلف الشيخ المكاشفة فيسيء الأدب معه، على أن الكشف من أخلاق المريدين، وأمَّا الكمل فلا كشف لهم، سيما الكشف الذي يطلع صاحبه على معاصي العباد، فإنه يسمى: الكشف الشيطاني، فيجب عليهم التوبة منه؛ إذ لا يطَّلع على عورات الناس إلا الشياطين.

وقد وقع لسيدي محمد الغمري[1] المدفون في المحلة الكبرى أن مريدًا له

= قال ابن حجر في أعيان المائة الثامنة: في سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة.
طبقات الشعراني (2/ 20)، الشذرات (6/ 103)، طبقات الشاذلية (101)، الكواكب الدرية (554)، وتعطير الأنفاس بمناقب الشاذلي وأبي العباس للرميلي الوفائي (بتحقيقنا).

(1) هو الإمام الفقيه العارف بالله سيدي محمد بن عمر بن أحمد الواسطي الأصل، الغمري، ثم المحلي، الشافعي ويعرف بالغمري (شمس الدين، أبو عبد الله)، ولد بمنية غمر سنة 786 هـ تقريبًا، ونشأ بها، ثم قدم القاهرة، فأقام بالجامع الأزهر، وأخذ الفقه والميقات، وتصوف، ووعظ، وقطن المحلة الكبرى ووسع المدرسة الشمسية وأحكم بناءها، ثم عمر بالقاهرة بخط سوق أمير الجيوش جامعًا، وجدد عدة مواضع بكثير من الأماكن، وتوفي في آخر يوم من شعبان في المحلة الكبرى، ودفن في جامعه سنة 849 هـ. من تصانيفه: القواعد الصوفية، الحكم المشروط في بيان الشروط جمع فيه شروط أبواب الفقه، منح المنة في التلبس بالسنة في أربع مجلدات، الوصية الجامعة ومحاسن الخصال في بيان وجوه الحلال. انظر: «معجم المؤلفين» (11/ 77) الأعلام (6/ 312).

وقع له الاجتماع بامرأة في الحرام، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته خرج له من الحائط كف الشيخ، فوجده على فرجها، فعاب عليه بعض الأشياخ، وقالوا له: لا يخلو أمر يدك إمَّا أن يكون قد كتب الله عليه الزنا، فلا فائدة لوضع كفك بين ذكره وفرجها؛ لأنه لابد أن يقع وإن كان لم يكتب عليه الزنا بها فلا حاجة لوضع يدك كما ذكره. انتهى.

والحق أن الشيخ مصيب بحيلولته بين مريده وبين الزنا؛ لأنه مأمور بذلك شرعًا، فعليه القيام بما كُلِّف، ومنازعة أقدار الله بأمر الله، حتى أنه لو رأى مريده وقد كتب الله عليه الزنا حتمًا لا يجوز أن يقول له: ازنِ بفلانة، فإنه لابد لك من الزنا بها، والله أعلم.

وإنما جاز للمريد أن يذكر معاصيه للشيخ؛ لأن المريد كالمريض، والشيخ كالطبيب، فيجب عليه أن يذكر لشيخه علته؛ ليصف له الدواء كما درج عليه السلف الصالح، وما كتم مريد عن شيخه شيئًا من أمراضه إلا خان الله ورسوله، وشيخه ونفسه، ومات بدائه وعيوبه، ونقائصه ونجاساته، وخسر دينه لبقائه مع شيخه حال حياته.

وكان الشيخ روزبهار العجمي المدفون بقرافة مصر تجاه قبر سيدي يوسف العجمي[1] يظهر للناس كلَّما خطر له من القبيح، ويقول لهم: داووني، فإني لا

(1) هو سيدي يوسف بن عبد الله بن عمر العجمي، العارف جمال الدين أبو المحاسن الكوارني ثم المصري. ولد ببلدة وران، ونشأ بها على قدم التجريد، وجد واجتهد، وأخذ الطريق عن النجم محمود الأصفهاني، والبدر الششتري وغيرهما، ثم أمر بالتحول إلى مصر.
وذلك بينما هو نائم ذات ليلة إلا وقد أمر بالسفر إلى مصر، والإقامة بها للتسليك، فانتبه واستعاذ واستغفر، وتطهر وصلى ركعتين، ثم اضطجع ونام على جنبه الثاني، فأتاه آت، وأمره كذلك، ففعل كما فعل أولاً، وتكرر ذلك مرارًا، فقال: لزم المسير.
وأخذ دلقه وقصعته، وخرج من البلد فورًا ليلاً، فأسفر الصبح وهو بشاطئ دجلة، فخاض فيها إلى أنصاف ساقية وقال: اللهم إن كانت رؤياي حقًا فأرنيه لبنًا، وغرف بقصعته، فإذا هو لبن، فأراق، ثم قال كذلك واغترف، فإذا هو لبن -ثلاث مرات- فسار مجدًا في السير حتى دخل مصر.
وهو أول مسلكي مصر بعد انقطاع السلسلة منها. فكثر بها أتباعه جدًا، اشتهر ذكره،=

أحب أن أتظاهر بأني من أهل الطريق وأنا في الباطن على خلاف صفاتهم.

وقد وقع له مرة أنه عشق امرأة مغنية، فنزع خرقة الفقراء فرماها للصوفية بمكة، وقال: قد فتنت بفلانة، وجميع ما أصيح وأتوله إنما هو من عشقي لها لا من محبة الله تعالى، وكانوا قد منعوه من الطواف بالكعبة قبل ذلك؛ لعظم صياحه، حتى كان يسقط الحوامل من صياحه، ثم لما تحول عشقه من تلك المرأة إلى محبة الله ورسوله جاء إلى الصوفية وقال: ألبسوني الخرقة، فإني تبت من عشق تلك المرأة. انتهى. وهذا أمر لا يقدر على إظهاره كل أحد، والله أعلم.

جوهر

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل يشمل قوله تعالى: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: 2-3] الأرزاق المعنوية، كالعلوم والمعارف، أم ذلك خاص بالأرزاق المحسوسة؟ وهل إذا رزق العبد من حيث لا يحتسب يؤمن على ذلك الرزق السلب، أم يصح سلبه؟

فقال رضي الله عنه: يشمل ذلك الأرزاق المعنوية، وكل ما رزقه العبد بغير سؤال أو بسؤال عن إذن الشارع له في ذلك فلا حسنات عليه، وهو أمن من سلبه، بخلاف ما جاء بسؤال من غير إذن من الشارع، فإن الآفات تطرقه ويخاف عليه السلب، فاعلم ذلك.

كبريت أحمر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن الأمراض التي تصيب الأطفال والبهائم، مع أنها لا تكليف عليها ولا على الطفل؟

فقال رضي الله عنه: جميع ما يصيب الأطفال والبهائم من الأمراض والعاهات ليس ذلك من مخالفتها لأمر ربها لعدم تكليفها، وإنما ذلك لأسباب أُخر غير جهة

= وبعد صيته، وكثر معتقدوه. قال ابن حجر: وكان أُعجوبة زمانه في التسليك، وله أتباع ومريدون كثيرون، ولبس الخرقة، ولقن الذكر، وسلك، فأجاد، وعم نفعه البلاد والعباد، انظر: طبقات الشعراني (2/ 65) كرامات الأولياء (2/ 293)، والدرر الكامنة (4/ 463)، الكواكب الدرية (684).

التكليف، وهو أن الحوامل أو المرضعات يأكلن ويشربن بشره نفس أكثر ما ينبغي أو غير ما ينبغي من ألوان الطعام والشراب، فيتولد في أبدانهن أخلاط غليظة مضادة للطبيعة، فيؤثر ذلك في أبدان الأجنة التي في بطونهن أو في لبن أطفالهن الفساد، فيكون ذاك سببًا لأمراض الطفل وعلله وأوجاعه، كالفالج والزمانات، واضطراب البنية، وتشويه الخلقة، وسماجة الصورة.

ثم قال: ومن أراد السلامة من ذلك فلا يأكل ولا يشرب إلا في وقت الحاجة بقدر ما ينبغي من أجل ما ينبغي من لون واحد، بقدر ما يشبع الشبع المأذون فيه شرعًا، ثم يستريح وينام، ويمتنع من الإفراط في الحركة أو السكون، وأمَّا سبب أمراض البهائم، فهو لكونها تطعم وتسقى في غير وقت الحاجة، أو إطعامها غير ما تشتهي، أو لزيادتها في الأكل على الحاجة، لاسيما إن استخدمت بعد ذلك في الأعمال الشاقة التي تتعب أبدانها، كالحرث والدراس، لاسيما في شدة الحر والبرد، فإنها تمرض مرضًا شديدًا، والله أعلم.

در

سألت شيخنا ﷺ عن الفرق بين عوام أهل الطريق وعلمائهم؟

فقال ﷺ: الفرق: أن عوام أهل الطريق من شأن أحدهم أن يكون مقلدًا لغيره ولا ينفك عنه التقليد، فهو مستند في عقيدته إلى أمر مربوط، ثم إذا سلك الطريق يدخلها بعلته وتقييده بقول غيره، فإذا فتح له بشيء يوافق معتقده سماه فتحًا وإلا سماه منعًا، ومثل هذا قد يأتيه الحق الصريح فلا يقبله؛ لكونه جاءه من غير طريق معتقده.

وأمَّا علماء الطريق من الخواص فمن شأنهم عدم التقليد لأحد من الخلق إلا لرسول الله ﷺ لأن واسطته لا يصح دفعها إلا للقطب الغوث، ومن شأنهم قبول كل ما ورد عليهم من جانب الحق تعالى، فلا يرون أن في الجناب الإلهي منع أصلاً، بل جوده فياض على الدوام بحسب استعدادات الخلق، وإن وقع لأحدهم منع أو عطاء أو ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: 14] يرون أن ذلك عبارة عن توجه عين البصيرة إلى غير الأمر الذي خلقوا له، ومتى صرفت أعين بصائرهم عن رؤية الكون قام معهم الكون ولابد.

وإيضاح ذلك: أن عين البصيرة لا تزال قابلة، والمرآة لم تزل مجلوَّة، والتفاوت إنما هو واقع في المبصرات، فإذا رأت عين البصيرة النور رأت ما كشفه النور، وإذا رأت الظلمة لم تتعدها، فإن الظلمة لا تتعدى ما وراءها، كما أن الأعمى لا ينظر إلا إلى ظلمة الماء الذي نزل في عينيه. انتهى.

ياقوت

دخلت على شيخنا ﷺ يومًا فوجدته منبسطًا على خلاف عادته.

فقلت له: أوصني بوصية، فسكت، ثم قال: الزم الأدب مع شيخك، وإذا غضب على إنسان فاجتنبه ولا تصافيه يغضب ربك، فإن الأشياخ لا تغضب على أحد إلا بحق، وأنت مقلد لشيخك غير مطالب له بدليل، فلا ينبغي لك البحث عن سبب غضبه على ذلك الإنسان، بل سلِّم لشيخك، فإنه أقرب إلى الأدب وإلى الفتح، وإذا فاجأك في حال الذكر مثلاً حال فلا تدفعه عن نفسك ولا تستجلب ذلك بجمعية باطنك وتفعلك، فإن ذلك سوء أدب، وهو من الرياء والنفاق.

ولا تأنف ممن خصَّه الله عنك بعلم فتقوم نفسك منه فلا تتعلم منه علمًا، فإن الله تعالى قد بث الأخلاق المحمدية في جميع الأمة، فربما كان عند بعض أهل الحرف والصنائع من الأدب والعلم ما ليس عند غيره، لاسيما أولاد الأكابر، فإنه ربما يكون عندهم من الأدب ما ليس عند علماء الزمان، فأقبل على إخوانك قبول أدب ورحمة وتواضع يفيدوك من العلوم ما لم يكن عندك.

وإياك أن يظهر لك كشفًا أو كرامة دون أن يتولى الحق منك ذلك إلا أن تُظهر ذلك على وجه الشكر لله تعالى، فمثل ذلك لا بأس به، بل هو مطلوب، واحذر من قربه تعالى منك أن يفتنك عنه بحب القرب منه، مع أنه لا خصوصية لك في ذلك، فإنه تعالى قريب من جميع المسلمين.

قال: **وإيضاح ذلك**: أن العبد إذا نظر إلى ما هو فيه من القرب بُعد حينئذٍ عن حضرة ربه ﷻ إذ حقيقة القرب الغيبة عن القرب بالقرب، حتى أن العبد لا يشهد حاله في القرب إلا بُعدًا، ولا حاله في العلم إلا جهلاً، ولا حاله في التواضع إلا كبرًا، فإن شهود القرب يمنع العلم بالقرب ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: 85]. انتهى.

قلت له: زدني.

فقال رضي الله عنه: احذر من الاغترار بمحبته لك أن يستدرجك بحبك له حتى يشغلك بك عنه، فإنه إذا كشف لك عن حقيقتك حسبت أنك غير خارج عنه، فربما تقول: أنا هو، وهذا عين الاستدراج، أين التراب من رب الأرباب؟

فقلت له: فما الخلاص من هذا الاستدراج؟

فقال: أن تشهده تعالى بنوره لا بك. انتهى.

فقلت له: زدني.

فقال: إياك أن تجادل من رأيته متعنتًا متعصبًا؛ فإن مجادلته لا ثمرة لها إلا تضييع الوقت، فإنه لا يرجع إليك، ولا يزيده المناظرة وإقامة الحجج عليه إلا تمردًا وإباء.

ثم قال: فالوجه إذا نقل أحد إليك شيئًا من كلام علماء الأمة وظهر لك بطلانه بكلام جلي ودليل واضح، فلا تهجم على نكاره، بل كن بين أمرين: إمَّا أن تحكم بخلاف ذلك مع علو منصب صاحب ذلك الكلام، أو تقول: لعل أن ذلك العالم اطلع على سر خفي عني، وأنا أجدر بالقصور عن مقام ذلك العالم، وحينئذٍ إن اتصفت بعلم أن ذهاب المسائل الجليات عنك أقرب من ذهاب الجليات عليه، فاتهم يا ولدي نفسك في عدم الفهم لكلام أحد من العلماء، واحذر من الجرأة والمبادرة إلى الرد، فإن الاعتراض على العلماء لا يكون إلا من ضعف العقل مع مصاحبة قلة الحياء، فإن الحياء ثمرة الإيمان، وثمرة الإيمان نور العقل ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ عقل ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40] وأطال في ذلك.

ثم قال: فأوصيك بإحسان الظن بالأئمة الأحياء والأموات، ومن جملة إحسان الظن بهم: أن تطلب لكلامهم محملاً صحيحًا ما أمكنك، وتعتذر عنهم جهدك، وإن عسر عليك فهم كلامهم فقُل: لم أفهم هذا الكلام، وإياك أن تثبته في حق من أضيف إليه بتقدير أنه خطأ، فقد يكون مدسوسًا عليه، أو رجع عنه قبل موته، فرد الكلام من حيث هو كلام، ولا ترده على ذلك العالم الذي ينسب إليه الكلام.

ثم إن كنت يا ولدي مقلدًا، فليس لك إلا اتباع غيرك، وإن كنت مجتهدًا فمن الأدب والإنصاف أن تجوز الخطأ على نفسك، وهناك لا يشتد إنكارك على

من خالفك، وإياك يا ولدي أن تكون مشغولاً بالانتقاد والاعتراض، فقد ورد: «**المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات**» فكن مؤمنًا، ولا تكن منافقًا، وكن من ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: 18] وأطال في ذلك.

ثم قال: واعلم يا ولدي، أن منشأ الاعتراض من عرقين خبيثين في باطن الإنسان، عرق سبعي، وعرق شيطاني.

فأمَّا السبعي: فيدعو إلى تمزيق الأعراض، وذلك هو قوته، ومن كانت هذه صفته فظاهره ثوب وباطنه ذئب، فيُحشر يوم القيامة في صورة الذئب؛ وذلك لأن الأصل في عالم الآخرة المعاني لا الصور، فصورة كل إنسان يوم القيامة على صورة معناه الباطن، كما يرى النائم بعض الناس على صورة كلب أو ذئب، ويقول: رأيت فلانًا استحال كلبًا أو ذئبًا، فلولا أن صورة باطنه تنقلب بإذن الله تعالى ظاهرة لما صح انقلاب الإنسان كلبًا أو ذئبًا، والنوم أنموذج من عالم البرزخ والدار الآخرة، فتكون الصورة فيه على وفق الحقائق.

وأمَّا العرق الشيطاني: فيدعو صاحبه إلى الطعن في أقوال العلماء والصالحين، وقوته الكبر والدعاوى العريضة، حتى أنه ربما يدعي الربوبية، وقد كان أبو تراب النخشبي رضي الله عنه[1] يقول: لا يقع في العلماء ويطعن في كلامهم إلا

(1) هو أبو تراب النخشبي بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين نسبة إلى نخشب بلدة بما وراء النهر، عربت فقيل لها (نسف)، واسمه عسكر بن حصين، ولم يشتهر إلا بكنيته حتى كاد لا يعرف إلا بها، وكان شيخ عصره بالاتفاق جامعًا بين العلم والدين والزهد والتصوف بلا شقاق، متقشفًا متوكلاً، متخشعًا متبتلاً قد أضاء في سماء المعالي بدره، واشتهر في الآفاق حسنه وذكره وخدمه أكابر الصوفية وتطفلوا عليه لهمته السرية، وخضع المريدون له ودانوا، وتطامنوا لرفعته واستكانوا له الرياضيات المذكورة والسياحات المشهورة، صحب حاتمًا الأصم والخواص والطبقة. وكتب الحديث الكثير وتفقه على مذهب الشافعي. وأخذ عنه: أحمد بن حنبل وابن الجلاء وآخرون من الأجلاء. مات أبو تراب سنة 245هـ بالبادية، قيل: نهشته السباع، وقيل: بل وجد بها قائمًا ميتًا لا يمسكه شيء، فأراد بعض صحبه حمله ليواريه فما أمكنه، وسمع هاتفًا يقول: دع ولي الله مع الله بلا تكلف. انظر: حلية الأولياء (10/ 45) طبقات الشعراني (1/ 83)، الشذرات (2/ 108).

شخص معرض عن حضرة الله تعالى؛ لأن القلب إذا أَلِف الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله، وإذا وقع في أولياء الله هلك مع الهالكين، فإن لحوم العلماء والأولياء مسومة وعادة الله في مبغضهم معلومة، ومن أطلق لسانه فيهم بالسلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب، انتهى.

قلت: وهذا كلام في غاية النصح، وقد أجاب بنحو ذلك شيخ الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب «القاموس» عن الشيخ محيي الدين بن عربي قدس سره.

فيروزج

قلت لشيخنا رضي الله عنه: هل آخذ على أحد بعدكم إن سبقتم العبد بالوفاة؟

فقال رضي الله عنه: لا تتقيد بعدي على صحبة أحد من هؤلاء المشايخ الظاهرين في النصف الثاني من القرن العاشر؛ لتعذر الوفاء بحق كل منكما على صاحبه، لكن لا بأس بزيارتهم كل قليل.

فقلت له: فهل آمر بذلك جميع أصحابكم من بعدكم؟

فقال: لا تقيد على أحد منهم، فإن لله تعالى خواص في كل عصر يقبلون الترقي على يدي من شاء الله تعالى، على أن الطريق الآن قد صارت اسمًا لا رسمًا، وتزيًّا المريدين بزيّ الأشياخ، والتبس على أكثر الناس الشيخ، وعسر تميزه عن المريد، بل ربما ادعى المريد أنه أعلم من الشيخ بالطريق، وتبعه أكثر الناس على دعواه.

قال: ولمَّا علم سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله انحلال القلوب من بعضها بعضًا لم يأمر مريدًا بالتقليد عليه ولا على غيره، وكذلك تلامذته من بعده، كالشيخ محمد بن عنان، والشيخ محمد المنير[1] والشيخ محمد النامولي[2]، ....

(1) سبقت ترجمته ص266.

(2) هو أيضًا أحد أصحاب الشيخ إبراهيم المتبولي، وهو من مشايخ الطريقة الشاذلية، مدفون بزاوية في الغورية. قال الشيخ محمد النامولي رحمه الله: وكنا إذا سافرنا مع العارف المتبولي=

والشيخ يوسف الكردي(1) والشيخ أبو العباس الغمري(2) فلم يتصدر أحد منهم في مصر لتلقين الذكر، وقالوا: لا ينبغي للفقراء في هذا الزمان أن يتصدر أحد منهم للطريق؛ لعدم اجتماع الشروط فيهم وفي مريديهم.

فقلت له: فما الدليل على ذلك؟

فقال: الدليل على ذلك الوجود المشاهد، فيلقن الواحد الألف مريد وأكثر،

= إلى ناحية طندتا يقول لنا: البيات عند الشيخ علي بن الصعيدي يعني جدي أنا لأجل حل طعامه. وقد كان جدي رحمه الله قد دقق في الورع وسمعت الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله يقول: ليس أحد من الأولياء له سماط يمد كل سنة فوق سد الإسكندر ذي القرنين غير سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه ولا يتخلف أحد من الأنبياء والأولياء عن حضوره فيجلس النبي ﷺ صدر السماط والأنبياء يمينا وشمالا على تفاوت درجاتهم وكذلك الأولياء.

(1) بيت الكردي، نسبة إلى «الكرد» الشهير. وهو جبل كبير. وإليه ينتسب كثير بالمدينة المنورة. ولنذكر المشهورين منهم من أهل العلم والدين. وأشهرهم الشيخ يوسف الكردي، نائب الأئمة الشافعية في الحضرة النبوية. قدم المدينة المنورة سنة 1120هـ، وكان رجلاً فاضلاً عالمًا، عاملاً، وكان يدرس في المسجد النبوي. وغالب تدريسه في فقه الشافعية. وأعقب من الأولاد: محمدًا، وعبيدًا، وإسماعيل، وسليمان. [تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب (ص 95)].

(2) هو أبو العباس أحمد بن محمد الغمري. المشهور بالولاية والعلم، المتلفع بمروط التقوى والحلم، كان وافر الجلالة، ظاهر المهابة، قدره عظيم، ونظيره في عصره عديم، منقطع القرين، يخضع لهيبته أسد العرين. أتاه جمع يطلبون التلقين فقال: حرروا نيتكم في طلب الطريق، وإلا حصل لكم المقت. فما تجرأ أحد منهم أن يتقدم إليه. وقال: من لعب بالطريق لعبت به. قال شيخنا الشعراوي رحمه الله: رأيته مرة واحدة. وكان يكثر عمارة المساجد بالرِّيف -يقال عمّر خمسين جامعًا- وكان مُعانًا في نقل العمد الرخام من الكيمان والبلاد الكَفْرية. أخبر عنه الشيخ محمد الطنيخي قال: سافرنا معه إلى كوم عال، فصار يقيس الأرض فيعلم علامة، وقال لنا: احفروا تُجزأ العلامات، فلم تُخط حفرة واحدة حتى ظهرت رؤوس العمد وهي واقفة. وكان جبلاً راسيًا علماً وعملاً، يقال عمر جامعه بمصر من عثماني وضعه تحت سجادته وصار يأخذ منه ويصرف، ثم إن ما ذكر من نسبة الجامع الذي بمصر المشهور الآن به إليه، هو ما اشتهر على الألسنة، وجرى عليه جمع من المؤرخين جازمين به، ولا ينافيه ما تقدم من أن الذي عمّره أبوه محمد، فإن الأب أنشأ غالب الإيوان الكبير، وأقام فيه الجمعة، ثم مات قبل تمامه، فأكمله الشيخ أبو العباس ودفن به، فنسب إليه. انظر: طبقات الشعراني (2/ 121)، الشذرات (8/ 25)، جامع الكرامات (1/ 324)، الكواكب السائرة (1/ 148).

فلا ينتج منهم واحد؛ لتخرق أوعيتهم عن مكث شيء من الآداب فيها، فحكمهم لمن يفتح المكتب بعد عصر يوم الخميس ليقرئ الأطفال، أو كالحجاج إذا رجعوا من الحج وأشرفوا على رؤية أوطانهم، فلا يقدر أحد على انتظامهم ولا تقطيرهم كما كانوا في بداية السير، وبتقدير أن أهل الأطفال يأتون بهم إلى الفقيه بعد عصر يوم الخميس، فلا يقدرون على جمعية قلوبهم على الفقيه، بل قلوبهم شاتة، وما مع الفقيه إلا أجسامهم من غير روح، فافهم.

فإن الدنيا قد صارت الآن كالسفينة التي أشرفت بالناس على أوطانهم وهي موسعة من بضائعهم، وحكم من يطلب منهم الطريق حكم من يقول لهم: ارجعوا ببضائعكم ثانيًا إلى السفر من غير داعية منهم، وقد أخبر ﷺ: «**إن استقامت أمتي فلها يوم، وإن لم تستقم فلها نصف يوم**».

واليوم من آيات الرب: ألف سنة وأوله من ولاية معاوية رضي الله عنه ولما جاوزت النصف علمنا أنها استقامت، فلها ألف سنة استقامت، ولكن لما كان بداية كمالها على التدريج، كذلك يكون بداية نقصها على التدريج، فلا تزال الشريعة ظاهرة يُحكم بها إلى ثلاثين سنة من القرن الحادي عشر، ثم يختل نظامها الأكبر، ويصير كعقد انقطع سلكه، وتتابع الآيات التي وعد الشارع أمته بها.

وهذا اليوم الذي هو ألف سنة هو لنية التمام، وخاتمة الأيام، الذي هو سابع أيام الدنيا من عهد آدم عليه السلام الذي هو أبونا الأقرب، فلذلك اختص صاحبه بيوم الجمعة، فلا يوم بعده ولا حساب، بل ينقضي به جميع المؤاخذات والعقوبات الإسلامية، وتبقى أهل قبضة الشقاء لا انقضاء لمؤاخذاتهم، فيومهم أبدي لا انقضاء لعذابهم، كما لا انقضاء ليوم أهل الجنة.

قال: وذلك هو يوم السبت، فإنه يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار صحوة النهار من يوم السبت، فيخرج من يخرج من النار على اختلاف طبقاتهم، وأكثر عصاة المسلمين مكثًا في النار من يمكث في النار مقدار خمسين ألف سنة، ثم يخرج بالشفاعة المحمدية أو الملكية أو شفاعة أرحم الراحمين، وصورة هذه الشفاعة أن تشفع أسماء الحنان واللطف والرحمة عند أسماء الانتقام.

فقلت له: فإذًا لا ندرك نحن زمن تعطيل الشريعة عن العمل بالكلية؟

فقال: نعم؛ لأن الظلمة لا تنتشر إلا بعد مضي ثلاثين سنة من القرن الحادي عشر، فهناك تنتشر الظلمة، وترتفع الرحمة، وتفقد الشموس والأقمار، وتنعدم النجوم والأنوار ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: 37-38] فالشمس هي الشريعة، والبدر هو الحقيقة.

فقلت له: فما نهاية سير شمس الشريعة وسلطان العمل بها؟

فقال: نهايته استواؤها على نقطة مركزها، وذلك سنة ستين وأربعمائة من الهجرة، بأن ذلك الوقت هو انتهاء استوائها في سماء الأجسام وفيه الأعمال، فلما مالت الشمس عن عرش الاستواء تحول سلطان الضياء، ونزلت شمس الشريعة من سماء العمل إلى أرض العلم والجدل من غير عمل، وحينئذٍ ظهر سلطان الحقيقة وطلع بدرها، وأشرق في أرجاء سمائها، وانفتق لسان الصوفية بها، فلازال علم الحقيقة يسمو وينمو لظهور الحقائق العرفانية، وشهود الطوالع الإيمانية، حتى صار العوام يتكلمون بالحقائق وإن كانوا لا يشعرون.

فإن نور الحقيقة كلَّما ظهر غاض نور الشريعة؛ وذلك لأن زمان الشريعة محمود، وزمان الحقيقة غير محمود، بل هو مطلق مستمر بدوام الله ﷻ فإذا استوت شمس الشريعة فهو وقت سلطانها، وبعد ذلك ظهر سلطان غيرها، وانعدمت الظلال عند الزوال، وعمَّت الأنوار كل متحرك وقار، بل اندرج الظل في المظلول، وانعدم الدليل والمدلول، والتحق الوجود بالعدم، وانعدم الحدث بوجود العدم.

ثم إذا نزلت شمس الشريعة هابطة، ولبدر الغرب طالبة ورابطة، ولأحسن ما ظهر من النور ماحقة، ولمركزها سابقة وشائقة، فهناك تطاولت الحجب، وامتدت النصب، وكثرت الظلال والستور، واندرجت الأنوار في الطور، وبداية ذلك موجودة في آخر هذا القرن، وتكمل في أوائل القرن الحادي عشر بحكم الوعد السابق، ووافقه الكشف والذوق، فإن الأمر قد اقترب، وعن قريب ينفجر فجر الآخرة، فإن عسكر الظلم قد أقبل، وقبض العلوم قد وجد بقبض أصحابها وفاض الضلال، وكل ذلك حتى لا يختم يوم الدنيا إلا على حثالة، ولا يرتفع في منخل التحليل إلا النخالة.

وقد اجتمع بعض مشايخنا بالمهدي عليه السلام وأخبره بوقت ظهوره، وأنه قرب وقت ظهوره ورفع ستوره، وأنه يخرج حين تُملأ الأرض ظلمًا وجورًا، كما كانت ملئت قسطًا وعدلاً.

قال الشيخ: وقد وجد الظلم والجور حتى في خواص الناس وعوامهم إلا من شاء الله، وكثرت الدعاوى في خواصنا بغير حق، وخرجوا بنفوسهم لدعوة الخلق إلى غير الحق ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ [المدثر: 50-53] وكيف يخلف من صُمَّت أذناه، وعميت عيناه بحلول الشيطان ووسواس الحرمان، حتى صار لا يسمع قول الحق على لسان الرسول الحق: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: 108]؟ وكيف يدعي الوصول من هو في عبوديته الكاملة مفصول؟ وكيف يدعي الاتصال من هو عن الحقيقة في انفصال؟ انتهى.

وكتب رضي الله عنه مرة لبعض المشايخ الظاهرين بالقرن العاشر إملاء، وكان ذلك الشيخ بحضرة الولائم بجماعة كثيرة، حتى ربما فرغ طعام الوليمة وكملوا عشاء الناس من طعام السوق، وأرسل له في ورقة ما صورته:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهم أصلح من شئت بما شئت وكيف شئت، إنك أنت الوهاب، الحمد لمن أظهر العين بمحو صفات الغين، حمد من بعبودية ربه ظهر، وبربوبية نفسه على غيره بطن، والصلاة والسلام على عبده الجامع وسره القامع لكل مبتدع فاجر، ولعبوديته كافر، وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء وشموس الاقتداء.

وبعد... فقد قال الله الحكيم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: 64].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: 108].

السلام عليك أيها الشيخ الظاهر في القرن العاشر بغير إذن من الله تعالى، ولا من شيخه سلام سنة لا سلام رضا، السعيد من اتعظ في نفسه ولم يجعله الله عظة لغيره، أسأل الله تعالى أن يعينك يا أخي، على تحصيل مقام الإيمان أو بعضه في هذا الزمان الذي لا يوجد فيه القوت إلا بمعاينة أسباب الموت، وأن يجعل الأخ من الذين يتعففون عن الأكل من بيوت إخوانه فضلاً عن الأجانب، ولم يحضر عند أحد بجماعة يهتكون السماط.

فقد كان سيدي إبراهيم المتبولي يقول: لا ينبغي لمن لم يقدره الله تعالى على أن يمد صاحب الطعام بالبركة الخفية طول عامه أن يمد يده إلى طعامه، وقد مالت بك يا أخي، نفسك الغوية إلى حب الظهور الذي لم يرضَ به إبليس في هذه الدار، مع أمانه فيها من نزول البلاء بالوعد السابق من إنظار الحق به إلى يوم الدين، وتصدرت لأمور في الطريق لم يخلقك الله لها، ولا أنت من أهلها، وحسنت لك نفسك أحوالاً شيطانية وأمورًا نفسانية منشأها الوهم والخيال بواسطة الاستدراج الكامن بين صفحتي المحو والإثبات، وأعمى الله قلبك عن طريق الهداية، وأمال نفسك إلى طريق الغواية، حتى ظهر أثر ذلك على وجهك.

فتنبه أيها الأخ لنفسك قبل أن يحل بك الدمار، وتب إلى الله عن أكل الحرام والشبهات، وكل من كسب حرفتك الدنيوية، ولا تأكل بدينك وجبتك وعمامتك الصوف، واخف نفسك حتى يضطرك الحق تعالى إلى الظهور أو يأذن لك شيخك.

واعلم يا أخي، أن كل من نازع أوصاف الربوبية لأجل هواه، وقنع بما يظهر في سره ونجواه من خطاب ومعارف، وكشوف ومواقف، وإلقاء نفساني، ونعت شيطاني، فليس من الله في شيء، بل هو من الله في غَيّ، فنعوذ بالله من الضلال بعد العرفان، ومن النكران بعد الإيمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، انتهى.

وسألته مرة عن شيء يمليه لي من مادة «علم التوحيد» من ابتداء التوحيد إلى استقرار الخلق في الجنة أو النار؟

فقال لي: هات الدواة والقرطاس، فأتيته بهما، فأملاني: الحمد لله رب العالمين، هذه قاعدة برزت من الروح الأعلى إلى القلم الأدنى، جامعة لسر

الهوية بصفة الأحدية ونعوت الواحدية، لم تترك مرمى لرامٍ ولا مرقى لراقٍ في صفحات الوجود ونفحات الحدود، منزهة بلسان القدم، مشبهة بلسان العدم من حضر في الأزل والأبد، بسر تضعيف الأحد في مراتب العدد، لا يمكن اقتناصها بصحيح العقل، ولا الإحاطة بها من طريق النقل، مفطورة على التفويض والتسليم لكل قلب سليم وطور جسيم.

وذلك أن تعلم يا ولدي، أن البرزخية الإلهية الأولى القاضية بعدم ظهور الأسماء والصفات، المتجلية على نفسها بأحدية ذاتها، المندرجة فيها الشؤون والمظاهر بتعيناتها الفياضة منها لها عليها بسر الوحدانية الجامعة لمعاني الحقائق والرقائق، وتفصيلاتها في عرضية البرزخية الرحمانية التالية للبرزخية الإلهية، بالاستواء الإلهي على العرش الرحماني، بظهور الأسماء والصفات أعيانًا ملكية، وأشخاصًا إنسانية، وتنوعات حيوانية ونباتية بحسب القوابل، وتنوع المراتب، وتحول المظاهر، وتبديل الشؤون بظهور ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: 1].

فظهرت المراتب حين التقم الصور صاحب التصوير، وتقرر الطور بسر البطون والظهور والتكوير، فتناكحت الأبناء، فظهرت الآباء والأبناء، واندرجت الأسماء تحت ظلال المسمى، وظهر الوصف بالحرف، وبطنت الذات بشروق الصفات، بل ما وقع ظهور ولا إشراق ولا إحراق، ولا وجد معدوم ولا عدم موجود إلا ما أظهره القدم من صفات الحدث والقدم، وهو الآن على ما عليه كان، ثم لا يخفى أن البرزخين المعبر عنهما بحضرتي الوجوب والإمكان هما: الحقيقتان المحمدية، والآدمية.

فالحقيقة الآدمية: فاتقة للعدم وراتقة للقدم؛ لأن الخصيص برتبتها الإظهار، والظهور للصور الشخصية، والتنوعات الكونية، والمراتب الإيجادية، والصفات الأسمائية، والسبحات الصورية؛ لأنه الخليفة المنزول، والفاضل المفضول من خزانة الأزل إلى بحبوحة الأبد، وإنما نزل عن رتبة الإمامة إلى سر الأذان والإقامة؛ ليتحقق بالتابعية كما تحقق بالمتبوعية، وإلا لم يبين لقوله ﷺ له: «**أنت أب روحانيتي وابن جثمانيتي**»(1).

(1) لم أقف عليه.

فائدة: ثم إنه كما فتق الابن القديم صورة العدم، ورتق بأبوته صورة العدم، كذلك فتق هذا الولد الأكبر والخليفة المنتظر حضرة القديم بمفتاح العدم ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: 104].

ثم إنه لما انفتحت الدورة الآدمية بالتناسل البشري، والمظهر العددي، كذلك انفتحت هذه الدورة المحمدية بالتناسل العرفاني، والشهود الإحساني والإتقاني، وتزايدت العلوم الإلهية والمعارف الربانية، وتناقصت العلوم الفلسفية بظهور بدر الإلهام وشمس الشريعة، كما تنازلت الحقائق من حقيقة كل باطن بطن بعد ظهوره إلى حقيقة كل فرد ظهر في هذه الدورة السماوية، واجتمعت الشؤون والمظاهر والشرائع كلها في الخاتم الجامع لسائر المقامات.

ثم لما تنزلت الهوية الأحدية من ذاتها لذاتها تنزلت إلى هوية مقيدة بتنوعات متعددة، سارية في العالم كسريان الواحد في مراتب الأعداد، وهي هي لا غيرها، وإنما هي حجب وهميات قائمة في عدمها بالوجود المطلق، كما فصل الحق تعالى اسمه «الرحمن» من اسمه «الله» وأطال في ذلك بما يعجز عن تعقله العقول. انتهى.

وسمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول في حديث**: «**إن جبريل** عليه السلام **ينزل بعد موتي عشر مرات**»(1) المراد بهذا الحصر: نزوله لأمور بخصوصها، كما صرح بها الحديث من رفع القرآن ورفع الأمانة ورفع البركة ونحو ذلك، وإلا فقد ورد في الحديث: «**أن من قام ليلة القدر صافحه جبريل تلك الليلة**»(2).

وورد فيمن نام جنبًا أن رسول الله ﷺ قال: «**إني أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل**»(3).

وسمعته يقول: قد حفظ الله الشريعة المطهرة بالعلماء، فإن الشارع قد أمنهم

---

(1) لم أقف عليه.

(2) أخرجه ابن حبان في الضعفاء (1/ 247، ترجمة 228)، وابن عدي (2/ 220، ترجمة 404 حكيم ابن خزام)، والبيهقي في شعب الإيمان (3955) بلفظ: «من فطر صائمًا في رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها، وصافحه جبريل ليلة القدر، ومن صافحه جبريل تكثر دموعه ويرق قلبه».

(3) أخرجه الطبراني في الكبير (65).

على شرعه بعده، فكأنه ﷺ لم يمت لدوام تشريع أمته في الحوادث والوقائع اقتباسًا من شريعته وتضعيفهم لكلام من تقدمهم من العلماء، وتصحيحهم خلافه يشبه الأحاديث الناسخة لبعضها في حياته ﷺ حتى أنك تقول لبعض علماء عصرك: أريد أعمل بما كان عليه العلماء السابقون وماتوا عليه. يقول لك: لا يجوز لك ذلك، وأطال في ذلك.

وسمعته يقول: لا تأخذ قسط علمك إلا عن عالم زاهد في الدنيا، راغب في الآخرة، لا يلتفت قط لما عليه بعضهم من الوظائف والأنظار على الأوقاف ونحو ذلك؛ لأن «**الولد سر أبيه**»[1] ولا يخفى أن العالم إذا رغب في الدنيا وجعل علمه شبكة يصطادها بها فهو في حضرة الشياطين، وحضرة الشياطين كلها تلبيس وتشكيك، فيكون علمك كله كذلك، فإياك ثم إياك.

وسمعته ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44] قال الشيخ محيي الدين، ﷺ: اعلم أنه دخل في قوله: ﴿شَىْءٍ﴾ جميع الأعراض حتى الصوت بالكلمة القبيحة مثلاً، فهي نشأت مسبحة لله تعالى، لا علم لها بما على المتكلم بها من الإثم، كما لا علم للجوارح بما تصرفها فيه النفس الناطقة من المعاصي، فإن كونها معصية حكم الله فيها ما هو عينها، فلو أن الجوارح علمت ما تعلمه النفس من كون ذلك الفعل معصية ما وافقتها على المخالفة أبدًا؛ لأن حكمها حينئذٍ حكم من أوقدت له نار وقيل له: ازنِ بهذه المرأة حتى نحرقك بالنار، فلا يفعل ذلك أبدًا.

وسمعته يقول: كل ما في الوجود حي دارك، لكن لا يعلم ذلك من لا كشف عنده، فلولا حياة السماوات والأرض والجبال ما أوحى الله تعالى إليها، ولولا حياتها ما أَبَت حمل الأمانة، ولا فرقت بين كون ذلك عرضًا ولا بين كونه أمرًا جازمًا، فإنها لما علمت أن ذلك عرضًا وتخييرًا أحاطت لنفسها وطلبت السلامة، ولما علمت الأمر أنه جزم بقوله تعالى: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: 11] لأمر الله، وحذراً أن يؤتى بهما على كره.

ولولا حياة الجبال أيضًا ما وصفها الله بالخشوع والتصدع من خشية الله،

---

(1) تقدم تخريجه.

ولولا حياة الحجر ما فرَّ بثوب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين اغتسل عريانًا، ولولا كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يخاطبه بقوله: «**ثوبي يا حجر، ثوبي يا حجر**» وكذلك لولا حياة جبل أُحد ما أخبر رسول الله ﷺ أنه يحبه بقوله: «**أُحد جبل يحبنا ونحبه**»(1) وكذلك لولا حياة كل شيء من رطب ويابس ما قال ﷺ: «**أنه يشهد للمؤذن مدى صوته**»(2) ولا قال في المرأة إذا خرجت من بيتها معطرة: «**لعنها كل شيء مرت عليه**»(3) وغير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة.

وكم بيَّن الله تعالى للعباد مما عليه جميع المخلوقات من العلم بالله والطاعة له والقيام بحقه، فلم يؤمنوا ولم يسمعوا وتأملوا الأمر بخلاف ما هو عليه، وكان قصدهم بذلك: أن يكونوا مؤمنين، فنودي عليهم بلسان الحقيقة: أين إيمانكم وأنتم ترجحون حبكم على إيمانكم بما أخبركم به ربكم؟

وتأمل قوله تعالى في آخر الآية السابقة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44] فجاء باسمي الحجاب والستر؛ لعلمه تعالى بأن في عباده من حرم الكشف والإيمان بحياة الموجودات، فستره في هذه الدار، وحلم عليه ولم يعاجله فيها بالعقوبة.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: 82] أي: لا يستقر الإيمان بالآيات التي هذه الآية منها في قلوبهم، بل يقبلون ذلك على غير وجهه الذي قصد له، كما هو شأن أهل الأفكار في غالب أحوالهم، والله أعلم.

قلت: ومما يؤيد ما ذكره الشيخ من القول بحياة الجمادات: أن الشيخ محيي الدين ذكر في «فتوحاته» أنه قال: ما من صورة في العالم تظهر إلا ولها روح تحفظها وتمسك عليها شكلها، حتى المنقوشات والحروف المرقومة، فلكل صورة حسية روح معنوية، والله أعلم.

---

(1) أخرجه البخاري (4160)، والترمذي (3922)، وأحمد (15697)، والطبراني (6467).

(2) أخرجه بنحوه عبد الرزاق (1863)، وأحمد (9317)، وأبو داود (515)، والنسائي (645)، وابن ماجه (724)، وابن حبان (1666)، والبيهقي في شعب الإيمان (3056)، والطيالسي (2542).

(3) أخرجه الطبراني في الأوسط (513).

جوهر

سألت شيخنا رضي الله عنه عن معنى قوله ﷺ: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»(1).

فقال رضي الله عنه: مما دخل في معناه الرجل العالم، أو المسلك من الصوفية، ويحيي الله تعالى به وبعلومه ومعارفه البلاد والعباد، وهو على قدم الزهد والورع، ثم إذا قرب أجله مال إلى حب الدنيا وأهلها، وصارت مشيخته مصيدة للدنيا، فمات على ذلك فحشر مع الفجار، نسأل الله تعالى العافية.

در

وسمعت شيخنا رضي الله عنه **يقول**: إذا ارتفع القطب إلى أعلى مقام القطبية وصل إلى مقام انتقاله.

فقلت له: فهل في حق القطب عزل في حياته؟

فقال: لا يصح ذلك أبدًا؛ لأنه مقام خلافة لعدل محفوظ من الوقوع في الفسق، ومقام الخلافة إذا وليه صاحب لا ينعزل عنه، بخلاف مقام غيره من الأئمة والأوتاد والأبدال يصح في حق صاحبه العزل، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه **يقول**: إذا كان من مرتبة بطرك النصارى ألَّا يبيت على دينار ولا درهم، ولا يبخل بشيء يسأل فيه، بل يعطيه للسائل بطيب نفس، فالعالم والصالح أولى بأن يكون خلقه كذلك، وإذا كان القسيسون والرهبان يقومون بشعائر كنائسهم احتسابًا فالمسلمون أولى بأن يكونوا كذلك.

وسمعته يقول: من عصى فقد خرج عن الاتباع، فإذا تاب رجع إلى الاتباع، فإن أصر على المعصية دامت مخالفته.

قال: ولم يكلف الله العبد برد الأقدار الجارية عليه؛ لأن ذلك ليس في وسع العبد، وإنما كلَّفه بالتوبة عند كل ذنب، فليتأمل ويحرر.

وسمعته يقول: لا يضر الاختلاف بين العلماء في العلل، وإنما يضر

(1) أخرجه البخاري (2897)، ومسلم (111)، وأحمد (8076).

الاختلاف في الأحكام، فإذا اتفقوا على أمر واختلفوا في كيفيته فلا يقدح ذلك في إيمانهم ودينهم، كما قالوا: العذاب على الروح والجسد واقع إجماعًا.

وقال بعضهم: إن عذاب الروح بحرق النار لها.

وقال بعضهم: إنما عذابها تألمها على حرق جسمها، كما يتألم السلطان على رعيته إذا خرج عليهم عدو يستأصلهم عن آخرهم، ونحو ذلك.

وسمعته يقول: كل ما حصل من العلوم بواسطة سؤال الله تعالى فهو مكتسب، ولا يسمى وهبًا إلا ما حصل من الحق بلا سؤال.

وسمعته يقول: قد يخرق الله تعالى العادة لبعض أوليائه، فيرى اللوح المحفوظ وما سطر فيه، وقد يمن عليه بالجلاء عنه حتى يصير كالمرآة المصقولة التي إذا قوبلت بالوجود العلوي والسفلي ارتسم فيها، فالمدار على وسع امتداد البصر لا غير.

قال: وقد كان سيدي إسماعيل الإنبابي ﷺ(1) يقول: كثيرًا ما رأيت في اللوح المحفوظ كذا وكذا، فأفتى بعض قضاة المالكية بتعزيره.

قال الشيخ: ومما رأيته في اللوح المحفوظ: أن هذا القاضي يغرق في بحر

---

(1) هو إسماعيل بن يوسف الإنبابي. العارف الكبير الولي. طريقه أمره أن يقيم بإنبابة، فأقام بها، فأقبل عليه الأمراء والكبراء بمصر، وصاروا يأتون لزيارته. وله سماط كل يوم، لا يقدر عليه أكابر الأمراء، فزاره يومًا أبو طرطور -رفيق علي البدوي- مع أصحابه، فقال لهم: كلوا من هذه الماوردية، واغسلوا بطونكم من العدس الذي عند البدوي، فغضب أبو طرطور، فقال له يوسف: هذه مباسطة. فقال: ما هي إلا محاربة بالسهام. فمضى أبو طرطور إلى عبد العال وأخبره فقال: لا تتشوش، نزعنا ما عنده، وأطفأنا ذكره، وجعلنا الاسم لولده إسماعيل. فاشتهر من يومئذ، وبعد صيته، وعلا ذكره، وظهر على يده الخوارق حتى كلمته الدواب والطير. وكان يطلع على اللوح المحفوظ فيقول: يقع كذا، فلا يخطئ أبدًا. وأنكر عليه رجل من علماء المالكية، وأفتى بتعزيره، فبلغه ذلك فقال: رأيت في اللوح أنه يغرق في البحر. فأرسله ملك مصر إلى ملك الفرنج ليجادل القسيسين، ووعد بإسلامهم إن قطعهم عالم المسلمين بالحجة، فلم يجدوا بمصر أقوى جدلاً وقمعًا للخصوم منه، فأرسلوه فغرق. ولم يزل على حاله حتى نقله الله إلى دار كرامته وأفضاله. مات ببلده، ودفن بها وقبره ظاهر يزار. انظر: جامع الكرامات (1/ 355)، إنباء الغمر (2/ 279)، الدرر الكامنة (1/ 384)، السلوك للمقريزي (3/ 2/ 576)، النجوم الزاهرة (11/ 315)، تاريخ ابن الفرات (9/ 42).

الفرات، فكان الأمر كذلك، فأرسله السلطان محمد بن قلاوون يجادل قسيس في بلاد الفرنج ووعدوا بإسلامهم إن قطعهم عالم المسلمين بالحجة، فغرق في بحر الفرات، فإياك يا أخي ثم إياك.

وسمعته يقول: لا يصح لأحد من المسلمين الوقوع في المخالفة إلا بتأويل أو تزيين أو غفلة؛ لحديث: «**إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم**»[1] يعني: الذين يعقلون نفوسهم بها عن العقول في المخالفات، أقل ما هناك أن تقول له نفسه: إن الله لا يؤاخذك إن شاء على مثل ذلك، وباب التوبة مفتوح، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: 222] ولا تكونوا توابين إلا إن في معصية، ورحمته تعالى ﴿وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: 156].

و﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: 53].

و«**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم**»[2] ونحو ذلك.

أو تقول له نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ [يونس: 44] وكيف يؤاخذك وهو الخالق لأفعالك، وكيف يؤاخذك وأنت محل تأثير أسمائه ومانعها عن التعطيل، ومنفذ لما أراد وقوعه في الوجود، وقال تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي**»[3] وأنت ظان به ألَّا يعذبك فلا يعذبك أبدًا. انتهى.

وليكن هذا آخر ما التقطناه من أجوبة سيدي علي الخواص[4] رحمه الله وقد بقي عدة أسئلة لم يجب عنها رضي الله عنه فأحببت ختام الكتاب بها، فلعل الله يفتح على أحد من العلماء بالجواب عنها، فليلحقه في هذا الموضع من الكتاب.

فأقول وبالله التوفيق: سألته رضي الله عنه عن ولي الدم إذا عفا عن دم مقتوله يوم القيامة: هل يسقط حق المقتول، أم هو كالحوالة في الدين عند بعض الأئمة إذا

---

(1) أخرجه القضاعي (1408)، والديلمي (966).

(2) أخرجه أحمد (8068)، ومسلم (2749)، وعبد الرزاق عن معمر في الجامع (20271)، والبيهقي في شعب الإيمان (7102).

(3) أخرجه البخاري (6970)، ومسلم (2675)، وأحمد (9340)، والترمذي (3603)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (3822)، وابن حبان (811).

(4) سبقت ترجمته ص 104.

قبلها صاحب الحق لم يبقَ له رجوع على الأول إذا أحسن المرجوع عليه بعد رضا صاحب الدين بالحوالة؟

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن الفلك الأطلس: مَنْ عُمَّاره؟ وما تسبيحهم؟ فإن كل فلك له ملائكة وردت بها الأخبار إلا الفلك الأطلس، وقد قال أهل الكشف: إن النجوم كراسي الأملاك، فلكل ملك كرسي، فالأملاك على عدد النجوم، والفلك الأطلس لا نجوم فيه.

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن الأبد: لماذا يرجع؟ وهل هو زماني أو غير الزمان؟ وبماذا يبقى الزمان؟ هل يبقى بنفسه أو يبقى بغيره فيكون له ذلك الغير؟ كهو معنى ظرفًا لبقائه ودوامه، أو هو أمر متهوم ليس له وجود عيني حقيقي؟

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن عزل أهل المراتب من ولاياتهم مع وجود الأهلية منهم: لماذا عُزلوا وهم مستحقونها؟ وهل يصح هذا العزل أم لا مع وجود الأهلية؟ وهل للسلطان عزل القاضي العادل إذا ولاه أو لا ينعزل في نفس الأمر إذا جار عليه السلطان وأخره عن الحكم؟ ثم إنه إذا حكم وهو بهذه المثابة، هل ينفذ حكمه شرعًا؛ لأنه حكم للناس بشرع الله أو لا ينفذ؟ وهل إذا حكم وهو بهذه المثابة لشخص بأمر ما فأبى السلطان إمضاءه، وطلب الشخص المحكوم عليه بالرجوع إلى القاضي الذي ولاه السلطان، فظهر القاضي الثاني أن حكم الأول صحيح، هل لهذا المحكوم عليه عند القاضي الثاني أن يأخذ ما حكم له به مما كان قد انتزعه منه بالحاكم الأول أم لا؟ وهل يصح قضاء هذا الثاني أم لا؟ وإن صح فهل هو مستقل فيه كالأول، أو هو كالنائب عن الأول إلا أنه بأمر سلطاني، أو ينعزل الحاكم الأول إذا عزله السلطان بغير سبب؟

فقال: لا أعلم.

قلت: لكن من أراد تحقيق هذه المسألة فلينظر في النسخ الوارد في الشريعة الواحدة ويصحح العزل، أو ينظره في أن الله ما عزل رسولاً عن رسالته قط، فلا يصح العزل، فالمجتهد في ذلك مع ما يقوم عنده من الترجيح.

وسألته ﷺ عن من يدعي رؤية الملائكة أو الجان: هل يصدق، أو الذي رآه خيالات قامت له في مخيلته، فظن أنه رأى الملك أو الجان؟

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن الزمان: لماذا يرجع؟ هل لأمر وجودي أم لأمر عدمي؟ وهل الليل والنهار في زمان أم لا؟

فقال: لا أعلم.

وسألته عن تجلي الحق تعالى في الدار الآخرة: هل هو خاص أم عام حتى لأهل الشقاء ولكن لا يعرفونه، فإن الله تعالى يتجلى في جميع حضرات الأسماء، وما نفى تعالى التجلي لأهل الشقاء إلا في غير الاسم الرب، فإنه قال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: 15] فأثبت التجلي لهم في حضرة الاسم الرب فقط، إلا أنهم حجبوا عن رؤيته، فما جعل تعالى الحجاب لهم في يوم مخصوص في اسم مخصوص، وإذا لم يتجلى لهم في اسم الربوبية، فهل يتجلى لهم في غيره؟

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن القدم: هل له مرتبة عند الله حتى يكون من جملة شعائر الله فنعظمه بها أو لا؟

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن الساعة: لِـمَ سُمِّيت بذلك؟ وهل هي في كل لسان بهذا المعنى المفهوم من اسم الساعة أم لا؟ وهل للساعة صورة لها إدراك سمع وبصر وتميز أم لا؟

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن الولي إذا كشف له عما كتب عليه من المخالفات، ثم إنه وقع فيها: هل يقع فيها على الكشف، أم لابد له من حجاب؟

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن الرؤية للحق في الدار الآخرة: هل محلها حقيقة الرأي أو

العين المعتاد المعروف؟ وهل هي حكم أو معنى وجودي؟ وهل هي رؤية ذات أو صفات؟

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن حروف القرآن: هل يخلق منها ملائكة، ثم يأتي يوم القيامة كل حرف منها له صورة قائمة مثلما يأتي سورة البقرة وآل عمران، وهما الزهراوان يشهدان لقارئهما، ثم إذا وجدت صورة هذه الحروف يوم القيامة: فهل ذاك من حيث رقمها، أو من حيث التلفظ بهما أو منهما؟ وهل يخلق من الحرف المشدد صورتان أو صورة واحدة؟ وإذا شهدت الحروف: فهل تشهد لمن يلفظ بها أو لمن رقمها؟ فإن شهدت لمن رقمها فقد رقمها الكافر وتلفظ بها المنافق، وإن شهدت بالإيمان بها الذي محله القلب، فليست حروف الرقم ولا حروف اللفظ، فإنه ليس في القلب إلا العلم بها، والإيمان والإرادة، وهل الآيات في السور كالأغصان لصورة الحيوان، أو هي كالصفات النفسية للموصوف؟

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفتح: 4] إذا كان من في السموات والأرض جنوده، وما ثم إلا الله وخلقه، فلمن يحاربون؟ أو هم أجناد زينة لا أجناد محاربة؟ ثم إن حارب بعضهم بعضًا كما هو الواقع بين الأجناد، فمن هو ملك الأجناد الآخرين الذين هم يقاتلون أجناد الله؟

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن العقل الذي في الإنسان: هل وجد فيه لاقتناء العلوم أو لدفع الهوى خاصة؟

فقال: لا أعلم.

وسألته ﷺ عن الأسباب الموجبة لهلاك الأمم عند كفرهم، وعن من هلك من المؤمنين بهلاكهم، ولـِمَ وقع الهلاك بالمؤمنين حين وقع الهلاك بالكافرين فعم الجميع مع أن الصفات مختلفة، فهل ذلك من الركون، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود: 113]؟ وهل الركون الموجب لمس النار إياهم ركون حسي أو معنوي؟ وما سبب تضعيف العذاب على الركون؟ وإن قصد خيرًا في قوله: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: 75] فإن هذا

عذاب أشد من العذاب المستحق بالأصالة، فما مراد الحق بمثل هذه الآية؟

فقال: لا أعلم في ذلك جوابًا.

وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: 30] هل للحاكم أن يحكم بظنه الذي سماه الحق علمًا شرعًا كهذا الموضع أم لا؟ ولماذا سمي العلم ظنًا وهو ضده؟ وهل العلم هنا عبارة عن العلامة التي يحصل بها الظن في نفس الظانّ الحاكم به، فيكون علمه بتلك العلامة علمًا بأن هذا ظن غالب يجب الحكم به لرائحة العلم الذي هو العلامة؛ إذ العلم ليس إلا عين العلامة، وبذلك سمي علمًا، فإنه بالعلم يعلم العلم، كما أنه يعلم به ما ليس بعلم، فهي كلها علامات؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الأمر الذي يعذب به الكاذب يوم القيامة: هل يعذب بعدم لمناسبة الكذب حتى يكون ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ: 26] أو يعذب بأمر وجودي؛ لكون الكذب له مرتبة وجودية، ولذلك عبر عنه الكاذب؟ فهل عقوبته مثل نسبته إلى الحس فيكون بأمر عدمي كفقد مطلوبه، أو بمثل نسبته إلى الخيال فيكون بأمر وجودي متخيل؟

فقال: لا أعلم في ذلك شيئًا.

وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53] إذا كان الحق تعالى شهيدًا، فمن الحاكم حتى يشهد عنده، وإذا حكم بعلمه لم يكن شهيدًا؟ وهل للحاكم أن يحكم بعلمه كما قيل وينزل علمه كشهادة الشهود إذا لم تكن شهادتهم شهادة زور، كأن شهدوا أن زيدًا يستحق على عمرو كذا وكذا درهمًا، وهو عندهم كما شهدوا، وكان الحاكم قد علم أن زيدًا قد دفع له هذا المستحق بيقين، وليس لزيد شهود إلا علم الحاكم، فالحاكم يعلم أن الشهود شهدوا بما علموا، ولم يكن لهم علم بأن عمروًا قد أوصل إلى زيد ما كانت الشهادة قد وقعت عليه؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم فيه شيئًا الآن.

قلت: رأيت في كلام الشيخ محيي الدين ما نصه: لو كنت عالمًا بأمر ما

وشهد الشهود بخلاف علمي له لا يجوز لي أن أحكم بعلمي، وإن كنت ممن يقول بذلك، استنبت في الحكم من لا علم له بالأمر وتركت الحكم فيه، هذا هو الوجه الصحيح عندي وإن كان في النفس منه شيء.

قال: وهذا عندي مخصوص بالحكم في الأموال، وأمَّا الحكم في الأبدان: فلا أحكم إلا بعلمي إذا علمت البراءة، فإن لم تكن براءة وعلمت صدق المفتري حكمت بالشهود وتركت علمي. انتهى. والله أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الكذب والجحد والإنكار: هل هي أمور وجودية أو عدمية؟ فإن كانت وجودية، ففي أي مرتبة هي من مراتب العدم؟ هل هي في مرتبة العدم الذي لا يقبل الوجود، أم لا؟ وهل ثم للعدم مرتبة لا تقبل الوجود بنسبة ما، أو ما ثم عدم إلا ويقبل مرتبة وجودية؟ أو هي في مرتبة العدم الذي يقبل الوجود وهو العدم الممكن؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الدليل على تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في ادعائه أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل ينسحب حكمه في الدلالة على ما جاء به من الأخبار والأحكام، أو يفتقر إلى دليل آخر؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن العرش الذي عليه الرحمن: هل هو العرش الذي عليه الله الحكم العدل يوم القيامة للفصل والقضاء الذي يحمله ثمانية؛ يعني: يوم الآخرة؟

فقال: وهم اليوم أربع، وفي الآخرة يكونون ثمانية.

وهل كلهم أملاك أو ليسوا بأملاك، أو بعضهم أملاك وبعضهم غير أملاك؟ وهل هذا العرش سريرًا، أو هو ملك معين ما هو الملك كله؛ لأن فيه يأتي للفصل والقضاء بين عباده وعباد من الملك، فلا بد أن يكون ملكًا معينًا؟ وهل هذا العرش الأخروي هو ظلل من الغمام التي يأتي فيها يوم القيامة، أم لا تكون الملائكة هي التي تأتي في ظلل من الغمام، ويكون إتيان الله مطلقًا عن هذا التقييد؟ وهل لسطح العرش نهاية وفوقية، أم لا؟ وهل له حول حتى تحف

الملائكة حوله، أم لا؟ وما معنى الاستواء عليه إذا لم يتصف بأن له فوقًا، فإنه نهاية المخلوقات فلا خلاء بعده ولا ملاء؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم في ذلك شيئًا.

قلت: ذكر الشيخ محيي الدين في حملة العرش الثمانية: أن بعضهم أملاك وبعضهم بشر، ثم إن:

العرش والله بالرحمن محمول ... وحاملوه وهذا القول معقول
وأي حول لمخلوق ومقدرة ... لولاه جاء به عقل وتنزيل
جسم وروح وأقوات ومرتبة ... ما ثم غير الذي رتبت تفصيل
هذا هو العرش إن حققت صورته ... والمستوى باسمه الرحمن مأمول
وهم ثمانية والله يعلمهم ... واليوم أربعة ما فيه تعليل
محمد ثم رضوان ومالكهم ... وآدم وخليل ثم جبريل
وألحق بميكال إسرافيل ليس هنا ... سوى ثمانية غزلها ليل

ثم **قال**: وقد صح عندنا أن العرش المحمول وهو مجموع ملك الله تعالى، وذلك محصور في جسم وروح وغذاء ومرتبة، فآدم وإسرافيل للصورة، ومحمد وجبريل للأرواح، وإبراهيم وميكائيل للأرزاق، ومالك ورضوان للوعد والوعيد، وليس في الملك إلا ما ذكرناه؛ يعني: بهذه الثمانية يقوم الملك ويظهر، ويستوي على التصريف فيما حواه ملائكية، والله أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الخنثى: هل هو ذكر وأنثى معًا من حيث إنه يقبل وصف الذكر والأنثى، أو لا ذكر ولا أنثى، فإن الله تعالى خلق الذكر والأنثى؟ فهل يتضمن هذا الخطاب الخنثى؛ لأنه مخلوق ينسب إليه الأمران، فيدخل تحت هذا الخطاب، أو هو خارج عن هذا الخطاب ويدخل تحت قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: 16] والخنثى برزخ متوسط واسم الحيوان ينطلق عليه ولابد، كما أن الذكورة والأنوثة ليست من خصائص الإنسان؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن العلم الذي يحصل للعبد بالتذكر: هل هو عين ما نسيه، أو هو مثله لا عينه لشبهة في الصورة، فإنه كان عالمًا بذلك الأمر ثم نسيه لما تعطيه

نشأته، فلم تحفظ عليه نشأته صورة علمه بذلك المعلوم، ثم إنه لما ذكره بعد ذلك، هل الذي ذكره عين ما نسيه أو مثله؟ فإن الزمان قد اختلف عليه مع شبه الزمان بعضه ببعض، فإنك تعلم أن عين أمس ما هو عين اليوم، ولا هو عين غد مع شبهه في الصورة، فمن أي قبيل هو علم الذكر؟ فإن كان هو عينه، فمن حفظه حتى ذكره؟ وأين خزانة حفظه؟ هل هي في الناس ولا تدري أولها وضع آخر يحفظ فيه مرة نسيانه، وإذا تذكر كان عين تجلي ذلك العلم له، فيكون علم الحق خزانته وهو الحافظ حتى يذكره هذا الناسي، وإن لم يكن الأمر كذلك وإلا فليس بذاكر لما نسي، بل هو متعلم علمًا جديدًا مماثلاً لعلمه الأول، وإنما وقع التجديد في التجلي الذي أعطاه ذكر ما نسي؟

فقال رضي الله عنه: ما عندي الآن في هذه المسائل شيء.

وسألته رضي الله عنه عن التنافس الذي ظهر في العالم: من أين ظهر؟ ولِـمَ لا يظهر إلا في الجنس؟ وهل التشبه بالإله من هذا القبيل؟ فإن كان فما الجنس الجامع بين الحق والخلق؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن القوة الحادثة أو تجزئها في المحدثات: هل هي جزء من كذا كذا جزء من القوة الإلهية كما ورد في الرحمة، أم لا؟ فإن القوة الإلهية محلها الممكنات على الإطلاق، والقوة الحادثة محلها بعض الممكنات، هل إذا حضرت أجناس العالم الممكن وحسبت ما يخصها القوة من الممكنات علمنا على القطع مقدار ذلك من القوة الإلهية؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن القضاء والقدر: هل هما يعمَّان جهات الإنسان كلها، أو ليس لهما منه إلا جهتان «الحادي والهادي» وهما «السائق والشهيد»؟ وما الذي أعمى الناس اليوم عن شهود هذين وفي الآخرة يرونهما، ولِـمَ اختصا بالخلف والأمام دون سائر الجهات، والشيطان له مسالك لأربع جهات؟ فهل خصوصهما لكون مكان الخلف والأمام لهما الإشراف على اليمين والشمال بحكم اليدين الذين لهما، أم لغير ذلك؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن ملك الموت: هل المراد به بعض الأخلاط التي قام بها الجسد الحيواني، فإن الأخلاط من ملائكة الله، أو هو ملك من ملائكة السماوات؟ فهل ذلك بواسطة الاستعداد الذي في تلك الصور، فهي تقبل الانطفاء فتموت كما تقبل الاشتعال فتحيا؟ ومن هنا عرف الأطباء أن الإنسان يموت؛ لأجل العلامات التي ظهرت، فلو كان الملك المذكور غير الأخلاط لم يعرف الأطباء علامات الموت؛ لأن ذلك من خصائص علم الأنبياء ومن أعلمه الله بذلك من عباده، وهل الملك الموكل بنا بالموت له حكم الموت أو حكم قبض الأرواح والعروج بها فقط؟ وهل هو ملك واحد أو ملائكة، فإن الله أضاف وفاة الأنفس إليه وإلى ملك الموت وإلى رسله، فلا بد من علم هذه الإضافات؟ وهل يختلف مدارجها، أو هي على مدرجة واحدة؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الخوف الذي جبل عليه الحيوان: هل يزول أو يرق بحيث لا يشعر به إلا الأكابر؟ ولِـمَ خافت الملائكة ربها من فوقها دون غيره من الجهات، وما فوق الملائكة من الأسباب المخفية؟ وهل جميع الملائكة يخافون ربهم من فوقهم، أم الخوف لجنس واحد منهم؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن تمييز الجنان بعضها عن بعض: هل هو تمييز حالات من جنة واحدة أو تمييز بمساحات؟ فإن كل اسم جاءنا للجنان تستحقه كل جنة إن كان التمييز بالمساحات، وكل جنة لا نشك أنها جنة مأوى وجنة عدن وجنة خلد وجنة نعيم وجنة فردوس ودار سلام، وهي واحدة العين، وهذه الأحكام لها؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن السماوات: هل هي شبه الأكرة أو شبه الخيمة، أو هي أكرة في خيمة أو خيمة في أكرة فتدور الأرض لدورانها؟ وهل السماوات ساكنة أو متحركة فتكون السماوات دائرة بالفلك؟ وهل سير الكواكب فيها راجع لأنفسها أو لفلك دائرتها، فإن الشهود يعطي ذلك كله، وما بقي إلا علم ما هو الأمر عليه في نفسه من غير نظر إلى الشهود؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن حكم الجدل مع العلم من المجادل أنه مبطل وأن خصمه على الحق: ما السبب الذي أبقاه على جداله مع كون الحق قد بان له في نفسه؟ فهل لذلك وجه ما أو إلى الحق أو هو باطل من جميع الوجوه، والباطل عدم، فكيف قاوم العدم الوجود؟

فقال: لا أعلم في هذه المسائل شيئًا.

وسألته رضي الله عنه عن حديث: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[1] فإذا كان يولد على الفطرة، فمن أين جاء كفر الأول؟ فهل ينزل عقل هذا الأول من حيث فكره منزلة الأبوين الذين يهودانه ويمجسانه فيكون هذا الشخص قد أخرجه نظره عن حكم فطرته إلى إثبات الشريك؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عمَّن اعترف بأمر يوجب الحد نمضي فيه الحدود مع أن اعترافه على نفسه دعوى يطالب فيها بالبرهان ولم يطالب هنا بذلك، فقد خرج بهذا المدعي بدعواه من ميزان ما تطلبه الدعوى تحقيقها؟ وهل السبب الذي لأجله طلب من المدعي الدلالة على ما ادعاه كونه يريد التحكم بما ادعاه، والتحكم صفة الإلهية والمدعي فيه معنى الغيب ومعنى الشهادة، فالشهادة قد بانت بعينها، ولو تركها لأغنى عنها المشاهدة، وأمَّا الغيب فتحتاج معه إلى إقامة البينة على ما ادعاه، وقد يحكم علينا هذا المعترف بما ادعاه في أن يقيم عليه الحد الذي يتضمنه ما اعترف به وإن كان كاذبًا في دعواه على نفسه، وقد يكذب على نفسه أيضًا بأمر؛ ليدفع عن نفسه ألم حد آخر يعظم عنده على الألم الذي يحصل له من الاعتراف بذلك الأمر إذا أقيمت عليه حدوده، فما الجواب عن ذلك؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن حكم التعدي في حدود الأشياء: وهل الحد داخل في المحدود فلا يكون تعديًا أم لا؟ وإذا دخل: كيف صورة دخوله؟ وما الفرق بين

---

(1) أخرجه أحمد (15627)، والدارمي (2463)، وابن حبان (132)، والطبراني (834)، والحاكم (2566)، وأبو نعيم في الحلية (8/ 263)، والبيهقي (11923)، والضياء (1446).

قوله: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة: 6] وقوله: ﴿أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ [البقرة: 187] وهذا حد، وهذا حد بكلمة معينة تقضي في الواحد خروج الحد من المحدود وفي الآخر دخول الحد في المحدود، وهذا ينبئ عن معرفة الحد في نفسه ما هو، فإن للحد حدًا ولا يتسلسل؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عمَّن تكلم فيما لا يعلم وهو يتخيل أنه يعلم: هل ما تكلم به علم في نفس الأمر أم ليس بعلم؟ أم يستحيل أنه لا يكون إلا علمًا ولكن لا يعلمه هذا المتكلم؟ وهل الذي يتخذ الجهل علمًا يجد في نفسه القطع به كالعلم أو يكون نفسه مزلزلة حتى يحقق النظر في نفسه ويجد الفرق بين ما يوافق العلم من ذلك وبين ما يوافقه؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن السحر: لِـمَ سماه الشارع كفرًا؟ وكيف رأى فرعون قتل من قتل من السحرة الذين آمنوا؟ هل ذلك لكونهم سحرة فقتله شرعًا في باطن الأمر، أو لإيمانهم في ظاهر الأمر؟ ثم إذا قتل الساحر فهل ذلك كفارة له وجزاء على سحره حتى لا يبقى عليه من جهة ذلك السحر في الآخرة مطالبة من جهة الحق أم لا؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن مجالسة الحق في الخلوة والجلوة: هل هما أمر واحد أم تتنوع المجالسة بتنوع المجالس؟ وهل يتحدث مجالس الحق معه أم لا؟ فإن المشاهدة للبهت أو لا يكون البهت إلا في بعض المشاهدات، ثم إنه لابد من العلم بأن المتجلي هو الله تعالى؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الولي: هل يصح أن يكون له في الولاية مقام لا يكون ذوقًا لنبي أم لا؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه: من هو أعلى من يحتج عن نفسه أو من يكون مع الناس على نفسه؟ ومتى يصح أن يكون للإنسان هذا الحكم؟ ولِـمَ قال تعالى في قوله: ﴿وَلَقَدۡ

نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: 97-98] ولم يقل: فارضَ؟ وهل يؤثر في مقام الرضا من عظم نفسه في مقام يحتقر هو فيه أم لا؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن تكليف الجزء بالشرائع المنزلة: هل هو تكليف ألزمهم الحق إياه ابتداء أو ألزموه أنفسهم، فألزمهم به كالنذر؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن البعد والقرب الذي تقول به الطائفة: هو ممَّن؟ وعمَّن؟ وعن العلوم الذي تنزل على قلوب العارفين: من يقسمها على قلوبهم إذا نزلت؟ وهل حكم ما نزل عن سؤال نحو قوله: ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: 114] كحكم ما نزل على غير سؤال؟ فإن ما نزل عن سؤال أعظم لذة؛ لأن فيه إدراك البغية، وذلة الافتقار وإعطاء الربوبية حقها؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الطفل الرضيع وجميع الحيوان: هل لهم تكليف إلهي برسول منهم في ذواتهم لا يشعرون به كما قيل: «**ما من أمة في الأرض إلا وهي تحت خطاب إلهي على لسان نذير بعث إليها منها**» أم لا؟

فقال: لا أعلم.

قلت: قد صرح بعض المالكية بكفر من قال: «**إن في كل أمة من الحيوان رسول منها إليها**» والله أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن المنكر: لِمَ سمي منكرًا وهو معروف، فإنه لا يصف أنه أتى منكرًا إلا حتى يعلم أنه مأمور بتركه؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه: لماذا كان الخلق إذا قبضوا لا يقبضون كلهم إلا على الفطرة كما ولدوا عليها؟ بل منهم من يقبض عليها، ومنهم من يقبض على الكفر، فما الذي أخرج هذا البعض عن الفطرة؟ وما هي الفطرة؟ وهل يصح الخروج عنها أم لا؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: 3] فهل الدين

الذي تدخله المشقة دين الله تعالى أم لا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [الحج: 78].

وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185].

وفي الحديث: «**دين الله يسر**»(1).

وقال ﷺ: «**بعثت بالحنيفية السمحاء**»(2).

وقال: «**من يشاد هذا الدين يغلبه**»(3)؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن قول لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [لقمان: 16] لِـمَ قال في الآية: ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: 16] ولم يقل: «**يأتِ بها**»؟

فقال: لا أعلم.

وسألته عن سبب طلب البيِّنة من المدعي ـ اسم فاعل ـ وقبول الطالب لذلك شهادة البينة من غير أن يتوقف على حكم الحاكم، وذلك لا يكون إلا حتى يتذكر المدعى عليه الحق بشهادة البيِّنة، فهل قبوله شهادتهم للذكرى أم لأمر آخر، وهو عدم التهمة فيما شهدوا به، وجواز النسيان منه لما شهدوا به عليه وذلك لاتصافه؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن رد الدلائل للأغراض النفسانية: هل ذلك لخلل عند الراد في كون تلك الدلائل غير دلائل صحيحة، أو لا عن خلل؟ وهل عداوة الأمثال بعضهم لبعض لكون المثلين ضدين أو لأمر آخر؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

(1) أخرجه أحمد (20688)، وابن سعد (7/ 68)، وأبو يعلى (6863)، والطبراني (372).
(2) أخرجه أحمد (22345)، والطبراني (7868).
(3) أخرجه الطيالسي (809)، وأحمد (23013)، قال الهيثمي (1/ 62): رجاله موثقون. وابن أبي عاصم في السنة (95)، وابن خزيمة (1179)، والحاكم (1176)، وقال: صحيح الإسناد.

وسألته رضي الله عنه عن نعت الإله بالأحدية في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: 73] وعن إضافته إلى المضمر مثل «إلهكم» وإلى الظاهر مثل «وإله موسى، وإله الناس» هل الحكم واحد أو لكل أمر منهما خصوص وصفة؟ وما الفرق بين الأحدية والهوية والواحد والاسم الله؟ ولماذا ينعت الاسم الله ولا ينعت به؟ وهل لحقيقة الهوية شبه بشيء من العالم بوجه من الوجوه أم لا؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن شهادة الأعضاء على النفس الناطقة بما فعلت: كيف يتصور مؤاخذتها والنفوس الناطقة ظاهرة بحكم الأصل، والأجسام وقواها فطرت على تسبيح الله تعالى، وإذا شهدت لا تشهد إلا بفعل كذا دون اطلاعها على كونه معصية، فإنها لا علم لها بذلك، وإذا كان لا حظَّ للنفوس الناطقة في المخالفة والنفوس الحيوانية تجري بحكم طبعها في الأسباب ليس عليها تحجير، والجوارح كلها ناطقة بتسبيح الله لا علم لها بالمعصية، فمن المخالف والعاصي المتوجه عليه الذم والعقوبة؟ فإن كان قد حدث بالمجموع للجمعية القائمة بالإنسان أمر آخر كما حدث اسم الإنسان، فما هو ذلك الحادث الذي لا أول له؟ وما حقيقته؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم الجواب عن شيء من ذلك.

وسألته رضي الله عنه عمَّن ادعى أنه وُجد من غير أب وأم كما وقع لآدم عليه السلام هل نكذِّبه أو نصدقه؛ لأن ذلك ممكن في نفس الأمر؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الحاكم إذا علم صدق أحد الخصمين في دعواه، لكنه بجهله بتحرير الدعوى يبطل حقه: فهل للحاكم أن يعلمه كيف يدعي حتى يثبت له الحق كما هو في نفس الأمر، أو ليس له ذلك لا في حضور الخصم ولا في غيبته؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الموازين المعنوية التي يوزن بها المعاني المحسوسات، وموازين الآخرة: هل هي إقامة العدل بالحكم في العالم بحيث إن العالم كله

يعلم أنه ما طرأ عليه جور في الحكم بما حكم الله به عليه أم لا؟ وهل موازين الآخرة محسوسة كالموازين المحسوسة في الدنيا لوزن الأشياء أم لا؟ وإذا كانت حاسة البصر تدرك هذه الموازين، فهل هي كما يدركها الحس أو ممثلة كتمثيل الأعمال؟ فإن الأعمال هنا أعراض وفي الآخرة أشخاص، فيعلم أنها ممثلة؛ لأن الحقائق لا تنقلب، وحقيقة من لا يقوم بنفسه مغايرة لحقيقة من يقوم بنفسه، فعلى هذا لابد أن تكون ممثلة كتمثيل الموت في صورة كبش، والموت عرض، بل نسبة، فلا بد أن يكون المراد كما ورد، فما الحق في ذلك؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عمَّن لم يعمل بما سمعه من المواعظ: ما الذي منعه؟ فهل حكمه حكم من لم يسمع فيكون الله تعالى قد تفضل عليه وعفا عنه، أو حكمه حكم من علم فلم يعمل فعاقبه الله، فيكون الله قد عدل فيه، كأنه قال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١﴾ [الأنفال: 21] أي: فإنهم سمعوا حقيقة، وفهموا ما قد جاء على لسانهم، وحكمهم حكم من لم يسمع عندنا مع كونهم سمعوا حقيقة، وفهموا ما قد جاء على لسانهم، وحكمهم حكم من لم يسمع عندنا مع كونهم سمعوا، ولم يبين تعالى بماذا يحكم فيهم كانت قرائن الأحوال تؤذن بالعقوبة، ولكن الإمكان لا يرتفع في نفس الأمر لما يعرف من فضل الله وتجاوزه، فما الحق في ذلك؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن قوله تعالى: «**بادرني عبدي**»[1] فيمن قتل نفسه: كيف يصح من العبد مبادرة الحق وهو لا يبادر إلا بما هو من الحق لا بما هو من العبد، فإنه من المحال أن يسابق العبد ربه بما هو للعبد، فما الجواب؟

فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا أعلم.

وسألته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن السبب في تسمية الله نفسه بـ«الدهر» وهو اسم أزلي له ولا دهر، فهل سمى الزمان دهرًا لأجل هذا الاسم، أو تسمى الله بهذا الاسم لعلمه أنه يخلق أمرًا يُقال له: الدهر؟ وهل ينتهي حكم الزمان في العالم أم لا ينتهي؟

(1) تقدم تخريجه.

وإذا كان العالم كله في قبضة الحق فممن يكون الطرد؟ وإلى أين يكون؟ وما الجواب عن ذلك؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الإعجاز: هل هو أمر لا يقدر عليه مخلوق، أو هو مخلوق يقدر عليه ثم صرف عنه؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الجار إذا انتهك حرمة جاره: هل يجازيه جاره بمثل ما أتى به أو يكون مخاطبًا بحفظ الجوار ولا يجازيه بالإساءة، بخلاف غير الجار؟

فقال: لا أعلم.

وسألته رضي الله عنه عن الزوج: لِـمَ سمي بـ«العشير»؟ هل هو لكون اجتماع الزوجين كان في عقد والمعاشرة للصحبة، والعشائر الجماعة التي ترجع إلى عقد واحد كعقد العشرة مثلاً سمي بذلك لأمر آخر؟

فقال رضي الله عنه: لا أعلم.

وليكن ذلك آخر الكتاب، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

خاتمة الكتاب وتقريظاته وإجازاته

قال مؤلفه سيدي عبد الوهاب ﷺ: فرغت من تأليفه في سابع عشر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وتسعمائة، نفع الله به قارئه وسامعه وكاتبه، ولمن نظر فيه ودعا لهم بالمغفرة ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا.

وهذه صورة ما على أصله من خطوط مشايخ مصر المحروسة رضي الله عنهم أجمعين:

إجازة الشيخ شهاب الدين الفتوحي الحنبلي

الأولى: إجازة سيدنا ومولانا شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين الفتوحي الحنبلي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الحمد لله الذي فتح قلوب أوليائه فهم ما أغلق على غيرهم من إدراك المعاني، ومنحهم مزيد قربة، وجعلهم من أهل حزبه، فارتقوا إلى أن أتوا بالسحر الحلال في صحبة العبارات والمباني، ولمعت أشعة أفئدتهم فنطقوا بعلم الحقيقة، وسهل لهم ما صعب على غيرهم من سلوك تلك الطريقة، فصاروا بذلك سادات الناس، وتصدروا لحل المشكلات وإزالة ما فيها من غموض وإلباس، فسبحان من محا عنهم شبه الشكوك والريب، ونوَّر بصائرهم فاستنارت بما أعطى ووهب، وقربهم من جنابه، وكساهم من بهاء جماله، وأتحفهم وأرضاهم بما به تولاهم، فهم والله الأجلَّاء الأشراف، الظاهرون بالحق ظهورًا غير خاف، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله منا بغير خلاف، ولما أهلهم للقيام بخدمته فازوا بجزيل نعمته.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد قطب دائرة الكونين، وعين شهود الحضرة في الملأين، من نعته الله تعالى في كتابه القديم بالخلق العظيم، وبعثه

في خصوص رسالته بالتعميم، وعلى آله وصحبه أولي كل قدر جسيم، صلاة وسلامًا دائمين ما طلع فجر وهبَّ نسيم.

وبعد... فقد وقفت على أماكن من هذا التأليف المسمى بـ«الجواهر والدرر» المتضمن أحوالاً عظيمة لمن كان الناس عنه غافلين بالخُبر والخبر، وتأملت ألفاظه تأملاً يشفي السقيم، ويهدي من ضل إلى الصراط المستقيم، لما اشتمل عليه من الآيات والذكر الحكيم، ولما أمعنت فيه التأمل والنظر، وجدت تلك النفائس لم يمحوها إنس ولا بشر، وتلك الدرر من شدة عظمها وصفائها كأنها ترمي بشرر، وكيف لا وهي ملتقطة من أمواج بحر زاخر لا يدرك قراره أولاً ولا آخر؟

وقد فاز بالتقاط جواهر البحرين وأشرف عليه أنوار ذينك البرين؛ أعني: النفحات السعودية العشائرية، والبركات الإخلاصية الشاذلية، ولاح لي أن كوكب هذه البشائر والسرور ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النور: 35].

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40] ولما أدرت فيه فكري الفاتر ونظري القاصر تذكرت ما اشتهر على الألسنة من المثل السائر: «**كم ترك الأول للآخر**».

وقول ابن مالك: وإذا كانت العلوم منحًا إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما يعسر على أكثر من المتقدمين.

وبالجملة: فهو مؤلف عديم النظير، لم يسبق لوضع مثله صغير ولا كبير، بل هو نعمة من الله اللطيف الخبير، قد اشتمل على أعلى رتب المعاني لما هو محشو فيه من الجواهر واللآلئ، فسبحان المنعم المتفضل على من يشاء بما يشاء ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [الحديد: 21].

فقد استحق مؤلفه الثناء الحسن، فقد أحسن فيما وضع، وأجاد فيما ألَّف، وبلغ الغاية في تحرير ما جمع، فلله دره في سلوك هذه المسالك، وما ذاك إلا عن عناية من الله مالك الممالك، جمَّل الله الوجود بوجوده، وأفاض عليه سحائب كرمه وجوده، ونفع ببركاته، وبارك في حياته، وزوَّده بالحسنى، وبوَّأه

المحل الأسنى، وختم لنا وله بالخير الجزيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتبه أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي، الشهير بابن النجار، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، آمين، آمين، آمين.

إجازة الشيخ شهاب الدين الحنفي، الشهير بابن الشبلي

الثانية: إجازة سيدنا ومولانا الشيخ المصلح المحقق الشيخ شهاب الدين الحنفي، الشهير بابن الشبلي، رَحِمَهُ اللهُ.

الحمد لله مجري ماء العرفان في لسان من اختصه من الإنسان، ومرشح قلب العارف بأنواع المعارف، فنطق باليواقيت والجواهر والدرر والمرجان، وما في أكمام الأفهام من زهرات رياض المعاني، وجاعل حدائق الحقائق بين يدي العارف يتهدل قطوفها الدواني، نسألك يا مولانا أن تنشئ على مراتع آمالنا سحب العواطف، وأن تنشق خياشيم المنى نفحات العوارف.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد واسطة عقد المصطفين الأخيار، ودرة تاج الأتقياء الأبرار، المشنف بجواهر ألفاظه أصداف السامع، والمخصوص بجوامع الكلم والكلم الجوامع، وعلى آله أئمة الهدى وصحبه نجوم الاقتداء، وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى العلماء والصالحين في كل زمان.

أمَّا بعد... فقد وقفت على مواضع من هذا الكتاب الذي بهرت أنواره وأشرقت، وتمت غروس ألفاظه الزاكية؛ لأنها في منابت العرفان أغرقت، وتصفحته فبان مسكه، وقرأته فلفظته، فكأنما انقطع سلكه، وغصت على الجواهر في بحره الذي سطوره فلكه، فتارة آخذ منه درة، وتارة أقتطف زهرة، فما هو إلا روضة فائحة أزهارها، يانعة ثمارها مشرقة نجومها وأقمارها، فلله دره مؤلَّفًا، كلَّما طالعت فيه استفدت، وكلما غازلت عيون معانيه استزدت، ولله من أنفاس تسر النفوس.

ويا عجبًا، كم بهذه الطروس من عروس، وكيف لا ومؤلفه تاج ومحله الرؤوس؟ زاده الله علمًا أعلامه مرفوعة، وحلمًا ثمراته لا مقطوعة ولا ممنوعة، وأرزاقًا من حل بأيدي البركات مشفوعة، وأدام النفع به، وأوصل أسباب الخير

بسببه، وختم لنا وله وللمسلمين عند الحمام بالموت على الإسلام، وأدخلنا أجمعين في شفاعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

قال ذلك وكتبه: أحمد بن يونس بن إسماعيل الحنفي، الشهير بابن الشبلي، بلَّغه الله تعالى مناه، ورزقه من فضله جميع ما يتمناه، وما ذلك على الله بعسير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

إجازة الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي

والثالثة: إجازة سيدنا ومولانا الشيخ الإمام، العالم العامل، المتبحر في العلوم، عين عيان علماء الأقطار، الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله عنه.

الحمد لله الذي أشرق شموس المعارف في قلوب طهَّرها وزكاها، وأفاض ينابيع الحكم والدقائق على نفوس شرَّفها وصفاها، وكشف لهم من حقائق المعارف ما جلَّ قدره وعن سواهم أخفاها، وأطلعهم على مكنون أسراره فسرى في سرائرهم شذى رباها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد قطب دائرة حدودها وحماة حماها، ما ترنم طير فوق أيكها ورباها.

وبعد... فقد وقفت على هذا الكتاب الشريف والمصنف اللطيف، الذي فاق سائر الكتب في لطافة نظمها ودقة معناها، فهو أبدعها معنى وأولاها بالصواب وأحواها، وكيف لا وهو الجوهر الفرد الذي غايتها ومنتهاها، وحلية الأرواح في أوج ارتفاعها وعلاها؟ فمن تأمل أسراره وكشف أستاره اهتزَّ لها طربًا، وتاه بها عجبًا، وصاح لها واهًا، ولا عجب في ذلك، فإنها مواهب وهَّاب لا يحصى عوارفه ولا تستقصى معارفه لعبد له واقف بأبوابه الشريفة لا يتخطاها.

وبالجملة: فهي لمعة نورانية ارتفع محلها وثناها، وارتفع في الخافقين سناها، وعمَّ نفعها الخاصة والعامة، فكانت كالشمس وضحاها، جعلنا الله ممن ذاق مذاقها وتحلى بحلاها، وورد مواردها الشافية وارتوى برواها، وأنس نورها في دجى غفلته فاهتدى بهداها، وحشرنا مع مؤلفها وسلك بنا طريقه التي ما ضل من اقتفاها.

قال ذلك وكتبه: الفقير ناصر الدين بن حسن اللقاني المالكي، غفر الله له

ولوالديه ومشايخه، والحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين، آمـين.

إجازة الشيخ محيي الدين عبد القادر الشاذلي
أحد أصحاب الشيخ جلال الدين السيوطي

الرابعة: إجازة الشيخ الصالح محيي الدين عبد القادر الشاذلي، أحد أصحاب الشيخ جلال الدين السيوطي، رحمة الله تعالى عليه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد... فقد وقفت على هذا الكتاب المسمى بـ«**الجواهر والدرر الكبرى**» فوجدته بحر قد زخر، يحار في إدراكه البصر، وتكل عن معرفته العقول والفكر، مشحونًا بالجواهر والدرر واليواقيت والمعارف السالمة من شوائب الكدر، والنفائس التي لا توجد في غيره ولا يصل إليها إلا من اختصه الله من البشر، وأطلعه على الجوهر والعرض، وليس في قلبه علة ولا مرض، فالغواص عليها والواصل إليها، واحد الزمان، وفريد العصر والأوان، العارف الأواب، والولي الصالح، عبد الوهاب امتنّ الله علينا من بركاته ونفعنا بصالح دعواته.

فإنه جوهر يستخرج هذه الجواهر، ويبيِّن ما خصَّه الله به من الحسن الباهر، وما فيها من النفع الخاص للعارفين والخواص وأهل الاختصاص، وتالله لا يوجد لها بالسوق عند غيرهم تباع فيه، ولا يعرف قيمتها إلا كل عارف نبيه، وأين العارف الماهر بقيمة هذه الجواهر؟ فالجاهل بمعادن الجواهر محجوب، وعن المعرفة بها مسلوب، فالحذر الحذر ممن وقع له هذا الكتاب أن يطلع عليه أهله ولو بالنظر.

قال ذلك وكتبه: العبد الذليل الفقير الحقير، أقل عباد الله على الإطلاق، وأحوجهم إلى مغفرة الملك الخلاق، عبد القادر الشاذلي غفر الله له ذنوبه

وزلله، وستر عيوبه وسد خلله، وختم بالصالحات عمله، والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

تمَّ الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

وذلك برسم سيدنا ومولانا فخر الأكابر والأعيان

عمدة القضاة والحكام

لازال محفوظًا بعناية الملك العلي

سيدنا ومولانا القاضي علي الراجحي الحنفي

عامله الله بلطفه الخفي

بجاه سيدنا محمد وآله، آمين

وكان الفراغ من نسخه يوم الثلاثاء المبارك

في الثالث من شهر شعبان المعظم قدره وحرمته سنة 1088 هـ

* * *

فهرس بأهم المصادر والمراجع

1- تفسير القشيري، ط دار الكتب العلمية.

2- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر. ط الدار السلفية. الهند.

3- إحياء علوم الدين ومعه المغنى عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار دار الكتب العلمية.

4- لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام للشيخ عبد الرازق القاشاني. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ودار الكتب العلمية بيروت.

5- الفتوحات المكية (أو - كما تُسمى - الشرح الكامل للشريعة المحمدية الإسلامية) لإمام الأئمة العارف المحقق مولانا محيي الدين بن العربي المعروف بالشيخ الأكبر. ط. دار صادر في أربعة مجلدات.

6- قوت القلوب لمكي بن أبي طالب، ط دار الكتب العلمية بيروت.

7- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها (شرح على مختصر البخاري) للإمام الحافظ عبد الله بن أبي جمرة ط. دار الجيل.

8- الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية لشيخ الإسلام الإمام عبد الغني النابلسي ط. دار الحقيقة - تركيا.

9- الأخلاق المتبولية للإمام العارف عبد الوهاب الشعراني. ط. دار الكتب العلمية بيروت- تحقيق المزيدي.

10- سراج الطالبين على منهاج العابدين لمفتي الحرمين المحقق العلامة إحسان دحلان. ط. دار الفكر.

11- البيان والمزيد (شرح حكم سيدي شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث) للشيخ العارف أحمد باعشن، ومعه روح الكبريت الأحمر على حكم الشيخ الأكبر، ويليه حكم الإمام مصطفى البكري للعارف محمد بن محمود الداموني البكري. ط. دار الكتب العلمية بيروت- تحقيق المزيدي.

12- الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق للإمام الشعراني. ط. دار الكتب العلمية- تحقيق المزيدي.

13- العرائس القدسية المفصحة عن الدسائس النفسية لشيخ الإسلام الصديقي مصطفى البكري ط. (دارة الكرز - الدار الجودية) بالقاهرة- تحقيق المزيدي.

14- نعت البدايات وتوصيف النهايات ومعه فاتق الرتق على راتق الفتق للعلامة

المغربي الشيخ محمد فاضل ط. الدار الأزهرية للتراث بالقاهرة.
15- كتاب جامع أصول الأولياء وأنواعهم للشيخ أحمد النقشبندي ط. دار الكتب العلمية- تحقيق المزيدي.
16- مذكرة المرشدين والمسترشدين للعارف محمد أبو العزائم. ط دار الكتاب الصوفي. بالقاهرة.
17- تنبيه المغترين ويليه الكشف والتبيين فى غرور الخلق أجمعين للإمام الشعراني والإمام حجة الإسلام الغزالي. ط. دار المعرفة - بيروت.
18- لواقح الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية للإمام العارف عبد الشعراني دار الكتب العلمية بيروت.
19- جامع كرامات الأولياء للعلامة المحدث الصالح الشيخ يوسف النبهاني. ط. دار الكتب العلمية بيروت.
20- نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية. للفقيه العارف الشيخ عبد الله اليافعي. ط. مكتبة بالقاهرة.
21- حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب للشيخ محمد بن الحسن الصوفي. ط. دار جوامع الكلم بالقاهرة.
22- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال لسلطان العلماء وشيخ الإسلام العز بن عبد السلام، بتحقيقنا، ط. دار الكتب العلمية.
23- السير والسلوك إلى ملك الملوك للشيخ قاسم الخاني. ط. مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.
24- معارج القدس فى مدارج معرفة النفس ومعه قانون التأويل لحجة الإسلام الإمام الغزالي. ط. دار الكتب العلمية بيروت.
25- شرح الحكم الأكبرية للشيخ حسن بن موسى الكردي. ط. دار الكتب العلمية بيروت.
26- إيقاظ الهمم فى شرح الحكم للعارف أحمد بن عجيبة الحسني. ط. دار جوامع الكلم بالقاهرة.
27- الطبقات الكبري للإمام الشعراني. ط. عدة طبعات، منها: دار الكتب العلمية بيروت.
28- مناقب القطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني المسمى بتذكرة أولي الألباب في مناقب العارف الشعراني سيدي عبد الوهاب للشيخ محمد محيي الدين أبي الأنس المليجي ط. (الدار الجودية) بالقاهرة.

فهرس المحتويات